

www.kotobarabia.com
ألف ليلة وليلة
الجزء الأول
www.kotobarabia.com

المجلد الأول

ألف ليلة وليلة

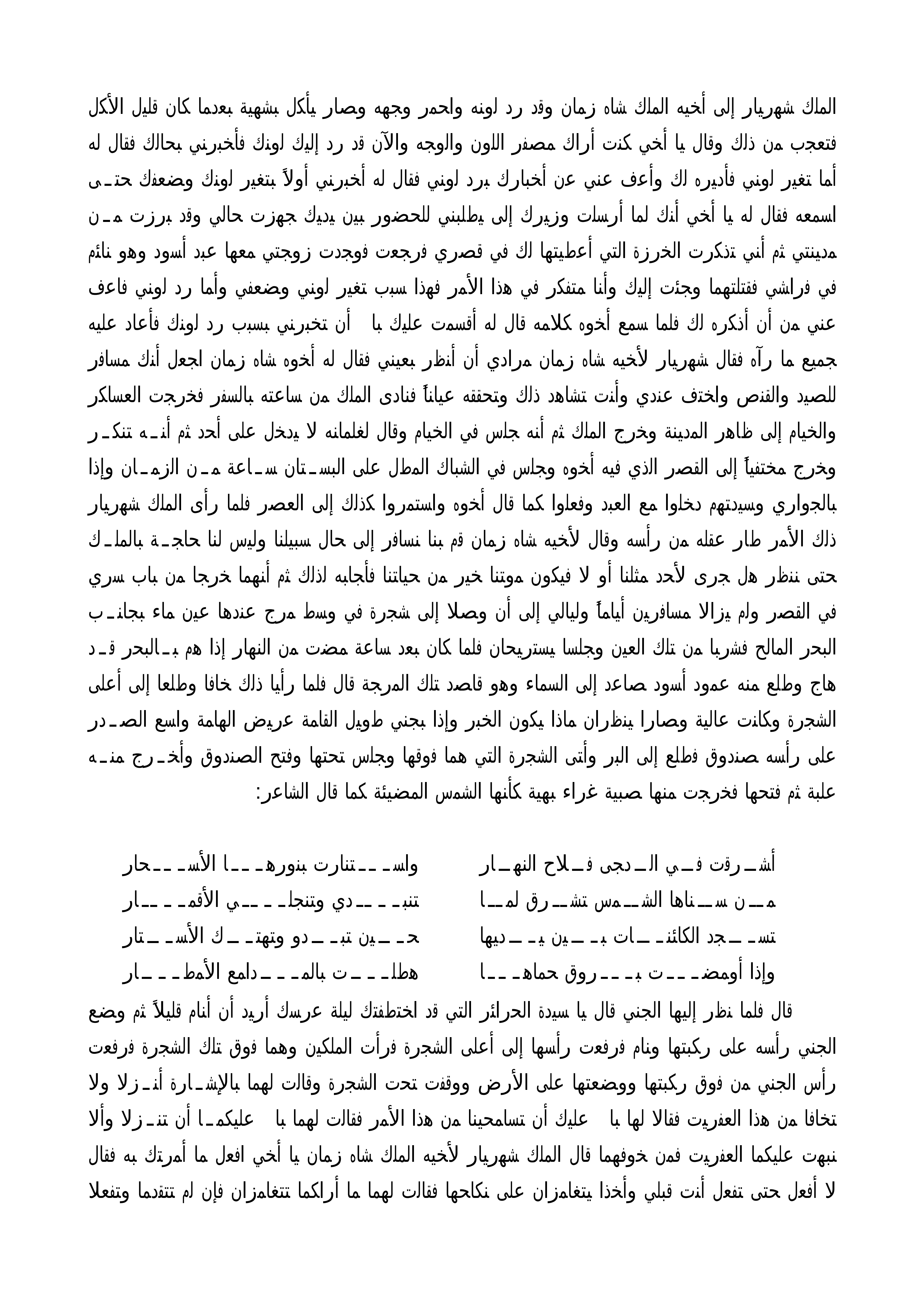
ذات الحوادث العجيبة. والقصص المطربة الغريبة لياليها غرام في غرام وتفاصيل حب وعشق وهيام وحكايات ونوادر فكاهية. ولطائف وطرائف أدبية بالصور المدهشة البديعة من أبدع ما كان ومناظر أعجوبة من عجائب الزمان.

بسم ا الرحمن الرحيم

الحمد رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آلـه وصـحبه صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين (وبعد) فإن سير الأولين صارت عبرة للآخرين لكـي يـرى الإنسان العبر التي حصلت لغيره فيعتبر ويطالع حديث الأمم السالفة وما جرى لهم فينزجر فسبحان من جعل حديث الأولين عبرة لقوم آخرين "فمن" تلك العبر الحكايات التي تسمى ألف ليلة وليلة وما فيها من الغرائـب والأمثال.

(حكايات الملك شهريار وأخيه الملك شاه زمان)

(حكى) وا أعلم أنه كان فيما مضى من قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من ملوك ساسـان بجزائر الهند والصين صاحب جند وأعوان وخدم وحشم له ولدان أحدهما كبير والآخر صغير وكانا فارسين بطلين وكان الكبير أفرس من الصغير وقد ملك البلاد وحكم بالعدل بين العباد وأحبه أهل بلاده ومملكته وكان اسمه الملك شهريار وكان أخوه الصغير اسمه الملك شاه زمان وكان ملك سمرقند العجم ولـم يـزل الأمـر مستقيماً في بلادهما وكل واحد منهما في مملكته حاكم عادل في رعيته مدة عشرين سنه وهم في غاية البسط والانشراح ولم يزالا على هذه الحالة إلى أن اشتاق الكبير إلى أخيه الصغير فأمر وزيـره أن يسـافر إليـه ويحضر به فاجابه بالسمع والطاعة وسافر حتى وصل بالسلامة ودخل على أخيه وبلغه السـلام واعلمـه أن أخاه مشتاق إليه وقصده أن يزوره فأجابه بالسمع والطاعة وتجهز للسفر وأخرج خيامه وجماله وبغاله وخدمه وأعوانه وأقام وزيره حاكماً في بلاده وخرج طالباً بلاد أخيه فلما كان في نصف الليل تذكر حاجة نسيها فـي قصره فرجع ودخل قصره فوجد زوجته راقدة في فراشه معانقة عبد أسود من العبيد فلما رأى هذا أسـودت الدنيا في وجهه وقال في نفسه إذا كان هذا الأمر قد وقع وأنا ما فارقت المدينة فكيف حال هـذه العـاهرة إذا غبت عند أخي مدة ثم أنه سل سيفه وضرب الأثنين فقتلهما في الفراش ورجع مـن وقتـه وسـاعته وأمـر بالرحيل وسار إلى أن وصل إلى مدينة أخيه ففرح أخيه بقدومه ثم خرج إليه ولاقاه وسلم عليه ففرح به غاية الفرح وزين له المدينة وجلس معه يتحدث بانشراح فتذكر الملك شاه زمان ما كان من أمر زوجتـه فحصـل عنده غم زائد واصفر لونه وضعف جسمه فلما رآه أخوه على هذه الحالة ظن في نفسه أن ذلك بسبب مفارقته بلاده وملكه فترك سبيله ولم يسأل عن ذلك ثم أنه قال له في بعض الأيام يا أخي أني أنا في باطني جرح ولم يخبره بما رأى من زوجته فقال أني أريد أن تسافر معي إلى الصيد والقنص لعلك ينشرح صدرك فأبى ذلـك فسافر أخوه وحده إلى الصيد وكان في قصر الملك شبابيك تطل على بستان أخيه فنظر وإذا بباب القصر قـد فتح وخرج منه عشرون جارية وعشرون عبداً وامرأة أخيه تمشي بينهم وهي في غاية الحسن والجمال حتى وصلوا إلى فسقية وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع بعضهم وإذا بامرأة الملك قالت يا مسعود فجاءهـا عبـد أسـود فعانقها وعانقته وواقعها وكذلك باقي العبيد فعلوا بالجواري ولم يزالوا في بوس وعناق ونحو ذلك حتى ولـى النهار فلما رأى ذلك أخو الملك فقال وا أن بليتي أخف من هذه البلية وقد هان ما عنده من القهر والغم وقال هذا أعظم مما جرى لي ولم يزل في أكل وشرب وبعد هذا جاء أخوه من السفر فسلما على بعضهما ونظـر



الملك شهريار إلى أخيه الملك شاه زمان وقد رد لونه واحمر وجهه وصار يأكل بشهية بعدما كان قليل الأكل فتعجب من ذلك وقال يا أخي كنت أراك مصفر اللون والوجه والآن قد رد إليك لونك فأخبرني بحالك فقال له أما تغير لوني فأذكره لك وأعف عني عن أخبارك برد لوني فقال له أخبرني أولاً بتغير لونك وضعفك حتى اسمعه فقال له يا أخي أنك لما أرسلت وزيرك إلى يطلبني للحضور بين يديك جهزت حالي وقد برزت من مدينتي ثم أني تذكرت الخرزة التي أعطيتها لك في قصري فرجعت فوجدت زوجتي معها عبد أسود وهو نائم في فراشي فقتلتهما وجئت إليك وأنا متفكر في هذا الأمر فهذا سبب تغير لوني وضعفي وأما رد لوني فاعف عني من أن أذكره لك فلما سمع أخوه كلامه قال له أقسمت عليك با أن تخبرني بسبب رد لونك فأعاد عليه جميع ما رآه فقال شهريار لأخيه شاه زمان مرادي أن أنظر بعيني فقال له أخوه شاه زمان اجعل أنك مسافر للصيد والقنص واختف عندي وأنت تشاهد ذلك وتحققه عياناً فنادى الملك من ساعته بالسفر فخرجت العساكر والخيام إلى ظاهر المدينة وخرج الملك ثم أنه جلس في الخيام وقال لغلمانه لا يدخل على أحد ثم أنه تنكر وخرج مختفياً إلى القصر الذي فيه أخوه وجلس في الشباك المطل على البستان ساعة من الزمان وإذا بالجواري وسيدتهم دخلوا مع العبد وفعلوا كما قال أخوه واستمروا كذلك إلى العصر فلما رأى الملك شهريار ذلك الأمر طار عقله من رأسه وقال لأخيه شاه زمان قم بنا نسافر إلى حال سبيلنا وليس لنا حاجة بالملك حتى ننظر هل جرى لأحد مثلنا أو لا فيكون موتنا خير من حياتنا فأجابه لذلك ثم أنهما خرجا من باب سري في القصر ولم يزالا مسافرين أياماً وليالي إلى أن وصلا إلى شجرة في وسط مرج عندها عين ماء بجانب البحر المالح فشربا من تلك العين وجلسا يستريحان فلما كان بعد ساعة مضت من النهار إذا هم بالبحر قد هاج وطلع منه عمود أسود صاعد إلى السماء وهو قاصد تلك المرجة قال فلما رأيا ذلك خافا وطلعا إلى أعلى الشجرة وكانت عالية وصارا ينظران ماذا يكون الخبر وإذا بجني طويل القامة عريض الهامة واسع الصدر على رأسه صندوق فطلع إلى البر وأتى الشجرة التي هما فوقها وجلس تحتها وفتح الصندوق وأخرج منه علبة ثم فتحها فخرجت منها صبية غراء بهية كأنها الشمس المضيئة كما قال الشاعر:

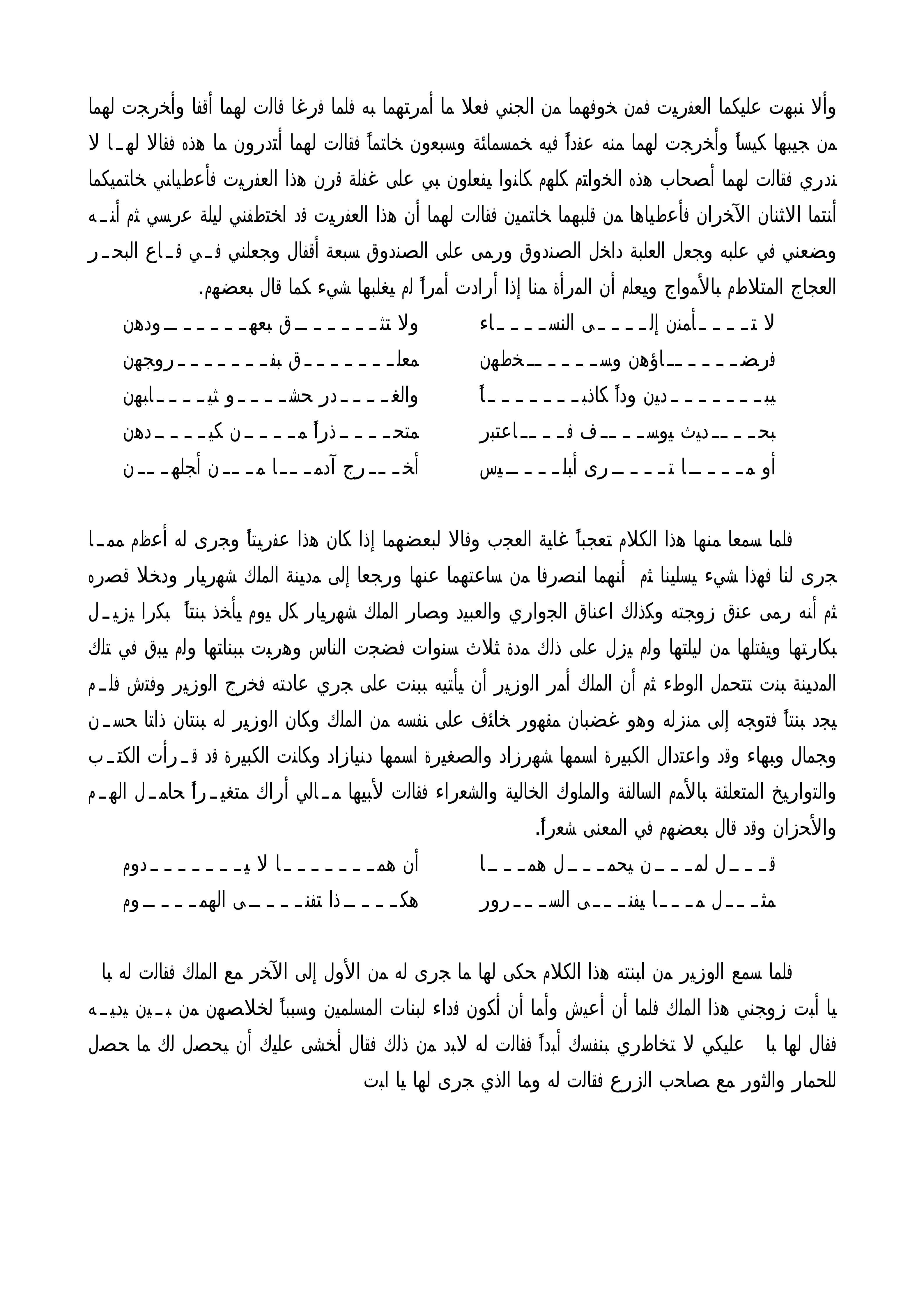
أشرقت في الدجى فلاح النهار   واستنارت بنورها الأسحار

من سناها الشمس تشرق لما   تبدي وتنجلي الأقمار

تسجد الكائنات بين يديها   حين تبدو وتهتك الأستار

وإذا أومضت بروق حماها   هطلت بالمدامع الأمطار

قال فلما نظر إليها الجني قال يا سيدة الحرائر التي قد اختطفتك ليلة عرسك أريد أن أنام قليلاً ثم وضع الجني رأسه على ركبتها ونام فرفعت رأسها إلى أعلى الشجرة فرأت الملكين وهما فوق تلك الشجرة فرفعت رأس الجني من فوق ركبتها ووضعتها على الأرض ووقفت تحت الشجرة وقالت لهما بالإشارة أنزلا ولا تخافا من هذا العفريت فقالا لها با عليك أن تسامحينا من هذا الأمر فقالت لهما با عليكما أن تنزلا وإلا نبهت عليكما العفريت فمن خوفهما قال الملك شهريار لأخيه الملك شاه زمان يا أخي افعل ما أمرتك به فقال لا أفعل حتى تفعل أنت قبلي وأخذا يتغامزان على نكاحها فقالت لهما ما أراكما تتغامزان فإن لم تتقدما وتفعلا



وألا نبهت عليكما العفريت فمن خوفهما من الجني فعلا ما أمرتهما به فلما فرغا قالت لهما أقفا وأخرجت لهما من جيبها كيساً وأخرجت لهما منه عقداً فيه خمسمائة وسبعون خاتماً فقالت لهما أتدرون ما هذه فقالا لهـا لا ندري فقالت لهما أصحاب هذه الخواتم كلهم كانوا يفعلون بي على غفلة قرن هذا العفريت فأعطياني خاتميكما أنتما الاثنان الآخران فأعطياها من قلبهما خاتمين فقالت لهما أن هذا العفريت قد اختطفني ليلة عرسي ثم أنـه وضعني في علبه وجعل العلبة داخل الصندوق ورمى على الصندوق سبعة أقفال وجعلني فـي قـاع البحـر العجاج المتلاطم بالأمواج ويعلم أن المرأة منا إذا أرادت أمراً لم يغلبها شيء كما قال بعضهم.

لا تـ ـ ـ ـأمنن إلـ ـ ـ ـى النسـ ـ ـ ـاء ... ولا تثـ ـ ـ ـ ـ ـ ـق بعهـ ـ ـ ـ ـ ـ ـودهن

فرضـ ـ ـ ـ ـ ـاؤهن وسـ ـ ـ ـ ـخطهن ... معلـ ـ ـ ـ ـ ـ ـق بفـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـروجهن

يبـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـدين وداً كاذبـ ـ ـ ـ ـ ـ ـاً ... والغـ ـ ـ ـدر حشـ ـ ـ ـو ثيـ ـ ـ ـابهن

بحـ ـ ـ ـديث يوسـ ـ ـ ـف فـ ـ ـ ـاعتبر ... متحـ ـ ـ ـ ـذراً مـ ـ ـ ـن كيـ ـ ـ ـدهن

أو مـ ـ ـ ـا تـ ـ ـ ـ ـرى أبلـ ـ ـ ـيس ... أخـ ـ ـرج آدمـ ـ ـا مـ ـ ـن أجلهـ ـ ـن

فلما سمعا منها هذا الكلام تعجباً غاية العجب وقالا لبعضهما إذا كان هذا عفريتاً وجرى له أعظم ممـا جرى لنا فهذا شيء يسلينا ثم أنهما انصرفا من ساعتهما عنها ورجعا إلى مدينة الملك شهريار ودخلا قصره ثم أنه رمى عنق زوجته وكذلك اعناق الجواري والعبيد وصار الملك شهريار كل يوم يأخذ بنتاً بكرا يزيـل بكارتها ويقتلها من ليلتها ولم يزل على ذلك مدة ثلاث سنوات فضجت الناس وهربت ببناتها ولم يبق في تلك المدينة بنت تتحمل الوطء ثم أن الملك أمر الوزير أن يأتيه ببنت على جري عادته فخرج الوزير وفتش فلـم يجد بنتاً فتوجه إلى منزله وهو غضبان مقهور خائف على نفسه من الملك وكان الوزير له بنتان ذاتا حسـن وجمال وبهاء وقد واعتدال الكبيرة اسمها شهرزاد والصغيرة اسمها دنيازاد وكانت الكبيرة قد قـرأت الكتـب والتواريخ المتعلقة بالأمم السالفة والملوك الخالية والشعراء فقالت لأبيها مـالي أراك متغيـراً حامـل الهـم والأحزان وقد قال بعضهم في المعنى شعراً.

قـ ـ ـل لمـ ـ ـن يحمـ ـ ـل همـ ـ ـا ... أن همـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـا لا يـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـدوم

مثـ ـ ـل مـ ـ ـا يفنـ ـ ـى السـ ـ ـرور ... هكـ ـ ـ ـ ـذا تفنـ ـ ـ ـ ـى الهمـ ـ ـ ـ ـوم

فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام حكى لها ما جرى له من الأول إلى الآخر مع الملك فقالت له با يا أبت زوجني هذا الملك فلما أن أعيش وأما أن أكون فداء لبنات المسلمين وسبباً لخلاصهن من بـين يديـه فقال لها با عليكي لا تخاطري بنفسك أبداً فقالت له لابد من ذلك فقال أخشى عليك أن يحصل لك ما حصل للحمار والثور مع صاحب الزرع فقالت له وما الذي جرى لها يا ابت

(حكاية الحمار والثور مع صاحب الزرع)

(قال) اعلمي يابنتي أنه كان لبعض التجار أموال ومواش وكان له زوجة وأولاد وكان ا تعالى أعطاه معرفة السن الحيوانات والطير وكان مسكن ذلك التاجر الأرياف وكان عنده في داره حمار وثور فأتى يوماً الثور إلى مكان الحمار فوجده مكنوساً مرشوشاً وفي معلفه شعير مغربل وتبن مغربل وهو راقد مستريح وفي بعض الأوقات ركبه صاحبه لحاجة تعرض له ويرجع على حاله فلما كان في بعض الأيام سمع التاجر الثور وهو يقول للحمار هنيئاً لك ذلك أنا تعبان وأنت مستريح تأكل الشعير بعريلا ويخدمونك وفي بعض الأوقات يركبك صاحبك ويرجع وأنا دائماً للحرث والطحن فقال له الحمار إذا خرجت إلى الغيط ووضعوا على رقبتك الناف فارقد ولا تقم ولو ضربوك فإن قمت فأرقد ثانياً فإذا رجعوا بك وضعوا لك الفول فلا تأكله كأنك ضعيف وامتنع من الأكل والشرب يوماً أو يومين أو ثلاثة فإنك تستريح من التعب والجهد وكان التاجر يسمع كلامهما فلما جاء السواق إلى الثور بعلفه أكل منه شيئاً يسيراً فأصبح السواق يأخذ الثور إلى الحرث فوجده ضعيفاً فقال له التاجر خذ الحمار وحرثه مكانه اليوم كله فلما رجع آخر النهار شكره الثور على تفضلاته حيث أراحه من التعب في ذلك اليوم فلم يرد عليه الحمار جواباً وندم أشد الندامة فلما كان ثاني يوم جاء المزارع وأخذ الحمار وحرثه إلى آخر النهار فلم يرجع الحمار إلا مسلوخ الرقبة شديد الضعف فتأمله الثور وشكره ومجده فقال له الحمار كنت مقيماً مستريحاً فما ضرني إلا فضولي ثم قال اعلم أني لك ناصح وقد سمعت صاحبنا يقول إن لم يقم الثور من موضعه فأعطوه للجزار ليذبحه ويعمل جلده قطعاً وأنا خائف عليك ونصحتك والسلام فلما سمع الثور كلام الحمار شكره وقال في غد أسرح معهم ثم أن الثور أكل علفه بتمامه حتى لحس المدود بلسانه كل ذلك وصاحبهما يسمع كلامهما فلما طلع النهار خرج التاجر وزوجته إلى دار البقر وجلسا فجاء السواق وأخذ الثور وخرج فلما رأى الثور صاحبه حرك ذنبه وظرط وبرطع فضحك التاجر حتى استلقى على قفاه فقالت له زوجته من أي شيء تضحك فقال لها شيء رأيته وسمعته ولا أقدر أن أبيح به فأموت فقالت له لابد أن تخبرني بذلك وما سبب ضحك ولو كنت تموت فقال لها ما أقدر أن أبوح به خوفاً من الموت فقالت له أنت لم تضحك إلا على ثم أنها لم تزل تلح عليه وتلح في الكلام إلى أن غلبت عليه فتحير وأحضر أولاده وأرسل أحضر القاضي والشهود وأراد أن يوصي ثم يبوح لها بالسر ويموت لأنه كان يحبها محبة عظيمة لأنها بنت عمه وأم أولاده وكان قد عمر من العمر مائة وعشرين سنة ثم أنه أرسل أحضر جميع أهلها وأهل حارته وقال لهم حكايته وأنه متى قال لأحد على سره مات فقال لها جميع الناس ممن حضر با عليك أتركي هذا الأمر لئلا يموت زوجك أبو أولادك فقالت لهم لا أرجع عنه حتى يقول لي ولو يموت فسكتوا عنها ثم أن التاجر قام من عندهم وتوجه إلى دار الدواب ليتوضأ ثم يرجع يقول لهم ويموت وكان عنده ديك تحته خمسون دجاجة وكان عنده كلب فسمع التاجر الكلب وهو ينادي الديك ويسبه ويقول له أنت فرحان وصاحبنا رايح يموت فقال الديك للكلب وكيف ذلك الأمر فأعاد الكلب عليه القصة فقال له الديك وا أن صاحبنا قليل العقل أنا لي خمسون زوجة أرضي هذه وأغضب هذه وهو ماله إلا زوجة واحدة ولا يعرف صلاح أمره معها فماله لا يأخذ لها بعضاً من عيدان التوت ثم يدخل إلى حجرتها ويضربها حتى تموت أو تتوب ولا تعود تسأله عن شيء قال فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب الكلب رجع إلى

عقله وعزم على ضربها ثم قال الوزير لابنته شهرزاد ربما فعل بك مثل ما فعل التاجر بزوجته فقالت له ما فعل قال دخل عليها الحجرة بعدما قطع له عيدان التوت وخباها داخل الحجرة وقال لها تعالي داخل الحجـرة حتى أقول لك ولا ينظرني أحد ثم أموت فدخلت معه ثم أنه قفل باب الحجرة عليهما ونزل عليهـا بالضـرب إلى أن أغمى عليها فقالت له تبت ثم أنها قبلت يديه ورجليه وتابت وخرجت هي وأياه وفرح الجماعة وأهلها وقعدوا في أسر الأحوال إلى الممات. فلما سمعت ابنة الوزير مقالة أبيها قالت له لابد من ذلك فجهزها وطلع إلى الملك شهريار وكانت قد أوصت أختها الصغيرة وقالت لها إذا توجهت إلى الملك أرسلت أطلبك فإذا جئت عندي ورأيت الملك قضى حاجته مني فقولي يا أختي حدثينا حديثاً غريباً نقطع به السهر وأنا أحدثك حـديثاً يكون فيه الخلاص إن شاء ا ثم أن أباها الوزير طلع بها إلى الملك فلما رآه فرح وقال أتيت بحاجتي فقـال نعم فلما أراد أن يدخل عليها بكت فقال لها مالك فقالت أيها الملك أن لي أختاً صغيرة أريد أن أودعها فأرسل الملك إليها فجاءت على أختها وعانقتها وجلست تحت السرير فقام الملك وأخذ بكارتها ثم جلسـوا يتحـدثون فقالت لها أختها الصغيرة با عليك يا أختي حدثينا حديثاً نقطع به سهر ليلتنا فقالت حباً وكرامة أن أذن لـي هذا الملك المهذب فلما سمع ذلك الكلام وكان به قلق ففرح بسماع الحديث.

(حكاية التاجر مع العفريت)

(ففي الليلة الأولـى) قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان تاجر من التجار كثير المال والمعاملات في البلاد قد ركب يوماً وخرج يطالب في بعض البلاد فاشتد عليه الحر فجلس تحت شجرة وحط يده في خرجـه وأكل كسرة كانت معه وتمرة فلما فرغ من أكل التمرة رمى النواة وإذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سـيف فدنا من ذلك التاجر وقال له قم حتى أقتلك مثل ما قتلت ولدي فقال له التاجر كيف قتلت ولدك قال لـه لمـا أكلت التمرة رميت نواتها جاءت النواة في صدر ولدي فقضى عليه ومات من ساعته فقال التاجر للعفريـت اعلم أيها العفريت أني على دين ولي مال كثير وأولاد وزوجة وعندي رهون فدعني أذهب إلى بيتي وأعطي كل ذي حق حقه ثم أعود إليك ولك علي عهد وميثاق أن أعود إليك فتفعل بي ما تريد وا على مـا أقـول وكيل فاستوثق منه الجني وأطلقه فرجع إلى بلاده وقضى جميع متعلقاته وأوصل الحقوق إلـى أهلهـا وأعلـم زوجته وأولاده بما جرى له فبكوا وكذلك جميع أهله ونساءه وأولاده وأوصى وقعد عندهم إلى تمام السنة ثـم توجه وأخذ كفنه تحت أبطه ودع أهله وجيرانه وجميع أهله وخرج رغماً عـن أنفـه وأقـيم عليـه العيـاط والصراخ فمشي إلى أن وصل إلى ذلك البستان وكان ذلك اليوم أول السنة الجديدة فبينما هو جالس يبكي على ما يحصل له وإذا بشيخ كبير قد أقبل عليه ومعه غزالة مسلسلة فسلم على هذا التاجر وحياه وقال له ما سبب جلوسك في هذا المكان وأنت منفرد وهو مأوى الجن فأخبره التاجر بما جرى له مع ذلك العفريـت وبسـبب قعوده في هذا المكان فتعجب الشيخ صاحب الغزالة وقال وا يا أخي مادينك إلا دين عظيم وحكايتك حكايـة عجيبة ولوكتبت بالأبر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر ثم أنه جلس بجانبه وقال وا يـا أخـي لا أبرح من عندك حتى أنظر ما يجري لك مع ذلك العفريت ثم أنه جلس عنده يتحدث معه فغشي علـى ذلـك التاجر وحصل له الخوف والفزع والغم الشديد والفكر المزيد وصاحب الغزالة بجانبه وإذا بشيخ ثان قد أقبـل عليهما ومعه كلبتان سلاقيتان من الكلاب السود فسألهما بعد السلام عليهما عن سبب جلوسهما في هذا المكان

وهو مأوى الجان فأخبراه بالقصة من أولها إلى آخرها فلم يستقر به الجلوس حتى أقبل عليهم شيخ ثالث ومعه بغلة زرزورية فسلم عليهم وسألهم عن سبب جلوسهم في هذا المكان فأخبروه بالقصة من أولها إلى آخرهـا وبينما كذلك إذا بغبرة هاجت وزوبعة عظيمة قد أقبلت من وسط تلك البرية فانكشف الغبرة وإذا بذلك الجنـي وبيده سيف مسلول وعيونه ترمي بالشرر فأتاهم وجذب ذلك التاجر من بينهم وقال له قم اقتلك مثل ما قتلـت ولدي وحشاشة كبدي فانتحب ذلك التاجر وبكى وأعلن الثلاثة شيوخ بالبكاء والعويل والنحيب فانتبـه مـنهم الشيخ الأول وهو صاحب الغزالة وقبل يد ذلك العفريت وقال له يا أيها الجني وتاج ملوك الجان إذا حكيـت لك حكايتي مع هذه الغزالة ورأيتها عجيبة أتهب لي ثلث دم هذا التاجر قال نعم يا أيها الشيخ إذا أنت حكيـت لي الحكاية ورأيتها عجيبة وهبت لك ثلث دمه فقال ذلك الشيخ الأول اعلم يا أيها العفريت أن هذه الغزالة هي بنت عمي ومن لحمي ودمي وكنت تزوجت بها وهي صغيرة السن وأقمت معها نحو ثلاثين سنة فلـم أرزق منها بولد فأخذت لي سرية فرزقت منها بولد ذكر كأنه البدر إذا بدا بعينين مليحتـين وحـاجبين مـزججين وأعضاء كاملة فكبر شيئاً فشيئاً إلى أن صار ابن خمس عشرة سنة فطرأت لي سفرة إلـى بعـض المـدائن فسافرت بمتجر عظيم وكانت بنت عمي هذه الغزالة تعلمت السحر والكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولـد عجلاً وسحرت الجارية أمه بقرة وسلمتها إلى الراعي ثم جئت أنا بعد مدة طويلة من السفر فسألت عن ولدي وعن أمه فقالت لي جاريتك ماتت وابنك هرب ولم أعلم أين راح فجلست مدة سنة وأنا حزين القلـب بـاكي العين إلى أن جاء عيد الضحية فأرسلت إلى الراعي أن يخصني ببقرة سمينة فجاءني ببقـرة سـمينة وهـي سريتي التي سحرتها تلك الغزالة فشمرت ثيابي وأخذت السكين بيدي وتهيأت لذبحها فصاحت وبكـت بكـاء شديداً فقمت عنها وأمرت ذلك الراعي فذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحماً ولا لحماً غير جلد وعظم فنـدمت على ذبحها حيث لا ينفعني الندم وأعطيتها للراعي وقلت له ائتني بعجل سمين فأتاني بولدي المسحور عجـلاً فلما رآني ذلك العجل قطع حبله وجاءني وتمرغ علي وولول وبكى فأخذتني الرأفة عليه وقلت للراعي ائتنـي ببقرة ودع هذا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها ما أطيب حـديثك وألطفـه وألذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك فقال الملك في نفسه وا ما أقتلها حتى اسمع بقية حديثها ثم أنهم باتوا تلك الليلة في الصباح متعانقين فخرج الملك إلى محـل حكمـه وطلع الوزير بالكفن تحت أبطه ثم حكم الملك وولى وعزل إلى آخر النهار ولم يخبر الوزير بشيء من ذلـك فتعجب الوزير غاية العجب ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار قصره.

(وفي ليلة ٢) قالت دنيا زاد لأختها شهرزاد يا أختي أتممي لنا حديثك الذي هو حديث التاجر والجنـي قالت حباً وكرامة أن أذن لي الملك في ذلك فقال لها الملك أحكي فقالت بلغني أيها الملك السـعيد ذو الـرأي الرشيد أنه لما رأى بكاء العجل حن قلبه غليه وقال المراعي أبق هذا العجل بين البهائم كـل ذلـك والجنـي يتعجب من حكاية ذلك الكلام العجيب ثم قال صاحب الغزالة يا سيدي ملوك الجان كل ذلك جرى وابنة عمي هذه الغزالة تنظر وترى وتقول اذبح هذا العجل فإنه سمين فلم يهن على أن أذبحه وأمرت الراعي أن يأخـذه وتوجه به ففي ثاني يوم أنا جالس وإذا بالراعي أقبل علي وقال يا سيدي أني أقول شيئاً تسربه ولي البشـارة فقلت نعم فقال أيها التاجر أن لي بنتاً كانت تعلمت السحر في صغرها من امرأة عجوز كانت عندنا فلما كنـا

بالأمس وأعطيتني العجل دخلت به عليها فنظرت إليه بنتي وغطت وجهها وبكت ثم أنها ضحكت وقالت يـا أبي قد خس قدري عندك حتى تدخل على الرجال الأجانب فقلت لها واين الرجال الأجانـب ولمـاذا بكيـت وضحكت فقالت لي أن هذا العجل الذي معك ابن سيدي التاجر ولكنه مسحور سحرته زوجة أبيه هـو وأمـه فهذا سبب ضحكي وأما سبب بكائي فمن أجل أمه حيث ذبحها أبوه فتعجبت من ذلك غاية العجب وما صدقت بطلوع الصباح حتى جئت إليك لاعلمك فلما سمعت أيها الجني كلام هذا الراعي خرجت معه وأنا سكران من غير مدام من كثرة الفرح والسرور الذي حصل لي إلى أن أتيت إلى داره فرحبت بي ابنة الراعي وقبلت يدي ثم أن العجل جاء إلى وتمرغ على فقلت لابنة الراعي أحقا ما تقولينه عن ذلك العجل فقالت نعم يا سيدي أنـه ابنك وحشاشة كبدك فقلت لها أيتها الصبية إن أنت خلصتيه فلك عندي ما تحت يد أبيك من المواشي والأموال فتبسمت وقالت يا سيدي ليس لي رغبة في المال إلا بشرطين الأول أن تزوجني به والثاني أن أسـحر مـن سحرته وأحبسها وإلا فلست آمن مكرهاً فلما سمعت أيها الجني كلام بنت الراعي قلت ولك فوق جميـع مـا تحت يد أبيك من الأموال زيادة وأما بنت عمي فدمها لك مباح فلما سمعت كلامي أخذت طاسة وملأتها مـاء ثم إنها عزمت عليها ورشت بها العجل وقالت له أن كان ا خلقك عجلاً فدم على هذه الصفة ولا تتغير وإن كنت مسحوراً فعد إلى خلقتك الأولى بإذن ا تعالى وإذا به انتفض ثم صار إنساناً فوقعت عليه وقلت له با عليك أحك لي جميع ما صنعت بك وبأمك بنت عمي فحكى لي جميع ما جرى لهما فقلت يا ولدي قد قـيض ا لك من خلصك وخلص حقك ثم أني أيها الجني زوجته ابنة الراعي ثم أنها سحرت ابنة عمي هذه الغزالة وجئت إلى هنا فرأيت هؤلاء الجماعة فسألتهم عن حالهم فأخبروني بما جرى لهذا التاجر فجلست لأنظر مـا يكون وهذا حديثي فقال الجني هذا حديث عجيب وقد وهبت لك ثلث دمه فعند ذلك تقدم الشيخ صاحب الكلبتين السلاقيتين وقال له اعلم يا سيدي ملوك الجان أن هاتين الكلبتين أخوتي وأنا ثالثهم ومات والدي وخلـف لنـا ثلاثة آلاف دينار ففتحت أنا دكاناً أبيع فيه وأشتري وسافر أخي بتجارته وغاب عنا مدة سنة مع القوافل ثـم أتى وما معه شيء فقلت له يا أخي أما أشرت عليك بعدم السفر فبكى وقال يا أخي قدر ا عز وجـل علـي بهذا ولم يبق لهذا الكلام فائدة ولست أملك شيئاً فأخذته وطلعت به إلى الدكان ثم ذهبت به إلى الحمام والبسته حلة من الملابس الفاخرة وأكلت أنا وإياه وقلت له يا أخي أني أحسب ربح دكاني من السنة إلـى السـنة ثـم أقسمه دون رأس المال بيني وبينك ثم أني عملت حساب الدكان من ربح مالي فوجدته الفي دينار فحمدت ا عز وجل وفرحت غاية الفرح وقسمت الربح بيني وبينه شطرين وأقمنا مع بعضنا أياماً ثم أن أخوتي طلبـوا السفر أيضاً وأرادوا أن أسافر معهم فلم أرض وقلت لهم أي شيء كسبتم في سفركم حتى أكسب أنـا فـالحوا علي ولم أطعهم بل أقمنا في دكاكيننا نبيع ونشتري سنة كاملة وهم يعرضون علي السفر وأنا لم أرض حتـى مضت ست سنوات كوامل ثم وافقتهم على السفر وقلت لهم يا أخوتي أننا نحسب ما عندنا من المال فحسـبناه فإذا هو ستة آلاف دينار فقلت ندفن نصفها تحت الأرض لينفعنا إذا أصابنا أمر ويأخذ كل واحد منا ألف دينار ونتسبب فيها قالوا نعم الرأي فأخذت المال وقسمته نصفين ودفنت ثلاثة آلاف دينار وأما الثلاثة آلاف دينـار الأخرى فأعطيت كل واحد منهم ألف دينار وجهزنا بضائع وأكترينا مركباً ونقلنا فيها حوائجنا وسافرنا مـدة شهر كامل إلى أن دخلنا مدينة وبعنا بضائعنا فربحنا في الدينار عشرة دنانير ثم أردنا السفر فوجـدنا علـى

شاطيء البحر جارية عليها خلق مقطع فقبلت يدي وقالت يا سيدي هل عندك إحسان ومعروف أجازيك عليهما قلت نعم أن عندي الإحسان والمعروف ولو لم تجازيني فقالت يا سيدي تزوجني وخذني ببلادك فإني قد وهبتك نفسي فافعل معي معروفاً لأني ممن يصنع معه المعروف والأحسان ويجازى عليهما ولا يغرنك حالي فلما سمعت كلامها حن قلبي إليها لأمر يريده الله عز وجل فأخذتها وكسوتها وفرشت لها في المركب فرشاً حسناً واقبلت عليها وأكرمتها ثم سافرنا وقد أحبها قلبي محبة عظيمة وصرت لا أفارقها ليلاً ولا نهاراً واشتغلت بها عن أخوتي فغاروا مني وحسدوني على مالي وكثرت بضاعتي وطمحت عيونهم في المال جميعه وتحدثوا بقتلي وأخذ مالي وقالوا نقتل أخانا ويصير المال جميعه لنا وزين لهم الشيطان أعمالهم فجاؤني وأنا نايم بجانب زوجتي ورموني في البحر فلما استيقظت زوجتي انتفضت فصارت عفريتة وحملتني وأطلعتني على جزيرة وغابت عني قليلاً وعادت إلى عند الصباح وقالت لي أنا زوجتك التي حملتك ونجيتك من القتل بإذن الله تعالى واعلم أني جنية رأيتك فحبك قلبي وأنا مؤمنة بالله ورسوله ﷺ فجئتك بالحال الذي رأيتني فيه فتزوجت بي وها أنا قد نجيتك من الغرق وقد غضبت على أخوتك ولابد أن أقتلهم فلما سمعت حكايتها تعجبت وشكرتها على فعلها وقلت لها أما هلاك أخوتي فلا ينبغي ثم حكيت لها ما جرى لي معهم من أول الزمان إلى آخره فلما سمعت كلامي قالت أنا في هذه الليلة أطير إليهم وأغرق مراكبهم وأهلكهم فقلت لها بالله لا تفعلي فإن صاحب المثل يقول يا محسناً لمن أساء كفى المسيء فعله. وهم أخوتي على كل حال قالت لابد من قتلهم فاستعطفتها ثم أنها حملتني وطارت فوضعتني على سطح داري ففتحت إلا أبواب وأخرجت الذي خبأته تحت الأرض وفتحت دكاني بعدما سلمت على الناس واشتريت بضائع فلما كان الليل دخلت داري فوجدت هاتين الكلبتين مربوطتين فيها فلما رأياني قاما لي وبكيا وتعلقا بي فلم أشعر إلا وزوجتي قالت هؤلاء إخوتك فقلت من فعل بهم هذا الفعل قالت أنا أرسلت إلى أختي ففعلت بهم ذلك وما يتخلصون إلا بعد عشر سنوات فجئت وأنا سائر إليها تخلصهم بعد إقامتهم عشر سنوات في هذا الحال فرأيت هذا الفتى فأخبرني بما جرى له فأردت أن لا أبرح حتى أنظر ما يجري بينك وبينه وهذه قصتي (قال الجني) إنها حكاية عجيبة وقد وهبت لك ثلث دمه في جنايته فعند ذلك تقدم الشيخ الثالث صاحب البغلة وقال للجني أنا أحكي لك حكاية أعجب من حكاية الأثنين وتهب لي باقي دمه وجنايته فقال الجني نعم فقال الشيخ أيها السلطان ورئيس الجان أن هذه البغلة كانت زوجتي سافرت وغبت عنها سنة كاملة ثم قضيت سفري وجئت إليها في الليل فرأيت عبد أسود راقد معها في الفراش وهما في كلام وغنج وضحك وتقبيل وهراش فلما رأتني عجلت وقامت إلي بكوز فيه ماء فتكلمت عليه ورشتني وقالت أخرج من هذه الصورة إلى صورة كلب فصرت في الحال كلباً فطردتني من البيت فخرجت من الباب ولم أزل سائراً حتى وصلت إلى دكان جزار فتقدمت وصرت آكل من العظام فلما رآني صاحب الدكان أخذني ودخل بي بيته فلما رأتني بنت الجزار غطت وجهها مني فقالت أتجيء لنا برجل وتدخل علينا به فقال أبوها أين الرجل قالت إن هذا الكلب سحرته امرأة وأنا أقدر على تخليصه فلما سمع أبوها كلامها قال بالله عليك يا بنتي خلصيه فأخذت كوزاً فيه ماء وتكلمت عليه ورشت علي منه قليلاً وقالت اخرج من هذه الصورة إلى صورتك الأولى فصرت إلى صورتي الأولى فقبلت يدها وقلت لها أريد أن تسحري زوجتي كما سحرتني فأعطتني قليلاً من الماء وقالت إذا رأيتها نائمة فرش هذا

الماء عليها فإنها تصير كما أنت طالب فوجدتها نائمة فرششت عليها الماء وقلت أخرجي من هـذه الصـورة إلى صورة بغلة فصارت في الحال بغلة وهي هذه التي تنظرها بعينك أيها السلطان ورئيس ملوك الجان ثـم التفت إليها وقال أصحيح هذا فهزت رأسها وقالت بالإشارة نعم هذا صحيح فلما فرغ من حديثه اهتز الجنـي من الطرب ووهب له باقي دمه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح. فقالت لها أختها يا أختي ما أحلى حديثك وأطيبه وألذه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة أن عشت وأبقاني الملك فقال الملك وا لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها لأنه عجيب ثم باتوا تلك الليلة متعانقين إلى الصباح فخرج الملـك إلى محل حكمه ودخل عليه الوزير والعسكر واحتبك الديوان فحكم الملك وولى وعزل ونهى وأمر إلى آخـر النهار ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار إلى قصره.

(وفي ليلة ٣)

قالت لها أختها دنيا زاد يا أختي أتمي لنا حديثك فقالت حباً وكرامة بلغني أيها الملك السعيد أن التـاجر أقبل على الشيوخ وشكرهم وهنئوه بالسلامة ورجع كل واحد إلى بلده وما هذه باعجب من حكاية الصياد فقال لها الملك وما حكاية الصياد

(حكاية الصياد مع العفريت)

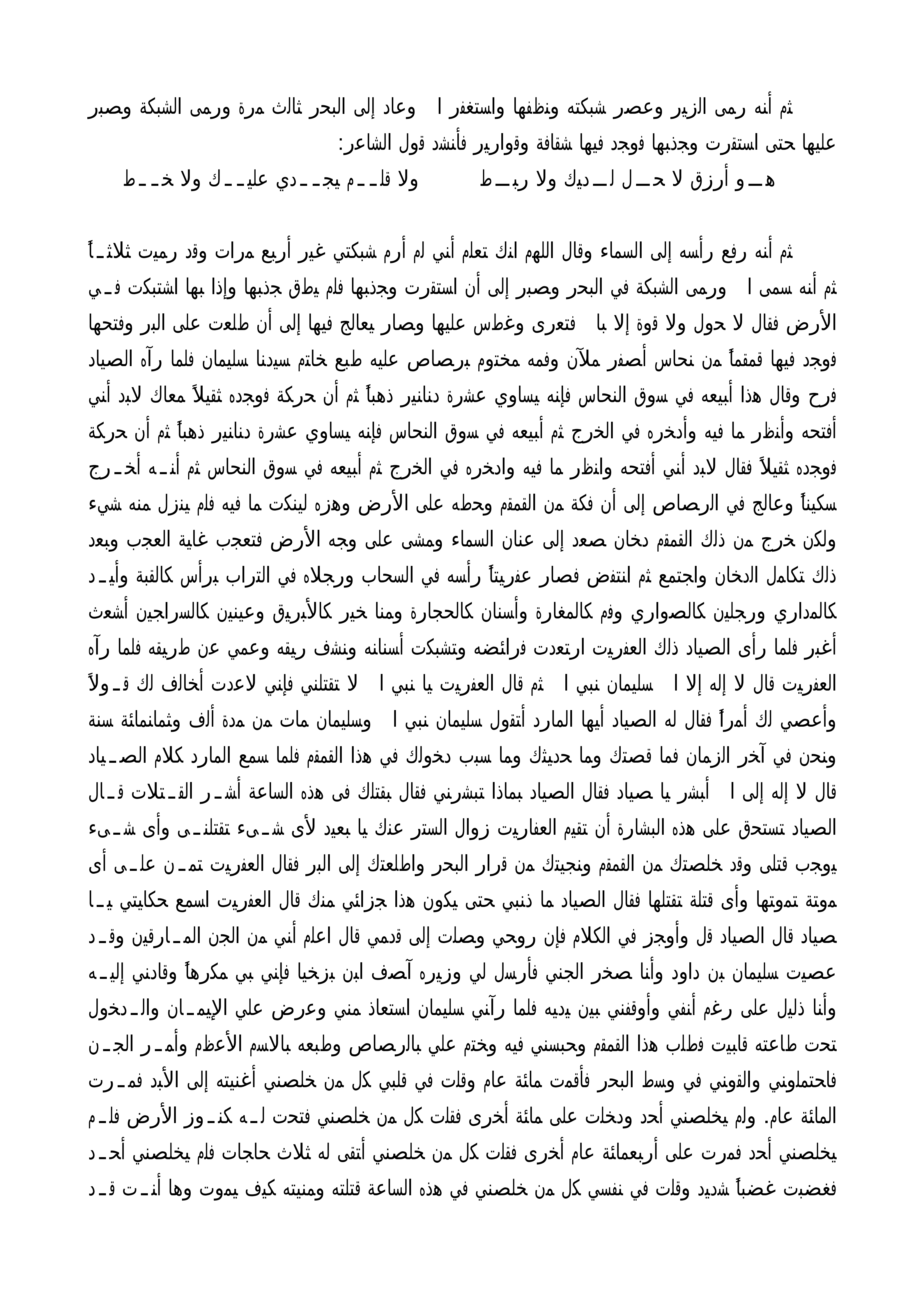
قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان رجل صياد وكان طاعناً في السن وله زوجة وثلاثة أولاد وهـو فقير الحال وكان من عادته أنه يرمي شبكته كل يوم أربع مرات لاغير ثم أنه خرج يوماً من الأيام في وقـت الظهر إلى شاطيء البحر وحط مقطفه وطرح شبكته وصبر على أن استقرت في الماء ثـم جمـع خيطانهـا فوجدها ثقيلة فجذبها فلم يقدر على ذلك فذهب بالطرف إلى البر ودق وتداً وربطها فيه ثم تعرى وغطس فـي الماء حول الشبكة ومازال يعالج حتى أطلعها ولبس ثيابه وأتى إلى الشبكة فوجد فيها حماراً ميتـاً فلمـا رأى ذلك حزن وقال لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم ثم قال أن هذا الرزق عجيب وأنشد يقول:

يا خائضـاً فـي ظـلام الليـل والهلكـه	أقصر عنـاك فلـيس الـرزق بالحركـة

ثم أن الصياد لما رأى الحمار الميت خلصه من الشبكة وعصرها فلما فرغ من عصرها نشرها وبعـد ذلـك نزل البحر وقال بسم ا وطرحها فيه وصبر عليها حتى استقرت ثم جذبها فنقلت ورسخت أكثر مـن الأول فظن أنه سمك فربط الشبكة وتعري ونزل وغطس ثم عالج إلى أن خلصها وأطلعها على البر فوجدها فيهـا زيرا كبيراً وهو ملآن برمل وطين فلما رأى ذلك تأسف وأنشد قول الشاعر:

يـــا حرقـــة الـــدهر كفـــى	إن لـــم تكفـــي فعفـــــى
فـــلا بحظـــى أعطـــى	ولا بصــــــنعه كفـــــى
خرجـــت أطلـــب رزقـــي	وجـــدت رزقـــي تـــوفي

كم جاهل في ظهور وعالم متخفي



ثم أنه رمى الزير وعصر شبكته ونظفها واستغفر ا   وعاد إلى البحر ثالث مرة ورمى الشبكة وصبر عليها حتى استقرت وجذبها فوجد فيها شقافة وقوارير فأنشد قول الشاعر:

هـــو أرزق لا حـــل لـــديك ولا ربـــط   ولا قلـــم يجـــدي عليـــك ولا خـــط

ثم أنه رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم انك تعلم أني لم أرم شبكتي غير أربع مرات وقد رميت ثلاثـاً ثم أنه سمى ا   ورمى الشبكة في البحر وصبر إلى أن استقرت وجذبها فلم يطق جذبها وإذا بها اشتبكت فـي الأرض فقال لا حول ولا قوة إلا با   فتعرى وغطس عليها وصار يعالج فيها إلى أن طلعت على البر وفتحها فوجد فيها قمقماً من نحاس أصفر ملآن وفمه مختوم برصاص عليه طبع خاتم سيدنا سليمان فلما رآه الصياد فرح وقال هذا أبيعه في سوق النحاس فإنه يساوي عشرة دنانير ذهباً ثم أن حركة فوجده ثقيلاً معاك لابد أني أفتحه وأنظر ما فيه وأدخره في الخرج ثم أبيعه في سوق النحاس فإنه يساوي عشرة دنانير ذهباً ثم أن حركة فوجده ثقيلاً فقال لابد أني أفتحه وانظر ما فيه وادخره في الخرج ثم أبيعه في سوق النحاس ثم أنـه أخـرج سكيناً وعالج في الرصاص إلى أن فكة من القمقم وحطه على الأرض وهزه لينكت ما فيه فلم ينزل منه شيء ولكن خرج من ذلك القمقم دخان صعد إلى عنان السماء ومشى على وجه الأرض فتعجب غاية العجب وبعد ذلك تكامل الدخان واجتمع ثم انتفض فصار عفريتاً رأسه في السحاب ورجلاه في التراب برأس كالقبة وأيـد كالمداري ورجلين كالصواري وفم كالمغارة وأسنان كالحجارة ومنا خير كالأباريق وعينين كالسراجين أشعث أغبر فلما رأى الصياد ذلك العفريت ارتعدت فرائضه وتشبكت أسنانه ونشف ريقه وعمي عن طريقه فلما رآه العفريت قال لا إله إلا ا   سليمان نبي ا   ثم قال العفريت يا نبي ا   لا تقتلني فإني لاعدت أخالف لك قـولاً وأعصي لك أمراً فقال له الصياد أيها المارد أتقول سليمان نبي ا   وسليمان مات من مدة ألف وثمانمائة سنة ونحن في آخر الزمان فما قصتك وما حديثك وما سبب دخولك في هذا القمقم فلما سمع المارد كلام الصـياد قال لا إله إلى ا   أبشر يا صياد فقال الصياد بماذا تبشرني فقال بقتلك فى هذه الساعة أشـر القـتلات قـال الصياد تستحق على هذه البشارة أن تقيم العفاريت زوال الستر عنك يا بعيد لأى شـىء تقتلنـى وأى شـىء يوجب قتلى وقد خلصتك من القمقم ونجيتك من قرار البحر واطلعتك إلى البر فقال العفريت تمـن علـى أى موتة تموتها وأى قتلة تقتلها فقال الصياد ما ذنبي حتى يكون هذا جزائي منك قال العفريت اسمع حكايتي يـا صياد قال الصياد قل وأوجز في الكلام فإن روحي وصلت إلى قدمي قال اعلم أني من الجن المـارقين وقـد عصيت سليمان بن داود وأنا صخر الجني فأرسل لي وزيره آصف ابن برخيا فإني بي مكرهاً وقادني إليـه وأنا ذليل على رغم أنفي وأوقفني بين يديه فلما رآني سليمان استعاذ مني وعرض علي الإيمـان والـدخول تحت طاعته فابيت فطلب هذا القمقم وحبسني فيه وختم علي بالرصاص وطبعه بالاسم الأعظم وأمـر الجـن فاحتملوني والقوني في وسط البحر فأقمت مائة عام وقلت في قلبي كل من خلصني أغنيته إلى الأبد فمـرت المائة عام. ولم يخلصني أحد ودخلت على مائة أخرى فقلت كل من خلصني فتحت لـه كنـوز الأرض فلـم يخلصني أحد فمرت على أربعمائة عام أخرى فقلت كل من خلصني أتقى له ثلاث حاجات فلم يخلصني أحـد فغضبت غضباً شديد وقلت في نفسي كل من خلصني في هذه الساعة قتلته ومنيته كيف يموت وها أنـت قـد

خلصتني ومنيتك كيف تموت فلما سمع الصياد كلام العفريت قال يا العجب أنا ما جئت أخلصك إلا في هذه الأيام ثم قال الصياد للعفريت أعف عن قتلي يعف ا عنك ولا تهلكني يسلط ا عليك من يهلكك فقال لابد من قتلك فتمن على أي موتة تموتها فلما تحقق ذلك منه الصياد راجع العفريت وقال أعف عني أكراماً لما أعتقتك فقال العفريت وأنا أقتلك إلا لأجل ما خلصتني فقال له الصياد يا شيخ العفاريت هل أصنع معك مليح فتقابلني بالقبيح ولكن لم يكذب المثل حيث قال:

فعلنــا جميــلاً قابلونــا بضــده	وهــذا العمــري مــن فعــال الفــواجر
ومن يفعل المعــروف مــع غيــر أهلــه	يجازي كمــا جــوزي مجيــر أم عــامر

فلما سمع العفريت كلامه قال لا تطمع فلابد من موتك فقال الصياد هذا جني وأنا إنسى وقد أعطاني ا عقلاً كاملاً وها أنا أدبر أمراً في هلاكه بحيلتي وعقلي وهو يدبر بمكره وخبثه ثم قال للعفريت هل صممت على قتلي قال نعم فقال له بالاسم الأعظم المنقوش على خاتم سليمان أسألك عن شيء وتصدقني فيه قال نعم ثم أن العفريت لما سمع ذكر الاسم الأعظم اضطرب واهتز وقال له اسأل وأوجز فقال له كيف كنت في هذا القمقم والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك كلك فقال له العفريت وهل أنت لا تصدق أنني كنت فيه فقال الصياد لا أصدق أبداً حتى أنظرك فيه بعيني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصياد لما قال للعفريت لا أصدقك أبداً حتى أنظرك بعين في القمقم فانتفض العفريت وصار دخاناً صاعداً إلى الجو ثم اجتمع ودخل في القمقم قليلاً قليلاً حتى استكمل الدخان داخل القمقم وإذا بالصياد أسرع وأخذ السدادة الرصاص المختومة وسد بها فم القمقم ونادى العفريت وقال له تمن على أي موتة تموتها لأرميك في هذا البحر وأبني لي هنا بيتاً وكل من أتى هنا أمنعه أن يصطاد وأقول له هنا عفريت وكل من أطلعه يبين له أنواع الموت ويخيره بينها فلما سمع العفريت كلام الصياد أراد الخروج فلم يقدر ورأى نفسه محبوساً ورأى عليه طبع خاتم سليمان وعلم أن الصياد سجنه في سجن احقر العفاريت وأقذرها وأصغرها ثم أن الصياد ذهب بالقمقم إلى جهة البحر فقال له العفريت لا لا فقال الصياد لابد فلاطف المارد كلامه وخضع وقال ما تريد أن تصنع بي يا صياد قال القيك في البحر أن كنت أقمت فيه ألفاً وثمانمائة عام فأنا أجعلك تمكث إلى أن تقوم الساعة أما قلت لك أبقى يبقيك ا ولا تقتلني يقتلك ا فأبيت قولي وما أردت إلا غدري فألقاك ا في يدي فغدرت بك فقال العفريت افتح لي حتى أحسن إليك فقال له الصياد تكذب يا ملعون أنا مثلي ومثلك مثل وزير الملك يونان والحكيم رويان فقال العفريت وما شأن وزير الملك يونان والحكيم رويان وما قصتهما.

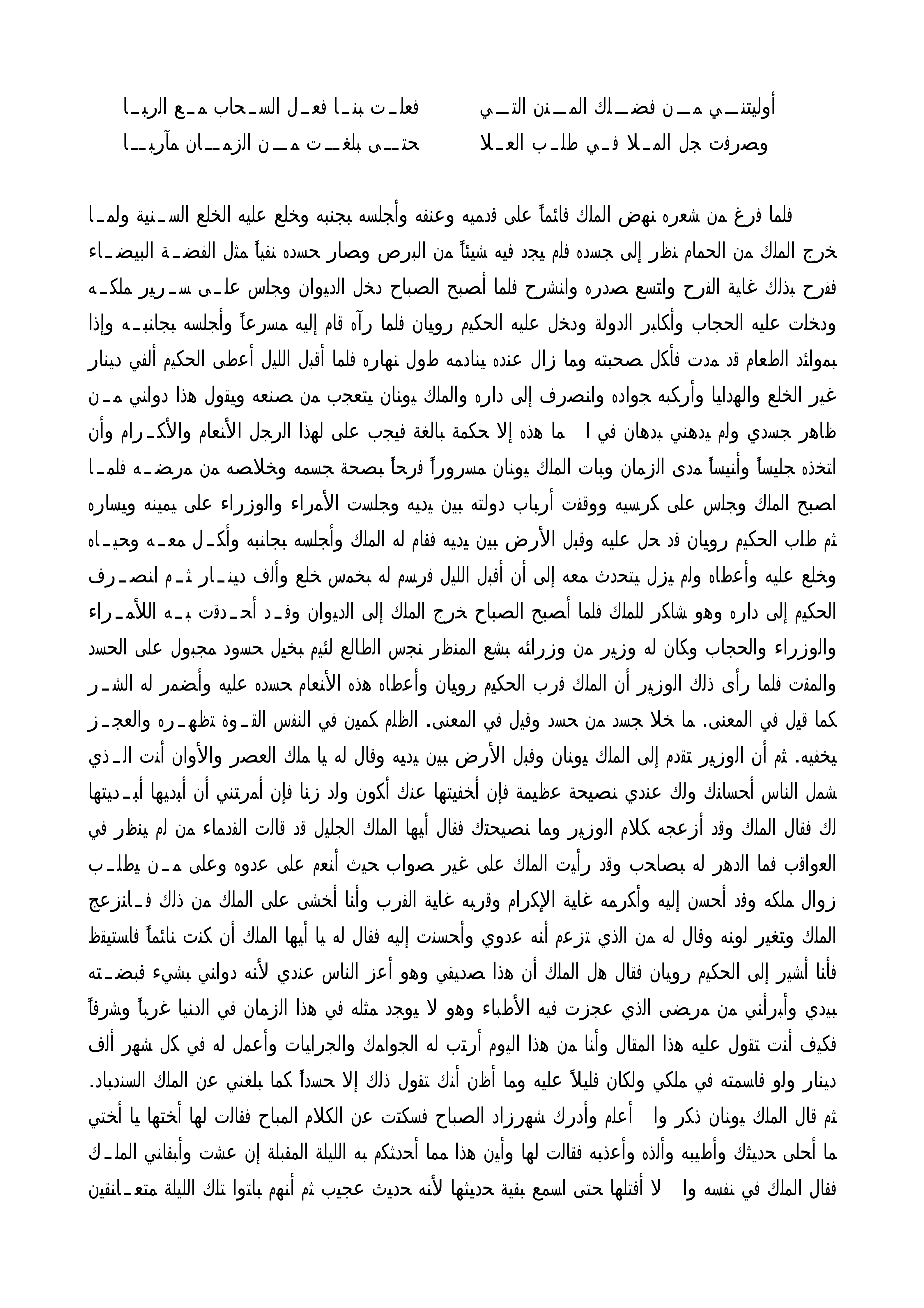
(حكاية الملك يونان والحكيم رويان وهي من ضمن ما قبلها)

(قال) الصياد اعلم أيها العفريت أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان في مدينة الفرس وأرض رومان ملك يقال له الملك يونان وكان ذا مال وجنود وبأس وأعوان من سائر الأجناس وكان في



جسده برص قد عجزت فيه الأطباء والحكماء ولم ينفعه منه شرب أدوية ولا سفوف ولا دهان ولم يقدر أحد من الأطباء أن يداويه وكان قد دخل مدينة الملك يونان حكيم كبير طاعن في السن يقال له الحكيم رويان وكان عارفاً بالكتب اليونانية والفارسية والرومية والعربية والسريانية وعلم الطب والنجوم وعالماً بأصول حكمتها وقواعد أمورها من منفعتها ومضرتها عالماً بخواص النباتات والحشائش والأعشاب المضرة والنافعة قد عرف علم الفلاسفة وحاز جميع العلوم الطبية وغيرها ثم أن الحكيم لما دخل المدينة وأقام بها أيام قلائل سمع خبر الملك وما جرى له في بدنه من البرص الذي ابتلاه ا به وقد عجزت عن مداواته الأطباء وأهل العلوم فلما بلغ ذلك الحكيم بات مشغولاً فلما أصبح الصباح لبس أفخر ثيابه ودخل على الملك يونان وقبل الأرض ودعا له بدوام العز والنعم وأحسن ما به تكلم وأعلمه بنفسه فقال أيها الملك بلغني ما اعتراك من هذا الذي في جسدك وأن كثيراً من الأطباء لم يعرفوا الحلة في زواله وها أنا أداويك أيها الملك ولا أسقيك دواء ولا أدهنك بدهن فلما سمع الملك أن كلامه تعجب وقال له كيف تفعل فو ا أن أبرئتني أغنيتك لولد الولد وانعم عليك وكل ما تتمناه فهو لك وتكون نديمي وحبيبي ثم أنه خلع عليه وأحسن إليه وقال له أتبرئني من هذا المرض بلا دواء ولا دهان قال نعم أبرئك بلا مشقة في جسدك فتعجب الملك غاية العجب ثم قال له أيها الحكيم الذي ذكرته لي يكون في أي الأوقات وفي أي الأيام فأسرع به يا ولدي قال له سمعاً وطاعة ثم نزل من عند الملك وأكترى له بيتاً وحط فيه كتبه وأدويته وعقاقيره ثم أستخرج الأدوية والعقاقير وجعل منها صولجاناً وجوفه وعمل له قصبة وصنع له كرة بمعرفته فلما صنع الجميع وفرغ منها طلع إلى الملك في اليوم الثاني ودخل عليه وقبل الأرض بين يديه وأمره أن يركب إلى الميدان وأن يلعب بالكرة والصولجان وكان معه الأمراء والحجاب والوزراء وأرباب الدولة فما استقر به الجلوس في الميدان حتى دخل عليه الحكيم رويان وناوله الصولجان وقال له خذ هذا الصولجان واقبض عليه مثل هذه القبضة وامش في الميدان واضرب به الكرة بقوتك حتى يعرق كفك وجسدك فينفذ الدواء من كفك فيسري في سائر جسدك فإذا عرقت وأثر الدواء فيك فارجع إلى قصرك وأدخل الحمام واغتسل ونم فقد برئت والسلام فعند ذلك أخذ الملك يونان ذلك الصولجان من الحكيم ومسكه بيده وركب الجواد وركب الكرة بين يديه وساق خلفها حتى لحقها وضربها بقوة وهو قابض بكفه على قصبة الصولجان وما زال يضرب به الكرة حتى عرق كفه وسائر بدنه وسرى له الدواء من القبضة وعرف الحكيم رويان أن الدواء سرى في جسده فأمره بالرجوع إلى قصره وأن يدخل الحمام من ساعته فرجع الملك يونان من وقته وأمر أن يخلوا له الحمام فأخلوه له وتسارعت الفراشون وتسابقت المماليك وأعدوا للملك قماشه ودخل الحمام واغتسل غسيلاً جيداً ولبس ثيابه داخل الحمام ثم خرج منه وركب إلى قصره ونام فيه هذا ما كان من أمر الملك يونان وأما ما كان من أمر الحكيم رويان فإنه رجع إلى داره وبات فلما أصبح الصباح طلع إلى الملك واستأذن عليه فأذن له في الدخول فدخل وقبل الأرض بين يديه وأشار إلى الملك بهذه الأبيات:

زهت الفصاحة إذا دعيت لها أباً	وإذا دعت يوماً سواك لها أبي تمحوا من
يا صاحب الوجه الذي أنواره	الخطب الكريه غياهبا
ما زال وجهك مشرقاً متهللاً	كلا ترى وجه الزمان مقطباً



أوليتنــي مــن فضــلك المــنن التــي فعلــت بنــا فعــل الســحاب مــع الربــا
وصرفت جل المــلا فــي طلــب العــلا حتــى بلغــت مــن الزمــان مآربــا

فلما فرغ من شعره نهض الملك قائماً على قدميه وعنقه وأجلسه بجنبه وخلع عليه الخلع السـنية ولمـا خرج الملك من الحمام نظر إلى جسده فلم يجد فيه شيئاً من البرص وصار جسده نقياً مثل الفضـة البيضـاء ففرح بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح فلما أصبح الصباح دخل الديوان وجلس علـى سـرير ملكـه ودخلت عليه الحجاب وأكابر الدولة ودخل عليه الحكيم رويان فلما رآه قام إليه مسرعاً وأجلسه بجانبـه وإذا بموائد الطعام قد مدت فأكل صحبته وما زال عنده ينادمه طول نهاره فلما أقبل الليل أعطى الحكيم ألفي دينار غير الخلع والهدايا وأركبه جواده وانصرف إلى داره والملك يونان يتعجب من صنعه ويقول هذا دواني مـن ظاهر جسدي ولم يدهني بدهان في ا ما هذه إلا حكمة بالغة فيجب على لهذا الرجل الأنعام والأكـرام وأن اتخذه جليساً وأنيساً مدى الزمان وبات الملك يونان مسروراً فرحاً بصحة جسمه وخلاصه من مرضـه فلمـا اصبح الملك وجلس على كرسيه ووقفت أرباب دولته بين يديه وجلست الأمراء والوزراء على يمينه ويساره ثم طلب الحكيم رويان قد حل عليه وقبل الأرض بين يديه فقام له الملك وأجلسه بجانبه وأكـل معـه وحيـاه وخلع عليه وأعطاه ولم يزل يتحدث معه إلى أن أقبل الليل فرسم له بخمس خلع وألف دينـار ثـم انصـرف الحكيم إلى داره وهو شاكر للملك فلما أصبح الصباح خرج الملك إلى الديوان وقـد أحـدقت بـه اللأمـراء والوزراء والحجاب وكان له وزير من وزرائه بشع المنظر نجس الطالع لئيم بخيل حسود مجبول على الحسد والمقت فلما رأى ذلك الوزير أن الملك قرب الحكيم رويان وأعطاه هذه الأنعام حسده عليه وأضمر له الشـر كما قيل في المعنى. ما خلا جسد من حسد وقيل في المعنى. الظلم كمين في النفس القـوة تظهـره والعجـز يخفيه. ثم أن الوزير تقدم إلى الملك يونان وقبل الأرض بين يديه وقال له يا ملك العصر والأوان أنت الـذي شمل الناس أحسانك ولك عندي نصيحة عظيمة فإن أخفيتها عنك أكون ولد زنا فإن أمرتني أن أبديها أبـديتها لك فقال الملك وقد أزعجه كلام الوزير وما نصيحتك فقال أيها الملك الجليل قد قالت القدماء من لم ينظر في العواقب فما الدهر له بصاحب وقد رأيت الملك على غير صواب حيث أنعم على عدوه وعلى مـن يطلـب زوال ملكه وقد أحسن إليه وأكرمه غاية الإكرام وقربه غاية القرب وأنا أخشى على الملك من ذلك فـانزعج الملك وتغير لونه وقال له من الذي تزعم أنه عدوي وأحسنت إليه فقال له يا أيها الملك أن كنت نائماً فاستيقظ فأنا أشير إلى الحكيم رويان فقال هل الملك أن هذا صديقي وهو أعز الناس عندي لأنه دواني بشيء قبضـته بيدي وأبرأني من مرضى الذي عجزت فيه الأطباء وهو لا يوجد مثله في هذا الزمان في الدنيا غرباً وشرقاً فكيف أنت تقول عليه هذا المقال وأنا من هذا اليوم أرتب له الجوامك والجرايات وأعمل له في كل شهر ألف دينار ولو قاسمته في ملكي ولكان قليلاً عليه وما أظن أنك تقول ذلك إلا حسداً كما بلغني عن الملك السندباد. ثم قال الملك يونان ذكر وا أعلم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها يا أختي ما أحلى حديثك وأطيبه وألذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا مما أحدثكم به الليلة المقبلة إن عشت وأبقاني الملـك فقال الملك في نفسه وا لا أقتلها حتى اسمع بقية حديثها لأنه حديث عجيب ثم أنهم باتوا تلك الليلة متعـانقين

إلى الصباح ثم خرج الملك إلى محل حكمه واحتبك الديوان فحكم وولى عزل وأمر ونهي إلى آخر النهار ثم انفض الديوان فدخل الملك قصره وأقبل الليل وقضى حاجته من بنت الوزير شهرزاد.

(وفي ليلة 5)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك يونان قال لوزيره أيها الوزير أنت داخلك الحسد من أجل هذا الحكيم فتريد أن أقتله وبعد ذلك أندم كما ندم الملك السندباد على قتل البازي فقال الوزير وكيف كان ذلك فقال الملك ذكر أنه كان ملك ملوك الفرس يحب الفرجة والتنزه والصيد والقنص وكان له بازي رباه ولا يفارقه ليلاً ولا نهاراً ويبيت طول الليل حامله على يده وإذا طلع إلى الصيد يأخذه معه وهو عامل له طاسة من الذهب معلقة في رقبته يسقيه منها فبينه الملك جالس وإذا بالوكيل على طير الصيد يقول يا ملك الزمان هذا أ أن الخروج إلى الصيد فاستبعد الملك للخروج وأخذ البازي على يده وصاروا إلى واد ونصبوا شبكة الصيد وإذا بغزالة وقعت في تلك الشبكة فقال الملك كل من فاتت الغزالة من جهته قتلته فضيقوا عليها حلقة الصيد وإذا بالغزالة أقبلت على الملك وشبت على رجليها وحطت يديها على صدرها كأنها تقبل الأرض للملك فطأطأ الملك للغزالة ففرت من فوق دماغه وراحت إلى البر فالتفت الملك إلى العسكر فرآهم يتغامزون عليه فقال يا وزيري ماذا يقول العساكر فقال يقولون إنك قلت كل من فاتت الغزالة من جهته يقتل فقال الملك وحياة رأسي لاتبعنها حتى أجيء بها ثم طلع الملك في أثر الغزالة ولم يزل وراءها وصار البازي يلطشها على عينيها إلى أن أعماها ودوخها فسحب الملك دبوساً وضربها فقلبها ونزل فذبحها وسلخا وعلقها في قربوس السرج وكانت ساعة حر وكان المكان قفراً لم يوجد فيه ماء فعطش الملك وعطش الحصان فالتفت الملك فرأى شجرة ينزل منها ماء مثل السمن وكان الملك لابساً في كفه جلداً فأخذ الطاسة من قبة البازي وملاهاً من ذلك الماء ووضع الماء قدامه وإذا بالبازي لطش الطاسة فقلبها فأخذ الملك الطاسة ثانياً وملآها وظن أن البازي عطشان فوضعها قدامه فلطشها ثانياً وقلبها فغضب الملك من البازي وأخذ الطاسة ثالثاً وقدمها للحصان فقلبها البازي بجناحه فقال الملك ا يخيبك يا أشأم الطيور أحرمتني من الشرب وأحرمت نفسك وأحرمت الحصان ثم ضرب البازي بالسيف فرمى أجنحته فصار البازي يقيم رأسه ويقول بالإشارة أنظر الذي فوق الشجرة فرفع الملك عينه فرأى فوق الشجرة حية والذي يسيل سمها فندم الملك على قص أجنحة البازي ثم قام وركب حصانه وسار ومعه الغزالة حتى وصل إلى مكانه الأول فألقى الغزالة إلى الطباخ وقال له خذها وأطبخها ثم جلس الملك على الكرسي والبازي على يده فشهق البازى ومات فصاح الملك حزناً واسفاً على قتل البازي حيث خلصه من الهلاك هذا ما كان من حديث الملك السندباد.

فلما سمع الوزير كلام الملك يونان قال له أيها الملك العظيم الشأن وما الذي فعلته من الضرورة ورأيت منه سوء أنما فعل معك هذا شفقة عليك وستعلم صحة ذلك فإن قبلت مني نجوت وإلا هلكت كما هلك وزير كان احتال على ابن ملك من الملوك وكان لذلك الملك ولد مولع بالصيد والقنص وكان له وزيراً فأمر الملك ذلك الوزير أن يكون مع ابنه أينما توجه فخرج يوماً من الأيام إلى الصيد والقنص وخرج معه وزير أبيه فسارا جميعاً فنظر إلى وحش كبير فقال الوزير لابن الملك دونك هذا الوحش فأطلبه فقصده ابن الملك حتى غاب عن العين وغاب عنه الوحش في البرية وتحير ابن الملك فلم يعرف أين يذهب وإذا بجارية على رأس

الطريق وهي تبكي فقال لها ابن الملك من أنت قالت بنت ملك من ملوك الهند وكنت فـي البريـة فـأدركني النعاس فوقعت من فوق الدابة ولم أعلم بنفسي فصرت منقطعة حائرة.

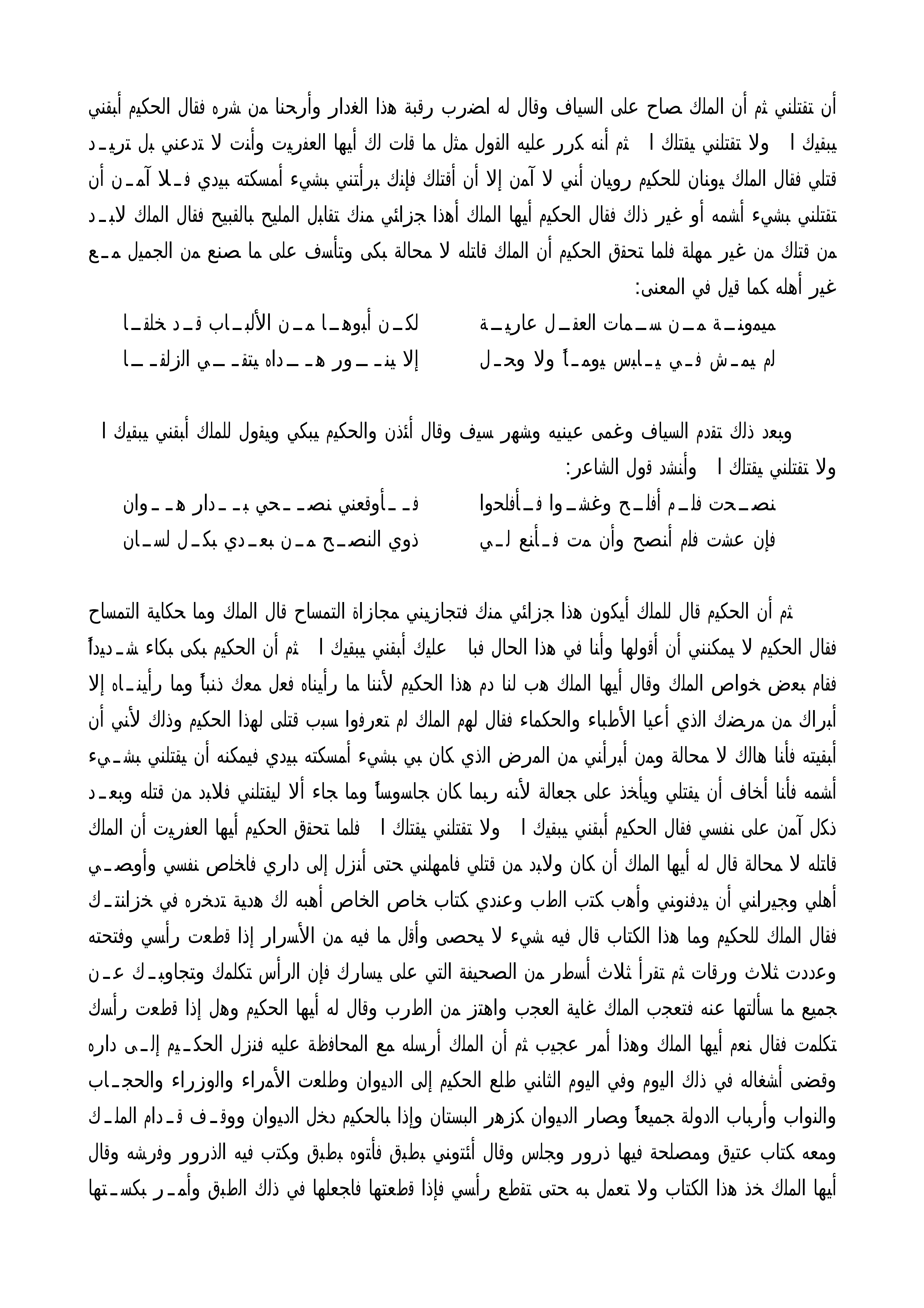
فلما سمع ابن الملك كلامها رق لحالها وحملها على ظهر دابته وأردفها وسار حتى مر بجزيرة فقالـت له الجارية ياسيدي أريد أن أزيل ضرورة فأنزلها إلى الجزيرة ثم تعوقت فاستبطأها فدخل خلفها وهي لا تعلم به فإذا هي غولة وهي تقول لأولادها يا أولادي قد أتيتكم اليوم بغلام سمين فقالوا لها أتينا به يا أمنا نأكله في بطوننا فلما سمع ابن الملك كلامهم أيقن بالهلاك وارتعدت فرائصه وخشي على نفسه ورجع فخرجت الغولـة فرأته كالخائف الوجل وهو يرتعد فقالت له ما بالك خائفاً فقال لها إن لي عدواً وأنا خائف منه فقالت الغولـة أنك تقول أنا ابن الملك قال لها نعم قالت له مالك لا تعطي عدوك شيئاً من المال فترضيه به فقال لها أنـه لا يرضى بمال ولا يرضى إلا بالروح وأنا خائف منه وأنا رجل مظلوم فقالت له إن كنت مظلوماً كمـا تـزعم فاستعن با عليه بأنه يكفيك شره وشر جميع ما تخافه فرفع ابن الملك رأسه إلى السماء وقال يا من يجيـب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء انصرني على عدوي وأصرفه عني أنك على ما تشـاء قـدير فلمـا سمعت الغولة دعاءه انصرفت عنه وانصرف ابن الملك إلى أبيه وحدثه بحديث الوزير وأنت أيها الملك متى آمنت لهذا الحكيم قتلك أقبح القتلات وإن كنت أحسنت إليه وقربته منك فإنه يدبر في هلاكك أما تـرى أنـه أبرأك من المرض من ظاهر الجسد بشيء أمسكته بيدك فلا تأمن أن يهلكك بشيء تمسكه أيضاً فقال الملـك يونان صدقت فقد يكون كما ذكرت أيها الوزير الناصح فلعل هذا الحكيم أتي جاسوساً في طلب هلاكـي وإذ كان أبرأني بشيء أمسكته بيدي فإنه يقدر أن يهلكني بشيء أشمه ثم أن الملك يونان قال لوزيره أيها الـوزير كيف العمل فيه فقال له الوزير أرسل إليه في هذا الوقت وأطلبه فإن حضر فأضـرب عنقـه فتكفـي شـره وتستريح منه وأغدر به قبل أن يغدر بك فقال الملك يونان صدقت أيها الوزير ثم أن الملك أرسل إلى الحكيم فحضر وهو فرحان ولا يعلم ما قدره الرحمن كما قال بعضهم في المعنى:

يـا خائفـاً مـن دهـره كـن آمنـاً	وكل الأمور إلـى الـذي بسـط الثـري"
أن المقـــدر كـــائن لا ينمحـــي	ولـك الأمـان مـن الـذي مـا قـدرا"

وأنشد الحكيم مخاطباً قول الشاعر:

إذا لـم أقـم يومـاً لحقـك بالشـكر	فقل لي لن أعـددت نظمـي مـع النثـر"
لقـد جـددت لـي قبـل السـؤال بـأنعم	أتتنـى بـلا مطـل لـديك ولا عـذر
فمـالي لا أعطـي ثنـاءك حقـه	وأثنـي علـى عليـاك السـر والجهـر
سأشـكر مـا أوليتنـي مـن صـنائع	يخـف لهـا فمـي وأن أثقلـت ظهـري

فلما حضر الحكيم رويان قال له الملك أتعلم لماذا أحضرتك فقال الحكيم لا يعلم الغيـب إلا ا تعـالى فقال له الملك أحضرتك لا قتلك وأعدمك روحك فتعجب الحكيم رويان من تلك المقالة غاية العجب وقال أيها الملك لماذا تقتلني وأي ذنب بدأ مني فقال له الملك قد قيل لي أنك جاسوس وقد أتيت لتقتلني وها أنا أقتلك قبل



أن تقتلني ثم أن الملك صاح على السياف وقال له اضرب رقبة هذا الغدار وأرحنا من شره فقال الحكيم أبقني يبقيك ا ولا تقتلني يقتلك ا ثم أنه كرر عليه القول مثل ما قلت لك أيها العفريت وأنت لا تدعني بل تريـد قتلي فقال الملك يونان للحكيم رويان أني لا آمن إلا أن أقتلك فإنك برأتني بشيء أمسكته بيدي فـلا آمـن أن تقتلني بشيء أشمه أو غير ذلك فقال الحكيم أيها الملك أهذا جزائي منك تقابل المليح بالقبيح فقال الملك لابـد من قتلك من غير مهلة فلما تحقق الحكيم أن الملك قاتله لا محالة بكى وتأسف على ما صنع من الجميل مـع غير أهله كما قيل في المعنى:

ميمونـة مـن سـمات العقـل عاريـة	لكـن أبوهـا مـن الألبـاب قـد خلقـا
لم يمـش فـي يـابس يومـاً ولا وحـل	إلا بنـور هـداه يتقـي الزلقـا

وبعد ذلك تقدم السياف وغمى عينيه وشهر سيف وقال أئذن والحكيم يبكي ويقول للملك أبقني يبقيك ا ولا تقتلني يقتلك ا وأنشد قول الشاعر:

نصـحت فلـم أفلـح وغشـوا فـأفلحوا	فـأوقعني نصـحي بـدار هـوان
فإن عشت فلم أنصح وأن مت فـأنع لـي	ذوي النصـح مـن بعـدي بكـل لسـان

ثم أن الحكيم قال للملك أيكون هذا جزائي منك فتجازيني مجازاة التمساح قال الملك وما حكاية التمساح فقال الحكيم لا يمكنني أن أقولها وأنا في هذا الحال فبا عليك أبقني يبقيك ا ثم أن الحكيم بكى بكاء شـديداً فقام بعض خواص الملك وقال أيها الملك هب لنا دم هذا الحكيم لأننا ما رأيناه فعل معك ذنباً وما رأينـاه إلا أبراك من مرضك الذي أعيا الأطباء والحكماء فقال لهم الملك لم تعرفوا سبب قتلى لهذا الحكيم وذلك لأني أن أبقيته فأنا هالك لا محالة ومن أبرأني من المرض الذي كان بي بشيء أمسكته بيدي فيمكنه أن يقتلني بشـيء أشمه فأنا أخاف أن يقتلي ويأخذ على جعالة لأنه ربما كان جاسوساً وما جاء ألا ليقتلني فلابد من قتله وبعـد ذكل آمن على نفسي فقال الحكيم أبقني يبقيك ا ولا تقتلني يقتلك ا فلما تحقق الحكيم أيها العفريت أن الملك قاتله لا محالة قال له أيها الملك أن كان ولابد من قتلي فامهلني حتى أنزل إلى داري فاخلص نفسي وأوصـي أهلي وجيراني أن يدفنوني وأهب كتب الطب وعندي كتاب خاص الخاص أهبه لك هدية تدخره في خزانتـك فقال الملك للحكيم وما هذا الكتاب قال فيه شيء لا يحصى وأقل ما فيه من الأسرار إذا قطعت رأسي وفتحته وعددت ثلاث ورقات ثم تقرأ ثلاث أسطر من الصحيفة التي على يسارك فإن الرأس تكلمك وتجاوبـك عـن جميع ما سألتها عنه فتعجب الملك غاية العجب واهتز من الطرب وقال له أيها الحكيم وهل إذا قطعت رأسك تكلمت فقال نعم أيها الملك وهذا أمر عجيب ثم أن الملك أرسله مع المحافظة عليه فنزل الحكـيم إلـى داره وقضى أشغاله في ذلك اليوم وفي اليوم الثاني طلع الحكيم إلى الديوان وطلعت الأمراء والوزراء والحجـاب والنواب وأرباب الدولة جميعاً وصار الديوان كزهر البستان وإذا بالحكيم دخل الديوان ووقـف قـدام الملـك ومعه كتاب عتيق ومصلحة فيها ذرور وجلس وقال أئتوني بطبق فأتوه بطبق وكتب فيه الذرور وفرشه وقال أيها الملك خذ هذا الكتاب ولا تعمل به حتى تقطع رأسي فإذا قطعتها فاجعلها في ذلك الطبق وأمـر بكبسـتها

على ذلك الذرور فإذ فعلت ذلك فإن دمها ينقطع ثم افتح الكتاب ففتحه الملك فوجده ملصوقاً فحط أصبعه في فمه وبله بريقه وفتح أول ورقة والثانية والثالثة والورق ما ينفتح إلا بجهد ففتح الملك ست ورقات ونظر فيها فلم يجد كتابة فقال الملك أيها الحكيم ما فيه شيء مكتوب فقال الحكيم قلب زيادة على ذلك فقلب فيه زيادة فلم يكن إلا قليلاً من الزمان حتى سرى فيه السم لوقته وساعته فإن الكتاب كان مسموماً فعند ذلك تزحزح الملك وصاح وقد قال سرى في السم فأنشد الحكيم رويان يقول:

تحكموا فاستطالوا في حكومتهم"	وعن قليل كان الحكم لم يكن
لو أنصفوا أقصفوا لكن بغوا فبغى	عليهم الدهر بالآفات والمحن
وأصبحوا ولسان الحال ينشدهم	هذا بذاك ولا عتب على الزمن

فلما فرغ رويان الحكيم من كلامه سقط الملك ميتاً من ورقته فاعلم أيها العفريت أن الملك يونان لو أبقى الحكيم رويان لأبقاه ا ولكن أبى وطلب قتله فقتله ا وأنت أيها العفريت لو أبقيتني لأبقاك ا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها دنيا زاد ما أحلى حديثك فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة أن عشت وأبقاني الملك وباتوا تلك الليلة في نعيم وسرور إلى الصباح ثم أطلع الملك إلى الديوان ولما انفض الديوان دخل قصره وأجتمع بأهله.

(ففي ليلة ٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصياد لما قال للعفريت لو أبقيتني كنت أبقيتك لكن ما أردت إلا قتلي فأنا أقتلك محبوساً في هذا القمقم وألقيك في هذا البحر ثم صرخ المارد وقال با عليك أيها الصياد لا تفعل وأبقني كرماً ولا تؤاخذني بعملي فإذا كنت أنا مسيئاً كن أنت محسناً فوي الأمثال السائرة يا محسناً لمن أساء كفى المسيء فعله ولا تعمل كما عمل أمامة مع عاتكة قال الصياد وما شأنهما فقال العفريت ما هذا وقت حديث وأنا في السجن حتى تطلعني منه وأنا أحدثك بشأنهما فقال الصياد لابد من القائك في البحر ولا سبيل إلى أخراجك منه فأني كنت استعطفك وأتضرع إليك وأنت لا تريد إلا قتلي من غير ذنب استوجبته منك ولا فعلت معك سوءاً قط ولم أفعل معك إلا خيراً لكوني أخرجتك من السجن فلما فعلت معي ذلك علمت أنك رديء الأصل واعلم أنني ما رميتك في هذا البحر إلا لأجل أن كل من أطلعك أخبره بخبرك وأحذره منك فيرميك فيه ثانية فتقيم في هذا هذا إلى آخر الزمان حتى ترى أنواع العذاب فقال العفريت أطلقني فهذا وقت المرءوات وأنا أعاهدك أني لم أسوءك أبداً بل أنفعك بشيء يغنيك دائماً فأخذ الصياد عليه العهد أنه إذا أطلقه لا يؤذيه أبداً بل يعمل معه الجميل فلما استوثق منه بالإيمان والعهود وحلفه باسم ا الأعظم فتح له الصياد فتصاعد الدخان حتى خرج وتكامل فصار عفريتاً شوه الخلقة ورفس القمقم فرماه في البحر فلما رأى الصياد أنه رمى القمقم في البحر أيقن بالهلاك وبال في ثيابه وقال هذه ليست علامة خير ثم أنه قوي قلبه وقال أيها العفريت قال ا تعالى وأوفوا العهد إن العهد كان مسئولاً وأنت قد عاهدتني وحلفت أنك لا تغدر بي فإن غدرت بي يجزك ا فإنه غيور يمهل ولا يهمل وأنا قلت لك مثل ما قال الحكيم رويان للملك يونان أبقني يبقك ا فضحك العفريت ومشى قدامه وقال أيها الصياد اتبعني فمشى الصياد وراءه وهو لم يصدق بالنجاة

إلى أن خرجا من ظاهر المدينة وطلعا على جبل ونزلا إلى برية متسعة وغذا في وسطها بركة مـاء فوقـف العفريت عليها وأمر الصياد أن يطرح الشبكة ويصطاد فنظر الصياد إلى البركة وإذا بهـذا السـمك ألوانـاً الأبيض والأحمر والأزرق والأصفر فتعجب الصياد من ذلك ثم أنه طرح شبكته وجذبها فوجد فيهـا أربـع سمكات كل سمكة بلون فلما رآها الصياد فرح فقال له العفريت ادخل بها إلى السلطان وقـدمها إليـه فإنـه يعطيك ما يغنيك وبا أقبل عذري فأنني في هذا الوقت لم أعرف طريقاً وأنا في هـذا البحـر مـدة ألـف وثمانمائة عام ما رأيت ظاهر الدنيا إلا في هذه الساعة ولا تصطد منها كل يوم إلا مرة واحدة واستودعتك ا ثم دق الأرض بقدميه فانشقت وابتلعته ومضى الصياد إلى المدينة وهو متعجب مما جرى له مع هذا العفريت ثم أخذ السمك ودخل به منزله وأتى بماجور ثم ملاه ماء وحط فيه السمك فاختبط السمك من داخل المـاجور في الماء ثم حمل الماجور فوق رأسه وقصد به قصر الملك كما أمره العفريت فلما طلع الصياد إلـى الملـك وقدم له السمك تعجب الملك غاية العجب من ذلك السمك الذي قدمه إليه الصياد لأنه لم يرى في عمره مثلـه صفة ولا شكلاً فقال القوا هذا السمك للجارية الطباخة وكانت هذه الجارية قد أهداها له ملك الروم منذ ثلاثـة أيام وهو لم يجر بها في طبيخ فأمرها الوزير أن تقليه وقال لها يا جارية أن الملك يقول لك ما ادخرت دمعتي إلا لشدتي ففرجينا اليوم على طهيك وحسن طبيخك فإن السلطان جاء إليه واحد بهدية ثم رجع الوزير بعـدما أوصاها فأمره الملك أن يعطي الصياد أربعمائة دينار فأعطاه الوزير أياها فأخذها في حجـره وتوجـه إلـى منزله لزوجت وهو فرحان مسرور ثم اشترى لعياله ما يحتاجون إليه هذا ما كان من أمر الصياد (وأما) مـا كان من أمر الجارية فإنها أخذت السمك ونظفته ورصته في الطاجن ثم أنها تركت السمك حتى استوى وجهه وقلبته على الوجه الثاني وإذا بحائط المطبخ قد انشقت وخرجت منها صبية رشيقة القد أسـيلة الخـد كاملـة الوصف كحيلة الطرف بوجه مليح وقد رجيح لابسة كوفية من خز أزرق وفي أذنيها حلق وفـي معاصـمها أساور وفي أصابعها خواتيم بالفصوص المثمنة وفي يدها قضيب من الخيزران فغرزت القضيب في الطاجن وقالت يا سمك يا سمك هل أنت على العهد القديم مقيم فلما رأت الجارية هذا غشي عليها وقد أعادت الصبية القول ثانياً وثالثاً فرفع السمك رأسه في الطاجن وقال نعم نعم ثم قال جمعية هذا البيت:

إن عدت عدنا وإن وافيت وافينا وإن هجرت فإنا قد تكافينـا

فعند ذلك قلبت الصبية الطاجن وخرجت من الموضع الذي دخلت منه والتحمت حائط المطبخ ثم أقامت الجارية فرأت الأربع سمكات محروقة مثل الفحم الأسود فقالت تلك الجارية من أول غزوته حصـل كسـر عصبته فبينما هي تعاتب نفسها وإذا بالوزير واقف على رأسها وقال لها هاتي السمك للسلطان فبكت الجارية وأعلمت الوزير بالحال و بالذي جري فتعجب الوزير من ذلك وقال ما هذا إلا أمر عجيب ثم أنه أرسل إلـى الصياد فأتوا به إليه فقال له أيها الصياد لابد أن تجيب لنا بأربع سمكات مثل التي جئـت بهـا أولاً فخـرج الصياد إلى البركة وطرح شبكته ثم جذبها وإذا بأربع سمكات فأخذها وجاء بها إلى الوزير فدخل بها الـوزير إلى الجارية وقال لها قومي أقليها قدامى حتى أرى هذه القضية فقامت الجارية وأصلحت السمك ووضعته في الطاجن على النار فما استقر إلا قليلاً وإذا بالحائط قد انشقت والصبية قد ظهرت وهي لابسة ملسها وفي يدها القضيب فغرزته في الطاجن وقالت ياسمك يا سمك هل أنت على العهد القديم مقيم فرفعت السمكات رؤسـها

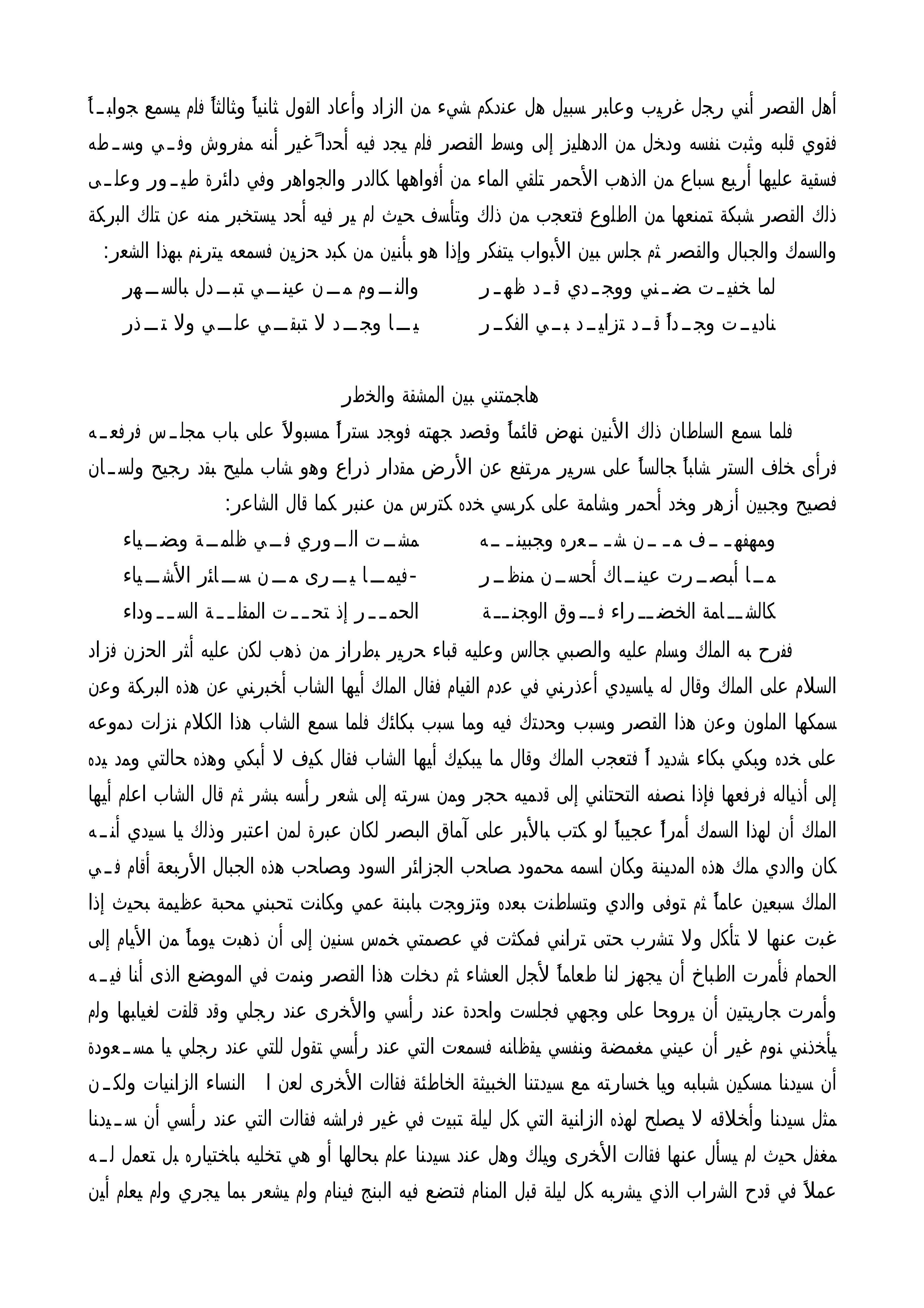
وأنشدت هذا البيت إن عدت عدنا وإن وافيت وافينا وإن هجرت فأنا قد تكافينـا وأدرك شـهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه لما تكلم السمك قلبت الصبية الطاجن بالقضيب وخرجت من الموضع الذي جاءت منه والتحم الحائط فعند ذلك قام الوزير وقال هذا أمر لا يمكن إخفاؤه عن الملك ثم أنه تقدم إلـى الملك وأخبره بما جرى قدامه فقال لابد أن أنظر بعيني فأرسل إلى الصياد وأمره أن يأتي بأربع سمكات مثل الأول وأمهله ثلاثة أيام فذهب الصياد إلى البركة وأتاه بالسمك في الحال فأمر الملك أن يعطوه أربعمائة دينار ثم ألتفت الملك إلى الوزير وقال له سو أنت السمك ههنا قدامى فقال للوزير سمعاً وطاعة فأحضـر الطـاجن ورمى فيه السمك بعد أن نظفه ثم قلبه وإذا بالحائط قد انشقت وخرج منها عبداً أسود كأنه ثور من الثيران أو من قوم عاد وفي يده فرع من شجرة خضراء وقل بكلام فصيح مزعج بأسمك بأسمك هل أنت علـى العهـد القديم مقيم فرفع السمك رأسه من الطاجن وقال نعم نعم وأنشد هذا البيت:

إن عدت عدنا وإن وافيت وافيـنا وأن هجرت فأنا قد تكافينـا

ثم أقبل العبد على الطاجن وقلبه بالفرع إلى أن صار فحماً أسود ثم ذهب العبد من حيث أتى فلما غاب العبد عن أعينهم قال الملك هذا أمر لا يمكن السكوت عنه ولابد أن هذا السمك له شأن غريب فأمر بإحضار الصياد فلما حضر قال له من أين هذا السمك فقال له من بركة بين أربع جبال وراء هذا الجبل الذي بظـاهر مدينتك فالتفت الملك إلى الصياد وقال له مسيرة كم يوم قال له يا مولانا السلطان مسيرة نصف ساعة فتعجب السلطان وأمر بخروج العسكر من وقته مع الصياد فصار الصياد يلعن العفريت وساروا إلي أن طلعوا الجبل ونزلوا منه إلى برية متسعة لم يروها مدة أعمارهم والسلطان وجميع العسكر يتعجبون من تلك البرية التـي نظروها بين أربع جبال والسمك فيها على أربعة ألوان أبيض وأحمر وأصفر وأزرق فوقف الملـك متعجبـاً وقال للعسكر ولمن حضر هل أحد منكم رأي هذه البركة في هذا المكان فقالوا كلهم لا فقـال الملـك وا لا أدخل مدينتي ولا أجلس على تخت ملكي حتى أعرف حقيقة هذه البركة وسمكها ثم أمر الناس بالنزول حـول هذه الجبال فنزلوا ثم دعا بالوزير وكان وزيراً خبيراً عاقلاً لبيباً عالماً بالأمور فلما حضر بين يديه قـال لـه أني أردت أن أعمل شيئاً فأخبرك به وذلك أنه خطر ببالي أن أنفرد بنفسي في هذه الليلة وأبحث عن خبر هذه البركة وسمكها فأجلس على باب خيمتي وقل للأمراء والوزراء والحجاب أن السلطان متشوش وأمرني أن لا أذن لأحد في الدخول عليه ولم تعلم أحداً بقصدي فلم يقدر الوزير على مخالفته ثم أن الملك غير حالته وتقلـد سيفه وانسل من بينهم ومشى بقية ليله إلى الصباح فلم يزل سائراً حتى اشتد عليه الحر فاستراح ثم مشى بقية يومه وليلته الثانية إلى الصباح فلاح له سواد من بعد ففرح وقال لعلي أجد من يخبرني بقضية البركة وسمكها فلما قرب من السواد وجده قصراً مبنياً بالحجارة السود مصفحاً بالحديد وأحد شقي بابه مفتوح والآخر مغلـق ففرح الملك ووقف على الباب ودق دقاً لطيفاً فلم يسمع جواباً فدق ثانياً وثالثاً فلم يسمع جواباً فدق رابعاً دقـاً مزعجاً فلم يجبه أحد فقال لاشك أنه خال فشجع نفسه ودخل من باب القصر إلى دهليزه ثم صرخ وقـال يـا



أهل القصر أني رجل غريب وعابر سبيل هل عندكم شيء من الزاد وأعاد القول ثانياً وثالثاً فلم يسمع جواباً فقوي قلبه وثبت نفسه ودخل من الدهليز إلى وسط القصر فلم يجد فيه أحداً غير أنه مفروش وفي وسطه فسقية عليها أربع سباع من الذهب الأحمر تلقي الماء من أفواهها كالدر والجواهر وفي دائرة طيور وعلى ذلك القصر شبكة تمنعها من الطلوع فتعجب من ذلك وتأسف حيث لم ير فيه أحد يستخبر منه عن تلك البركة والسمك والجبال والقصر ثم جلس بين الأبواب يتفكر وإذا هو بأنين من كبد حزين فسمعه يترنم بهذا الشعر:

لما خفيت ضنى ووجدي قد ظهر ... والنوم من عيني تبدل بالسهر

ناديت وجداً قد تزايد بي الفكر ... يا وجد لا تبقي علي ولا تذر

هاجمتني بين المشقة والخطر

فلما سمع السلطان ذلك الأنين نهض قائماً وقصد جهته فوجد ستراً مسبولاً على باب مجلس فرفعه فرأى خلف الستر شاباً جالساً على سرير مرتفع عن الأرض مقدار ذراع وهو شاب مليح بقد رجيح ولسان فصيح وجبين أزهر وخد أحمر وشامة على كرسي خده كترس من عنبر كما قال الشاعر:

ومهفهف من شعره وجبينه ... مشت الورى في ظلمة وضياء

ما أبصرت عيناك أحسن منظر ... -فيما يرى من سائر الأشياء

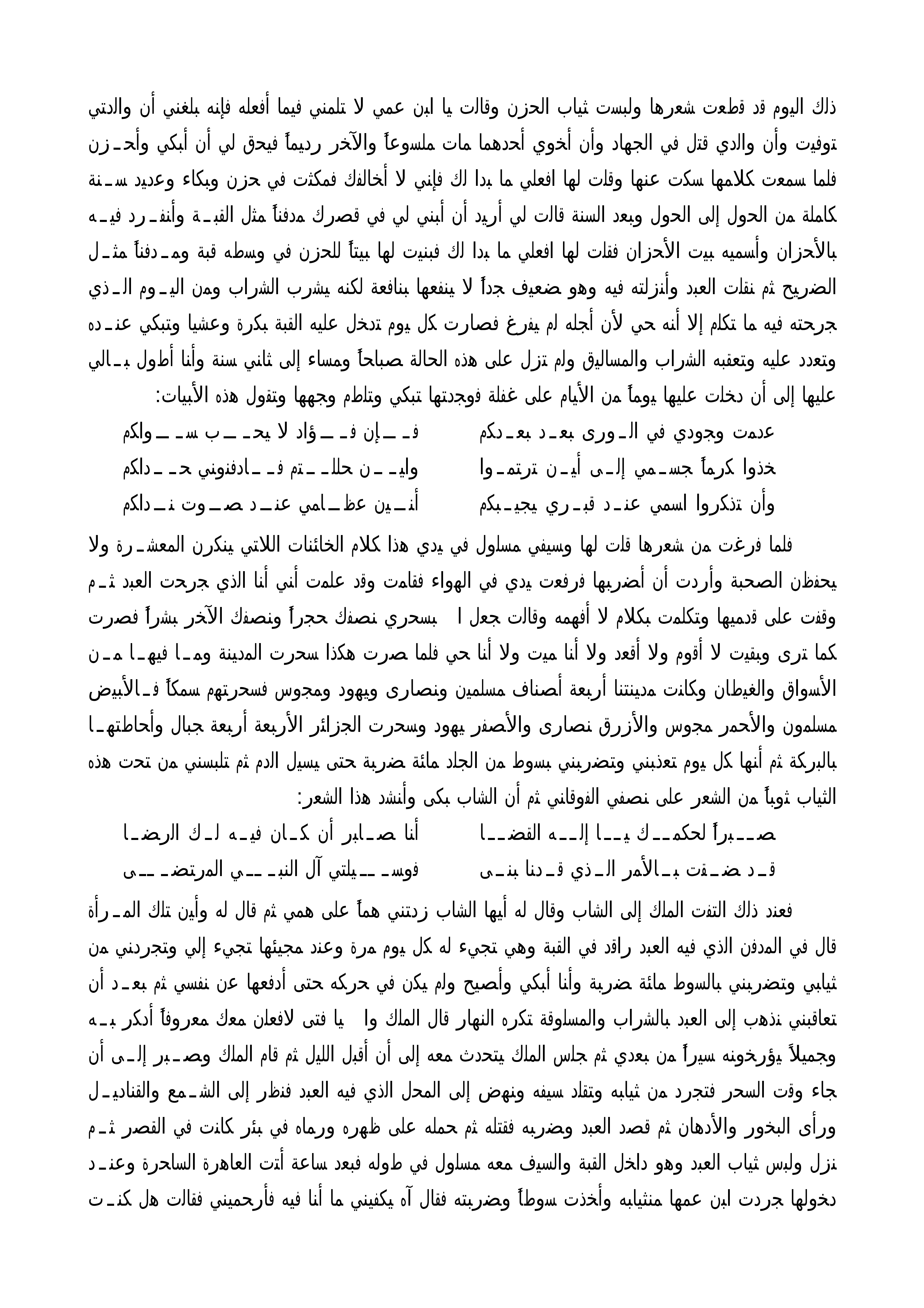
كالشامة الخضراء فوق الوجنة ... الحمر إذ تحت المقلة السوداء

ففرح به الملك وسلم عليه والصبي جالس وعليه قباء حرير بطراز من ذهب لكن عليه أثر الحزن فزاد السلام على الملك وقال له ياسيدي أعذرني في عدم القيام فقال الملك أيها الشاب أخبرني عن هذه البركة وعن سمكها الملون وعن هذا القصر وسبب وحدتك فيه وما سبب بكائك فلما سمع الشاب هذا الكلام نزلت دموعه على خده وبكي بكاء شديد اً فتعجب الملك وقال ما يبكيك أيها الشاب فقال كيف لا أبكي وهذه حالتي ومد يده إلى أذياله فرفعها فإذا نصفه التحتاني إلى قدميه حجر ومن سرته إلى شعر رأسه بشر ثم قال الشاب اعلم أيها الملك أن لهذا السمك أمراً عجيباً لو كتب بالأبر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وذلك يا سيدي أنه كان والدي ملك هذه المدينة وكان اسمه محمود صاحب الجزائر السود وصاحب هذه الجبال الأربعة أقام في الملك سبعين عاماً ثم توفى والدي وتسلطنت بعده وتزوجت بابنة عمي وكانت تحبني محبة عظيمة بحيث إذا غبت عنها لا تأكل ولا تشرب حتى تراني فمكثت في عصمتي خمس سنين إلى أن ذهبت يوماً من الأيام إلى الحمام فأمرت الطباخ أن يجهز لنا طعاماً لأجل العشاء ثم دخلت هذا القصر ونمت في الموضع الذى أنا فيه وأمرت جاريتين أن يروحا على وجهي فجلست واحدة عند رأسي والأخرى عند رجلي وقد قلقت لغيابها ولم يأخذني نوم غير أن عيني مغمضة ونفسي يقظانه فسمعت التي عند رأسي تقول للتي عند رجلي يا مسعودة أن سيدنا مسكين شبابه ويا خسارته مع سيدتنا الخبيثة الخاطئة فقالت الأخرى لعن ا النساء الزانيات ولكن مثل سيدنا وأخلاقه لا يصلح لهذه الزانية التي كل ليلة تبيت في غير فراشه فقالت التي عند رأسي أن سيدنا مغفل حيث لم يسأل عنها فقالت الأخرى ويلك وهل عند سيدنا علم بحالها أو هي تخليه باختياره بل تعمل له عملاً في قدح الشراب الذي يشربه كل ليلة قبل المنام فتضع فيه البنج فينام ولم يشعر بما يجري ولم يعلم أين

تذهب ولا بما تصنع لأنها بعد ما تسقيه الشراب تلبس ثيابها وتخرج من عنده فتصليب إلى الفجر وتأتي إليـه وتبخره عند أنفه بشيء فيستيقظ من منامه فلما سمعت كلام الجواري صار الضيا في وجهـي ظلامـاً ومـا صدقت أن الليل أقبل وجاءت بنت عمي من الحمام فمددنا السماط وأكلنا وجلسنا ساعة زمانية تتنادم كالعـادة ثم دعوت بالشراب الذي أشربه عند المنام فناولتني الكأس فتراوغت عنه وجعلت أني أشـربه مثـل عـادتي ودلقته في عبي ورقدت في الوقت والساعة وإذا بها قالت نم بيتك لم تقم وا كرهتك وكرهت صورتك وملت نفسي من عشرتك ثم قامت ولبست أفخر ثيابها وتبخرت وتقلدت سيفاً وفتحت باب القصر وخرجـت فقمـت وتبعتها حتى خرجت من القصر وشقت في أسواق المدينة إلى أن انتهت إلى أبواب المدينة فتكلمت بكـلام لا أفهمه فتساقطت الأقفال وانفتحت الأبواب وخرجت وأنا خلفها وهي لا تشعر حتى انتهت إلى ما بين الكيمـان وأتت حصناً فيه قبة مبنية بطين لها باب فدخلته هي وصعدت أنا على سطح القبة وأشرفت عليها وإذا بها قد دخلت على عبدا أسود إحدى شفته غطاء وشفته الثانية وطاء وشفاهه تلقط الرمل من الحصى وهـو مبتلـى وراقد على قليل من قش القصب فقبلت الأرض بين يديه فرفع ذلك العبد رأسه إليها وقال لها ويلك ما سـبب قعودك إلى هذه الساعة كان عندنا السودان وشربوا الشراب وصار كل واحد بعشيقته وأنا مـا رضـيت أن أشرب من شأنك فقالت يا سيدي وحبيب قلبي أما تعلم أني متزوجة بابن عمي وأنا أكره النظر في صـورته وأبغض نفسي في صحبته ولولا أني أخشى على خاطرك لكنت جعلت المدينة خرابـا يصـيح فيهـا البـوم والغراب وأنقل حجارتها إلى جبل قاف فقال العبد تكذبين يا عاهرة وأنا أحلف وحق فتوة السودان وألا تكون مروءتنا مروءة البيضان أن بقيت تقعدي إلى هذا الوقت من هذا اليوم لا أصاحبك ولا أضع جسـدي علـى جسدك يا خائنة تغيبين علي من أجل شهوتك يا منتنة يا أخس البيضان قال الملك فلما سمعت كلامهـا وأنـا أنظر بعيني ما جرى بينهما صارت الدنيا في وجهي ظلاماً ولم أعرف روحي في أي موضع وصارت بنـت عمي واقفة تبكي إليه وتتذلل بين يديه وتقول له يا حبيبي وثمرة فؤادي ما أحد غيرك بقي لي فإن طردتني يا ويلي يا حبيبي يا نور عيني ومازالت تبكي وتضرع له حتى رضي عليها ففرحت وقامت قلعت ثيابها ولباسها وقالت له يا سيدي هل عندك ما تأكله جاريتك فقال لها اكشفي اللقان فإن تحتها عظام فيران مطبوخة فكليهـا وقرمشيها وقومي لهذه القوارة تجد فيها بوضة فاشربيها فقامت وأكلت وشربت وغسلت يديها وجاءت فرقدت مع العبد على قش القصب وتعرت ودخلت معه تحت الهدمة والشراميط فلما نظرت إلى هـذه الفعـال التـي فعلتها بنت عمي غبت عن الوجود فنزلت من فوق أعلى القبة ودخلت وأخذت السيف من بنت عمي وهممت أن أقتل الأثنين فضربت العبد أولاً على رقبته فظننت أنه قد قضى عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.فلما أصبح الصباح دخل الملك إلى محل الحكم واحتبك الديوان إلى آخر النهار ثم طلـع الملـك قصره فقالت لها أختها دنيا زاد تممي لنا حديثك قالت حباً وكرامة.

(وفي ليلة ٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب المسحور قال للملك لما ضرب العبد لاقطـع رأسـه قطعـت الحلقوم والجلد واللحم فظننت أني قتلته فشخر شخيراً عالياً فتحركت بنت عمي وقامت بعد ذهـابي فأخـذت السيف وردته إلى موضعه وأتت المدينة ودخلت القصر ورقدت في فراشي إلى الصباح ورأيت بنت عمي في



ذاك اليوم قد قطعت شعرها ولبست ثياب الحزن وقالت يا ابن عمي لا تلمني فيما أفعله فإنه بلغني أن والدتي توفيت وأن والدي قتل في الجهاد وأن أخوي أحدهما مات ملسوعاً والآخر رديماً فيحق لي أن أبكي وأحـزن فلما سمعت كلامها سكت عنها وقلت لها افعلي ما بدا لك فإني لا أخالفك فمكثت في حزن وبكاء وعديد سـنة كاملة من الحول إلى الحول وبعد السنة قالت لي أريد أن أبني لي في قصرك مدفناً مثل القبـة وأنفـرد فيـه بالأحزان وأسميه بيت الأحزان فقلت لها افعلي ما بدا لك فبنيت لها بيتاً للحزن في وسطه قبة ومـدفناً مثـل الضريح ثم نقلت العبد وأنزلته فيه وهو ضعيف جداً لا ينفعها بنافعة لكنه يشرب الشراب ومن اليـوم الـذي جرحته فيه ما تكلم إلا أنه حي لأن أجله لم يفرغ فصارت كل يوم تدخل عليه القبة بكرة وعشيا وتبكي عنـده وتعدد عليه وتعقبه الشراب والمساليق ولم تزل على هذه الحالة صباحاً ومساء إلى ثاني سنة وأنا أطول بـالي عليها إلى أن دخلت عليها يوماً من الأيام على غفلة فوجدتها تبكي وتلطم وجهها وتقول هذه الأبيات:

عدمت وجودي في الـورى بعـد بعدكم ... فـإن فـؤاد لا يحـب سـواكم

خذوا كرماً جسـمي إلـى أيـن ترتمـوا ... وايـن حللـتم فـادفنوني حـداكم

وأن تذكروا اسمي عنـد قبـري يجيـبكم ... أنـين عظـامي عنـد صـوت نـداكم

فلما فرغت من شعرها قلت لها وسيفي مسلول في يدي هذا كلام الخائنات اللاتي ينكرن المعشـرة ولا يحفظن الصحبة وأردت أن أضربها فرفعت يدي في الهواء فقامت وقد علمت أني أنا الذي جرحت العبد ثـم وقفت على قدميها وتكلمت بكلام لا أفهمه وقالت جعل ا بسحري نصفك حجراً ونصفك الآخر بشراً فصرت كما ترى وبقيت لا أقوم ولا أقعد ولا أنا ميت ولا أنا حي فلما صرت هكذا سحرت المدينة ومـا فيهـا مـن الأسواق والغيطان وكانت مدينتنا أربعة أصناف مسلمين ونصارى ويهود ومجوس فسحرتهم سمكاً فـالأبيض مسلمون والأحمر مجوس والأزرق نصارى والأصفر يهود وسحرت الجزائر الأربعة أربعة جبال وأحاطتهـا بالبركة ثم أنها كل يوم تعذبني وتضربني بسوط من الجلد مائة ضربة حتى يسيل الدم ثم تلبسني من تحت هذه الثياب ثوباً من الشعر على نصفي الفوقاني ثم أن الشاب بكى وأنشد هذا الشعر:

صـبراً لحكمـك يـا إلـه القضـا ... أنا صـابر أن كـان فيـه لـك الرضـا

قـد ضـقت بـالأمر الـذي قـدنا بنـى ... فوسـيلتي آل النبـي المرتضـى

فعند ذلك التفت الملك إلى الشاب وقال له أيها الشاب زدتني هماً على همي ثم قال له وأين تلك المـرأة قال في المدفن الذي فيه العبد راقد في القبة وهي تجيء له كل يوم مرة وعند مجيئها تجيء إلي وتجردني من ثيابي وتضربني بالسوط مائة ضربة وأنا أبكي وأصيح ولم يكن في حركه حتى أدفعها عن نفسي ثم بعـد أن تعاقبني تذهب إلى العبد بالشراب والمسلوقة تكره النهار قال الملك وا يا فتى لافعلن معك معروفاً أذكر بـه وجميلاً يؤرخونه سيراً من بعدي ثم جلس الملك يتحدث معه إلى أن أقبل الليل ثم قام الملك وصـبر إلـى أن جاء وقت السحر فتجرد من ثيابه وتقلد سيفه ونهض إلى المحل الذي فيه العبد فنظر إلى الشـمع والقناديـل ورأى البخور والأدهان ثم قصد العبد وضربه فقتله ثم حمله على ظهره ورماه في بئر كانت في القصر ثـم نزل ولبس ثياب العبد وهو داخل القبة والسيف معه مسلول في طوله فبعد ساعة أتت العاهرة الساحرة وعنـد دخولها جردت ابن عمها منثيابه وأخذت سوطاً وضربته فقال آه يكفيني ما أنا فيه فأرحميني فقالت هل كنـت

أنت رحمتني وأبقيت لي معشوقي ثم البسته اللباس الشعر والقماش من فوقه ثم نزلت إلى العبد ومعهـا قـدح الشراب وطاسة المسلوقة ودخلت عليه القبة وبكت وولولت وقالت يا سيدي كلمني يا سيدي حدثني وأنشـدت تقول:

فـإلى متـى هـذا التجنـب والجفـا	أن الـذي فعـل الغـرام لقـد كفـى
كـم قـد تطيـل الهجـر لـي متعمـدا	إن كان قصـدك حاسـدي فقـد أشـتفى

ثم أنها بكت وقالت يا سيدي كلمني وحدثني فخفض صوته وعوج لسانه وتكلم بكلام السودان وقـال آه آه لا حول ولا قوة إلا با فلما سمعت كلامه صرخت من الفرح وغشي عليها ثم أنها استفاقت وقالت لعـل سيدي صحيح فخفض الملك صوته بضعف وقال يا عاهرة أنت لا تستحق أن أكلمك قالت ما سبب ذلك قـال سببه أنك طول النهار تعاقبين زوجك وهو يصرخ ويستغيث حتى آخر متيني النوم من العشاء إلى الصـباح ولم يزل زوجك يتضرع ويدعوا عليك حتى أقلقني صوته ولولا هذا لكنت تعافيت فهذا الـذي منعنـي عـن جوابك فقالت عن أذنك أخلصه مما هو فيه فقال لها خلصيه وأريحينا فقالت سمعاً وطاعة ثم قامت وخرجـت من القبة إلى القصر وأخذت طاسة ملأتها ماء ثم تكلمت عليها فصار الماء يغلي كما يغلي القدر ثم رشته منها وقالت بحق متلوته أن تخرج من هذه الصورة إلى صورتك الأولى فانتفض الشاب وقام على قدميـه وفـرح بخلاصه وقال أشهد أن لا إله إلا ا وأن محمداً رسول ا ﷺ ثم قالت له اخرج ولا ترجع إلى هنا وإلا قتلتك وصرخت في وجهه فخرج من بين يديها وعادت إلى القبة ونزلت وقالت يا سيدي أخرج إلى حتـى أنظـرك فقال لها بكلام ضعيف أي شيء فعلتيه أرحتيني من الفزع ولم ترحيني من الأصل فقالت يا حبيبي وما هـو الأصل قال أهل هذه المدينة والأربع جزائر كل ليلة إذا انتصف الليل يرفع السمك رأسه ويدعوا علي وعليك فهو سبب منع العافية عن جسمي فخلصيهم وتعالي خذي بيدي وأقيميني فقد توجهت إلى العافية فلما سـمعت كلام الملك وهي تظنه العبد قالت له وهي فرحة ياسيدي على رأسي وعيني بسم ا ثم نهضت وقامت وهـي مسرورة تجري وخرجت إلى البركة وأخذت من مائها قليلاً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عـن الكـلام المباح.

(ففي ليلة ٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية الساحرة لما أخذت شيئاً من ماء البركة وتكلمت عليه بكلام لا يفهم تحرك السمك ورفع رأسه وصار آدميين في الحال وأنفك السحر عن أهل المدينـة وصـارت المدينـة عامرة والأسواق منصوبة وصار كل واحد في صناعته وانقلبت الجبال جزائر كما كانـت ثـم أن الصـبية الساحرة رجعت إلى الملك في الحال وهي تظن أنه العبد وقالت يا حبيبي ناولني يدك الكريمة أقبلهـا فقـال الملك بكلام خفي تقربي مني فدنت منه وقد أخذ صارمه وطعنها به في صدرها حتى خرج من ظهرهـا ثـم ضربها فشقها نصفين وخرج فوجد الشاب المسحور واقفاً في انتظاره فهنأه بالسلامة وقبل الشاب يده وشكره فقال له الملك أتقعد في مدينتك أم تجيء معي إلى مدينتي فقال الشاب يا ملك الزمان أتدري ما بينـك وبـين مدينتك فقال الملك يومان ونصف فعند ذلك قال له الشاب أيها الملك إن كنت نائماً فاستيقظ أن بينـك وبـين مدينتك سنة للمجد وما أتيت في يومين ونصف إلا لأن المدينة كانت مسحورة وأنا أيها الملك لا أفارقك لحظة

عين ففرح الملك بقوله ثم قال الحمد الذي من علي بك فأنت ولدي لأني طول عمري لم أرزق ولـد أثـم تعانقا وفرحا فرحاً شديداً ثم مشيا حتى وصلا إلى القصر وأخبر الملك الذي كان مسحوراً أرباب دولته أنـه مسافر إلى الحج الشريف فهيئوا له جميع ما يحتاج إليه ثم توجه هو والسلطان وقلب السلطان ملتهـب علـى مدينته حيث غاب عنها سنة ثم سافر ومعه خمسون مملوكاً ومعه الهدايا ولم يزالا مسافرين ليلاً ونهاراً سـنة كاملة حتى أقبلا على مدينة السلطان فخرج الوزير والعساكر لمقابلته بعد ما قطعوا الرجاء منه وأقبلت أقـبلا على مدينة السلطان فخرج الوزير والعساكر لمقابلته بعد ما قطعوا الرجاء منه وأقبلت العساكر وقبلت الأرض بين يديه وهنوه بالسلامة فدخل وجلس على الكرسي ثم أقبل على الوزير وأعلمه بكل ما جرى على الشـاب فلما سمع الوزير ما جرى على الشاب هنأه بالسلامة ولما أستقر الحال أنعم السلطان على أناس كثير ثم قـال للوزير على بالصياد الذي أتى بالسمك فأرسل إلى ذلك الصياد كان سبباً لخلاص أهل المدينة فأحضره وخلع عليه وسأله عن حاله وهل له أولاد فأخبره أن له ابناً وبنين فتزوج الملك بإحدى بنتيه وتزوج الشاب بالأخرى وأخذ الملك الابن عنده وجعله خازنداراً ثم أرسل الوزير إلى مدينة الشاب التي هي الجزائـر السـود وقلـده سلطنتها وأرسل معه الخمسين مملوكا الذين جاءوا معه وأرسل معه كثيراً من الخلع لسـائر الأمـراء فقبـل الوزير يديه وخرج مسافراً واستقر السلطان والشاب وأما الصياد فإنه قد صار أغنى أهـل زمانـه وبناتـه زوجات الملوك إلى أن أتاهم الممات وما هذا بأعجب مما جرى للحمال.

(**حكاية الحمال مع البنات**)

فإنه كان إنسان من مدينة بغداد وكان أعزب وكان حمالا فبينما هو في السوق يوماً من الأيـام متكئـاً على قفصه إذ وقفت عليه امرأة ملتفة بإزار موصلي من حرير مزركش بالذهب وحاشيتاه من قصب فرفعت قناعها فبان من تحته عيون سوداء بأهداب وأجفان وهي ناعمة الأطراف كاملة الأوصاف وبعد ذلـك قالـت بحلاوة لفظها هات قفصك واتبعني فيما صدق الحمال بذلك وأخذ القفص وتبعها إلى أن وقفت على باب دار فطرقت الباب فنزل له رجل نصراني فاعطته ديناراً وأخذت منه مقداراً من الزيتون ووضعته فـي القفـص وقالت له أحمله واتبعني فقال الحمال هذا وا نهارك مبارك ثم حمل القفص وتبعها فوقفت على دكان فكهاني واشترت منه تفاحاً شامياً وسفرجلاً عثمانية وخوخاً عمانياً وياسميناً حلبياً وبنو فراده شقياً وخياراً نيلياً وليموناً مصرياً وتمرحناً وشقائق النعمان وبنفسجاً ووضعت الجميع في قفص الحمال وقالت له احمل فحمل وتبعهـا حتى وقف على جزار وقالت له اقطع عشرة أرطال لحمه فقطع لها ولفت اللحم في ورق موز ووضعته فـي القفص وقالت له احمل يا حمال فحمل وتبعها ثم وقفت على النقلي وأخذت من سائر النقـل وقالـت للحمـال احمل واتبعني فحمل القفص وتبعها إلى أن وقفت على دكان الحلواني واشترت طبقاً وملأته من جميـع مـا عنده من مشبك وقطائف وميمونة وأمشاط واصابع ولقيمات القاضي ووضعت جميع أنواع الحلاوة في الطبق ووضعته في القفص فقال الحمال لو أعلمتيني لجئت معي ببغل نحمل عليه هذه الأمور فتبسمت ثم وقفت على العطار واشترت منه عشرة مياه ماء ورد وماء زهر وخلافه وغير ذلك وأخذت قدراً مـن السـكر وأخـذت مرش ماء ورد ممسك وحصى لبان ذكر وعوداً عنبراً ومسكاً وأخذت شمعاً اسكندرانياً وضعت الجميع فـي القفص وقالت احمل قفصك واتبعني فحمل القفص وتبعها به إلى أن أتت داراً مليحة وقدامها رحبـة فسـيحة

وهي عالية البنيان مشيدة الأركان بابها بشقتين من الأبنوس مصفح بصفائح الذهب الأحمر فوقفـت الصـبية على الباب ودقت دقاً لطيفاً وإذا بالباب تفتح بشفتيه فنظر الحمال إلى من فتح لها الباب فوجدها صبية رشيقة القد قاعدة النهد ذات حسن وجمال وقد واعتدال وجبين كغرة الهلال وعيون كعيون الغزلان وحواجب كهلال رمضان وخدود مثل شقائق النعمان وفم كخاتم سليمان ووجه كالبدر في الإشراق ونهدين كرمـانيتين باتفـاق وبطن مطوى تحت الثياب كطي السجل للكتاب فلما نظر الحمال إليها سلبت عقله وكاد القفص أن يقـع مـن فوق رأسه ثم قال ما رأيت عمري أبرك من هذا النهار فقالت الصبية البوابة للدلالة والحمال مرحباً وهي من داخل الباب ومشوا حتى انتهوا إلى قاعة فسيحة مزركشة مليحة ذات تراكيب وشـاذر وأنـات ومصـاطب وسدلات وخزائن عليها الستور مرخيات وفي وسط القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر منصوب عليه ناموسية من الأطلس الأحمر ومن داخله صبية بعيون بابلية وقامة الفية ووجه يخجل الشـمس المضـية فكأنها بعض الكواكب الدرية أو عقيلة عربية كما قال فيها الشاعر:

من قاس قـدك بالغصـن الرطيـب فقـد	أضـحى القيـاس بـه زوراً وبهتانـاً
الغصـن أحسـن مـا تلقـاه مكتسـياً	وأنـت أحسـن مـا تلقـاك عريانـاً

فنهضت الصبية الثالثة من فوق السرير وخطرت قليلاً إلى أن صارت في وسط القاعة عنـد أختيهـا وقالت ما وقوفكم حطوا عن رأس هذا الحمال المسكين فجاءت الدلالة من قدامه والبوابة من خلفه وساعدتهما الثالثة وحطتن عن الحمال وأفرغن ما في القفص وصفوا كل شيء في محله وأعطين الحمال دينارين وقلن له توجه يا حمال فنظر إلى البنات وما هن فيه من الحسن والطبائع الحسان فلم ير أحسن منهن ولكـن لـيس عندهن رجال ونظر ما عندهن من الشراب والفواكه والمشمومات وغير ذلك فتعجب غاية العجب ووقف عن الخروج فقالت له الصبية مالك لا تروح هل أنت استقللت الأجرة والتفتت إلى أختها وقالت لها أعطيه دينـاراً آخر فقال الحمال وا يا سيداتي أن أجرتي نصفان وما استقللت الأجرة وإنما اشتغل قلبي وسري بكن وكيف حالكن وأنتن وحدكن وما عندكن رجال ولا أحد يؤانسكن وأنتن تعرفن أن المنارة لا تثبت إلا علـى أربعـة وليس لكن رابع وما يكمل حظ النساء إلا بالرجال كما قال الشاعر:

انظر إلـى أربـع عنـدي قـد اجتمعـت	جنـك وعـود وقـانون ومزمـار

أنتن ثلاثة فتفتقرن إلى رابع يكون رجلا لبيبا حاذقاً وللأسرار كاتما فقلن له نحن بنات ونخاف أن نودع السر عند من لا يحفظه وقد قرأنا في الأخبار شعراً:

صـن عـن سـواك السـر لا تودعنـه	مـن أودع السـر فقـد ضـيعه

فلما سمع الحمال كلامهن قال وحياتكن أني رجل عاقل أمين قرأت الكتب وطلعـت التـواريخ أظهـر الجميل وأخفى القبيح وأعمل بقول الشاعر:

لا يكـتم السـر إلا كـل ذي ثقـة	والسـر عنـد خيـار النـاس مكتـوم
السـر عنـدي فـي بيـت لـه غلـق	ضـاعت مفاتحـة والبـاب مختـوم

فلما سمعت البنات الشعر والنظام وما أبداه من الكلام قلن له أنت تعلم أننا غرمنا على هذا المقام جملة من المال فهل معك شيء تجازينا به فنحن لا ندعك تجلس عندنا حتى تغرم مبلغنا من المال لأن خاطرك أن تجلس عندنا وتصير نديمنا وتطلع على وجوهنا الصباح الملاح فقالت صاحبة الدار وإذا كانت بغيـر المـال محبة فلا تساوي وزن حبة وقالت البوابة إن يكن معك شيء رح بلا شيء فقالت الدلالة يا أختي نكف عنـه فوالله ما قصر اليوم معنا ولو كان غيره ما طول روحه علينا ومهما جاء عليه أغرمه عنه ففرح الحمال وقال والله ما استفتحت بالدراهم إلا منك فقلن له أجلس على الرأس والعين وقامت الدلالة وشددت وسطها وصـفت القناني وروقت المدام وعملت الحضرة على جانب البحر وأحضرت ما يحتاجون إليه ثم قدمت المدام وجلست هي واختها وجلس الحمال بينهن وهو يظن أنه في المنام ولم يزل الحمال معهن في عناق وتقبيل وهذه تكلمه وهذه تجذبه وهذه بالمشموم تضربه وهو معهن حتى لعبت الخمرة بعقولهن فلما تحكم الشراب معهـم قامـت البوابة وتجردت من ثيابها وصارت عريانة ثم رمت نفسها في تلك البحيرة ولعبت في الماء وأخذت الماء في فمها وبخت الحمال ثم غسلت أعضاءها وما بين فخذيها ثم طلعت من الماء ورمت نفسها في حجر الحمـال وقالت له يا حبيبي ما اسم هذا وأشارت إلى فرجها فقال الحمال رحمك فقالت يوه يوه أما تستحي ومسكته من رقبته وصارت تصكه فقال فرجك فقالت غيره فقال كسك فقالت غيره فقال زنبورك فلم تزل تصكه حتى ذاب قفاه ورقبته من الصك ثم قال لها وما اسمه فقالت له حبق الجسور فقال الحمال الحمد لله على السلامة يا حبق الجسور ثم أنهم أداروا الكأس والطاس فقامت الثانية وخلعت ثيابها ورمت نفسها في تلك البحيرة وعملت مثل الأولى وطلعت ورمت نفسها في حجر الحمال وأشارت إلى فرجها وقالت يا نور عيني ما اسم هذا قال فرجك فقالت أما يقبح عليك هذا الكلام وصكته كفا طن له سائر ما في القاعة فقال حبـك الجسـور فقالـت لـه لا والضرب والصك على قفاه فقال لها وما اسمه فقالت له السمسم المقشور ثم قامت الثالثـة وخلعـت ثيابهـا ونزلت تلك البحيرة وفعلت مثل من قبلها ثم لبست ثيابها وألقت نفسها في حجر الحمال وقالت له أبصاماً اسم هذا وأشار ت الى فرجها فصار يقول لها كذا وكذا إلى أن قال لها وهي تضربه وما اسمه فقالـت لـه أبـي منصور ثم بعد ساعة قام الحمال وراح ومازال فى البحيرة وذكره يسبح في الماء وغسل مثل ما غسـلن ثـم طلع ورمى نفسه في حجر سيدتهن ورمى ذراعيه في حجر البوابة ورمى رجليه في حجر الدلالة ثم أشار إلى أيره وقال يا سيدتي ما اسم هذا فضحك الكل على كلامه حتى انقلبن على ظهورهن وقلن زبك قال لا وأخـذ من كل واحدة عضة قلن أيرك قال لا وأخذ من كل واحدة حضنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠)

قالت لها أختها دنيا زاد يا أختي أتممي لنا حديثك قالت حباً وكرامة قد بلغني أيها الملك السعيد أنهن لم يزلن يقلن زبك أبرك وهو يقبل ويعانق وهن يتضاحكن إلى أن قلن له وما اسمه قال إسمه البغل الجسور والذي يرعى حبق الجسور ويعلق بالسمسم المقشور ويبيت في خان أبي منصور فضحكن حتى استلقين على ظهورهن ثم عادوا إلى منادمتهم ولم يزالوا كذلك إلى أن أقبل الليل عليهم فقلن للحمال توجه وأرنا عرض أكتافك فقال الحمال وا خروج الروح أهون من الخروج من عندكن دعونا نصل الليل بالنهار وكل منا يروح إلى حال سبيله فقالت الدلالة بحياتي عندكن تدعنه ينام عندنا نضحك عليه فإنه خليع ظريف فقلن له تبيت عندنا بشرط أن تدخل تحت الحكم ومهما رأيته لا تسأل عنه ولا عن سببه فقال نعم فقلن قم واقرأ ما على الباب مكتوباً فقام إلى الباب فوجدها مكتوباً عليه بماء الذهب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع مالا يرضيك فقال الحمال اشهدوا أني لا أتكلم فما لا يعنيني ثم قامت الدلالة جهزت لهم مأكولاً فأكلوا ثم أوقدوا الشمع والعود وقعدوا في أكل وشرب وإذا هم سمعوا دق الباب فلم يختل نظامهم فقامت واحدة منهن إلى الباب ثم عادت وقالت قد كمل صفاؤنا في هذه الليلة لأني وجدت بالباب ثلاثة أعاجم ذقونهم محلوقة وهم عور بالعين الشمال وهذا من أعجب الاتفاق وهم ناس غرباء قد حضروا من أرض الروم ولكل واحد منهم شكل وصورة مضحكة فإن دخلوا نضحك عليهم ولم تزل تتلاطف بصاحبتيها حتى قالتا لها دعيهم يدخلون وأشرطي عليهم أن لا يتكلموا فيما لا يعنيهم فيسموا مالا يرضيهم ففرحت وراحت ثم عادت ومعها الثلاثة العور ذقونهم محلوقة وشوارب بهم مبرومة ممشوقة وهم صعاليك فسلموا وتأخروا فقامت لهم البنات واقعدوهم فنظر الثلاثة رجال إلى الحمال فوجدوه سكران فلما عاينوه ظنوا أنه منهم وقالوا هو صعلوك مثلنا يؤانسنا فلما سمع الحمال هذا الكلام قام وقلب عينيه وقال لهم اقعدوا بلا فضول أما قرأتم ما على الباب فضحك البنات وقلن لبعضهن أننا نضحك على الصعاليك والحمال ثم وضعن الأكل للصعاليك فأكلوا ثم جلسوا يتنادمون والبوابة تستقيم ولما دار الكاس بينهم قال الحمال للصعاليك ياإخواننا هل معكم حكاية أو نادرة تسلوننا بها فدبت فيهم الحرارة وطلبوا آلات اللهو فاحضرت لهم البوابة دفا موصليا وعودا عراقياً وجنكا أعجمياً فقام الصعاليك واقفين وأخذ واحد منهم الدف وأخذوا حد العود وأخذوا حد الجنك وضربوا بها وغنت البنات وصار لهم صوت عال فبينما هم كذلك وإذا بطارق يطرق الباب فقامت البوابة لتنظر من بالباب وكان السبب في دق الباب أن في تلك الليلة نزل الخليفة هارون الرشيد لينظر ويسمع ما يتجدد من الأخبار هو وجعفر وزيره ومسرور سياف نقمته وكان من عادته أن يتنكر في صفة التجار فلما نزل تلك الليلة ومشى في مدينة جاءت طريقهم على تلك الدار فسمعوا آلات الملاهي فقال الخليفة لجعفر أني أريد أن ندخل هذه الدار ونشاهد صواحب هذه الأصوات فقال جعفر هؤلاء قوم قد دخل السكر فيهم ونخشى أن يصيبنا منهم شر فقال لابد من دخولنا وأريد أن نتحيل حتى ندخل عليهم فقال جعفر سمعاً وطاعة ثم تقدم جعفر وطرق الباب فخرجت البوابة وفتحت الباب فقال لها يا سيدتي نحن تجار من طبرية ولنا في بغداد عشرة أيام ومعنا تجارة ونحن نازلون في خان التجار وعزم علينا تاجر في هذه الليلة فدخلنا عنده وقدم لنا طعاماً فأكلنا ثم تنادمنا عنده ساعة ثم أذن لنا بالأنصراف فخرجنا بالليل ونحن غرباء فتهنا عن الخان الذي نحن فيه فنرجوا من مكارمكم



أن تدخلونا هذه الليلة تبيت عندكم ولكم الثواب فنظرت البوابة إليهم فوجدتهم بهيئة التجـار وعلـيهم الوقـار فدخلت لصاحبتيها وشاورتهما فقالتا لها أدخليهم فرجعت وفتحت لهم الباب فقالوا ندخل بإذنك قالـت ادخلـوا فدخل الخليفة وجعفر ومسرور فلما رأتهم البنات قمن لهم وخدمنهم وقلنا مرحباً وأهلاً وسهلاً بأضيافنا ولنـا عليكم شرط أن لا تتكلموا فيما لا يعنيكم فتسمعوا مالا يرضيكم قالوا نعم وبعد ذلك جلسوا للشراب والمنادمـة فنظر الخليفة إلى الثلاثة الصعاليك فوجدهم عور بالعين الشمال فتعجب منهم ونظر إلى البنات وما هم فيه من الحسن والجمال فتحير وتعجب واستمروا في المنادمة والحديث وأتين للخليفة بشراب فقال أنا حاج وانعـزل عنهم فقامت البوابة وقدمت له سفرة مزركشة ووضعت عليها باطية من الصيني وسكبت فيها مـاء الخـلاف وأرخت فيه قطعة من الثلج ومزجته بسكر فشكرها الخليفة وقال في نفسه لابد أن أجازيها في غد على فعلهـا من صنيع الخير ثم اشتغلوا بمنادمتهم فلما تحكم الشراب قامت صاحبة البيت وخدمتهم ثم أخذت بيد الدلالـة وقالت يا أختي قومي بمقتضى ديننا فقالت لها نعم فعند ذلك قامت البوابة وأطلعت الصعاليك خلف الأبـواب قدامهن وذلك بعد أن أخلت وسط القاعة ونادين الحمال وقلن له ما أقل مودتك ما أنت غريب بل أنت من أهل الدار فقام الحمال وشدوا وسطه وقال ما تردن قلن قف مكانك ثم قامت الدلالة وقالت للحمال ساعدني فـرأي كلبتين من الكلاب السود في رقبتيها جنازير فأخذهما الحمال ودخل بهما إلى وسط القاعة فقامـت صـاحبة المنزل وشمرت عن معصمها وأخذت سوطاً وقالت للحمال قوم كلبة منهما فجرها في الجنزير وقدمها والكلبة تبكي وتحرك رأسها إلى الصبية فنزلت السوط من يدها ثم ضمت الكلبة إلى صدرها ومسحت دموعها وقبلت رأسها ثم قالت للحمال ردها وهات الثانية فجاء بها وفعلت بها مثل ما فعلت بالأولى فعند ذلك اشـتغل قلـب الخليفة وضاق صدره وغمز جعفراً أن يسألها فقال له بالإشارة اسكت ثم التفتت صاحبة البيت للبوابة وقالـت لها قومي لقضاء ما عليك قالت نعم ثم أن صاحبة البيت صعدت على سرير من المرمـر مصـفح بالـذهب والفضة وقالت للبوابة والدلالة ائتيا بما عندكما فأما البوابة فإنها صعدت على سرير بجانبها وأما الدلالة فإنها دخلت مخدعاً وأخرجت منه كيساً من الأطلس بأهداب خضر ووقفت قدام الصبية صاحبة المنـزل ونفضـت الكيس وأخرجت منه عوداً وأصلحت أوتاره وأنشدت هذه الأبيات:

ردوا علـى جفنـي النـوم الـذي سـلبا ... وخبرونـي بعقلـي أيـة ذهبـا
علمـت لمـا رضـيت الحـب منزلـة ... أن المنـام علـى جفنـي قـد عصـا
قالوا عهـدناك مـن أهـل الرشـاد فمـا ... أغواك قلت اطلبـوا مـن لحظـه السـببا
أني لـه عـن دمـي المسـفوك معتـذر ... أقـول حملتـه فـي سـفكه تعبـا
ألقـي بمـرآة فكـري شـمس صـورته ... فعكسـها شـب فـي أحشـائي اللهبـا
من صـاغه ا مـن مـاء الحيـاة وقـد ... أجـري بقيتـه فـي ثغـره شـنبا
ماذا ترى فـي محـب مـا ذكـرت لـه ... الاشـكى أو بكـى أو حـن أو أطربـا
يـرى خيالـك فـي المـاء الـزلال إذا ... رام الشراب فيـروي وهـو مـا شـربا

وأنشدت أيضاً:

سـكرت مـن لحظـه لا مـن مدامتـه ... ومـال بـالنوم عـن عينـي تمايلـه

فمــا الســلاف ســلتني بــل ســوالفه ومــا الشــمول شــلتني بــل شــمائله
لــوي بعزمــي أصــداع لــوين لــه وغــال عقلــي بمــا تحــوى غلائلــه

فلما سمعت الصبية ذلك قالت طيبك ثم شقت ثيابها ووقعت على الأرض مغشياً عليها فلما انكشـف جسدها رأى الخليفة أثر ضرب المقارع والسياط فتعجب من ذلك غاية العجب فقامت البوابة ورشـت المـاء على وجهها وأتت إليها بحلة وألبستها أياها فقال الخليفة لجعفر أما تنظر إلى هذه المرأة وما عليها مـن أثـر الضرب فأنا لا أقدر أن أسكت على هذا وما استريح إلا أن وقفت على حقيقة خبر هذه الصبية وحقيقة خبـر هاتين الكلبتين فقال جعفر يا مولانا قد شرطوا علينا شرطاً وهو أن لا نتكلم فيما لا يعنينا فنسمع مالا يرضينا ثم قامت الدلالة فأخذت العود وأسندته إلى نهدها وغمزته بأناملها وأنشدت تقول:

أن شــكونا الهــوى فمــ ـ ـ ـ ـــإذا نقول أو تلفنا شوقاً فمـاذا السـبيل
أو بعثنــا رســلاً نتــرجم عنــا مــا يــؤدي شــكوى المحــب رســول
أو صــبرنا فمــا لنــا مــن بقــاء بعــد فقــد الأحبــاب إلا قليــل
لــيس إلا تأســفا ثــم حزنــا ودموعــاً علــى الخــدود تســيل
أيهــا الغــائبون عــن لمــح عينــين وعــم فــي الفــؤاد منــي حلــول
هل حفظـتم لـدى الهـوى عهـد صـب لــيس عنــه مــدى الزمــان يحــول
أم نســيتم علــى التباعــد صــبا شــفه فــيكم الضــنى والنحــول
وإذا الحشــر ضــمنا أتمنــى مــن لــدنا وبنــا حســاباً يطــول

فلما سمعت المرأة الثانية شعر الدلالة شقت ثيابها كما فعلت الأولى وصرخت ثم ألقـت نفسـها علـى الأرض مغشياً عليها فقامت الدلالة وألبستها حلة ثانية بعد أن رشت الماء على وجهها ثم قامت المرأة الثالثـة وجلست على سرير وقالت للدلالة غنى لي لا في ديني فما بقي غير هذا الصوت فأصـلحت الدلالـة العـود وأنشد هذه الأبيات:

فـإلى متـى هـذا الصـدود وذا الجفـا فلقد جوى مـن أدمعـي مـا قـد كفـى
كـم قـد أطلـت الهجـر لـي متعمـداً إن كان قصـدك حاسـدي فقـد اشـتفى
لــو أنصــف الــدهر الخــؤون لعاشــق مــا كــان يــوم العــواذل منصــفاً
فلمــن أبــوح بصــبوتي يــا قــاتلي يــا خيبــة الشــاكي إذا فقــد الوفــا
ويزيــد وجــدي فــي هــواك تلهفــاً فمتــى وعــدت ولا رايتــك مخلفــاً
يــا مســلمون خــذوا بنــار متــيم ألــف الشــهادة لديــه طرفــاً مــا غفــا
أيحــل فــي شــرع الغــرام تــذللي ويكــون غيــري بالوصــال مشــرفا
ولقــد كلفــت بحــبكم متلــذذا وغــدا عــذولي فــي الهــوى فتكلفــا

فلما سمعت المرأة الثالثة قصيدتها صرخت وشقت ثيابها وألقت نفسها على الأرض مغشياً عليها فلمـا انكشف جسدها ظهر فيه ضرب المقارع مثل من قبلها فقال الصعاليك ليتنا مادخلنا هذه الدار وكنا بتنا علـى

الكيمان فقد تكدر مبيتنا هنا بشيء يقطع الصلب فالتفت الخليفة إليهم وقال لهم لم ذلك قالوا قد اشتغل سرنا بهذا الأمر فقال الخليفة أما أنتم من هذا البيت قالوا لا ولا ظننا هذا الموضع إلا للرجل الذي عندكم فقال الحمال وا ما رأيت هذا الموضع إلا هذه الليلة وليتني بت على الكيمان ولم أبت فيه فقال الجميع نحن سبعة رجال وهن ثلاث نسوة وليس لهن رابعة فنسألهن عن حالهن فإن لم يجبننا طوعا أجبننا كرهاً واتفق الجميع على ذلك فقال جعفر ما هذا رأي سديد دعوهن فنحن ضيوف عندهن وقد شرطن علينا شرطاً فنوفي به ولم يبق من الليل إلا القليل وكل منا يمضي إلى حال سبيله ثم أنه غمز الخليفة وقال ما بقي غير ساعة وفي غد تحضرهن بين يديك فتسألهن عن قصتهن فأبى الخليفة وقال لم يبق لي صبر عن خبرهن وقد كثر بينهن القيل والقال ثم قالوا ومن يسألهن فقال بعضهم الحمال ثم قال لهم النساء يا جماعة في أي شيء تتكلمون فقام الحمال لصاحبة البيت وقال لها يا سيدتي سألتك با وأقسم عليك به أن تخبرينا عن حال الكلبتين وأي سبب تعاقبينهما ثم تعودين تبكين وتقبلينهما وأن تخبرينا عن سبب ضرب أختك بالمقارع وهذا سؤالنا والسلام فقالت صاحبة المكان للجماعة صحيح ما يقوله عنكم فقال الجميع نعم إلا جعفر فإنه سكت فلما سمعت الصبية كلامهم قالت وا لقد آذيتمونا يا ضيوفنا إلأذية البالغة وتقدم لنا أننا شرطنا عليكم أن من تكلم فيما لا يعنيه سمع مالا يرضيه أما كفا أننا أدخلناكم منزلنا وأطعمناكم زادنا ولكن لا ذنب لكم وأنما الذنب لمن أوصلكم إلينا ثم شمرت عن معصمها وضربت الأرض ثلاث ضربات وقالت عجلوا وإذا بباب خزانة قد فتح وخرج منه سبعة عبيد وبأيديهم سيوف مسلولة وقالت كتفوا هؤلاء الذين كثر كلامهم وأربطوا بعضهم ببعض ففعلوا وقالوا أيتها المخدرة ائذني لنا في ضرب رقابهم فقالت أمهلوهم ساعة حتى أسألهم عن حالهم قبل ضرب رقابهم فقال الحمال با يا سيدتي لا تقتليني بذنب الغير فإن الجميع أخطأوا ودخلوا في الذنب إلا أنا وا لقد كانت ليلتنا طيبة لو سلمنا من هؤلاء الصعاليك الذين لو دخلوا مدينة عامرة لا خربوها ثم أنشد يقول:

ما أحسن الغفران من قادر لا سيما عن غير ذي ناصر
بحرمة الود الذي بيننا لا تقتلي الأول بالآخر

فلما فرغ الحمال من كلامه ضحكت الصبية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

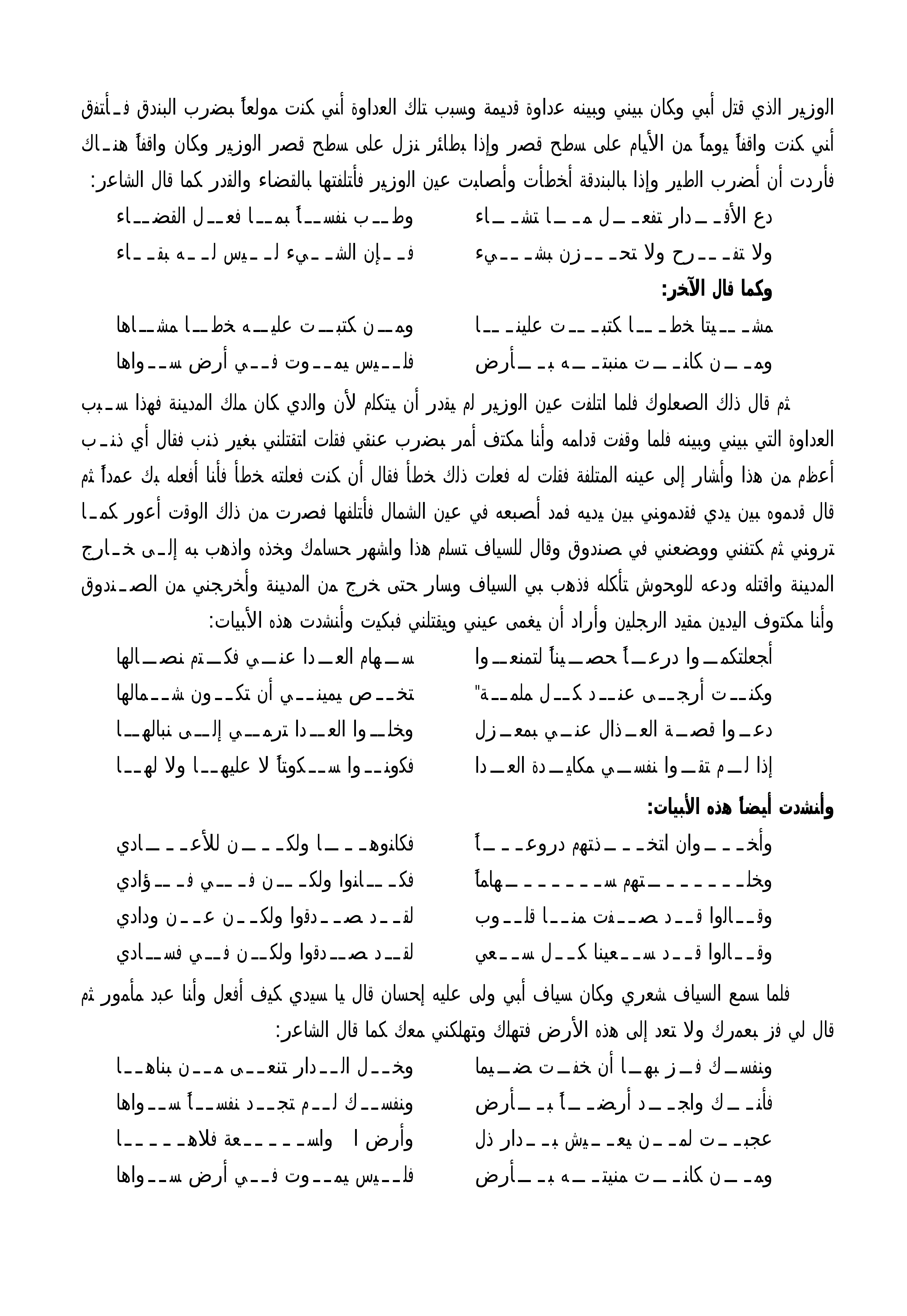
(وفي ليلة ١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية لما ضحكت بعد غيظها أقبلت على الجماعة وقالت أخبروني بخبركم فما بقي من عمركم إلا ساعة ولولا أنتم أعزاء أو أكابر قومكم أو حكام لعجلت جزاءكم فقال الخليفة ويلك يا جعفر عرفها بنا وألا تقتلنا فقال جعفر من بعض ما نستحق فقال له الخليفة لا ينبغي الهزل في وقت الجد كل منهم له وقت ثم أن الصبية أقبلت على الصعاليك وقالت لهم هل أنتم أخوة فقالوا لها لا وا ما نحن إلا فقراء الحجام فقالت لو أحد منهم هل أنت ولدت أعور فقال لا وا وأنما جرى لي أمر غريب حين تلفت عيني ولهذا الأمر حكاية لو كتبت بالأبر على أماق البصر لكانت عبرة لمن أعتبر فسألت الثاني والثالث فقالا لها مثل الأول ثم قالوا أن كل منا من بلد وأن حديثنا عجيب وأمرنا غريب فالتفتت الصبية لهم وقالت كل واحد منكم يحكي حكايته وما سبب مجيئه إلى مكاننا ثم يملس على رأسه ويروح إلى حال سبيله فأول من تقدم الحمال فقال يا سيدتي أنا رجل حمال حملتني هذه الدلالة وأتت بي إلى هنا وجرى لي معكم ما جرى

وهذا حديثي والسلام فقالت له ملس على رأسك وروح فقال وا ما أروح حتى أسمع حديث رفقـائي فتقـدم الصعلوك الأول وقال لها يا سيدتي أن سبب حلق ذقني وتلف عيني أن والدي كان ملكاً وله أخ وكان أخـوه ملكاً على مدينة أخرى واتفق أن أمي ولدتني في اليوم الذي ولد فيه أبن عمي ثم مضت سنون وأعوام وأيـام حتى كبرنا وكنت أزور عمي في بعض السنين وأقعد عنده أشهر عديدة فزرته مرة فاكرمني ابن عمي غايـة الأكرام وذبح لي الأغنام وروق لي المدام وجلسنا للشراب فلما تحكم الشراب فينا قال ابن عمي يا ابن عمـي أن لي عندك حاجة مهمة وأريد أن لا تخالفني فيما أريد أن أفعله فقلت له حباً وكرامة فاستوثق مني بالإيمان العظام ونهض من وقته وساعته وغاب قليلاً ثم عاد وخلفه امرأة مزينة مطيبة وعليها من الحلل ما يسـاوي مبلغاً عظيماً فالتفت إلى والمرأة خلفه وقال خذ هذه المرأة واسبقني على الجبانة الفلانية ووصفها لي فعرفتها وقال ادخل بها التربة وانتظرني هناك فلم يمكني المخالفة ولم أقدر على رد سؤاله لأجل الذي حلفته فأخـذت المرأة وسرت إلى أن دخلت التربة أنا وأياها فلما استقر بنا الجلوس جاء ابن عمي ومعه طاسـة فيهـا مـاء وكيس فيه جبس وقدوم ثم أنه أخذ القدوم وجاء إلى قبر في وسط التربة ففكه ونقض أحجاره إلى ناحية التربة ثم حفر بالقدوم في الأرض حتى كشف عن طابق قدر الباب الصغير فبان من تحت الطابق سلم معقـود ثـم التفت إلى المرأة بالإشارة وقال لها دونك وما تختارين فنزلت المرأة على ذلك السلم ثم التفت إلي وقال يا ابن عمي تمم المعروف إذا نزلت أنا في ذلك الموضع فرد الطابق ورد عليه التراب كما كان وهذا تمام المعروف وهذا الجبس الذي في الكيس وهذا الماء الذي في الطاسة أعجن منه الجبس وجبس القبر في دائـر الأحجـار كما كان أول حتى لا يعرفه أحد ولا يقول هذا فتح جديد وتطيينه عتيق لأن لي سنة كاملة وأنا أعمل فيه وما يعلم به إلا ا وهذه حاجتي عندك ثم قال لي لا أوحش ا منك يا ابن عمي ثم نزل على السلم فلمـا غـاب عني قمت ورددت الطابق وفعلت ما أمرني به حتى صار القبر كما كان ثم رجعت إلى قصر عمـي وكـان عمي في الصيد والقنص فنمت تلك الليلة فلما أصبح الصباح تذكرت الليلة الماضية وما جرى فيها بيني وبين ابن عمي وندمت على ما فعلت معه حيث لا ينفع الندم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية ثم خرجت إلى المقابر وفتشت على التربة فلـم أعرفها ولم أزل أفتش حتى أقبل الليل ولم أهتد إليها فرجعت إلى القصر لم آكل ولم أشـرب وقـد اشـتغل خاطري بابن عمي من حيث لا أعلم له حالاً فاغتممت غماً شديداً وبت ليلتي مغموماً إلى الصباح فجئت ثانياً إلى الجبانة وأنا أتفكر فيما فعله ابن عمي وندمت على سماعي منه وقد فتشت في الترب جميعاً فلـم أعـرف تلك التربة ولازمت التفتيش سبعة أيام فلم أعرف له طريقاً فزاد بي الوسواس حتى كدت أن أجن فلـم أجـد فرجاً دون أن سافرت ورجعت إلى أبي فساعة وصولي إلى مدينة أبي نهض إلى جماعة من بـاب المدينـة وكتفوني فتعجبت كل العجب لأني ابن سلطان المدينة وهم خدم أبي وغلماني ولحقني منهم خوف زائد فقلـت في نفسي يا ترى ما جرى على والدي وصرت أسأل الذين كتفوني عن سبب ذلك فلم يردوا علي جوابـاً ثـم بعد حين قال لي بعضهم وكان خادم عندي إن أباك قد غدر به الزمان وخانته العساكر وقتله الوزير ونحـن نترقب وقوعك فأخذوني وأنا غائب عن الدنيا بسبب هذه الأخبار التي سمعتها من أبي فلما تمثلت بـين يـدي



الوزير الذي قتل أبي وكان بيني وبينه عداوة قديمة وسبب تلك العداوة أني كنت مولعاً بضرب البندق فـاتفق أني كنت واقفاً يوماً من الأيام على سطح قصر وإذا بطائر نزل على سطح قصر الوزير وكان واقفاً هنـاك فأردت أن أضرب الطير وإذا بالبندقة أخطأت وأصابت عين الوزير فأتلفتها بالقضاء والقدر كما قال الشاعر:

دع الأقـدار تفعـل مـا تشـاء ... وطـب نفسـاً بمـا فعـل القضـاء

ولا تفـرح ولا تحـزن بشـيء ... فـإن الشـيء لـيس لـه بقـاء

وكما قال الآخر:

مشـينا خطـا كتبـت علينـا ... ومـن كتبـت عليـه خطـا مشـاها

ومـن كانـت منيتـه بـأرض ... فلـيس يمـوت فـي أرض سـواها

ثم قال ذلك الصعلوك فلما اتلفت عين الوزير لم يقدر أن يتكلم لأن والدي كان ملك المدينة فهذا سـبب العداوة التي بيني وبينه فلما وقفت قدامه وأنا مكتف أمر بضرب عنقي فقلت اتقتلني بغير ذنب فقال أي ذنـب أعظم من هذا وأشار إلى عينه المتلفة فقلت له فعلت ذلك خطأ فقال أن كنت فعلته خطأ فأنا أفعله بك عمداً ثم قال قدموه بين يدي فقدموني بين يديه فمد أصبعه في عين الشمال فأتلفها فصرت من ذلك الوقت أعور كمـا ترونى ثم كتفني ووضعني في صندوق وقال للسياف تسلم هذا واشهر حسامك وخذه واذهب به إلـى خـارج المدينة واقتله ودعه للوحوش تأكله فذهب بي السياف وسار حتى خرج من المدينة وأخرجني من الصـندوق وأنا مكتوف اليدين مقيد الرجلين وأراد أن يغمى عيني ويقتلني فبكيت وأنشدت هذه الأبيات:

أجعلتكمـوا درعـاً حصـيناً لتمنعـوا ... سـهام العـدا عنـي فكـنتم نصـالها

وكنـت أرجـى عنـد كـل ملمـة" ... تخـص يمينـي أن تكـون شـمالها

دعـوا قصـة العـذال عنـي بمعـزل ... وخلـوا العـدا ترمـي إلـى نبالهـا

إذا لـم تقـوا نفسـي مكايـدة العـدا ... فكونـوا سـكوتاً لا عليهـا ولا لهـا

وأنشدت أيضاً هذه الأبيات:

وأخـوان اتخـذتهم دروعـاً ... فكانوهـا ولكـن للأعـادي

وخلـتهم سـهاماً ... فكـانوا ولكـن فـي فـؤادي

وقـالوا قـد صـفت منـا قلـوب ... لقـد صـدقوا ولكـن عـن ودادي

وقـالوا قـد سـعينا كـل سـعي ... لقـد صـدقوا ولكـن فـي فسـادي

فلما سمع السياف شعري وكان سياف أبي ولى عليه إحسان قال يا سيدي كيف أفعل وأنا عبد مأمور ثم قال لي فز بعمرك ولا تعد إلى هذه الأرض فتهلك وتهلكني معك كما قال الشاعر:

ونفسـك فـز بهـا أن خفـت ضـيما ... وخـل الـدار تنعـى مـن بناهـا

فأنـك واجـد أرضـاً بـأرض ... ونفسـك لـم تجـد نفسـاً سـواها

عجبـت لمـن يعـيش بـدار ذل ... وأرض ا واسـعة فلاهـا

ومـن كانـت منيتـه بـأرض ... فلـيس يمـوت فـي أرض سـواها

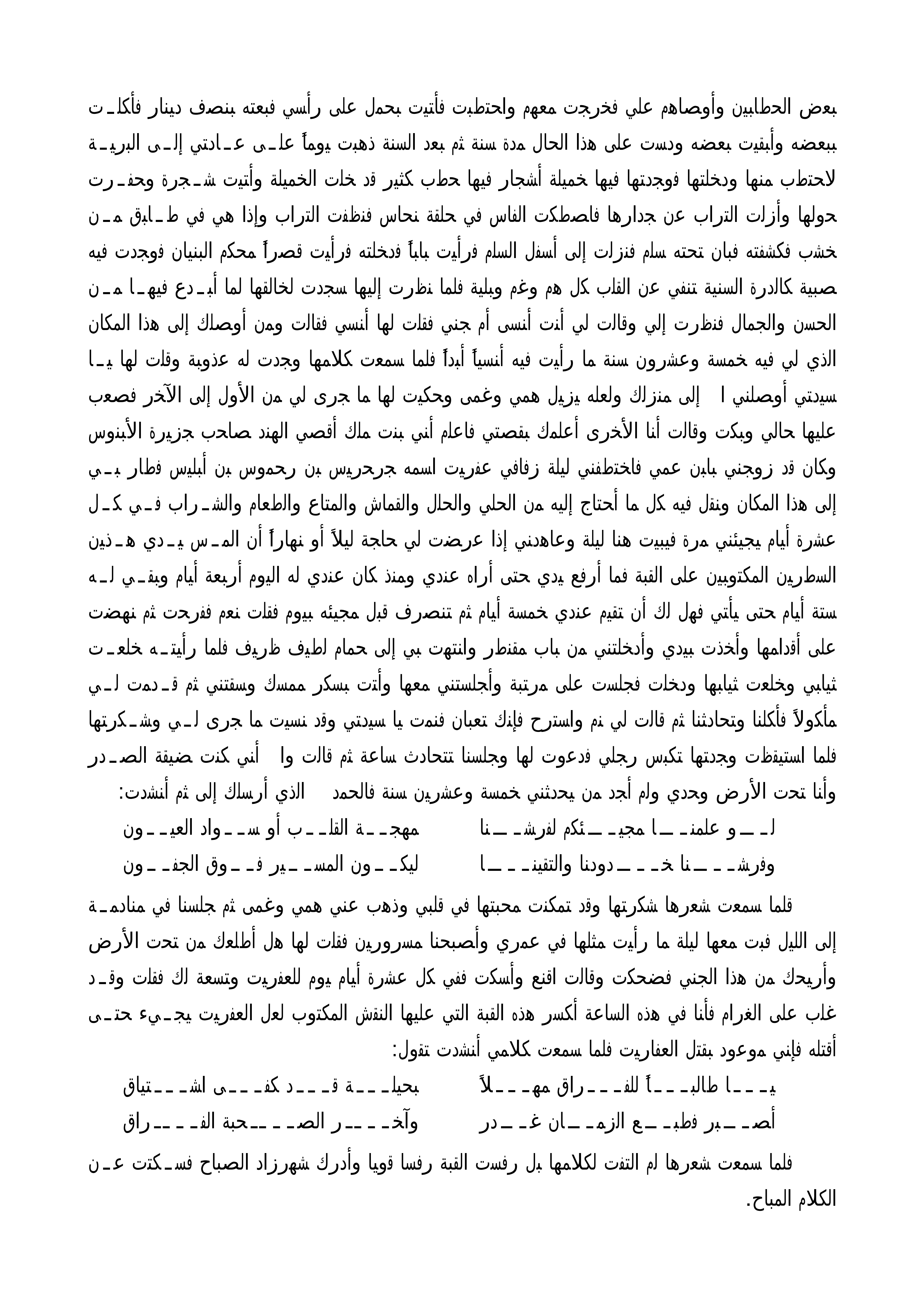
ومـا غاظـت رقـاب الأسـد حتـى بأنفسـها تولـت مـا عناهـا

فلما قال لي ذلك قبلت يديه وما صدقت بالنجاة حتى فررت وهان على تلف عيني بنجاتي من القتل وسافرت حتى وصلت إلى مدينة عمي فدخلت عليه وأعلمته بما جرى لوالدي وبما جرى لي من تلف عيني فبكى بكاء شديداً وقال لقد زدتني هماً على همي وغماً على غمي فإن ابن عمك قد فقد منذ أيام ولم أعلم بما جرى له ولم يخبرنى أحد بخبره وبكى حتى أغمى عليه فلما استفاق قال يا ولدى لقد حزنت على ابن عمك حزنا شديدا وأنت زدتنى بما حصل لأبيك غما على غمى ولكن يا ولدي بعينك ولا بروحك ثم أنه لم يمكني السكوت عن ابن عمي الذي هو ولده فأعلمته بالذي جرى له كله ففرح عمي بما قلته له فرحاً شديداً عند سماع خبر ابنه وقال أرني التربة فقلت وا يا عمي لم أعرف مكانها لأني رجعت بعد ذلك مرات لأفتش عليها فلم أعرف مكانها ثم ذهبت أنا وعمي إلى الجبانة ونظرت يميناً وشمالاً فعرفتها ففرحت أنا وعمي فرحاً شديداً ودخلت أنا وأياه التربة وأزحنا التراب ورفعنا لطابق ونزلت أنا وعمي مقدار خمسين درجة فلما وصلنا إلى آخر السلم وإذا بدخان طلع علينا فغشي أبصارنا فقال عمي الكلمة التي لا يخاف قائلها وهي لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم ثم مشينا وإذا نحن بقاعة ممتلئة دقيقاً وحبوباً ومأكولات وغير ذلك ورأينا في وسط القاعة ستارة مسبولة على سرير فنظر عمي إلى السرير فوجد ابنه هو والمرأة التي قد نزلت معه صارا فحما أسود وهما متعانقان كأنهما القيا في جب نار فلما نظر عمي ذلك بصق في وجهه وقال تستحق يا خبيث فهذا عذاب الدنيا وبقي عذاب الآخرة وهو أشد وأبقى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية والجماعة والخليفة وجعفر يستمعون الكلام ثم أن عمي ضرب ولده بالنعال وهو راقد كالفحم الأسود فتعجبت من ضربه وحزنت على ابن عمي حيث صار هو والصبية فحماً أسود ثم قلت با يا عمي خفف الهم عن قلبك فقد اشتغل سري وخاطري بما قد جرى لولدك وكيف صار هو والصبية فحماً أسود أما يكفيك ما هو فيه حتى تضربه بالنعال فقال يا ابن أخي أن ولدي هذا كان من صغره مولعاً بحب أخته وكنت أنهاه عنها وأقول في نفسي أنهما صغيران فلما كبر أوقع بينهما القبح وسمعت بذلك ولم أصدق ولكن زجرته زجراً بليغاً وقلت له أحذر من هذه الفعال القبيحة التي لم يفعلها أحد قبلك ولا يفعلها أحد بعدك وألا نبقى بين الملوك بالعار والنقصان إلى الممات وتشيع أخبارنا مع الركبان وأياك أن تصدر منك هذه الفعال فإني أسخط عليك وأقتلك ثم حجبته عنها وحجبتها عنه وكانت الخبيثة تحبه محبة عظيمة وقد تمكن الشيطان منها فلما رآني حجبته فعل هذا المكان الذي تحت الأرض خفية ونقل فيه المأكول كما تراه واستغفلني لما خرجت إلى الصيد وأتى إلى هذا المكان فغار عليه وعليها الحق سبحانه وتعالى وأحرقهما ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ثم بكى وبكيت معه وقال لي أنت ولدي عوضاً عنه ثم أني تفكرت ساعة في الدنيا وحوادثها من قتل الوزير لوالدي وأخذ مكانه وتلف عيني وما جرى لابن عمي من الحوادث الغريبة فبكيت ثم أننا صعدنا ورددنا الطابق والتراب وعملنا القبر كما كان ثم رجعنا إلى منزلنا فلم يستقر بيننا الجلوس حتى سمعنا دق طبول وبوقات ورمحت الأبطال وامتلأت الدنيا بالعجاج والغبار من حوافر الخيل فحارت عقولنا ولم نعرف الخبر فسأل الملك عن الخبر فقيل أن وزير أخيك قتله وجمع العسكر

والجنود وجاء بعسكره ليهجموا على المدينة في غفلة وأهل المدينة لم يكن لهم طاقة بهم فسلموا إليه فقلت في نفسي متى وقعت أنا في يده قتلني وتراكمت الأحزان وتذكرت الحوادث التي حدثت لأبي وأمي ولم أعـرف كيف العمل فإن ظهرت عرفني أهل المدينة وعسكر أبي فيسعون في قتلي وهلاكي فلم أجد شيئاً أنجوبـه إلا حلق ذقني فحلقتها وغيرت ثيابي وخرجت من المدينة وقصدت هذه المدينة والسلام لعل أحداً يوصـلني إلـى أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين حتى أحكي له قصتي وما جرى لي فوصلت إلى هذه المدينة في هذه الليلة فوقفت حائراً ولم أدر أين أمضي وإذا بهذا الصعلوك واقف فسلمت عليه وقلت له أنا غريب فقال وأنا غريب أيضاً فبينما نحن كذلك وإذا برفيقنا هذا الثالث جاءنا وسلم علينا وقال أنا غريب فقلنا له ونحن غريبان فمشينا وقد هجم علينا الظلام فساقنا القدر إليكم وهذا سبب حلق ذقني وتلف عيني فقالت لى الصبية ملس على رأسك ورح فقال لها لا أروح حتى أسمع خبر غيري فتعجبوا من حديثه فقال الخليفة لجعفر وا أنا ما رأيت مثـل الذي جرى لهذا الصعلوك ثم تقدم الصعلوك الثاني وقبل الأرض وقال يا سيدتي أنا ما ولدت أعور وأنما لـي حكاية عجيبة لو كتبت بالأبر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فأنا ملك بن ملك وقرأت القرآن على سبع روايات وقرأت الكتب على أربابها من مشايخ العلم وقرأت علم النجوم وكلام الشعراء واجتهـدت فـي سائر العلوم حتى فقت أهل زماني فعظم حظي عند سائر الكتبه وشاع ذكري في سائر الأقاليم والبلدان وشاع خبري عند سائر الملوك فسمع بي ملك الهند فأرسل يطلبني من أبي وأرسل إليه هدايا وتحفاً تصلح للملـوك فجهزني أبي في ست مراكب وسرنا في البحر مدة شهر كامل حتى وصلنا إلى البر وأخرجنا خيلاً كانت معنا في المركب وحملنا عشرة جمال هدايا ومشينا قليلاً وإذا بغبار قد علا وثار حتى سد الأقطار واستمر سـاعة من النهار ثم انكشف فبان من تحته ستون فارساً وهم ليوث عوابس فتأملناهم وإذا هم عرب قطاع طريق فلما رأونا ونحن نفر قليل ومعنا عشرة أحمال هدايا لملك الهند رمحوا علينا وشرعوا الرماح بين أيـديهم نحونـا فأشرنا إليهم بالأصابع وقلنا لهم نحن رسل إلى ملك الهند المعظم فلا تؤذونا فقالوا نحن لسنا في أرضـه ولا تحت حكمه ثم أنهم قتلوا بعض الغلمان وهرب الباقون وهربت أنا بعد أن جرحت جرحاً بليغاً واشتغلت عنـا العرب بالمال والهدايا التي كانت معنا فصرت لا أدري أين أذهب وكنت عزيزاً فصرت ذليلاً وسرت إلى أن تأتيت رأس الجبل فدخلت مغارة حتى طلع النهار ثم سرت منها حتى وصلت إلى مدينة عامرة بالخير قد ولى عنها الشتاء ببرده وأقبل عليها الربيع بورده ففرحت بوصولي إليها وقد تعبت مـن المشـي وعلانـي الهـم والأصفرار فتغيرت حالتي ولا أدري أين أسلك فملت إلى خياط في دكان وسلمت عليه فـرد علـى السـلام ورحب بي وباسطني وسألني عن سبب غربتي فأخبرته بما جرى لي من أوله إلى آخره فأغتم لأجلي وقـال يافتى لا تظهر ما عندك فإني أخاف عليك من ملك هذه المدينة لأنه أكبر أعداء أبيك وله عنده ثار ثم أحضر لي مأكولاً ومشروباً فأكلت وأكل معي وتحادثت معه في الليل وأخلى لي محلاً في جانب حانوته وأتاني بمـا احتاج إليه من فراش وغطاء فأقمت عنده ثلاثة أيام ثم قال لي أما تعرف صنعة تكتسب بها فقلت له أني فقيه طالب علم كاتب حاسب فقال أن صنعتك في بلادنا كاسدة وليس في مدينتنا من يعرف علماً ولا كتابـة غيـر المال فقلت وا لا أدري شيئاً غير الذي ذكرته لك فقال شد وسطك وخذ فأسا وحبلاً واحتطب فـي البريـة حطباً تتقوت به إلى أن يفرج ا عنك ولا تعرف أحداً بنفسك فيقتلوك ثم اشتري لي فأساً وحبلاً وأرسلني مع



بعض الحطابين وأوصاهم علي فخرجت معهم واحتطبت فأتيت بحمل على رأسي فبعته بنصف دينار فأكلـت ببعضه وأبقيت بعضه ودمت على هذا الحال مدة سنة ثم بعد السنة ذهبت يوماً علـى عـادتي إلـى البريـة لاحتطب منها ودخلتها فوجدتها فيها خميلة أشجار فيها حطب كثير قد خلت الخميلة وأتيت شـجرة وحفـرت حولها وأزلت التراب عن جدارها فاصطكت الفاس في حلقة نحاس فنظفت التراب وإذا هي في طـابق مـن خشب فكشفته فبان تحته سلم فنزلت إلى أسفل السلم فرأيت باباً فدخلته فرأيت قصراً محكم البنيان فوجدت فيه صبية كالدرة السنية تنفي عن القلب كل هم وغم وبلية فلما نظرت إليها سجدت لخالقها لما أبـدع فيهـا مـن الحسن والجمال فنظرت إلي وقالت لي أنت أنسى أم جني فقلت لها أنسي فقالت ومن أوصلك إلى هذا المكان الذي لي فيه خمسة وعشرون سنة ما رأيت فيه أنسياً أبداً فلما سمعت كلامها وجدت له عذوبة وقلت لها يـا سيدتي أوصلني ا إلى منزلك ولعله يزيل همي وغمى وحكيت لها ما جرى لي من الأول إلى الآخر فصعب عليها حالي وبكت وقالت أنا الأخرى أعلمك بقصتي فاعلم أني بنت ملك أقصي الهند صاحب جزيرة الأبنوس وكان قد زوجني بابن عمي فاختطفني ليلة زفافي عفريت اسمه جرجريس بن رجموس بن أبليس فطار بـي إلى هذا المكان ونقل فيه كل ما أحتاج إليه من الحلي والحلل والقماش والمتاع والطعام والشـراب فـي كـل عشرة أيام يجيئني مرة فيبيت هنا ليلة وعاهدني إذا عرضت لي حاجة ليلاً أو نهاراً أن المـس يـدي هـذين السطرين المكتوبين على القبة فما أرفع يدي حتى أراه عندي ومنذ كان عندي له اليوم أربعة أيام وبقـي لـه ستة أيام حتى يأتي فهل لك أن تقيم عندي خمسة أيام ثم تنصرف قبل مجيئه بيوم فقلت نعم ففرحت ثم نهضت على أقدامها وأخذت بيدي وأدخلتني من باب مقنطر وانتهت بي إلى حمام لطيف ظريف فلما رأيتـه خلعـت ثيابي وخلعت ثيابها ودخلت فجلست على مرتبة وأجلستني معها وأتت بسكر ممسك وسقتني ثم قـدمت لـي مأكولاً فأكلنا وتحادثنا ثم قالت لي نم واسترح فإنك تعبان فنمت يا سيدتي وقد نسيت ما جرى لـي وشـكرتها فلما استيقظت وجدتها تكبس رجلي فدعوت لها وجلسنا نتحادث ساعة ثم قالت وا أني كنت ضيقة الصـدر وأنا تحت الأرض وحدي ولم أجد من يحدثني خمسة وعشرين سنة فالحمد الذي أرسلك إلى ثم أنشدت:

لـــو علمنـــا مجيـــئكم لفرشـــنا	مهجـــة القلـــب أو ســـواد العيـــون
وفرشـــنا خـــــدودنا والتقينـــا	ليكـــون المســـير فـــوق الجفـــون

قلما سمعت شعرها شكرتها وقد تمكنت محبتها في قلبي وذهب عني همي وغمى ثم جلسنا في منادمـة إلى الليل فبت معها ليلة ما رأيت مثلها في عمري وأصبحنا مسرورين فقلت لها هل أطلعك من تحت الأرض وأريحك من هذا الجني فضحكت وقالت اقنع وأسكت ففي كل عشرة أيام يوم للعفريت وتسعة لك فقلت وقـد غلب على الغرام فأنا في هذه الساعة أكسر هذه القبة التي عليها النقش المكتوب لعل العفريت يجـيء حتـى أقتله فإني موعود بقتل العفاريت فلما سمعت كلامي أنشدت تقول:

يـــا طالبـــاً للفـــراق مهـــلاً	بحيلـــة قـــد كفـــى اشـــتياق
أصـــبر فطبـــع الزمـــان غـــدر	وآخـــــر الصـــــحبة الفـــــراق

فلما سمعت شعرها لم التفت لكلامها بل رفست القبة رفسا قويا وأدرك شهرزاد الصباح فسـكتت عـن الكلام المباح.

(ففي ليلة ١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصعلوك الثاني قال للصبية يا سيدتي لما رفست القبة رفساً قوياً قالت لي المرأة أن العفريت قد وصل إلينا أما حذرتك من هذا وا لقد آذيتني ولكن أنج بنفسك وأطلع من المكـان الذي جئت منه فمن شدة خوفي نسيت نعلي وفاسي فلما طلعت درجتين التفت لانظرهما فرأيـت الأرض قـد انشقت وطلع منها عفريت ذو منظر بشع وقال ما هذه الزعجة التي أرعشتني بها فما مصـيبتك فقالـت مـا أصابني شيء غير أن صدري ضاق فأردت أن أشرب شراباً يشرح صدري فنهضت لأقضي أشغالي فوقعت على القبة فقال لها العفريت تكذبين يا فاجرة ونظر في القصر يميناً وشمالاً فرأى النعل والفاس فقال لها مـا هذه الا متاع الإنس من جاء إليك فقالت ما نظرتهما إلا في هذه الساعة ولعلهما تعلقا معك فقال العفريت هـذا كلام محال لا ينطلي على يا عاهرة ثم أنه أعراها وصلبها بين أربعة أوتاد وجعل يعاقبها ويقررها بما كـان فلم يهن على أن أسمع بكاءها فطلعت من السلم مذعوراً من الخوف فلما وصلت إلى أعلى الموضـع رددت الطابق كما كان وسترته بالتراب وندمت على ما فعلت غاية الندم وتذكرت الصبية وحسنها وكيف يعاقبها هذا الملعون وهي لها معه خمسة وعشرون سنة وما عاقبها إلا بسببي وتذكرت أبي ومملكته وكيف صرت حطاباً فقلت هذا البيت:

إذا مـا أتـاك الـدهر يومـاً بنكبـة	فيوم تـرى يسـراً ويـوم تـرى عسـراً

ثم مشيت إلى أن أتيت رفيقي الخياط فلقيته من أجلي على مقالي النار وهو لي في الانتظار فقال أنـي بيت البارحة وقلبي عندك وخفت عليك من وحش أو غيره فالحمد على سلامتك فشكرته على شفقته علـي ودخلت خلوتي وجعلت أتفكر فيما جرى لي والوم نفسي على رفسي هذه القبة وإذا بصديقي الخياط دخل علي وقال لي في الدكان شخص أعجمي يطلبك ومعه فأسك ونعلك قد جاء بهما إلى الخياطين وقـال لهـم أنـي خرجت وقت آذان المؤذن لأجل صلاة الفجر فعثرت بهما ولم أعلم لمن هما فدلوني علـى صـاحبها فدلـه الخياطون عليك وها هو قاعد في دكاني فأخرج إليه وأشكره وخذ فأسك ونعلك فلما سمعت هذا الكلام أصفر لوني وتغير حالي فبينما أنا كذلك وإذا بأرض محلي قد انشقت وطلع منها الأعجمي وإذا هو العفريت وقد كان عاقب الصبية غاية العقاب فلم تقر له بشيء فأخذ الفاس والنعل وقال لها أن كنت جرجر يس من ذرية أبليس فأنا أجيء بصاحب هذا الفاس والنعل ثم جاء بهذه الحيلة إلى الخياطين ودخل علي ولم يمهلني بل اختطفنـي وطار وعلا بي ونزل بي وغاص في الأرض وأنا لا أعلم بنفسي ثم طلع بي القصر الذي كنت فيـه فرأيـت الصبية عريانة والدم يسيل من جوانبها فقطرت عيناي بالدموع فأخذها العفريت وقال لها يـا عـاهرة هـذا عشيقك فنظرت إلي وقالت له لا أعرفه ولا رأيته إلا في هذه الساعة فقال لها العفريت لهذه العقوبة ولم تقري فقالت ما رأيته عمري وما يحل من السيف وجاءتني ووقفت على رأسي فأشرت لها بحاجبي ودمعي يجـري على وجنتي فنهضت وغمزتني وقالت أنت الذي فعلت بنا هذا كله فأشرت لها أن هذا وقت العفو ولسان حالي يقول:

يتـرجم طرفـي عـن لسـاني لتعلمـوا	ويبـدوا لككـم مـا كـان دري يكـتم
ولمـا التقينـا والـدموع سـواجم	خرسـت وطرفـي بـالهوى يـتكلم

تشير لنا عما تقول بطرفها   وأرمي إليها بالبنان فتفهم
حواجبنا تقضي الحوائج بيننا   فنحن سكوت والهوى يتكلم

فلما فهمت الصبية أشارتي رمت السيف من يدها يا سيدتي فناولني العفريت السيف وقال لي أضرب عنقها وأنا أطلقك ولا أندم عليك فقلت نعم وأخذت السيف وتقدمت بنشاط ورفعت يدي فقالت لي بحاجبها أنا ما قصرت في حقك فهملت عيناي بالدموع ورميت السيف من يدي وقلت أيها العفريت الشديد والبطل الصنديد إذا كانت امرأة ناقصة عقل ودين لم تستحل ضرب عنقي فكيف يحل لي أن أضرب عنقها ولم أرها عمري فلا أفعل ذلك أبداً ولو سقيت من الموت كأس الردى فقال العفريت أنتما بينكما مودة أخذ السيف وضرب يد الصبية فقطعها ثم ضرب الثانية فقطعها ثم قطع رجلها اليمنى ثم قطع رجلها اليسرى حتى قطع أرباعها بأربع ضربات وأنا أنظر بعيني فأيقنت بالموت ثم أشارت إلي بعينيها فرآها العفريت فقال لها قد زنيت بعينك ثم ضربها فقطع رأسها والتفت إلي وقال يا أنسي نحن في شرعنا إذا زنت الزوجة يحل لنا قتلها وهذه الصبية اختطفتها ليلة عرسها وهي بنت أثنتي عشرة سنة ولم تعرف أحداً غيري وكنت أجيئها في كل عشرة أيام ليلة واحدة في زي رجل أعجمي فلما تحققت أنها خانتني قتلتها وأما أنت فلم أتحقق أنك خنتني فيها ولكن لابد أني ما أخليك في عافية فتمن علي أي ضرر ففرحت يا سيدتي غاية الفرح وطمعت في العفريت وقلت له وما أتمناه عليك قال أتمن علي أي صورة أسحرك فيها أما صورة كلب وأما صورة حمار وأما صورة قرد فقلت له وقد طمعت أنه يعفو عني وا أن عفوت عني يعفو ا عنك بعفوك عن رجل مسلم لم يؤذيك وتضرعت إليه غاية التضرع وبقيت بين يديه وقلت له أنا مظلوم فقال لي لا تطل علي الكلام أما القتل فلا تخف منه وأما العفو عنك فلا تطمع فيه وأما سحرك فلابد منه ثم شق الأرض وطار بي إلى الجو حتى نظرت إلى الدنيا تحتي كأنها قطعة ماء ثم حطني على جبل وأخذ قليلاً من التراب وهمهم عليه وتكلم ورشني وقال اخرج من هذه الصورة إلى صورة قرد فمن ذلك الوقت صرت قرد ابن مائة سنة فلما رأيت نفسي في هذه الصورة القبيحة بكيت على روحي وصبرت على جور الزمان وعلمت أن الزمان ليس لأحد وانحدرت من أعلى الجبل إلى أسفله وسافرت مدة شهر ثم ذهبت إلى شاطيء البحر المالح فوقفت ساعة وإذا أنا بمركب في وسط البحر قد طاب ريحها وهي قاصدة البر فاختفيت خلف صخرة على جانب البحر وسرت إلى أن أتيت وسط المركب فقال واحد منهم اخرجوا هذا المشئوم من المركب وقال واحد منهم نقتله وقال آخر أقتله بهذا السيف فامسكت طرف السيف وبكيت وسالت دموعي فحن علي الريس وقال لهم يا تجار أن هذا القرد استجار بي وقد أجرته وهو في جواري فلا أحد يعرض له ولا يشوش عليه ثم أن الريس صار يحسن إلي ومهما تكلم به أفهمه وأقضي حوائجه كلها وأخدمه في المركب وقد طاب لها الريح مدة خمسين يوماً فرسينا على مدينة عظيمة وفيها عالم كثير لا يحصى عددهم إلا ا تعالى فساعة وصولنا أوقفنا مركبنا فجاءتنا مماليك من طرف ملك المدينة فنزلوا المركب وهنوا التجار بالسلامة وقالوا أن ملكنا يهنيكم بالسلامة وقد أرسل إليكم هذا الدرج الورق وقال كل واحد يكتب فيه سطراً فقمت وأنا في صورة القرد وخطفت الدرج من أيديهم فخافوا أني أقطعه وأرميه في الماء فنهروني وأرادوا قتلي فأشرت لهم أني أكتب فقال لهم الريس دعوه

يكتب فإن لخبط الكتابة طردناه عنا وإن أحسنها أتخذته ولداً فإني ما رأيت قرداً أفهم منـه ثـم أخـذ القلـم واستمديت الحبر وكتبت سطراً بقلم الرقاع ورقمت هذا الشعر:

لقــد كتــب الــدهر فضــل الكــرام   وفضــــلك لــــلآن لا يحســــب
فــلا أيــتم ا منــك الــورى   لأنـــك للفضـــــل نعـــــم الأب"

(وكتبت بقلم الثلث هذين البيتين)

ومـــا مـــن كاتـــب إلا ســـيفنى   ويبقــى الــدهر مــا كتبــت يــداه
فــلا تكتــب بخطــك غيــر شــيء   يســـرك فـــي القامـــة أن تـــراه

(وكتبت تحته بقلم المشق هذين البيتين)

إذا فتحــــت دواة العــــز والــــنعم   فاجعل مـدادك مـن جـود ومـن كـرم
واكتــب بخيــر إذا مــا كنــت مقتــدرا   بــذاك شــرفت فضــلاً نســبة القلــم

ثم ناولتهم ذلك الدرج الورق فطلعوا به إلى الملك فلما تأمل الملك مافي ذلك الدرج لم يعجبه خط أحـد إلا خطي فقال لأصحابه توجهوا إلى صاحب هذا الخط وألبسوه هذه الحلة وأركبوه بغلـة وهـاتوه بالنوبـة وأحضروه بين يدي فلما سمعوا كلام الملك تبسموا فغضب منهم ثم قال كيف آمركم بأمر فتضـحكون علـي فقالوا أيها الملك ما نضحك على كلامك بل الذي كتب هذا الخط قرد وليس هو آدمياً وهو مع ريس المركـب فتعجب الملك من كلامهم واهتز من الطرب وقال أريد أن أشتري هذا القرد ثم بعث رسلاً إلى المركب ومعهم البغلة والحلة وقال لابد أن تلبسوه هذه الحلة وتركبوه البغلة وتأتوا به فساروا على المركب وأخـذوني مـن الريس والبسوني الحلة فاندهش الخلائق وصاروا يتفرجون علي فلما طلعوا بي إلى الملـك ورأيتـه قبلـت الأرض بين يديه ثلاث مرات فأمرني بالجلوس فجلست على ركبتي فتعجب الحاضرون من أدبي وكان الملك أكثرهم تعجباً ثم أن الملك أمر الخلق بالإنصراف فانصرفوا ولم يبق إلا الملك والطواشي ومملوك صغير وأنا ثم أمر الملك بطعام فقدموا سفرة طعام فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين فأشار إلى الملـك أن كـل فقمـت وقبلت الأرض بين يديه سبع مرات وجلست آكل معه وقد أرتفعت السفرة وذهبت فغسلت يدي وأخذت الدواة والقلم والقرطاس وكتبت هذين البيتين:

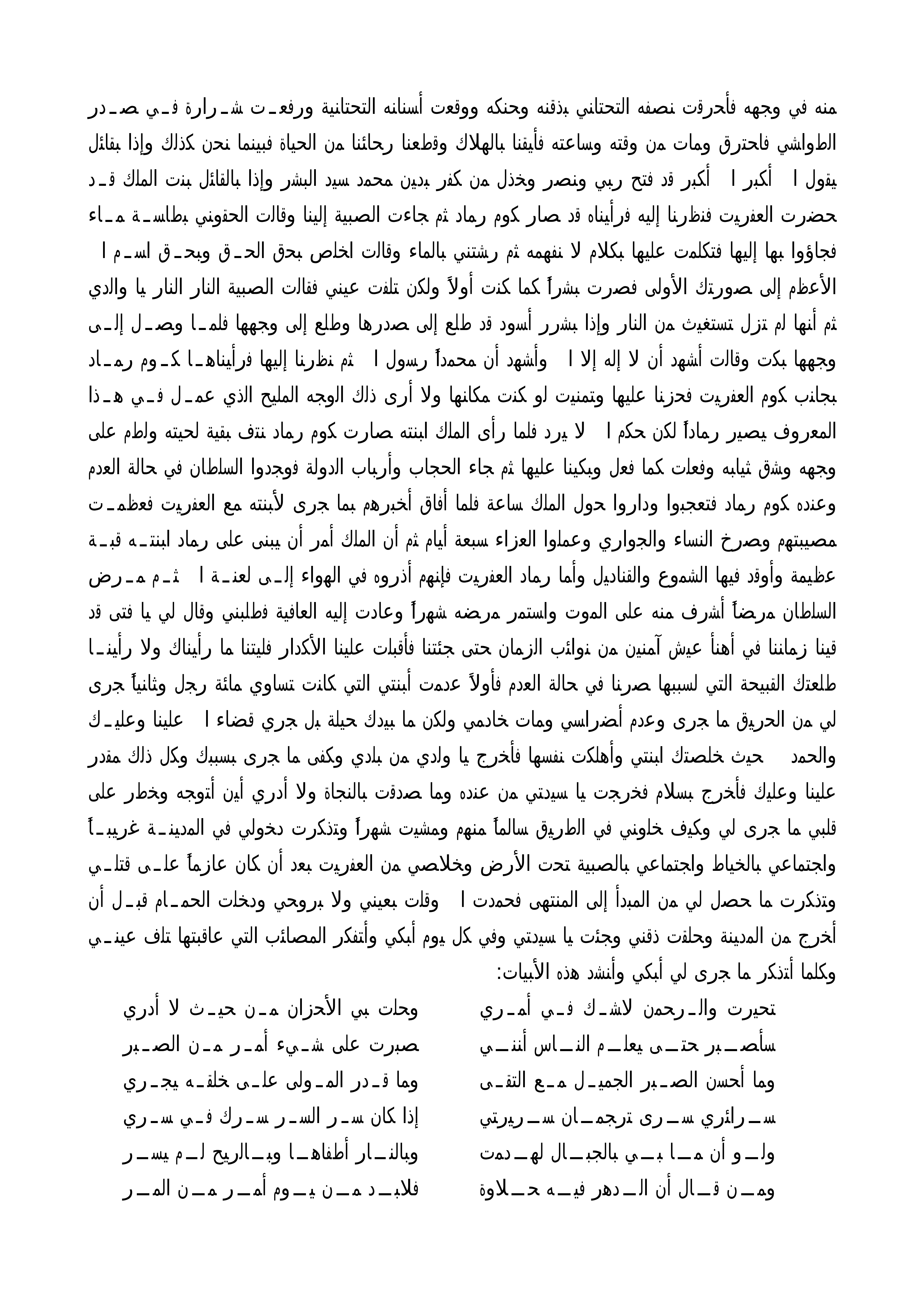
أنـــاجر الضـــأن تريـــاق مـــن العلـــل   وأصـــحن الحلـــو فيهـــا منتهـــى أملـــى
يا لهـف قلبـي علـى مـد السـماط إذا   ماحـــت كنافتـــه بالســـمن والعســـلي

ثم قمت وجلست بعيداً أنتظر الملك إلى ما كتبته وقرأه فتعجب وقال هذا لا يكون عند قرد هذه الفصاحة وهذا الخط وا أن هذا من أعجب العجب ثم قدم الملك شطرنج فقال لي الملك أتلعب قلت برأسي نعم فتقدمت وصففت الشطرنج ولعبت معه مرتين فغلبته فحار عقل الملك وقال لو كان هذا أدمياً لفاق أهل زمانه ثم قـال لخادمه اذهب إلى سيدتك وقل لها كلمي الملك حتى تجيء فتتفرج على هذا القرد العجيب فـذهب الطواشـي وعاد ومعه سيدته بنت الملك فلما نظرت إلي غطت وجهها وقالت يا أبي كيف طاب على خاطرك أن ترسل إلي فيراني الرجال الأجانب فقال يا بنتي ما عندي سوى المملوك الصغير والطواشي الذي رباك وهذا القـرد

وأنا أبوك فممن تغطين وجهك فقالت أن هذا القرد ابن ملك واسم أبيه أيمار صاحب جزائر الأبنوس الداخله وهو مسحور سحره العفريت جرجريس الذي هو من ذرية أبليس وقد قتل زوجته بنت ملك أقنـاموس وهـذا الذي تزعم أنه قرد أنما هو رجل عالم عاقل فتعجب الملك من ابنته ونظر إلي وقال أحق ما تقول عنك فقلت برأسي نعم وبكيت فقال الملك لبنته من أين عرفت أنه مسحور فقالت يا أبت كان عندي وأنا صغيرة عجـوز ماكرة ساحرة علمتني صناعة السحر وقد حفظته وأتقنته وعرفت مائة وسبعين باباً من أبوابه أقل باب منهـا أنقل به حجارة مدينتك خاف جبل قاف وأجعلها لجة بحراً وأجعل أهلها سمكاً في وسطه فقال أبوها بحق اسم الله عليك أن تخلصي لنا هذا الشاب حتى أجعله وزيري وهل فيك هذه الفضيلة ولم أعلم فخلصه حتى أجعلـه وزيري لأنه شاب ظريف لبيب فقالت له حباً وكرامة ثم أخذت بيدها سكيناً وعملت أثـره وأدرك شـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية يا سيدتي ثم أن بنت الملك أخذت بيدها سـكيناً مكتوباً عليها أسماء عبرانية وخطت بها دائرة في وسط وكتبت فيها أسماء وطلاسم وعزمت بكـلام وقـرأت كلاماً لا يفهم فبعد ساعة أظلمت علينا جهات القصر حتى ظننا أن الدنيا قد أنطلقت علينا وإذا بالعفريـت قـد تدلى علينا في أقبح صفة بأيد كالمداري ورجلين كالصواري وعينين كمشعلين يوقدان ناراً ففزعنا منه فقالـت بنت الملك لا أهلاً بك ولا سهلاً فقال العفريت وهو في صورة أسد يا خائنة كيف خنت اليمين أما تحالفنا على أنه لا يتعرض أحد للآخر فقالت له يالعين ومن أين لك يمين فقال العفريت خذي ما جاءك ثم انقلب أسداً وفتح فاه وهجم على الصبية فأسرعت وأخذت شعرة من شعرها بيدها وهمهمت بشفتيها فصـارت الشـعرة سـيفاً ماضياً وضربت ذلك الأسد نصفين فصارت رأسه عقرباً وانقلبت الصبية حيه عظيمة وهمهمت علـى هـذا اللعين وهو في صفة عقرب فتقاتلا قتالاً شديداً ثم أنقلب العقرب عقابا فانقلبت الحية نسـراً وصـارت وراء العقاب واستمر ساعة زمانية ثم انقلب العقاب قطاً أسود فانقلبت الصبية ذئباً فتشاحنا في القصر ساعة زمانية وتقاتلا قتالاً شديداً فرأي القط نفسه مغلوباً فانقلب وصار رمانة حمراء كبيرة ووقعت تلك الرمانة في بركـة فقصدها الذئب فارتفعت في الهواء ووقعت على بلاط القصر فانكسرت وانتثر الحب كل حبة وحدها وامتلأت أرض القصر حباً فانقلب ذلك الذئب ديكاً لأجل أن يلتقط ذلك الحب حتى لا يترك منه حبة فبـالأمر المقـدر تدارت حبة في جانب الفسقية فصار الديك يصيح ويرفرف بأجنحته ويشير إلينا بمنقاره ونحن لا نفهم ما يقول ثم صرخ علينا صرخة تخيل لنا منها أن القصر قد انقلب علينا ودار في أرض القصر كلها حتى رأى الحبـة التي تدارت في جانب الفسقية فانقض عليها ليلتقطها وإذا بالحبة سقطت في الماء فانقلب الديك حوتـاً كبيـراً ونزل خلفها وغاب ساعة وإذا بنا قد سمعنا صراخاً عالياً فارتجفنا فبعد ذلك طلع العفريت وهو شـعلة نـار فألقى من فمه ناراً ومن عينيه ومنخريه ناراً ودخانا وانقلبت الصبية لجة نار فأردنا أن نغطس في ذلك المـاء خوفاً على أنفسنا من الحريق والهلاك فما نشعر إلا والعفريت قد صرخ من تحت النيران وصار عندنا فـي الإيوان ونفخ في وجوهنا بالنار فلحقته الصبية ونفخت في وجهه بالنار أيضاً فأصابنا الشرر منها ومنه فأمـا شررها فلم يؤذينا وأما شرره فلحقني منه شرارة في عيني فأتلفتها وأنا في صورة القرد ولحق الملك شـرارة



منه في وجهه فأحرقت نصفه التحتاني بذقنه وحنكه ووقعت أسنانه التحتانية ورفعـت شـرارة فـي صـدر الطواشي فاحترق ومات من وقته وساعته فأيقنا بالهلاك وقطعنا رجائنا من الحياة فبينما نحن كذلك وإذا بقائل يقول ا أكبر ا أكبر قد فتح ربي ونصر وخذل من كفر بدين محمد سيد البشر وإذا بالقائل بنت الملك قـد حضرت العفريت فنظرنا إليه فرأيناه قد صار كوم رماد ثم جاءت الصبية إلينا وقالت الحقوني بطاسـة مـاء فجاؤوا بها إليها فتكلمت عليها بكلام لا نفهمه ثم رشتني بالماء وقالت اخاص بحق الحـق وبحـق اسـم ا الأعظم إلى صورتك الأولى فصرت بشراً كما كنت أولاً ولكن تلفت عيني فقالت الصبية النار النار يا والدي ثم أنها لم تزل تستغيث من النار وإذا بشرر أسود قد طلع إلى صدرها وطلع إلى وجهها فلمـا وصـل إلـى وجهها بكت وقالت أشهد أن لا إله إلا ا وأشهد أن محمداً رسول ا ثم نظرنا إليها فرأيناهـا كـوم رمـاد بجانب كوم العفريت فحزنا عليها وتمنيت لو كنت مكانها ولا أرى ذلك الوجه المليح الذي عمـل فـي هـذا المعروف يصير رماداً لكن حكم ا لا يرد فلما رأى الملك ابنته صارت كوم رماد نتف بقية لحيته ولطم على وجهه وشق ثيابه وفعلت كما فعل وبكينا عليها ثم جاء الحجاب وأرباب الدولة فوجدوا السلطان في حالة العدم وعنده كوم رماد فتعجبوا وداروا حول الملك ساعة فلما أفاق أخبرهم بما جرى لأبنته مع العفريت فعظمـت مصيبتهم وصرخ النساء والجواري وعملوا العزاء سبعة أيام ثم أن الملك أمر أن يبنى على رماد ابنتـه قبـة عظيمة وأوقد فيها الشموع والقناديل وأما رماد العفريت فإنهم أذروه في الهواء إلـى لعنـة ا ثـم مـرض السلطان مرضاً أشرف منه على الموت واستمر مرضه شهراً وعادت إليه العافية فطلبني وقال لي يا فتى قد قينا زماننا في أهنأ عيش آمنين من نوائب الزمان حتى جئتنا فأقبلت علينا الأكدار فليتنا ما رأيناك ولا رأينـا طلعتك القبيحة التي لسببها صرنا في حالة العدم فأولاً عدمت أبنتي التي كانت تساوي مائة رجل وثانياً جرى لي من الحريق ما جرى وعدم أضراسي ومات خادمي ولكن ما بيدك حيلة بل جري قضاء ا علينا وعليـك والحمد حيث خلصتك ابنتي وأهلكت نفسها فأخرج يا ولدي من بلادي وكفى ما جرى بسببك وكل ذلك مقدر علينا وعليك فأخرج بسلام فخرجت يا سيدتي من عنده وما صدقت بالنجاة ولا أدري أين أتوجه وخطر على قلبي ما جرى لي وكيف خلوني في الطريق سالماً منهم ومشيت شهراً وتذكرت دخولي في المدينـة غريبـاً واجتماعي بالخياط واجتماعي بالصبية تحت الأرض وخلاصي من العفريت بعد أن كان عازماً علـى قتلـي وتذكرت ما حصل لي من المبدأ إلى المنتهى فحمدت ا وقلت بعيني ولا بروحي ودخلت الحمـام قبـل أن أخرج من المدينة وحلقت ذقني وجئت يا سيدتي وفي كل يوم أبكي وأتفكر المصائب التي عاقبتها تلف عينـي وكلما أتذكر ما جرى لي أبكي وأنشد هذه الأبيات:

تحيرت والـرحمن لاشـك فـي أمـري ... وحلت بي الأحزان مـن حيـث لا أدري

سأصـبر حتـى يعلـم النـاس أنننـي ... صبرت على شـيء أمـر مـن الصـبر

وما أحسن الصـبر الجميـل مـع التقـى ... وما قـدر المـولى علـى خلقـه يجـري

سـرائري سـرى ترجمـان سـريرتي ... إذا كان سـر السـر سـرك فـي سـري

ولـو أن مـا بـي بالجبـال لهـدمت ... وبالنـار أطفاهـا وبـالريح لـم يسـر

ومـن قـال أن الـدهر فيـه حـلاوة ... فلابـد مـن يـوم أمـر مـن المـر

ثم سافرت الأقطار ووردت الأمصار وقصدت دار السلام بغداد لعلي أتوصل إلـى أميـر المـؤمنين وأخبره بما جرى لي فوصلت إلى بغداد هذه الليلة فوجدت أخي هذا الأول واقفاً متحيراً فقلت السـلام عليـك وتحدثت معه وإذا بأخينا الثالث قد أقبل علينا وقال السلام عليكم أنا رجل غريب فقلنا له ونحن غريبان وقـد وصلنا هذه الليلة المباركة فمشينا نحن الثلاثة وما فينا أحد يعرف حكاية أحد فساقتنا المقادير إلى هذا البـاب ودخلنا عليكم وهذا سبب حلق ذقني وتلف عيني فقالت له أن كانت حكايتك غريبة فامسح على رأسك وأخرج إلى حال سبيلك فقال لا أخرج حتى أسمع حديث رفيقي فتقدم الصعلوك الثالث وقال أيتها السيدة الجليلـة مـا قصتي مثل قصتهما بل قصتي أعجب وذلك أن هذين جاءهما القضاء والقدر وأما أنا فسبب حلق ذقني وتلف عيني أنني جلبت القضاء لنفسي والهم لقلبي وذلك أني كنت ملكاً ابن ملك ومات والدي وأخذت الملك من بعده وحكمت وعدلت وأحسنت للرعية وكان لي محبة في السفر في البحر وكانت مدينتي على البحر والبحر متسع وحولنا جزائر معدة للقتال فأردت أن أتفرج على الجزائر فنزلت في عشرة مراكب وأخذت معي مؤونة شهر وسافرت عشرين يوماً ففي ليلة من الليالي هبت علينا رياح مختلفة إلى أن لاح الفجر فهدأ الريح وسكن البحر حتى أشرقت الشمس ثم أننا أشرفنا على جزيرة وطلعنا إلى البر وطبخنا شيئاً نأكله فأكلت ثم أقمنـا يـومين وسافرنا عشرين يوماً فأختلفت علينا المياه وعلى الريس واستغرب الريس البحر فقلنا للناظور انظـر البحـر بتأمل فطلع على الصاري ثم نزل ذلك الناظور وقال للريس رأيت عن يميني سمكاً على وجه الماء ونظـرت إلى وسط البحر فرأيت سواداً من بعيد يلوح تارة أسود وتارة أبيض فلما سمع الريس كلام الناظور ضـرب الأرض بعمامته ونتف لحيته وقال للناس أبشروا بهلاكنا جميعاً ولا يسلم منا أحد وشرع يبكي وكـذلك نحـن الجميع نبكي على أنفسنا فقلت أيها الريس أخبرنا بما رأى الناظور فقال يا سيدي اعلم أننا تهنا يـوم جـاءت علينا الرياح المختلفة ولم يهدأ الريح إلا بكرة النهار ثم أقمنا يومين فتهنا في البحر ولم نزل تائهين أحد عشر يوماً من تلك الليلة وليس لنا ريح يرجعنا إلى ما نحن قاصدون آخر النهار وفي غد نصل إلى جبل من حجر أسود يسمى حجر المغناطيس وتجرنا المياه غصباً إلى جهته فتمزق المركب ويروح كل مسمار في المركـب إلى الجبل ويلتصق به لأن ا وضع في حجر المغناطيس سراً وهو أن جميع الحديد يذهب إليه وفـي ذلـك الجبل حديد كثير لا يعلمه إلا ا تعالى حتى أنه تكسر من قديم الزمان مراكب كثيرة بسبب ذلك الجبل ويلي ذلك البحر قبة من النحاس الأصفر معمودة على عشر أعمدة وفوق القبة فارس على فرس من نحاس وفي يد ذلك الفارس رمح من نحاس ومعلق في صدر الفارس لوح من رصاص منقوش عليه أسماء وطلاسم فيها أيها الملك مادام هذا الفارس راكباً على هذا الفرس تنكسر المراكب التي تفوت من تحته ويهلك ركابهـا جميعـاً ويلتصق جميع الحديد الذي في المركب بالجبل وما الخلاص إلا إذا وقع هذا الفارس من فوق تلك الفرس ثـم أن الريس يا سيدتي بكى بكاء شديد فتحققنا أننا هالكون لا محالة وكل منا ودع صاحبه فلما جاء الصباح قربنا من ذلك الجبل وساقتنا المياه إليه غصباً فلما صارت المراكب تحته انفتحت وفرت المسامير منها وكل حديـد فيها نحو حجر المغناطيس ونحن دائرون حوله في آخر النهار وتمزقت المراكب فمنا من غرق ومنا من سلم ولكن أكثرنا غرق والذين سلموا لم يعلموا ببعضهم لأن تلك الأمواج واختلاف الأرياح أدهشتهم وأما أنـا يـا سيدتي فنجاني ا تعالى لما أراده من مشقتي وعذابي وبلوتي فطلعت على لوح من الألـواح فألقـاه الـريح

والأمواج إلى جبل فأصبت طريقاً متطرفاً إلى أعلاه على هيئة السلالم منقورة في الجبل فسـميت ا تعـالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصعلوك الثالث قال للصبية والجماعـة مكتفـون والعبيـد واقفـين بالسيوف على رؤوسهم ثم أنني سميت ا ودعوته وابتهلت إليه وحاولت الطلوع على الجبل وصرت أتمسـك بالنقر التي فيه حتى أسكن ا الريح في تلك الساعة وأعانني على الطلوع فطلعت سالماً على الجبل وفرحت بسلامتي غاية الفرح ولم يكن لي دأب إلا القبة فدخلتها وصليت فيها ركعتين شكراً على سلامتي ثم أنـي نمت تحت القبة فسمعت قائلاً يقول يا ابن خصيب إذا انتهيت من منامك فاحفر تحت رجليك قد قوسـاً مـن نحاس وثلاث نشابات من رصاص منقوشاً عليها طلاسم فخذ القوس والنشابات وأرم الفارس الذي على القبة وأراح الناس من هذا البلاء العظيم فإذا رميت الفارس يقع في البحر ويقع القوس من يدك فخذ القوس وأدفنـه في موضعه فإذا فعلت ذلك يطفو البحر ويعلو حتى يساوي الجبل ويطلع عليه زورق فيه شخص غير الـذي رميته فيجيء إليه وفي يده مجداف فأركب معه ولا تسم ا تعالى فإنه يحملك ويسافر بك مدة عشرة أيام إلى أن يوصلك إلى بحر السلامة فإذا وصلت هناك تجد من يوصلك إلى بلادك وهذا إنما يتم لك إذا لم تسم ا ثـم استيقظت من نومي وقمت بنشاط وقصدت الماء كما قال الهاتف وضربت الفارس فرميته فوقع فـي البحـر ووقع القوس من يدي فأخذت القوس ودفنته فهاج البحر وعلا حتى ساوى الجبل الذي أنا عليه فلم ألبث غيـر ساعة حتى رأيت زورقاً في وسط البحر يقصدني فحمدت ا تعالى فلما وصل إلى الـزورق وجـدت فيـه شخصاً من النحاس في صدره لوح من الرصاص منقوش بأسماء وطلاسم فنزلت في الزورق وانا سـاكتا لا أتكلم فحملني الشخص أول يوم والثاني والثالث إلى تمام عشرة أيام حتى رأيت جزائر السلامة ففرحت فرحاً عظيماً ومن شدة فرحي ذكرت ا وسميت وهللت وكبرت فلما فعلت ذلك قذفني من الزورق في البحـر ثـم رجع في البحر وكنت أعرف العوم فعمت ذلك اليوم إلى الليل حتى كلت سواعدي وتعبت أكتافي وصرت في الهلكات ثم تشهدت وأيقنت بالموت وهاج البحر من كثرة الرياح فجاءت موجة كالقلعـة العظيمـة فحملتنـي وقفتني قفة صرت بها فوق البر لما يريد ا فطلعت البر وعصرت ثيابي ونشفتها على الأرض وبـت فلمـا أصبحت لبست ثيابي وقمت أنظر أين أمشي فوجدت غوطة فجئتها ودرت حولها فوجدت الموضع الذي فيـه جزيرة صغيرة والبحر محيط بها فقلت في نفسي كلما أخلص من بلية أقع في أعظم منها فبينما أنا متفكر في أمري وأتمنى الموت إذ نظرت مركباً فيها ناس فقمت وطلعت على شجرة وإذا بالمركب التصقت بالبر وطلع منها عشرة عبيد معهم مساحي فمشوا حتى وصلوا إلى وسط الجزيرة وحفروا في الأرض وكشفوا عن طابق فرفعوا الطابق وفتحوا بابه ثم إلى المركب ونقلوا منها خبزاً ودقيقاً وسمناً وعسلاً وأغناماً وجميع ما يحتـاج إليه الساكن وصار العبيد مترددين بين المركب وباب الطابق وهم يحولون من المركب وينزلون في الطـابق إلى أن نقلوا جميع ما في المركب ثم بعد ذلك طلع العبيد ومعهم ثياب أحسن ما يكون وفي وسطهم شيخ كبير هرم قد عمر زمناً طويلاً وأضعفه الدهر حتى صار فانياً ويد ذلك الشيخ في يد صبي قد أفـرغ فـي قالـب الجمال وألبس حلة الكمال حتى أنه يضرب بحسنه الأمثال وهو كالقضيب الرطب يسحر كل قلـب بجمالـه

ويسلب كل لب بكماله فلم يزالوا يا سيدتي سائرين حتى أتوا إلى الطابق ونزلوا فيه وغابوا عن عيني فلما توجهوا قمت ونزلت من فوق الشجرة ومشيت إلى موضع للردم ونبشت التراب ونقلته وصبرت نفسي حتى أزلت جميع التراب فأنكشف الطابق فإذا هو خشب مقدار حجر الطاحون فرفعته فبان من تحته سلم معقود من حجر فتعجبت من ذلك ونزلت في السلم حتى انتهيت إلى آخره فوجدت شيئاً نظيفاً ووجدت بستاناً وثانياً وثالثاً إلى تمام تسعة وثلاثين وكل بستان أرى فيه مايكل عنه الواصفون من أشجار وأنهار وأثمار وذخائر ورأيت بابا فقلت في نفسي ما الذي في هذا المكان فلا بد أن أفتحه وأنظر ما فيه ثم فتحته فوجدت فيه فرساً مسرجاً ملجماً من بوطا ففككته وركبته فطار بي إلى أن حطني على سطح وأنزلني وضربني بذيله فأتلف عيني وفرمني فنزلت من فوق السطح فوجدت عشرة شبان عور فلما رأوني قالوا لا مرحباً بك فقلت لهم أتقبلوني أجلس عندكم فقالوا والله لا تجلس عندنا فخرجت من عندهم حزين القلب باكي العين وكتب الله لي السلامة حتى وصلت إلى بغداد فحلقت ذقني وصرت صعلوكاً فوجدت هذين الاثنين الأعورين فسلمت عليهما وقلت لهما أنا غريب فقالا ونحن غريبان فهذا سبب تلف عيني وحلق ذقني فقالت له أمسح على رأسك وروح فقال والله لا أروح حتى أسمع قصة هؤلاء ثم أن الصبية التفتت إلى الخليفة وجعفر ومسرور وقالت لهم أخبروني بخبركم فتقدم جعفر وحكى لها الحكاية التي قالها للبوابة عند دخولهم فلما سمعت كلامه قالت وهبت بعضكم لبعض فخرجوا إلى أن صاروا في الزقاق فقال الخليفة للصعاليك يا جماعة إلى أين تذهبون فقالوا ما ندري أين نذهب فقال لهم الخليفة سيروا وبيتوا عندنا وقال لجعفر خذهم وأحضرهم لي غداً حتى تنظر ما يكون فامتثل جعفر ما أمره به الخليفة ثم أن الخليفة طلع إلى قصره ولم يجئه نوم في تلك الليلة فلما أصبح جلس على كرسي المملكة ودخلت عليه أرباب الدولة فالتفت إلى جعفر بعد أن طلعت أرباب الدولة وقال ائتني بالثلاث صبايا والكلبتين والصعاليك فنهض جعفر وأحضرهم بين يديه فأدخل الصبايا تحت الأستار والتفت لهن جعفر وقال لهن قد عفونا عنكن لما أسلفتن من الأحسان إلينا ولم تعرفنا فها أنا أعرفكن وأنتن بين يدي الخامس من بني العباس هارون الرشيد فلا تخبرنه إلا حقاً فلما سمع الصبايا كلام جعفر عن لسان أمير المؤمنين تقدمت الكبيرة وقالت يا أمير المؤمنين أن لي حديثاً لو كتب بالأبر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن كبيرة الصبايا لما تقدمت بين يدي أمير المؤمنين قالت أن لي حديثاً عجيباً وهو أن هاتين الصبيتين أختاي من أبي من غير أمي فمات والدنا وخلف خمسة آلاف دينار وكنت أنا أصغرهن سناً فتجهز أختاي وتزوجت كل واحدة برجل ومكثنا مدة ثم أن كل واحد من أزواجهما هيأ متجراً وأخذ من زوجته ألف دينار وسافروا مع بعضهم وتركوني فغابوا أربع سنين وضيع زوجاهما المال وخسرا وتركاهما في بلاد الناس فجاءتني في هيئة الشحاتين فلما رأتهما ذهلت عنهما ولم أعرفهما ثم أني لما عرفتهما قلت لهما ما هذا الحال فقالتا يا أختنا أن الكلام لم يفد الآن وقد جرى القلم بما حكم الله فأرسلتهما إلى الحمام وألبست كل واحدة حلة وقلت لهما يا أختي أنتما الكبيرة وأنا الصغيرة وأنتم عوض عن أبي وأمي والأرث الذي نابني معكما قد جعل الله فيه البركة فكلا من زكاته وأحوالي جليلة وأنا وأنتما سواء وأحسنت أليهما غاية

الإحسان فمكثنا عندي مدة سنة كاملة وصار لهما مال من مالي فقالتا لي أن الزواج خير لنا وليس لنا صـبر عنه فقلت لهما يا أختي لم تريا في الزواج خيراً فإن الرجل الجيد قليل في هذا الزمان وقد جربتما الزواج فلم يقبلا كلامي وتزوجا بغير رضاي فزوجتهما من مالي وسترتهما ومضتا من زوجيهما فأقاما مدة يسيرة ولعب عليهما زوجهما وأخذ ما كان معهما وسافرا وتركاهما فجاءتا عندي وهمـا عريانتـان واعتـذرتا وقالتـا لا تؤاخذينا فأنت اصغر منا سناً وأكمل عقلاً وما بقينا نذكر الزواج أبداً فقلت مرحباً بكما يا أختي ما عندي أعز منكما وقبلتهما وزودتهما إكراماً ولم نزل على هذه الحالة سنة كامل فأردت أن أجهز لي مركباً إلى البصـرة فجهزت مركباً كبيرة وحملت فيها البضائع والمتاجر وما أحتاج إليه في المركب وقلت يا أختي هل لكمـا أن تقعدوا في المنزل حتى أسافر وأرجع أو تسافرا معي فقالتا نسافر معك فأنا لا نطيق فراقك فأخذتهما وسافرنا وكنت قسمت مالي نصفين فأخذت النصف وخبأت النصف الثاني وقلت ربما يصيب المركب شيء ويكون في العمر مده فإذا رجعنا نجد شيئاً ينفعنا ولم نزل مسافرين أياماً وليالي فتاهت بنا المركب وغفل الـريس عـن الطريق ودخلت المركب بحراً غير البحر الذي نريده ولم نعلم بذلك مدة وطاب لنا الريح عشرة أيام فلاحـت لنا مدينة عن بعد فقلنا للريس ما اسم هذه المدينة التي أشرفنا عليها فقال وا لا أعلـم ولا رأيتهـا قـط ولا سلكت عمري هذا البحر ولكن جاء الأمر بسلامة فما بقي إلا أن تدخلوا هذه المدينة وتخرجوا بضائعكم فـإن حصل لكم بيع فبيعوا وغاب ساعة ثم جاءنا وقال قوموا إلى المدينة وتعجبوا من صنع ا في خلقه واستعيذوا من سخطه فطلعنا المدينة فوجدنا كل من فيها مسخوطا حجارة سوداء فاندهشنا من ذلك ومشينا في الأسـواق فوجدنا البضائع باقية والذهب والفضة باقيين على حالهما ففرحنا وقلنا لعل هذا يكون له أمر عجيب وتفرقنـا في شوارع المدينة وكل واحد اشتغل عن رفيقة بما فيها من المال والقماش وأما أنا فطلعت إلى القلعة فوجدتها محكمة فدخلت قصر الملك فوجدت فيه جميع الأواني من الذهب والفضة ثم رأيت الملك جالساً وعنده حجابه ونوابه ووزرائه وعليه من الملابس شيء يتحير فيه الفكر فلما قربت من الملك وجدته جالساً علـى كرسـي مرصع بالدر والجواهر فيه كل درة تضيء كالنجمة وعليه حلة مزركشة بالذهب وواقفاً حوله خمسون مملوكاً بين أنواع الحرير وفي أيديهم السيوف مجردة فلما نظرت لذلك دهش عقلي ثم مشيت ودخلت قاعـة الحـريم فوجدت في حيطانها ستائر من الحرير ووجدت الملكة عليها حلة مزركشة باللؤلؤ الرطب وعلى رأسها تـاج مكلل بأنواع الجواهر وفي عنقها قلائد وعقوداً وجميع ما عليها من الملبوس والمصاغ باق على حاله وهـي ممسوخة حجر أسود ووجدت باباً مفتوحاً فدخلته ووجدت فيه سلماً بسبع درج فصعدته فرأيت مكاناً مرخمـاً مفروشاً بالبسط المذهبة ووجدت فيه سريراً من المرمر مرصعاً بالدر والجواهر ونظرت نوراً لامعاً في جهة فقصدتها فوجدت فيها جوهرة مضيئة قدر بيضة النعامة على كرسي صغير وهى تضيء كالشمعة ونورهـا ساطع ومفروش على ذلك السرير من أنواع الحرير ما يحير الناظر فلما نظرت إلى ذلك تعجبت ورأيت فـي ذلك المكان شموعاً موقداً فقلت في نفسي لابد أن أحداً وقد هذه الشموع ثم أني مشيت حتى دخلـت موضـعاً غيره وصرت أفتش في الأماكن ونسيت نفسي مما أدهشني من التعجب من تلك الأحوال واستغرق فكري إلى أن دخل الليل فأردت الخروج فلم أعرف الباب وتهت عنه فعدت إلى الجهة التي فيها الشموع الموقدة وجلست على السرير وتغطيت بلحاف بعد أن قرأت شيئاً من القرآن وأردت النوم فلم أستطع ولحقنـي القلـق فلمـا


انتصف الليل سمعت تلاوة القرآن بصوت حسن رقيق فالتفت إلى مخدع فرأيت بابه مفتوحاً فدخلت الباب ونظرت المكان فإذا هو معبد وفيه قناديل معلقة موقدة وفيه سجادة مفروشة جالس عليها شاب حسن لمنظر فتعجبت كيف هو سالم دون أهل المدينة فدخلت وسلمت عليه فرفع بصره ورد على السلام فقلت له أسألك بحق ما تتلوه من كتاب ا أن تجيبني عن سؤالي فتبسم وقال أخبريني عن سبب دخولك هذا المكان وأنا أخبرك بجواب ما تسألينه عنه فأخبرته بخبري فتعجب من ذلك ثم أنني سألته عن خبر هذه المدينة فقال أمهليني ثم طبق المصحف وأدخله في كيس من الأطلس وأجلسني بجنبه فنظرت إليه فإذا هو كالبدر حسن الأوصاف لين الأعطاف بهي المنظر رشيق القد أسيل الخدر هي الوجنات كأنه المقصود من هذه الأبيات:

رصد النجم ليله فبداله ... قد المليح يميس في برديه
وأمده زحل بسواد ذوائب ... والمسك هادي الخال في خديه
وغدت من المريخ حمرة خده ... والقوس يرمي النبل من جفنيه
وعطارد أعطاه فرط ذكائه ... وأبى السها نظر الوشاة إليه
فغدا المنجم حائراً مما رأى ... والبدر باس الأرض بين يديه

فنظرت له نظرة أعقبتني ألف حسرة وأوقدت بقلبي كل جمرة فقلت له يا مولاي أخبرني عما سألتك فقال سمعاً وطاعة أعلمي أن هذه المدينة مدينة والدي وجميع أهله وقومه وهو الملك الذي رأيتيه على الكرسي ممسوخاً حجراً وأما الملكة التي رأيتيها فهي أمي وقد كانوا مجوساً يعبدون النار دون الملك الجبار وكانوا يقسمون بالنار والنور والظل والحرور والفلك الذي يدور وكان أبي ليس له ولد فرزق بي في آخر عمره فرباني حتى نشئت وقد سبقت لي السعادة وكان عندنا عجوز طاعنة في السن مسلمة تؤمن بـا ورسوله في الباطن وتوافق أهلي في الظاهر وكان أبي يعتقد فيها لما يرى عليها من الأمانة والعفة وكان يكرمها ويزيد في أكرامها وكان يعتقد أنها على دينه فلما كبرت سلمني أبي إليها وقال خذيه وربيه وعلميه أحوال ديننا وأحسني تربيته وقومي بخدمته فأخذتني العجوز وعلمتني دين الإسلام من الطهارة وفرائض الوضوء والصلاة وحفظتني القرآن فلما أتممت ذلك قالت لي يا ولدي أكتم هذا الأمر عن أبيك ولا تعلمه به لئلا يقتلك فكتمته عنه ولم أزل على هذا الحال مدة أيام قلائل وقد ماتت العجوز وزاد أهل المدينة في كفرهم وعتوهم وضلالهم فبينما هم على ما هم فيه إذ سمعوا منادياً ينادي بأعلى صوته مثل الرعد القاصف سمعه القريب والبعيد يقول يا أهل هذه المدينة ارجعوا عن عبادة النار وأعبدوا الملك الجبار فحصل عند أهل المدينة فزع واجتمعوا عند أبي وهو ملك المدينة وقالوا له ما هذا الصوت المزعج الذي سمعناه فأندهشنا من شدة هوله فقال لهم لا يهولنكم الصوت ولا يفزعنكم ولا يردكم عن دينكم فمالت قلوبهم إلى قول أبي ولم يزالوا مكبين على عبادة النار واستمروا على طغيانهم مدة سنة حتى جاء ميعاد ما سمعوا الصوت الأول فظهر لهم ثانياً فسمعوا ثلاث مرات على ثلاث سنين في كل سنة مرة فلم يزالوا عاكفين على ما هم عليه حتى نزل عليهم المقت والسخط من السماء بعد طلوع الفجر فمسخوا حجارة سوداً وكذلك دوابهم وأنعامهم ولم يسلم من أهل هذه المدينة غيري ومن يوم جرت هذه الحادثة وأنا على هذه الحالة في صلاة وصيام وتلاوة قرآن وقد يئست من الوحدة وما عندي من يؤنسني فعند ذلك قلت له أيها الشاب هل لك أن تروح معي إلى مدينة بغداد

وتنظر إلى العلماء وإلى الفقهاء فتزداد علماً وفقهاء وأكون أنا جاريتك مع أني سيدة قـومي وحاكمـة علـى رجال وخدم وغلمان وعندي مركب مشحونة بالمتجر وقد رمتنا المقادير على هذه المدينة حتى كان ذلك سبباً في أطلاعنا على هذه الأمور وكان النصيب في اجتماعنا ولم أزل أرغبه في التوجه حتى أجابني إليه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية مازالت تحسن للشاب التوجه معها حتى غلـب عليهـا النـوم فنامت تلك الليلة تحت رجليه وهي لا تصدق بما هي فيه من الفرح ثم قالت فلما أصبح الصباح قمنا ودخلنـا إلى الخزائن وأخذنا ما خف حمله وغلا ثمنه ونزلنا من القلعة إلى المدينة فقابلنا العبيد والريس وهم يفتشـون علي فلما رأوني فرحوا بي وسألوني عن سبب غيابي فأخبرتهم بما رأيت وحكيت لهم قصة الشـاب وسـبب مسخ أهل هذه المدينة وما جرى لهم فتعجبوا من ذلك فلما رآني اختاي ومعي ذلك الشاب حسد تـاني عليـه وصارتا في غيظ وأضمرتا المكر لي ثم نزلنا المركب وأنا بغاية الفرح وأكثر فرحي بصحبة هـذا الشـاب وأقمنا ننتظر الريح حتى طاب لنا الريح فنشرنا القلوع وسافرنا فقعد أختاي عندنا وصارتا يتحدثان فقالتا لي يا أختنا ما تصنعين بهذا الشاب الحسن فقلت لهما قصدي أن أتخذ بعلاً ثم التفت إليه وأقبلت عليه وقلت يا سيدي أنا أقصد أن أقول لك شيئاً فلا تخالفني فيه فقال سمعاً وطاعة ثم التفت إلى أختاي وقلت لهمـا يكفينـي هـذا الشاب وجميع هذه الأموال لكما فقالتا نعم ما فعلت ولكنهما أضمرتا لي الشر ولم نزل سائرين مـع اعتـدال الريح حتى خرجنا من بحر الخوف ودخلنا بحر الأمان وسافرنا أياماً قلائل على أن قربنا من مدينة البصـرة ولاحت لنا أبنيتها فأدركنا المساء فلما أخذنا النوم قامت أختاي وحملتاني أنا والغلام بفرشنا ورمتانا في البحر فأما الشاب فأنه كان لا يحسن العوم فغرق وكتبه ا من الشهداء وأما أنا فكتبت من السالمين فلما سقطت في البحر رزقني ا بقطعة خشب فركبتها وضربتني الأمواج إلى أن رمتني على ساحل جزيرة فلم أزل أمشـي في الجزيرة باقي ليلتي فلما أصبح الصباح رأيت طريقاً فيه أثر مشي على قدر قدم ابن آدم وتلـك الطريـق متصلة من الجزيرة إلى البر وقد طلعت الشمس فنشفت ثيابي فيها وسرت في الطريق ولم أزل سائرة إلى أن قربت من البر الذي فيه المدينة وإذا أنا بحية تقصدني وخلفها ثعبان يريد هلاكها وقد تدلى لسانها مـن شـدة التعب فأخذتني الشفقة عليها فعمدت إلى حجر والقيته على رأس الثعبان فمات من وقته فنشرت الحية جناحيها وطارت في الجو فتعجبت من ذلك وقد تعبت فنمت في موضعي ساعة فلما أفقت وجدت تحت رجلي جاريـة وهي تكبس رجلي فجلست واستحيت منها وقلت لها من أنت وما شأنك فقالت ما أسرع ما نسيتيني أنت التـي فعلت معي الجميل وقتلت عدوي فإني الحية التي خلصتيني من الثعبان فإني جنية وهذا الثعبان جنـي وهـو عدوي وما نجاني منه إلا أنت فلما نجيتيني منه طرت في الريح وذهبت إلى المركب التي رماك منها أختاك ونقلت جميع ما فيها إلى بيتك وأغرقتها وأما أختاك فإني سحرتهما كلبتين من الكلاب السود فـإني عرفـت جميع ما جرى لك معهما وأما الشاب فإنه غرق ثم حملتني أنا والكلبتين والقتنا فوق سطح داري فرأيت جميع ما كان في المركب من الأموال في وسط بيتي ولم يضع منه شيء ثم أن الحية قالت لي وحق الـنقش الـذي على خاتم سليمان إذا لم تضربي كل واحدة منهما في كل يوم ثلثمائة سوط لآتين وأجعلنك مثلهما فقلت سمعاً

وطاعة فلم أزل يا أمير المؤمنين أضربهما ذلك الضرب وأشفق عليهما فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال للصبية الثانية وأنت ما سبب الضرب الذي على جسدك فقالت يا أمير المؤمنين إنني كان لي والد فمات وخلف مـالا كثيراً فأقمت بعده مدة يسيرة وتزوجت برجل أسعد أهل زمانه فأقمت معه سنة كاملة ومـات فورثـت منـه ثمانين ألف دينار فبينما أنا جالسة في يوم من الأيام إذ دخلت على عجوز بوجه مسعوط وحاجـب ممغـوط وعيونها مفجرة وأسنانها مكسرة ومخاطها سائل وعنقها مائل كما قال فيها الشاعر:

عجـ ـوز الـ ـنحس أبلـ ـيس يراهـ ـا   تعلمـ ـه الخديعـ ـة مـ ـن سـ ـكوت

تقـ ـود مـ ـن السياسـ ـة ألـ ـف بغـ ـل   إذا انفـ ـردوا بخـ ـيط العنكبـ ـوت"

فلما دخلت العجوز سلمت علي وقالت أن عندي بنتاً يتيمة والليلة عملت عرسها وأنا قصدي لك الأجر والثواب فأحضري عرسها فإنها مكسورة الخاطر ليس لها إلا ا تعالى ثم بكت وقبلت رجلي فأخذتني الرحمة والرأفة فقلت سمعاً وطاعة فقالت جهزي نفسك فإني وقت العشاء أجيء وآخذك ثم قبلت يدي وذهبت فقمـت وهيأت نفسي وجهزت حالي وإذا بالعجوز قد أقبلت وقالت يا سيدتي أن سيدات البلد قد حضـرن وأخبـرتهن بحضورك ففرحن وهن في انتظارك فقمت وتهيأت وأخذت جواري معي وسرت حتى أتينا إلى زقاق هب فيه النسيم وراق فرأينا بوابة مقنطرة بقبة من الرخام مشيدة البنيان وفي داخلها قصر قد قام من التـراب وتعلـق بالسحاب فلما وصلنا إلى الباب طرقته العجوز ففتح لنا ودخلنا فوجدنا دهليزاً مفروشاً بالبسط معلقاً فيه قناديل موقدة وشموع مضيئة وفيه الجواهر والمعادن معلقة فمشينا في الدهليز على أن دخلنا القاعة فلم يوجـد لهـا نظير مفروشة بالفراش الحرير معلقاً فيها القناديل الموقدة والشموع المضيئة وفي صدر القاعة سـرير مـن المرمر مرصع بالدر والجوهر وعليه ناموسية من الأطلس وإذا بصبية خرجت من الناموسـية مثـل القمـر فقالت لي مرحباً وأهلاً وسهلاً يا أختي آنستيني وجبرت خاطري وأنشدت تقول:

لو تعلم الدار مـن قـد زارهـا فرحـت   واستبشرت ثـم باسـت موضـع القـدم

وأعلنـ ـت بلسـ ـان الحـ ـال قائلـ ـة   أهـلاً وسـهلاً بأهـل الجـود والكـرم

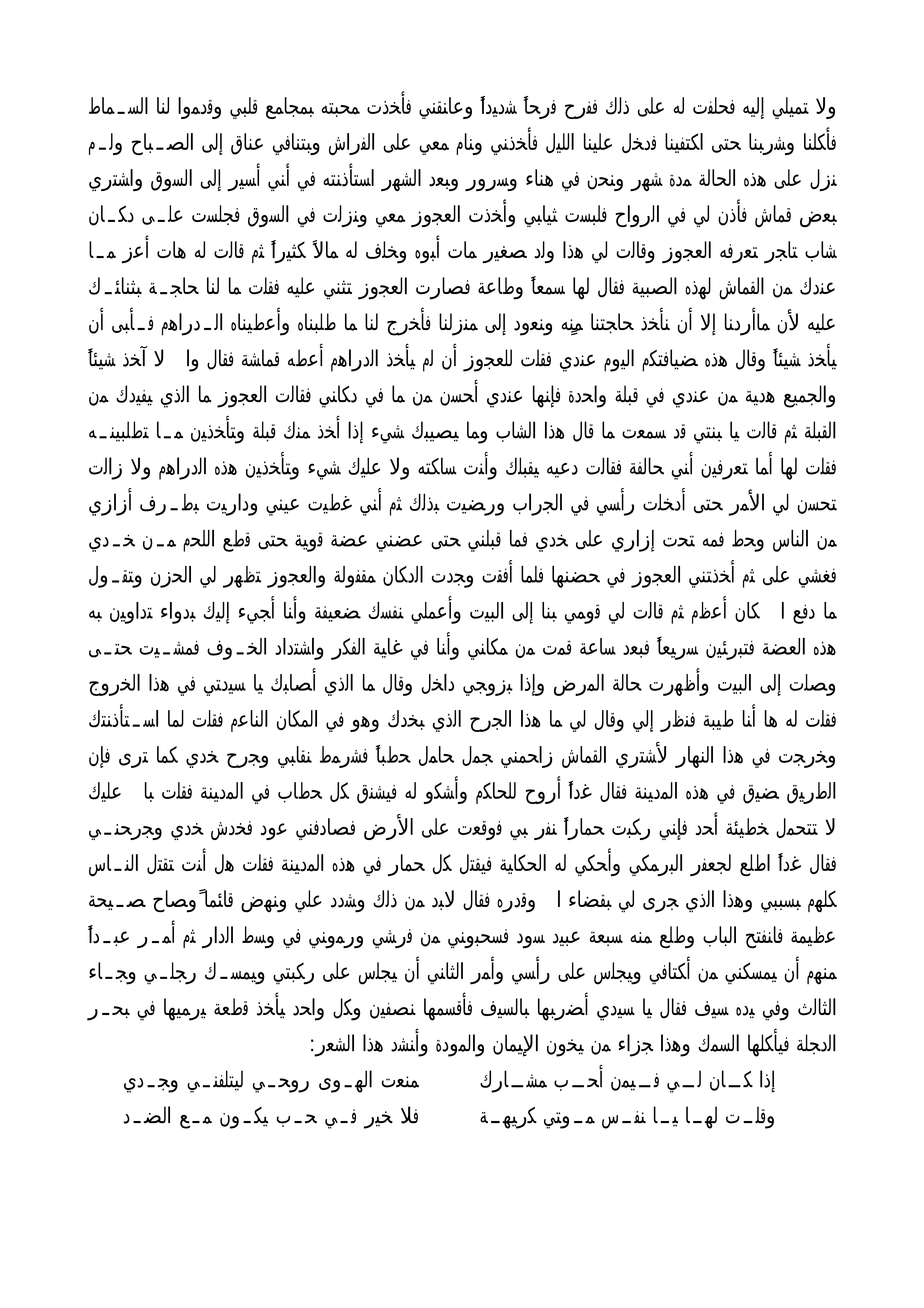
ثم جلست وقالت يا أختي أن لي أخاً وقد رآك في بعض الأفراح وهو شاب أحسن مني وقد أحبك قلبـه حباً شديداً وأعطى هذه العجوز دراهم حتى أتتك وعملت الحيلة لأجل اجتماعه بك ويريد أخي أن يتزوجـك بسنة ا ورسوله وما في الحلال من عيب فلما سمعت كلامها ورأيت نفسي قد أنحجزت فـي الـدار فقلـت للصبية سمعاً وطاعة ففرحت وصفقت بيديها وفتحت باباً فخرج منه شاب مثل القمر كما قال الشاعر:

قـ ـ ـد زاد حسـ ـ ـناً تبـ ـ ـارك ا   جـ ـل الـ ـذي صـ ـاغه وسـ ـواه

قـ ـد حـ ـاز كـ ـل الجمـ ـال منفـ ـرداً   كـ ـل الـ ـورى فـ ـي جمالـ ـه تهـ ـواه

قـ ـد كتـ ـب الحسـ ـن فـ ـوق وجنتـ ـه   أشـ ـ ـهد أن لا ملـ ـ ـيح إلا هـ ـ ـو

فلما نظرت إليه مال قلبي له ثم جاء وجلس وإذا بالقاضي قد دخل ومعه أربع شهود فسلموا وجلسوا ثم أنهم كتبوا كتابي على ذلك الشاب وانصرفوا فالتفت الشاب إلى وقال ليلتنا مباركة ثم قال يا سيدتي أني شارط عليك شرطاً فقلت يا سيدي وما الشرط فقام وأحضر لي مصحفاً وقال أحلفي لي أنك لا تختاري أحداً غيـري



ولا تميلي إليه فحلفت له على ذلك ففرح فرحاً شديداً وعانقني فأخذت محبته بمجامع قلبي وقدموا لنا السماط فأكلنا وشربنا حتى اكتفينا فدخل علينا الليل فأخذني ونام معي على الفراش وبتنافي عناق إلى الصباح ولم نزل على هذه الحالة مدة شهر ونحن في هناء وسرور وبعد الشهر استأذنته في أني أسير إلى السوق واشتري بعض قماش فأذن لي في الرواح فلبست ثيابي وأخذت العجوز معي ونزلت في السوق فجلست على دكان شاب تاجر تعرفه العجوز وقالت لي هذا ولد صغير مات أبوه وخلف له مالاً كثيراً ثم قالت له هات أعز ما عندك من القماش لهذه الصبية فقال لها سمعاً وطاعة فصارت العجوز تثني عليه فقلت ما لنا حاجة بثنائك عليه لأن ماأردنا إلا أن نأخذ حاجتنا منه ونعود إلى منزلنا فأخرج لنا ما طلبناه وأعطيناه الدراهم فأبى أن يأخذ شيئاً وقال هذه ضيافتكم اليوم عندي فقلت للعجوز أن لم يأخذ الدراهم أعطه قماشة فقال وا لا آخذ شيئاً والجميع هدية من عندي في قبلة واحدة فإنها عندي أحسن من ما في دكاني فقالت العجوز ما الذي يفيدك من القبلة ثم قالت يا بنتي قد سمعت ما قال هذا الشاب وما يصيبك شيء إذا أخذ منك قبلة وتأخذين ما تطلبينه فقلت لها أما تعرفين أني حالفة فقالت دعيه يقبلك وأنت ساكتة ولا عليك شيء وتأخذين هذه الدراهم ولا زالت تحسن لي الأمر حتى أدخلت رأسي في الجراب ورضيت بذلك ثم أني غطيت عيني وداريت بطرف أزازي من الناس وحط فمه تحت إزاري على خدي فما قبلني حتى عضني عضة قوية حتى قطع اللحم من خدي فغشي على ثم أخذتني العجوز في حضنها فلما أفقت وجدت الدكان مقفولة والعجوز تظهر لي الحزن وتقول ما دفع ا كان أعظم ثم قالت لي قومي بنا إلى البيت وأعملي نفسك ضعيفة وأنا أجيء إليك بدواء تداوين به هذه العضة فتبرئين سريعاً فبعد ساعة قمت من مكاني وأنا في غاية الفكر واشتداد الخوف فمشيت حتى وصلت إلى البيت وأظهرت حالة المرض وإذا بزوجي داخل وقال ما الذي أصابك يا سيدتي في هذا الخروج فقلت له ها أنا طيبة فنظر إلي وقال لي ما هذا الجرح الذي بخدك وهو في المكان الناعم فقلت لما استأذنتك وخرجت في هذا النهار لأشتري القماش زاحمني جمل حامل حطباً فشرمط نقابي وجرح خدي كما ترى فإن الطريق ضيق في هذه المدينة فقال غداً أروح للحاكم وأشكو له فيشنق كل حطاب في المدينة فقلت با عليك لا تتحمل خطيئة أحد فإني ركبت حماراً نفر بي فوقعت على الأرض فصادفني عود فخدش خدي وجرحني فقال غداً اطلع لجعفر البرمكي وأحكي له الحكاية فيقتل كل حمار في هذه المدينة فقلت هل أنت تقتل الناس كلهم بسببي وهذا الذي جرى لي بقضاء ا وقدره فقال لابد من ذلك وشدد علي ونهض قائماً وصاح صيحة عظيمة فانفتح الباب وطلع منه سبعة عبيد سود فسحبوني من فرشي ورموني في وسط الدار ثم أمر عبداً منهم أن يمسكني من أكتافي ويجلس على رأسي وأمر الثاني أن يجلس على ركبتي ويمسك رجلي وجاء الثالث وفي يده سيف فقال يا سيدي أضربها بالسيف فأقسمها نصفين وكل واحد يأخذ قطعة يرميها في بحر الدجلة فيأكلها السمك وهذا جزاء من يخون الإيمان والمودة وأنشد هذا الشعر:

إذا كان لي فيمن أحب مشارك ... منعت الهوى روحي ليتلفني وجدي

وقلت لها يا نفس موتي كريهة ... فلا خير في حب يكون مع الضد

ثم قال للعبد أضربها يا سعد فجرد السيف وقال اذكري الشهادة وتذكري ما كان لـك مـن الحـوائج وأوصي فإن هذا آخر حياتك فقلت له يا عبد الخير تمهل علي قليلاً حتى أتشهد وأوصي ثم رفعـت رأسـي ونظرت إلى حالي وكيف صرت في الذل بعد العز فجرت عبرتي وبكيت وأنشدت هذه الأبيات:

أقمـتم فـؤادي فـي الهـوى وقعـدتم	وأسـهرتم جفنـى القـريح ونمـتم
ومنـزلكم بـين الفـؤاد ونـاظري	فـلا القلـب يسـلوكم ولا الـدمع يكـتم
وعاهـدتموني أن تقيمـوا علـى الوفـا	فلمـا تملكـتم فـؤادي غـدرتم
ولـم ترحمـوا وجـدي بكـم وتلهفـي	أأنـتم صـروف الحادثـات أمنـتم
سـألتكم بـا أن مـت فـأكتبوا	علـى لـوح قبـري أن هـذا متـيم
لعـل شـجياً عارفـا لوعـة الهـوى	يمـر علـى قبـر المحـب فيـرحم

فلما فرغت من شعري بكيت فلما سمع الشعر ونظر إلي بكائي ازداد غيظاً على غيظه وأنشـد هـذين البيتين:

تركـت حبيـب القلـب لا عـن ملالـة	ولكن جنـي ذنبـاً يـؤدي إلـى التـرك
إذ أرى شـريكاً فـي المحبـة بيننـا	وإيمـان قلبـي لا يميـل إلـى الشـرك

فلما فرغ من شعره بكيت واستعطفته وإذا بالعجوز قد دخلت ورمت نفسها على أقدام الشـاب وقبلتهـا وقالت يا ولدي بحق تربيتي لك تعفو عن هذه الصبية فإنها ما فعلت ذنباً يوجب ذلك وأنـت شـاب صـغير فأخاف عليك من دعائها ثم بكت العجوز ولم تزل تلح عليه حتى قال عفوت عنها ولكن لا بد لـي أن أعمـل فيها أثراً يظهر عليها بقية عمرها ثم أمر العبيد فجذبوني من ثيابي وأحضر قضيباً من سفر جل ونـزل بـه على جسدي بالضرب ولم يزل يضربني ذلك الشاب على ظهري وجنبي حتى غبت عن الـدنيا مـن شـدة الضرب وقد يئست من حياتي ثم أمر العبيد أنه إذا دخل الليل يحملونني ويأخذون العجوز معهم ويرمونني في بيتي الذي كنت فيه سابقاً ففعلوا ما أمرهم به سيدهم ورموني في بيتي فتعاهدت نفسي وتداويت فلمـا شـفيت بقيت أضلاعي كأنها مضروبة بالمقارع كما ترى فاستمريت في مداواة نفسي أربعة أشهر حتى شـفيت ثـم جئت إلى الدار التي جرت لي فيها ذلك الأمر فوجدتها خربة ووجدت الزقاق مهدوما من أولـه إلـى آخـره ووجدت في موضع الداركيما ولم أعلم سبب ذلك فجئت إلى أختي هذه التي من أبي فوجدت عنـدها هـاتين الكلبتين فسلمت عليها وأخبرتها بخبري وبجميع ما جرى لي فقالت من ذا الذي من نكبات الزمان سلم الحمـد

الذي جعل الأمر بسلامة ثم أخبرتني بخبرها وبجميع ما جرى لها من أختيها وقعدت أنا وهي لاتذكر خبر الزواج على السنتنا ثم صاحبتنا هذه الصبية الدلالة في كل يوم تخرج فتشتري لنا ما نحتاج إليه من المصالح على جري عادتها فوقع لنا ما وقع من مجيء الحمال والصعاليك ومن مجيئكم في صفة تجار فلما صرنا في هذا اليوم ولم نشعر إلا ونحن بين يديك وهذه حكايتنا فتعجب الخليفة من هذه الحكاية وجعلها تاريخاً مثبتاً في خزانته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة أمر أن تكتب هذه القصة في الدواوين ويجعلوها فـي خزانـة الملك ثم أنه قال للصبية الأولى هل عندك خبر بالعفريتة التي سحرت أختيك قالت يا أميـر المـؤمنين أنهـا أعطتني شيئاً من شعرها وقالت أن أردت حضوري فأحرقي من هذا الشعر شيئاً فأحضر إليك عـاجلاً ولـو كنت خلف جبل قاف فقال الخليفة أحضر لي الشعر فأحضرته الصبية فأخذه الخليفة وأحرق منه شـيئاً فلمـا فاحت رائحته اهتز القصر وسمعوا دوياً وصلصلة وإذا بالجنية حضرت وكانت مسلمة فقالت السلام عليك يا خليفة ا فقال وعليكم السلام ورحمة ا وبركاته فقالت اعلم أن هذه الصبية ذرعت معي جميلاً ولا أقدر أن أكافئها عليه فهي أنقذتني من الموت وقتلت عدوي ورأيت ما فعله معها أختاها فما رأيت إلا أني أنتقم منهمـا فسحرتهما كلبتين بعد أن أردت قتلهما فخشيت أن يصعب عليها وأن أردت خلاصهما يـا أميـر المـؤمنين أخلصهما كرامة لك ولها فأني من المسلمين فقال لها خلصيهما وبعد ذلك نشرع في أمر الصبية المضـروبة ونفحص عن حالها فإذا ظهر لي صدقها أخذت ثأرها ممن ظلمها فقالت العفريتة يا أمير المؤمنين أنـا أدلـك علي فعل بهذه الصبية هذا الفعل وظلمها وأخذ ما لها وهو أقرب الناس إليك ثم أن العفريتة أخذت طاسة مـن الماء وعزمت عليها ورشت وجه الكلبتين وقالت لهما عود إلى صورتكما الأولى البشرية فعادتـا صـبيتين سبحان خالقهما ثم قالت يا أمير المؤمنين أن الذي ضرب الصبية ولدك الأمين فإنه كان يسمع بحسنها وجمالها وحكت له العفريتة جميع ما جرى للصبية فتعجب وقال الحمد على خلاص هاتين الكلبتين على يدي ثم أن الخليفة أحضر ولده الأمين بين يديه وسأله عن قصة، الصبية الأولى فأخبره على وجه الحق فأحضر الخليفة القضاة والشهود والصعاليك الثلاثة وأحضر الصبية الأولى وأختيها اللتين كانتا مسحورتين في صورة كلبتين وزوج الثلاثة للثلاثة الصعاليك الذين أخبروه أنهم كانوا ملوكاً وعملهم حجاباً عنده وأعطاهم ما يحتاجون إليه وأنزلهم في قصر بغداد ورد الصبية المضربة لولده الأمين وأعطاها مالاً كثيراً وأمر أن تبنى الدار أحسن ما كانت ثم أن الخليفة تزوج بالدلالة ورقد في تلك الليلة معها فلما أصبح أفرد لها بيتاً وجواري يخدمنها ورتب لها راتباً وشيد لها قصراً ثم قال لجعفر ليلة من الليالي أني أريد أن ننزل في هذه الليلة إلى المدينة ونسأل عن أحوال الحكام والمتولين وكل من شكا منه أحد عزلناه فقال جعفر سمعاً وطاعة فلما نـزل الخليفـة وجعفـر ومسرور وساروا في المدينة ومشوا في الأسواق مروا بزقاق فرأوا شيخاً كبيراً على رأسه شبكة وقفة وفـي يده عصا وهو ماش على مهله.

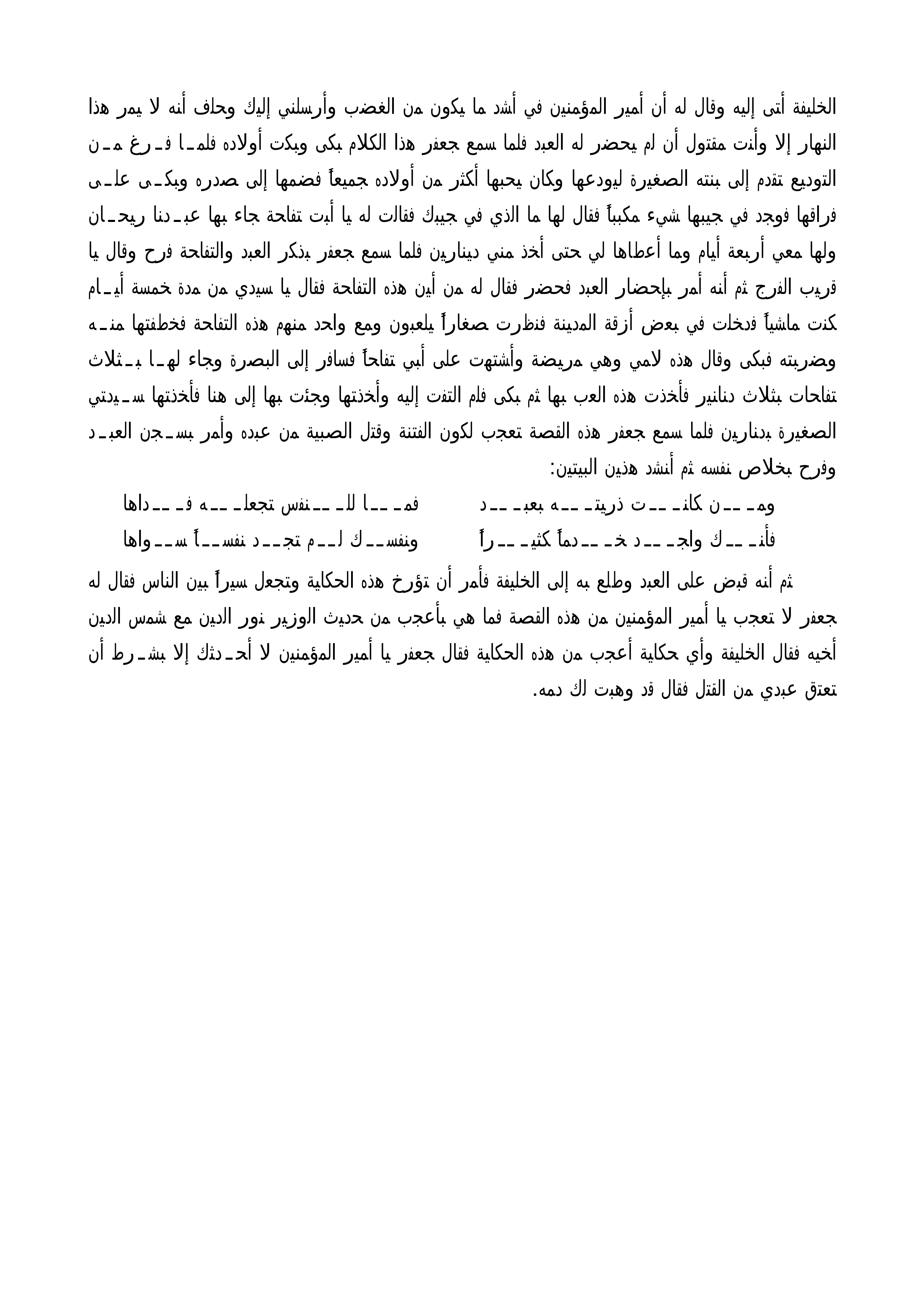
ثم أن الخليفة تقدم إليه وقال له يا شيخ ما حرفتك قال يا سيدي صياد وعندي عائلة وخرجت من بيتـي من نصف النهار إلى هذا الوقت ولم يقسم ا لي شيئاً أقوت به عيالي وقد كرهت نفسي وتمنيت الموت فقال له الخليفة هل لك أن ترجع معنا إلى البحر وتقف على شاطيء الدجلة وترمي شبكتك على بختي وكـل مـا اطلع أشتريه منك بمائة دينار ففرح الرجل لما سمع هذا الكلام وقال على رأسي أرجع معكم ثـم أن الصـياد رجع إلى البحر ورمي شبكته وصبر عليها ثم أنه جذب الخيط وجر الشبكة إليه فطلع في الشـبكة صـندوق مقفول ثقيل الوزن فلما نظره الخليفة جه فوجده ثقيلاً فأعطى الصياد مائة دينار وانصرف وحمل الصـندوق مسرور هو وجعفر وطلعا به مع الخليفة إلى القصر وأوقد الشموع والصندوق بين يدي الخليفة فتقدم جعفـر ومسرور وكسروا الصندوق فوجدوا فيه قفة خوص مخيطة بصوف أحمر فقطعوا الخياطة فرأوا فيها قطعـة

بساط فرفعوها فوجدوا تحتها أزاراً فرفعوا الأزار فوجدوا تحته صبية كأنها سبيكة مقتولة ومقطوعـة فلمـا نظرها الخليفة جرت دموعه على خده والتفت إلى جعفر وقال يا كلب الوزراء أتقتل القتلى في زمني ويرمون في البحر ويصيرون متعلقين بذمتي وا لابد أن أقتص لهذه الصبية ممن قتلها وأقتله وقـال لجعفـر وحـق اتصال نسبي بالخلفاء من بني العباس أن لم تأتني بالذى قتل هذه لانصفها منه لأصلبنك على بـاب قصـري أنت وأربعين من بني عمك وأغتاظ الخليفة فقال جعفر أمهلني ثلاثة أيام قال أمهلتك ثم خرج جعفر من بـين يديه ومشي في المدينة وهو حزين وقال في نفسه من أعرف من قتل هذه الصبية حتى أحضره للخليفـة وأن أحضرت له غيره يصير معلقاً بذمتي ولا أدري ما أصنع ثم أن جعفر أجلس في بيته ثلاثة أيام وفـي اليـوم الرابع أرسل إليه الخليفة يطلبه فلما تمثل بين يديه قال له أين قاتل الصبية قال جعفر يا أمير المؤمنين هل أنا أعلم الغيب حتى أعرف قاتلها فاغتاظ الخليفة وأمر بصلبه على باب قصره وأمر منادياً ينادي فـي شـوارع بغداد من أراد الفرجة على صلب جعفر البرمكي وزير الخليفة وصلب أولاد عمه على باب قصـر الخليفـة فليخرج ليتفرج فخرجت الناس من جميع الحارات ليتفرجوا على صلب جعفر وصلب أولاد عمه ولم يعلمـوا سبب ذلك ثم أمر بنصب الخشب فنصبوه وأوقفوهم تحته لأجل الصلب وصاروا ينتظرون الأذن من الخليفـة وصار الخلق يتباكون على جعفر وعلى أولاد عمه فبينما هم كذلك وإذا بشاب حسن نقي الأثواب يمشي بـين الناس مسرعاً إلى أن وقف بين يدي الوزير وقال له سلامتك من هذه الواقفة يا سيد الأمراء وكهف الفقراء أنا الذي قتلت القتيلة التي وجدتموها في الصندوق فاقتلني فيها واقتص لها مني فلما سمع جعفر كلام الشاب وما أبداه من الخطاب فرح بخلاص نفسه وحزن على الشاب فبينما هم في الكلام وإذا بشيخ كبير يفسـح النـاس ويمشي بينهم بسرعة إلى أن وصل إلى جعفر والشاب فسلم عليهما ثم قال أيها الوزير لا تصدق كـلام هـذا الشاب فإنه ما قتل هذه الصبية إلا أنا فاقتص لها مني فقال الشاب أيها الوزير أن هذا شيخ كبيـر خرفـان لا يدري ما يقول وأنا الذي قتلتها فاقتص لها مني فقال الشيخ يا ولدي أنت صغير تشتهي الدنيا وأنا كبير شبعت من الدنيا وأنا أفديك وأفدي الوزير وبني عمه وما قتل الصبية إلا أنا فبا عليك أن تعجل بالاقتصاص منـي فلما نظر إلى ذلك الأمر تعجب منه وأخذ الشاب والشيخ وطلع بهما عند الخليفة وقال يا أمير المـؤمنين قـد حضر قاتل الصبية فقال الخليفة أين هو فقال أن هذا الشاب يقول أنا القاتل وهذا الشيخ يكذبه ويقول لا بل أنا القاتل فنظر الخليفة إلى الشيخ والشاب وقال منكما قتل هذه الصبية فقال الشاب ما قتلها إلا أنا وقال الشيخ ما قتلها إلا أنا فقال الخليفة لجعفر خذ الأثنين واصلبهما فقال جعفر إذا كان القاتل واحداً فقتل الثاني ظلـم فقـال الشاب وحق من رفع السماء وبسط الأرض أني أنا الذي قتلت الصبية وهذه أمارة قتلها ووصف مـا وجـده الخليفة فتحقق عند الخليفة أن الشاب هو الذي قتل الصبية فتعجب الخليفة وقال ما سبب قتلك هذه الصبية بغير حق وما سبب أقرارك بالقتل من غير ضرب وقولك اقتصوا لها مني فقال الشاب أعلم يا أمير المـؤمنين أن هذه الصبية زوجتي وبنت عمي وهذا الشيخ أبوها وهو عمي وتزوجت بها وهي بكر فرزقني ا منها ثلاثـة أولاد ذكوراً وكانت تحبني وتخدمني ولم أر عليها شيئاً فلما كان أول هذا الشـهر مرضـت مرضـاً شـديداً فأحضرت لها الأطباء حتى حصلت لها العافية فأردت أن أدخلها الحمام فقالت أني أريد شـيئاً قبـل دخـول الحمام لأني أشتهيه فقلت لها وما هو فقالت أني اشتهي تفاحة أشمها وأعض منها عضة فطلعت من سـاعتي

إلى المدينة وفتشت على التفاح ولو كانت الواحدة بدينار فلم أجده فبت تلك الليلة وأنا متفكـر فلمـا أصـبح الصباح خرجت من بيتي ودرت على البساتين واحداً واحداً فلم أجده فيها فصادفني خولي كبير فسـألته عـن التفاح فقال يا ولدي هذا شيء قل أن يوجد لأنه معدوم ولا يوجد إلا في بستان أميـر المـؤمنين الـذي فـي البصرة وهو عند الخولي يدخره للخليفة فجئت إلى زوجتي وقد حملتني محبتي أياها على أن هيـأت نفسـي وسافرت ١٥ يوماً ليلاً ونهاراً في الذهاب والأياب وجئت لها بثلاث تفاحات اشتريتها مـن خـولي البصـرة بثلاثة دنانير ثم أني دخلت وناولتها أياها فلم تفرح بها بل تركتها في جانبها وكان مرض الحمى قد اشتد بهـا ولم تزل في ضعفها إلى أن مضى لها عشرة أيام وبعد ذلك عوفيت فخرجت من البيت وذهبت إلـى دكـاني وجلست في بيعي وشرائي فبينما أنا جالس في وسط النهار وإذا بعبد أسود مر علي وفي يده تفاحة يلعب بها فقلت له من أين أخذت هذه التفاحة حتى آخذ مثلها فضحك وقال أخذتها من حبيبتي وأنا كنت غائبـاً وجئـت فوجدتها ضعيفة وعندها ثلاث تفاحات فقالت أن زوجي الديوث سافر من شأنها إلى البصرة فأشتراها بثلاثـة دنانير فأخذت منها هذه التفاحة فلما سمعت كلام العبد يا أمير المؤمنين أسودت الدنيا في وجهي وقفلت دكاني وجئت إلى البيت وأنا فاقد العقل من شدة الغيظ فلم أجد التفاحة الثالثة فقلت لها أين الثالثة فقالت لا أدري ولا أعرف أين ذهبت فتحققت قول العبد وقمت أخذت سكيناً وركبت على صدرها ونحرتها بالسـكين وقطعـت رأسها وأعضائها وحطيتها في القفة بسرعة وغطيتها بالأزرار وحطيت عليها شـقة بسـاط وأنزلتهـا فـي الصندوق وقفلته وحملتها على بغلتي ورميتها في الدجلة بيدي فبا عليك يا أمير المؤمنين أن تعجـل بقتلـي قصاصاً لها فأني خائف من مطالبتها يوم القيامة فأني لما رميتها في بحر الدجلة ولم يعلم بها أحد رجعت إلى البيت فوجدت ولدي الكبير يبكي ولم يكن له علم بما فعلت في أمه فقلت له ما يبكيك فقال أني أخذت تفاحـة من التفاح الذي عند أمي ونزلت بها إلى الزقاق العب مع أخواني وإذا بعبد أسود طويل خطفها مني وقال لي من أين جاءتك هذه فقلت له هذه سافر أبي وجاء بها من البصرة من أجل أمي وهي ضعيفة وأشترى ثـلاث تفاحات بثلاثة دنانير فأخذها مني وضربني وراح بها فخفت من أمي أن تضربني من شـأن التفاحـة فلمـا سمعت كلام الولد علمت أن العبد هو الذي افترى الكلام الكذب على بنت عمي وتحققت أنها قتلت ظلمـاً ثـم أني بكيت بكاء شديداً وإذا بهذا الشيخ وهو عمي والدها قد أقبل فأخبرته بما كان فجلس بجانبي وبكى ولم نزل نبكي إلى نصف الليل وأقمنا العزاء خمسة أيام ولم نزل إلى هذا اليوم ونحن نتأسف علـى قتلهـا فبحرمـة أجدادك أن تعجل بقتلي وتقتص لها مني فلما سمع الخليفة كلام الشاب تعجب وقـال وا لا أقتـل إلا العبـد الخبيث وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة أقسم أنه لا يقتل إلا العبد لأن الشاب معذور ثـم أن الخليفـة التفت إلى جعفر وقال له أحضر لي هذا العبد الخبيث الذي كان سبباً في هذه القضية وأن لم تحضـره فأنـت تقتل عوضاً عنه فنزل يبكي ويقول من أين أحضره ولا كل مرة تسلم الجرة وليس لي في هذا الأمـر حيلـة والذي سلمني في الأول يسلمني في الثاني وا ما بقيت أخرج من بيتي ثلاثة أيام والحق سبحانه يفعـل مـا يشاء ثم أقام في بيته ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أحضر القاضي وأوصى وودع أولاده وبكـى وإذا برسـول



الخليفة أتى إليه وقال له أن أمير المؤمنين في أشد ما يكون من الغضب وأرسلني إليك وحلف أنه لا يمر هذا النهار إلا وأنت مقتول أن لم يحضر له العبد فلما سمع جعفر هذا الكلام بكى وبكت أولاده فلما فرغ من التوديع تقدم إلى بنته الصغيرة ليودعها وكان يحبها أكثر من أولاده جميعاً فضمها إلى صدره وبكى على فراقها فوجد في جيبها شيء مكبباً فقال لها ما الذي في جيبك فقالت له يا أبت تفاحة جاء بها عبدنا ريحان ولها معي أربعة أيام وما أعطاها لي حتى أخذ مني دينارين فلما سمع جعفر بذكر العبد والتفاحة فرح وقال يا قريب الفرج ثم أنه أمر بإحضار العبد فحضر فقال له من أين هذه التفاحة فقال يا سيدي من مدة خمسة أيام كنت ماشياً فدخلت في بعض أزقة المدينة فنظرت صغاراً يلعبون ومع واحد منهم هذه التفاحة فخطفتها منه وضربته فبكى وقال هذه لامي وهي مريضة وأشتهت على أبي تفاحاً فسافر إلى البصرة وجاء لها بثلاث تفاحات بثلاث دنانير فأخذت هذه العب بها ثم بكى فلم التفت إليه وأخذتها وجئت بها إلى هنا فأخذتها سيدتي الصغيرة بدينارين فلما سمع جعفر هذه القصة تعجب لكون الفتنة وقتل الصبية من عبده وأمر بسجن العبد وفرح بخلاص نفسه ثم أنشد هذين البيتين:

ومن كانت ذريته بعبد	فما للنفس تجعله فداها
فأنك واجد خدماً كثيراً	ونفسك لم تجد نفساً سواها

ثم أنه قبض على العبد وطلع به إلى الخليفة فأمر أن تؤرخ هذه الحكاية وتجعل سيراً بين الناس فقال له جعفر لا تعجب يا أمير المؤمنين من هذه القصة فما هي بأعجب من حديث الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه فقال الخليفة وأي حكاية أعجب من هذه الحكاية فقال جعفر يا أمير المؤمنين لا أحدثك إلا بشرط أن تعتق عبدي من القتل فقال قد وهبت لك دمه.

(حكاية الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه)

فقال جعفر أعلم يا أمير المؤمنين أنه كان في مصر سلطان صاحب عدل وإحسان له وزير عاقل خبير له علم بالأمور والتدبير وكان شيخاً كبيراً وله ولدان كأنهما قمران وكان اسم الكبيـر شـمس الـدين واسـم الصغير نور الدين وكان الصغير أميز من الكبير في الحسن والجمال وليس في زمانه أحسن منه حتـى أنـه شاع ذكره في البلاد فكان بعض أهلها يسافر من بلاده إلى بلده لأجل رؤية جماله فأتفق أن والـدهما مـات فحزن عليه السلطان وأقبل على الولدين وقربهما وخلع عليهما وقال لهما أنتما في مرتبة أبيكما ففرحا وقـبلا الأرض بين يديه وعملا العزاء لأبيهما شهراً كاملاً ودخلا في الوزارة وكل منهما يتولاهـا جمعـة وإذا أراد السلطان السفر يسافر مع واحد منهما فأتفق في ليلة من الليالي أن السلطان كان عازماً على السفر في الصباح وكانت النوبة للكبير فبينما الأخوان يتحدثان في تلك الليلة إذ قال الكبير يا أخي قصدي أن أتزوج أنا وأنت في ليلة واحدة فقال الصغير افعل يا أخي ما تريد فإني موافقك على ما تقول واتفقا على ذلك ثم أن الكبيـر قـال لأخيه أن قدر ا وخطبنا بنتين ودخلنا في ليلة واحدة ووضعنا في يوم واحد وأراد ا وجاءت زوجتك بغلام وجاءت زوجتي ببنت تزوجهما لبعضهما لأنهما أولاد عم فقال نور الدين يا أخي ما تأخذ من ولدي في مهـر بنتك قال آخذ من ولدك في مهر بنتي ثلاثة آلاف دينار وثلاثة بساتين وثلاث ضياع فإن عقد الشـاب عقـدة بغير هذا لا يصح فلما سمع نور الدين هذا الكلام قال ما هذا المهر الذي شرطته على ولدي أما تعلـم أننـا أخوات ونحن الاثنان وزيران في مقام واحد وكان الواجب عليك أن تقدم ابنتك لولدي هدية من غيـر مهـر فإنك تعلم أن الذكر أفضل من الأنثى وولدي ذكر ونذكر به خلاف ابنتك فقال وما لها قال لا نذكر بهـا بـين الأمراء ولكن أنت تريد أن تفعل معي على رأي الذي قال أن أردت تطرده فاجعل الثمن غالياً وقيل أن بعض الناس قدم على بعض أصحابه فقصده في حاجة فغلى عليه الثمن فقال له شمس الدين أراك قد قصرت لأنـك تعمل ابنك أفضل من بنتي ولا شك أنك ناقص عقل وليس لك أخلاق حيث تذكر شركة الـوزارة وأنـا مـا أدخلتك معي في الوزارة إلا شفقة عليك ولأجل أن تساعدني وتكون لي معيناً ولكن قل ما شئت وحيث صدر منك هذا القول وا لا أزوج بنتي لولدك ولو وزنت ثقلها ذهباً فلما سمع نور الدين كلام أخيه اغتـاظ وقـال وأنا لا أزوج أبني أبنتك فقال شمس الدين أنا لا أرضاه لها بعلاً ولولا أنني أريد السفر لكنت عملـت معـك العبر ولكن لما أرجع من السفر يعمل ا ما يريد فلما سمع نور الدين من أخيه ذلك الكلام امتلأ غيظاً وغاب عن الدنيا وكتم ما به وبات كل واحد في ناحية فلما أصبح الصباح برز السلطان للسفر وعدى إلى الجزيـرة وقد الأهرام وصحبته الوزير شمس الدين وأما أخوه نور الدين فبات في تلك الليلة في أشد ما يكون من الغيظ فلما أصبح الصباح قام وصلى الصبح وعمد إلى خزانته وأخذ منها خرجا صغيراً وملأه ذهباً وتـذكر قـول أخيه واحتقاره أياه وافتخاره فأنشد هذه الأبيات:

سـافر تجـد عوضـاً عمـن تفارقـه ... وأنصب فإن لذيذ العـيش فـي النصـب

مـا فـي المقـام لـذي لـب وذي أدب ... معـزة فـأترك الأوطـان وأغتـرب

أنـي رأيـت وقـوف المـاء يفسـده ... فإن جرى طاب أو لـم يجـر لـم يطـب

والبـدر لـولا أفـول منـه مـا نظـرت ... إليـه فـي كـل حـين عـين مرتقـب

والأسد لولا فـراق الغـاب مـا قنصـت		والسهم لولا فـراق القـوس لـم يصـب
والتبـر كـالترب ملقـى فـي أماكنـه		والعود في أرضـة نـوع مـن الحطـب
فـإن تغـرب هـذا عـز مطلبـه		وأن أقـام فـلا يعلـوا إلـى رتـب

فلما فرغ من شعره أمر بعض غلمانه أن يشد له بغلة زرزورية غالية سريعة المشي فشـدها ووضـع عليها سرجا مذهباً بركابات هندية وعباءات من القطيفة الأصفهانية فسارت كأنها عروس مجليـة وأمـر أن يجعل عليها بساط حرير وسعادة وأن يوضع الخرج من تحت السجادة ثم قال للغلام والعبيد قصدي أن أتفرج خارج المدينة وأروح نواحي القليوبية وأبيت ثلاث ليال فلا يتبعني منكم أحد فإن عندي ضيق صدر ثم أسرع وركب البغلة وأخذ معه شيئاً قليلاً من الزاد وخرج من مصر واستقبل البر فما جاء عليه الظهر حتى دخـل مدينة بلبيس فنزل عن بغلته واستراح وأراح البغلة وأكل شيئاً وأخذ من بلبيس ما يحتاج إليه وما يعلـق بـه على بغلته ثم استقبل البر فما جاء عليه الظهر بعد يومين حتى دخل مدينة القدس فنزل عن بغلته واسـتراح وأراح بغلته وأخرج شيئاً أكله ثم حط الخرج تحت رأسه وفرش البساط ونام في مكان والغيظ غالب عليه ثـم أنه بات في ذلك المكان فلما أصبح الصباح ركب وصار يسوق البغلة إلى أن وصل إلى مدينة حلب فنزل في بعض الخانات وأقام ثلاثة أيام حتى استراح وأراح البغلة وشم الهواء ثم عزم على السفر وركب بغلته وخرج مسافر أولاً يدري أين يذهب ولم يزل سائراً إلى أن وصل إلى مدينة البصرة ليلاً ولم يشعر بذلك حتى نـزل في الخان وأنزل الخرج عن البغلة وفرش السجادة وأودع البغلة بعدتها عند البواب وأمره أن يسيرها فأخذها وسيرها فاتفق أن وزير البصرة جالس في شباك قصره فنظر إلى البغلة ونظر ما عليها من العـدة المثمنـة فظنها بغلة وزير من الوزراء أو ملك من الملوك فتأمل في ذلك وحار عقله وقال لبعض غلمانه ائتني بهـذا البواب فذهب الغلام إلى البواب وأتي به إلى الوزير فتقدم البواب وقبل الأرض بين يديه وكان الوزير شـيخاً كبيراً فقال للبواب من صاحب هذه البغلة وما صفاته فقال البواب يا سيدي أن صاحب هذه البغلة شاب صغير ظريف الشمائل من أولاد التجار عليه هيبة ووقار فلما سمع الوزير كلام البواب قام على قدميه وركب وسار إلى الخان ودخل على الشاب فلما رأى نور الدين الوزير قادماً عليه قام على قدميه ولاقاه واحتضـنه ونـزل الوزير من فوق جواده وسلم عليه فرحب به وأجلسه عنده وقال له يا ولدي من أين أقبلت وماذا تريـد فقـال نور الدين يا مولاي أني قدمت من مدينة مصر وكان أبي وزيراً فيها وقد انتقل إلى رحمة ا وأخبـره بمـا جرى من المبتدأ إلى المنتهى ثم قال وقد عزمت على نفسي أن لا أعود أبداً حتى أنظر جميع المدن والبلـدان فلما سمع الوزير كلامه قال له يا ولدي لا تطاوع النفس فترميك في الهلاك فإن البلدان خراب وأنـا أخـاف عليك من عواقب الزمان ثم أنه أمر بوضع الخرج عن البغلة والبساط والسجادة وأخذ نور الدين معه إلى بيته وأنزله في مكان ظريف وأكرمه وأحسن إليه وأحبه حباً شديداً وقال له يا ولدي أنا بقيت رجلاً كبيراً ولم يكن لي ولد ذكر وقد رزقني ا بنتاً تقاربك في الحسن ومنعت عنها خطاباً كثيرة وقد وقع حبك في قلبي فهل لك أن تأخذا بنتي جارية لخدمتك وتكون لها بعلا فإن كنت تقبل ذلك أطلع إلى سلطان البصرة وأقول له أنه ولـد أخي وأوصلك إليه حتى أجعلك وزيراً مكاني وألزم أنا بيتي فإنني صرت رجلاً كبيراً فلما سمع نـور الـدين كلام وزير البصرة أطرق برأسه ثم قال سمعاً وطاعة ففرح الوزير بذلك وأمر غلمانه أن يصنعوا له طعامـاً

وأن يزينوا قاعة الجلوس الكبيرة المعدة لحضور أكابر الأمراء ثم جمع أصحابه ودعا أكابر الدولـة وتجـار البصرة فحضروا بين يديه وقال لهم أنه كان لي أخ وزير بالديار المصرية ورزقه الله ولدين وأنا كما تعلمون رزقني الله بنتاً وكان أخي أوصاني أن أزوج بنتي لأحد أولاده فأجبته إلى ذلك فلما استحقت الـزواج أرسـل إلى أحد أولاده وهو هذا الشاب الحاضر فلما جاءني أحببت أن أكتب كتابه على بنتي ويدخل بها عندي فقالوا نعم ما فعلت ثم شربوا السكر ورشوا ماء الورد وانصرفوا وأما الوزير فإنه أمر غلمانه أن يأخذوا نور الدين ويدخلوا به الحمام وأعطاه الوزير بدلة من خاص ملبوسه وأرسل إليه الفوط والكاسات ومجامر البخور ومـا يحتاج إليه فلما خرج من الحمام لبس البدلة فصار كالبدر ليلة تمامه ثم ركب بغلته ولم يزل سائراً حتى وصل إلى قصر الوزير فنزل عن البغلة ودخل على الوزير فقبل يده ورحب به الوزير وأدرك شـهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قام له ورحب به وقال له قم أدخل هذه الليلة على زوجتك وفي غد أطلع بك إلى السلطان وأرجو لك من الله كل خير فقام نور الدين ودخل على زوجته بنت الوزير هذا مـا كان من أمر نور الدين (وأما) ما كان من أمر أخيه فإنه غاب مع السلطان مدة في السفر ثم رجع فلـم يجـد أخاه فسأل عنه الخدم فقالوا له من يوم سافرت مع السلطان ركب بغلته بعدة الموكب وقال أنه متوجـه إلـى جهة القليوبية فأغيب يوماً أو يومين فإن صدري ضاق ولا يتبعني منكم أحد ومن يوم خروجه إلى هذا اليـوم لم نسمع له خبراً فتشوش خاطر شمس الدين على فراق أخيه وأغتم غماً شديداً لفقده وقال في نفسه ما سـبب ذلك إلا أنني أغلظت عليه في الحديث ليلة سفري مع السلطان فلعله تغير خاطره وخـرج مسـافراً فلابـد أن أرسل خلفه ثم طلع وأعلم السلطان بذلك فكتب بطاقات وأرسل بها إلى نوابه في جميع البلاد ونور الدين قطع بلاداً بعيدة في مدة غياب أخيه مع السلطان فذهبت الرسل بالمكاتيب ثم عادوا ولم يقفوا له على خبر ويـئس شمس الدين من أخيه وقال لقد أغلظت أخي بكلامي من جهة زواج الأولاد فليت ذلك لم يكن وما حصل ذلـك إلا من قلة عقلي وعدم تدبيري ثم بعد مدة يسيرة خطب بنت رجل من تجار مصر وكتب كتابه عليها ودخـل بها وقد أتفق أن ليلة دخول شمس الدين على زوجته كانت ليلة دخول نور الدين على زوجتـه بنـت وزيـر البصرة وذلك بإرادة الله تعالى حتى ينفذ حكمه في خلقه وكان الأمر كما قالاه فأتفق أن الزوجتين حملتا منهما وقد وضعت زوجة شمس الدين وزير مصر بنتاً لا يرى في مصر أحسن منها ووضعت زوجة نـور الـدين ولدا ذكرا لايري في زمانه أحسن منه كما قال الشاعر:

ومهفهـ ـف يغنـ ـي النـ ـديم بريقـ ـه	عـ ـن كأسـ ـه المـ ـلأى وعـ ـن أبريقـ ـه
فعـ ـل المـ ـدام ولونهـ ـا ومـ ـذاقها	مـ ـن مقلتيـ ـه ووجنتـ ـه وريقـ ـه

فسموه حسناً وفي سابع ولادته صنعوا الولائم وعملوا أسمطه تصلح لأولاد الملوك ثم أن وزير البصرة أخذ معه نور الدين وطلع به إلى السلطان فلما صار قدامه قبل الأرض بين يديه وكان نـور الـدين فصـيح اللسان ثابت الجنان صاحب حسن وإحسان فأنشد قول الشاعر:

هـ ـذا الـ ـذي عـ ـم الأنـ ـام بعدلـ ـه	وسـ ـطا فمهـ ـد سـ ـائر الآفـ ـاق



أشـ ـكر صـ ـنائعه فلسـ ـن صـ ـنائعاً	لكـ ـ ـ ـنهن قلائـ ـ ـ ـد الأعنـ ـ ـ ـاق
وأنـ ـتم أناملـ ـه فلسـ ـن أنـ ـاملا	لكـ ـ ـ ـ ـنهن مفـ ـ ـ ـ ـاتح الأرزاق

فألزمهما السلطان وشكر نور الدين على ما قال وقال لوزيره من هذا الشاب فحكى له الوزير قصـته من أولها إلى آخرها وقال له هذا ابن أخي فقال وكيف يكون ابن أخيك ولم نسمع به فقال يا مولانا السـلطان أنه كان لي أخ وزير بالديار المصرية وقد مات وخلف ولدين فالكبير جلس في مرتبة والده وزيراً وهذا ولده الصغير جاء عندي وحلفت أني لا أزوج ابنتي إلا له فلما جاء زوجته بها وهو شاب وأنا صرت شيخاً وقـل سمعي وعجز تدبيري والقصد من مولانا السلطان أن يجعله في مرتبتي فإنه ابن أخي وزوج ابنتي وهو أهل للوزارة لأنه صاحب رأي وتدبير فنظر السلطان إليه فأعجبه واستحسن رأي الوزير بما أشار عليه من تقديمه في رتبة الوزراء فأنعم عليه بها وأمر له بخلعة عظيمة وزاد له الجوامك والجرايات إلى أن اتسع عليه الحال وسار له مراكب تسافر من تحت يده بالمتاجر وغيرها وعمر أملاكاً كثيرة ودواليب وبساتين إلى أ، بلغ عمر ولده حسن أربع سنين فتوفى الوزير الكبير والد زوجة نور الدين فأخرجه خرجة عظيمة وأوراه في التـراب ثم اشتغل بعد ذلك بتربية ولده فلما بلغ أشده أحضر له فقيهاً يقرئه في بيته وأوصاه بتعليمه وحسـن تربيتـه فأقرأه وعلمه فوائد في العلم بعد أن حفظ القرآن في عدة سنوات ومازال حسن يزداد جمالاً وحسناً وأعتـدالاً كما قال الشاعر:

قمـ ـر تكامـ ـل فـ ـي المحاسـ ـن وانتهـ ـى	فالشـ ـمس تشـ ـرق مـ ـن شـ ـقائق خـ ـده
ملـ ـك الجمـ ـال بأسـ ـره فكأنمـ ـا	حسـ ـن البريـ ـة كلهـ ـا مـ ـن عنـ ـده

وقد رباه الفقيه في قصر أبيه ومن حين نشأته لم يخرج من قصر الوزارة إلى أن أخذه والده الـوزير نور الدين يوماً من الأيام وألبسه بدلة من أفخر ملبوسه وأركبه بغلة من خيار بغاله وطلع به إلـى السـلطان ودخل به عليه فنظر الملك حسن بدر الدين بن الوزير نور الدين فأنبهر من حسنه وقال لأبيه يا وزير لابـد أنك تحضره معك في كل يوم فقال سمعاً وطاعة ثم عاد الوزير بولده إلى منزله ومازال يطلع به إلى تحضره السلطان في كل يوم إلى أن بلغ الولد من العمر خمسة عشر عاماً ثم ضعف والده الوزير نور الدين فأحضره وقال له يا ولدي اعلم أن الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء وأريد أن أوصيك وصايا فافهم ما أقول لك وأصـغ قلبك غليه وصار يوصيه بحسن عشرة الناس وحسن التدبير ثم أن نور الدين تذكر أخاه وأوطانه وبلاده وبكى على فرقة الأحباب وسحت دموعه وقال يا ولدي اسمع قولي فإن لي أخاً يسمى شمس الدين وهو عمك ولكنه وزير بمصر قد فارقته وخرجت على غير رضاه والقصد أنك تأخذ درجاً من الورق وتكتب ما أمليه عليـك فأحضر قرطاساً وصار يكتب فيه كل ما قاله أبوه فأملى عليه جميع ما جرى له من أوله إلى آخره وكتب له تاريخ زواجه ودخوله على بنت الوزير وتاريخ وصوله إلى البصرة واجتماعه بوزيرها وكتب وصية موثقـة ثم قال لولده أحفظ هذه الوصية فإن ورقتها فيها أصلك وحسبك ونسبك فإن أصابك شيء من الأمور فاقصـده مصر واستبدل على عمك وسلم عليه واعلمه أني مت غريباً مشتاقاً إليه فأخذ حسن بدر الدين الرقعة وطواها ولف عليها خرقة مشمعة وخاطها بين البطانة والظهارة وصار يبكي على أبيه من أجل فراقه وهـو صـغير ومازال نور الدين يوصي ولده حسن بدر الدين حتى طلعت روحه فأقام الحزن في بيته وحزن عليه السلطان

وجميع الأمراء ودفنوه ولم يزالوا في حزن مدة شهرين وولده لم يركب ولم يطلع الديوان ولم يقابل السلطان وأقام مكانه بعض الحجاب وولى السلطان وزيراً جديداً مكانه وأمره أن يختم على أماكن نور الدين وعلى عماراته وعلى أملاكه قام الوزير الجديد وأخذ الحجاب وتوجهوا إلى بيت الوزير نور يختمون عليه ويقبضون على ولده حسن بدر الدين ويطلعون به إلى السلطان ليعمل فيه ما يقتضي رأيه وكان بين العسكر مملوك من مماليك الوزير نور الدين المتوفي فلم يهن عليه ولد سيده فذهب ذلك المملوك إلى حسن بدر الدين فوجده منكس الرأس حزين القلب على فراق والده فاعلمه بما جرى فقال له هل في الأمر مهلة حتى أدخل فأخذ معي شيئاً من الدنيا لأستعين به على الغربة فقال له المملوك أنج بنفسك فلما سمع كلام المملوك غطى رأسه بذيله وخرج ماشياً إلى أن صار خارج المدينة فسمع الناس يقولون أن السلطان أرسل الوزير الجديد إلى بيت وزيره المتوفي ليختم على ماله وأماكنه ويقبض على ولده حسن بدر الدين ويطلع به إليه فيقتله وصارت الناس تتأسف على حسنه وجماله فلما سمع كلام الناس خرج إلى غير مقصد ولم يعلم أين يذهب فلم يزل سائر إلى أن ساقته المقادير إلى تربة والده فدخل المقبرة ومشي بين القبور إلى أن جلس عند قبر أبيه وأزال ذيله من فوق رأسه فبينما هو جالس عند تربة أبيه إذ قدم عليه يهودي من البصرة وقال يا سيدي مالي أراك متغيراً فقال له أني كنت نائماً في هذه الساعة فرأيت أبي يعاتبني على عدم زيارتي قبره فقمت وأنا مرعوب وخفت أن يفوت النهار ولم أزره فيصعب على الأمر فقال له اليهودي يا سيدي أن أباك كان أرسل مراكب بحارة وقدم منها البعض ومرادي أن اشتري منك وثق كل مركب قدمت بألف دينار ثم أخرج اليهودي كيساً ممتلئاً من الذهب وعد منه ألف دينار ودفعه إلى حسن ابن الوزير ثم قال اليهودي اكتب لي ورقة واختمها فأخذ حسن ابن الوزير ورقة وكتب فيها كاتب هذه الورقة حسن بدر الدين ابن الوزير نور الدين قد باع لليهودي فلان جميع وثق كل مركب وردت من مراكب أبيه المسافرين بألف دينار وقبض الثمن على سبيل التعجيل فأخذ اليهودي الورقة وصار حسن يبكي ويتذكر ما كان فيه من العز والإقبال ثم دخل عليه الليل وأدركه النوم فنام عند قبر أبيه ولم يزل نائماً حتى طلع القمر فتدحرجت رأسه عن القبر ونام على ظهره وصار وجهه يلمع في القمر وكانت المقابر عامرة بالجن بالمؤمنين فخرجت جنية فنظرت وجه حسن وهو نائم فلما رأته تتجبت من حسنه وجماله وقالت سبحان ا ما هذا الشاب إلا كأنه من الحور العين ثم طارت إلى الجو تطوف على عادتها فرأت عفريتاً طائراً فسلمت عليه وسلم عليها فقالت له من أين أقبلت قال من مصر فقالت له هل لك أن تروح معي حتى تنظر إلى حسن هذا الشاب النائم في المقبرة فقال لها نعم فسارا حتى نزلا في المقبرة فقالت له هل رأيت في عمرك مثل هذا فنظر العفريت إليه وقال سبحان من لا شبيه له ولكن يا أختي أن أردت حدثتك بما رأيت فقالت له حدثني فقال لها أني رأيت مثل هذا الشاب في أقليم مصر وهي بنت الوزير وقد علم بها الملك فخطبها من أبيها الوزير شمس الدين فقال له يا مولانا السلطان أقبل عذري وارحم عبرتي فإنك تعرف أن أخي نور الدين خرج من عندنا ولا نعلم أين هو وكان شريكي في الوزارة وسبب خروجه أني جلست أتحدث معه في شأن الزواج فغضب مني وخرج مغضباً وحكى للملك جميع ما جرى بينهما ثم قال للملك فكان ذلك سبباً لغيظه وأنا حالف أن لا أزوج بنتي إلا لابن أخي من يوم ولدتها أمها وذلك نحو ثمان عشرة سنة ومن مدة قريبة سمعت أن أخي تزوج بنت وزير البصرة وجاء منها

بولد وأنا لا أزوج بنتي إلا له كرامة لأخي ثم أني أرخت وقت زواجي وحمل زوجتي وولادة هذه البنت وهي باسم ابن عمها والبنات كثير فلما سمع السلطان كلام الوزير غضب غضباً شديداً وقال له كيف يخطب مثلـي من مثلك بنتاً فتمنعها منه وتحتاج بحجة باردة وحياة رأسي لا أزوجها إلا لأقل منـي بـرغم أنفـك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجني لما حكى للجنية حكاية بنت وزير مصر وأن الملك قد أقسم أن يزوجها رغم أنف أبيها بأقل منه وكان عند الملك سائس أحدب بحدبة من قدام وحدبة من وراء فأمر السلطان بإحضاره وكتب كتابه على بنت الوزير بالقهر وأمر أن يدخل عليها في هذه الليلة ويعمل له زفافاً وقد تركـه وهو بين مماليك السلطان وهم حوله في أيديهم الشموع موقدة يضحكون عليه ويسخرون منه على باب الحمام وأما بنت الوزير فإنها جالسة تبكي بين المنقشات والمواشط وهي أشبه الناس بهذا الشاب وقد حجروا علـى أبيها ومنعوه أن يحضرها وما رأيت يا أختي أقبح من هذا الأحدب وأما الصبية فهي أحسن من هذا الشـاب قالت له الجنية تكذب فإن هذا الشاب أحسن أهل زمانه فرد عليها العفريت وقال وا يا أختـي أن الصـبية أحسن من هذا ولكن لا يصلح لها إلا هو فإنهما مثل بعضهما ولعلهما أخوان أو أولاداً عم فيا خسـارتها مـع هذا الأحدب فقالت له يا أخي دعنا ندخل تحته ونحمله ونروح به إلى الصبية التي تقول عليها وننظر أيهمـا أحسن فقال العفريت سمعاً وطاعة هذا كلام صواب وليس هناك أحسن من هذا الرأي الذي اخترتيه فأنا أحمله ثم أنه حمله وطار به إلى الجو وصارت العفريتة في كل ركابه تحاذيه إلى أن نزل به في مدينة مصر وحطه على مصطبة ونبهه فاستيقظ من النوم فلم يجد نفسه على قبر أبيه في أرض البصرة والتفت يميناً وشمالاً فلم يجد نفسه إلا في مدينة غير مدينة البصرة فأراد أن يصيح فغمزه العفريت وأوقد له شمعة وقال له اعلم أنـي قد جئت بك وأنا أريد أن أعمل معك شيئاً فخذ هذه الشمعة وامش بها إلى ذلك الحمام واختلط بالنـاس ولا تزل ماشياً معهم حتى تصل إلى قاعة العروسة فاسبق وادخل القاعة ولا تخشى أحداً وإذا دخلت فقف علـى يمين العريس الأحدب وكل ما جاءك المواشط والمغنيات والمنقشات فحط يدك في جيبك تجده ممتلئـاً ذهبـاً فاكبس وارم لهم ولا تتوهم أنك تدخل يدك ولم تجده ممتلئاً بالذهب فأعط كل من جاءك بالحفنة ولا تخشى من شيء وتوكل على الذي خلقك فما هذا بحولك وقوتك بل بحول ا وقوته فلما سمع حسن بـدر الـدين مـن العفريت هذا الكلام قال يا هل ترى أي شيء هذه القضية وما وجه الإحسان ثم مشى وأوقد الشمعة وتوجـه إلى الحمام فوجد الأحدب راكب الفرس فدخل حسن بدر الدين بين الناس وهو على تلك الحالة مع الصـورة الحسنة وكان عليه الطربوش والعمامة والفرجية المنسوجة بالذهب ومازال ماشياً في الزينـة وكلمـا وقفـت المغنيات الناس ينقطوهن يضع يده في جيبه فيلقاه ممتلئاً بالذهب فيـنكمش ويرمـي فـي الطـار للمغنيـات والمواشط فيملأ الطار دنانير فاندهشت عقول المغنيات وتعجب الناس من حسنه وجماله ولم يزل على هـذا الحال حتى وصلوا إلى بيت الوزير فردت الحجاب الناس ومنعوهم فقالت المغنيات والمواشط وا لا نـدخل إلا أن دخل هذا الشاب معنا لانه غمرنا بإحسانه ولا نجلى العروسة إلا وهو حاضر فعند ذلك دخلوا به إلـى قاعة الفرح وأجلسوه برغم أنف العريس الأحدب وأصطفت جميع نساء الأمراء والوزراء والحجاب صـفين

وكل امرأة معها شمعة كبيرة موقدة مضيئة وكلهن ملثمات وصرن صفوفاً يميناً وشمالاً من تحت المنصة إلى صدر الإيوان الذي عند المجلس الذي تخرج منه العروسة فلما نظر النساء حسن بدر الدين وما هو فيه من الحسن والجمال ووجهه يضيء كأنه هلال مالت جميع النساء إليه فقالت المغنيات للنساء الحاضرات اعلموا أن هذا المليح ما ينقطنا إلا بالذهب الأحمر فلا تقصرن في خدمته وأطعنه فيما يقول فازدحمن النساء عليه بالشمع ونظرن إلى جماله فانبهرت عقولهن من حسنه وصارت كل واحدة منهن تود أن تكون في حضنه سنه أو شهراً أو ساعة ورفعن ما كان على وجوههن من النقاب وتحيرت منهن الألباب وقلن هنيئاً لمن كان هذا الشاب له أو عليه ثم دعون على ذلك السائس الأحدب ومن كان سبباً في زواجه هذه المليحة وكلما دعون لحسن بدر الدين دعون على ذلك الأحدب ثم أن المغنيات ضربنا بالدفوف وأقبلت المواشط وبنت الوزير بينهن وقد طيبنها وعطرنها وألبسنها وحسن شعرها وبخرها بالحلى والحلل من لباس الملوك الأكاسرة ومن جملة ما عليها ثوب منقوش بالذهب الأحمر وفيه صور الوحوش والطيور وهو مسئول عليها من فوق حوائجها وفي عنقها عقد بالذهب الأحمر وفيه صور الوحوش والطيور وهو مسئول عليها من فوق حوائجها وفي عنقها عقد يساوي الألوف قد حوى كل فص من الجوهر ما حاز مثله تبع ولا قيصر وصارت العروسة كأنها البدر إذا أقمر في ليلة أربعة عشر ولما أقبلت كانت كأنها حورية فسبحان من خلقها بهية وأحدق بها النساء فصرن كالنجوم وهي بينهن كالقمر إذا انجلى عنه الغيم وكان حسن بدر الدين البصري جالساً والناس ينظرون إليه فحضرت العروسة وأقبلت وتمايلت فقام إليها السائس الأحدب ليقبلها فأعرضت عنه وانقلبت حتى صارت قدام حسن ابن عمها فضحك الناس فلما رأوها مالت إلى نحو حسن بدر الدين وحط يده في جيبه وكبش الذهب ورمى في طار المغنيات ففرحوا وقالوا كنا نشتهي أن تكون هذه العروسة لك فتبسم هذا كله والسائس الأحدب وحده كأنه قرد وكلما أوقدوا له الشمعة طفئت فبهت وصار قاعداً في الظلام يمقت في نفسه وهؤلاء الناس محدقون به وتلك الشموع الموقدة بهجتها من أعجب العجائب يتحير من شعاعها أولوا الألباب وأما العروسة فإنها رفعت كفيها إلى السماء وقالت اللهم اجعل هذا بعلي وأرحني من هذا السائس الأحدب وصارت المواشط تجلى العروسة إلى آخر السبع خلع على حسن بدر الدين البصري والسائس الأحدب وحده فلما فرغوا من ذلك أذنوا الناس بالإنصراف فخرج جميع من كان في الفرح من النساء والأولاد ولم يبق إلا حسن بدر الدين والسائس الأحدب ثم أن المواشط أدخلن العروسة ليكشفن ما عليها من الحلي والحلل ويهيئنها للعريس فعند ذلك تقدم السائس الأحدب إلي حسن بدر الدين وقال ياسيدي آنستنا في هذه الليلة وعمرتنا بإحسانك فلم لا تقوم تروح بيتك بلا مطرود فقال بسم ا ثم قام وخرج من الباب فلقيه العفريت فقال له قف يا بدر الدين فإذا خرج الأحدب إلى بيت الراحة فأدخل أنت وأجلس في المخدع فإذا أقبلت العروسة فقل لها أنا زوجك والملك ما عمل تلك الحيلة إلا لأنه يخاف عليك من العين وهذا الذي رأيته سائس من سياسنا ثم أقبل عليها وأكشف وجهها ولا تخش بأسا من أحد فبينما بدر الدين يتحدث مع العفريت وإذا بالسائس دخل بيت الراحة وقعد على الكرسي فطلع له العفريت من الحوض الذي فيه الماء في صورة فأر وقال زيق فقال الأحدب ما جاء بك هنا فكبر الفأر وصار كالقط ثم كبر حتى صار كلباً وقال عوه عوه فلما نظر السائس ذلك فزع وقال أخسأ يا مشؤوم فكبر الكلب وانتفخ حتى صار جحشاً ونهق وصرخ في وجهه هاق هاق فانزعج

السائس وقال الحقوني يا أهل البيت وإذا بالجحش قد كبر وصار قدر الجاموسة وسد عليه المكان وتكلم بكلام ابن آدم وقال ويلك يا أحدب يا أنتن السياس فلحق السائس البطن وقعد على الملاقي بأثوابه واشتبكت أسـنانه ببعضها فقال له العفريت هل ضاقت عليك الأرض فلا تتزوج إلا بمعشوقتي فسكت السائس فقـال هـل رد الجواب وألا إسكنك التراب فقال له وا مالي ذنب إلا أنهم غصبوني وما عرفت أن لها عشاقاً من الجواميس ولكن أنا تائب إلى ا ثم إليك فقال له العفريت أقسم با أن خرجت في هذا الوقت مـن هـذا الموضـع أو تكلمت قبل أن تطلع الشمس لاقتلنك فإذا طلعت الشمس فأخرج إلى حال سبيلك ولا تعد إلى هذا البيت أبداً ثم أن العفريت قبض على السائس الأحدب وقلب رأسه في الملاقي وجعلها إلى أسفل وجعل رجليه إلـى فـوق وقال له استمر هنا وأنا أحرسك إلى طلوع الشمس هذا ما كان من قصة الأحدب (وأما) ما كان مـن قصـة حسن بدر الدين البصري فإنه خلى الأجدب والعفريت يتخاصمان ودخل البيت وجلس في داخل المخـدع وإذا بالعروسة أقبلت ومعها عجوز فوقفت العجوز في باب المخدع وقالت يا أبا شهاب قم وخـذ عروسـتك وقـد استودعتك ا ثم ولت العجوز ودخلت العروسة في صدر المخدع وكان اسمها ست الحسن وقلبهـا مكسـور وقالت في قلبها وا لا أمكنه من نفسي ولو طلعت روحي فلما دخلت إلى صدر المخدع نظرت بـدر الـدين فقالت يا حبيبي وإلى هذا الوقت أنت قاعد لقد قلت في نفسي لعلك أنت والسائس الأحدب مشتركان في فقـال حسن بدر الدين وأي شيء أوصل السائس إليك ومن أين له أن يكون شريكي فيك فقالت ومن زوجي أنت أم هو قال حسن بدر الدين يا سيدتي نحن ما عملنا هذا إلا سخرية به لنضحك عليـه فلمـا نظـرت المواشـط والمغنيات وأهلك حسنك البديع خافوا علينا من العين فاكتراه أبوك بعشرة دنانير حتى يصرف عنا العين وقد راح فلما سمعت ست الحسن من بدر الدين ذلك الكلام فرحت وتبسمت وضحكت ضحكاً لطيفاً وقالت وا لقد اطفأت ناري فبا خذني عندك وضمني إلى حضنك وكانت بلا لباس فكشفت ثوبها إلى نحرها فبان ما قدامها وورائها فلما نظر بدر الدين صفاء جسمها تحركت فيه الشهوة فقام وحل لباسه ثم حل الكيس الذهب الذي كان أخذه من اليهودي ووضع فيه ألف دينار ولفه فى سرواله وحطه تحت ذيله الطراحة وقلع عمامته ووضـعها على الكرسي وبقي بالقميص الرفيع وكان القميص مطرز بالذهب فعند ذلك قامت إليه ست الحسـن وجذبتـه إليها وجذبها بدر الدين وعانقها وأخذ رجليها في وسطه ثم ركب المدفع وحرره على القلعـة وأطلقـه فهـدم البرج فوجدها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت فأزال بكارتها وتملي بشبابها ولم يزل يركب المدفع ويرد إلى غاية خمس عشرة فعلقت منه فلما فرغ حسن بدر الدين وضع يده تحت رأسها وكذلك الأخرى وضـعت يدها تحت رأسه ثم أنهما تعانقها وناما متعانقين وشرحا بعناقهما مضمون هذه الأبيات:

زر مـن تحـب ودع كـلام الحاسـد ليـس الحسـود علـى الهـوى بمسـاعد
لـم يخلـق الـرحمن أحسـن منظـراً مـن عاشـقين علـى فـراش واحـد
متعـانقين عليهمـا حلـل الرضـا متوسـدين بمعصـم وبسـاعد
وإذا تألفـت القلـوب علـى الهـوى فالنـاس تضـرب فـي حديـد بـارد
وإذا صـفا لـك مـن زمانـك واحـد فهـو المـراد وعـش بـذاك الواحـد

هذا ما كان من أمر حسن بدر الدين رست الحسن بنت عمه (وأما) ما كان من أمر العفريت فإنه قال للعفريتة قومي وادخلي تحت الشاب ودعينا نوديه مكانه لئلا يدركنا الصبح فإن الوقت قريب فعند ذلك تقدمت العفريتة ودخلت تحت ذيله وهو نائم وأخذته وطارت به وهو على حاله بالقميص وهو بلا لباس ومازالت العفريتة طائرة به والعفريت يحاذيها فأذن ا الملائكة أن ترمي العفريت بشهاب من نار فاحترق وسلمت العفريتة فأنزلت بدر الدين في موضع ما أحرق الشهاب العفريت ولم تتجاوزه به خوفاً عليه وكان بالأمر المقدر ذلك الموضع في دمشق الشام فوضعته العفريتة على باب من أبوابها وطارت فلما طلع النهار وفتحت أبواب المدينة خرج الناس فنظروا شابا مليحاً بالقميص والطاقية بلا عمامة ولا لباس وهو مما قاسى من السهر غرقان في النوم فلما رآه الناس قالوا يا بخت من كان هذا عنده في هذه الليلة وياليته صبر حتى لبس حوائجه وقال الآخر مساكين أولاد الناس لعل هذا يكون في هذه الساعة خرج من المسكرة لبعض شغله فقوي عليه السكر فتاه عن المكان الذي كان قصد حتى وصل إلى باب المدينة فوجده مغلقاً فنام ههنا وقد خاض الناس فيه بالكلام وإذا بالهوى هب على بدر الدين فرفع ذيله من فوق بطنه فبان من تحته بطن وسره محققة وسيقان وأفخاد مثل البلور فصار الناس يتعجبون فانتبه حسن بدر الدين فوجد روحه على باب مدينة وعليها ناس فتعجب وقال أين أنا يا جماعة الخير وما سبب اجتماعكم على وما حكايتي معكم فقالوا نحن رأيناك عند أذان الصبح ملقى على هذا الباب نائماً ولا نعلم من أمرك غير هذا فأين كنت نائماً هذه الليلة فقال حسن بدر الدين وا يا جماعة أني كنت نائماً هذه الليلة في مصر فقال واحد هل أنت تأكل حشيشاً وقال بعضهم أأنت مجنون كيف تكون بايتاً في مصر وتصبح نائماً في مدينة دمشق فقال لهم وا يا جماعة الخير لم أكذب عليكم أبداً وأنا كنت البارحة بالليل في ديار مصر وقبل البارحة كنت بالبصرة فقال واحد هذا شيء عجيب وقال الآخر هذا شاب مجنون وصفقوا عليه بالكفوف وتحدث الناس مع بعضهم وقالوا يا خسارة شبابه وا ما في جنونه خلاف ثم أنهم قالوا له أرجع لعقلك فقال حسن بدر الدين كنت البارحة عريساً في ديار مصر فقالوا لعلك حلمت ورأيت هذا الذي تقول في المنام فتحير حسن في نفسه وقال لهم وا ما هذا منام وأين السايس الأحدب الذي كان قاعداً عندنا والكيس الذهب الذي كان معي وأين ثيابي ولباسي ثم قام ودخل المدينة ومشى في شوارعها وأسواقها فازدحمت عليه الناس وزفوه فدخل دكان طباخ وكان ذلك الطباخ رجلاً مسرفاً فتاب ا عليه من الحرام وفتح له دكان طباخ وكان أهل دمشق كلهم يخافون منه بسبب شدة بأسه فلما نظر الناس إلى الشاب وقد دخل دكان الطباخ افترقوا وخافوا منه فلما نظر الطباخ إلى حسن بدر الدين وشاهد حسنه وجماله وقعت في قلبه محبته فقال من أين أنت يا فتى فاحكي لي حكايتك فإنك صرت عندي أعزم من روحي فحكى له ما جرى من المبتدأ إلى المنتهى فقال له الطباخ يا سيدي بدر الدين اعلم أن هذا أمر عجيب وحديث غريب ولكن يا ولدي أكتم ما معك حتى يفرج ا ما بك واقعد عندي في هذا المكان وأنا مالي ولد فاتخذك ولدي فقال له بدر الدين الأمر كما تريد يا عم فعند ذلك نزل الطباخ إلى السوق واشترى لبدر الدين أقمشة مفتخرة وألبسه أياها وتوجه به إلى القاضي وأشهد على نفسه أنه ولده وقد اشتهر حسن بدر الدين في مدينة دمشق أنه ولد الطباخ وقعد عنده في الدكان يقبض الدراهم وقد استقر أمره عند الطباخ على هذه الحالة هذا ما كان من أمر حسن بدر الدين (وأما) ما كان من أمر ست الحسن بنت عمه فأنها لما طلع الفجر

وأنتبهت من النوم لم تجد حسناً بدر الدين قاعداً عندها فاعتقدت أنه دخل المرحاض فجلست تنتظره ساعة وإذا بأبيها قد دخل عليها وهو مهموم مما جرى له من السلطان وكيف غصبه وزوج ابنته غصباً لأحد غلمانه الذي هو السايس الأحدب وقال في نفسه أقتل هذه البنت أن كانت مكنت هذا الخبيث من نفسها فمشى إلى أن وصل إلى المخدع ووقف على بابه وقال يا ست الحسن فقالت له نعم يا سيدي ثم أنها خرجت وهي تتمايل من الفرح وقبلت الأرض بين يديه وازداد وجهها نوراً وجمالاً لعناقها لذلك الغزال فلما نظرها أبوها وهي بتلك الحالة قال لها يا خبيثة هل أنت فرحانة بهذا السايس فلما سمعت ست الحسن كلام والدها تبسمت وقال با يكفي ما جرى منك والناس يضحكون علي ويعايروني بهذا السايس الذي ما يجيء في أصبعي قلامة ظفر إن زوجي وا ما بت طول عمري ليلة أحسن من ليلة البارحة التي بتها معه فلا تهزأ بي وتذكر لي ذلك الأحدب فلما سمع والدها كلامها امتزج بالغضب وازرقت عيناه وقال لها ويلك أي شيء هذا الكلام الذي تقولينه أن السايس الأحدب قد بات عندك فقالت با عليك لا تذكره لي قبحه ا وقبح أباه فلا تكثر المزاح بذكره فما كان السايس إلا مكترى بعشرة دنانير وأخذ أجرته وراح وجئت أنا ودخلت المخدع فنظرت زوجي قاعداً بعدما دخلتني عليه المغنيات ونقط بالذهب الأحمر حتى أغني الفقراء الحاضرين وقد بت في حضن زوجي الخفيف الروح صاحب العيون السود والحواجب المقرونة فلما سمع والدها هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاماً وقال لها يا فاجرة ما هذا الذي تقولينه أين عقلك فقالت له يا أبت لقد فتت كبدي لأي شيء تتغافل فهذا زوجي الذي أخذ وجهي قد دخل بيت الراحة وأنني قد علقت منه فقام والدها وهو متعجب ودخل بيت الخلاء فوجد السائس الأحدب ورأسه مغروزة في الملاقي ورجلاه مرتفعة إلى فوق فبهت فيه الوزير وقال أما هذا هو الأحدب فخاطبه فلم يرد عليه وظن الأحدب أنه العفريت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السائس الأحدب لما كلمه الوزير لم يرد عليه فصرخ عليه الوزير وقال له تكلم وألا أقطع رأسك بهذا السيف فعند ذلك قال الأحدب وا يا شيئاً العفاريت من حين جعلتني في هذا الموضع ما رفعت رأسي فبا عليك أن ترفق بي فلما سمع الوزير كلام الأحدب قال له ما تقول فإني أبو العروسة وما أنا عفريت فقال ليس عمري في يدك ولا تقدر أن تأخذ روحي فرح إلى حال سبيلك قبل أن يأتيك الذي فعل بي هذه الفعال فأنتم لا تزوجوني إلا بمعشوقة الجواميس ومعشوقة العفاريت فلعن ا من زوجني بها ولعن من كان السبب في ذلك فقال له الوزير قم وأخرج من هذا المكان فقال له هل أنا مجنون حتى أروح معك بغير أذن العفريت فإنه قال لي إذا طلعت الشمس فأخرج وروح إلى حال سبيلك فهل طلعت الشمس أولاً فإني لا أقدر أن أطلع من موضعي إلا أن طلعت الشمس فعند ذلك قال له الوزير من أتى بك إلى هذا المكان فقال أني جئت البارحة إلى هنا لأقضي حاجتي وأزيل ضرورتي وغذا بفار طلع من وسط الماء وصاح وصار يكبر حتى بقي قدر الجاموسة وقال لي كلاماً دخل في أذني فخلني ورح لعن العروسة ومن زوجني بها فتقدم إليه الوزير وأخرجه من المرحاض فخرج وهو يجري وما صدق أن الشمس طلعت وطلع إلى السلطان وأخبره بما أتفق له مع العفريت وأما الوزير أبو العروسة فإنه دخل البيت وهو حائر العقل في

أمر بنته فقال يا بنتي أكشفي لي عن خبرك فقالت أن الظريف الذي كنت أتجلى عليه بات عنـدي البارحـة وأزال بكارتي وعلقت منه وأن كنت لم تصدقني فهذه عمامته بلفتها على الكرسي ولباسه تحت الفراش وفيـه شيء ملفوف لم أعرف ما هو فلما سمع والدها ها هذا الكلام دخل المخدع فوجد عمامة حسن بدر الدين ابـن أخيه ففي الحال أخذها في يده وقلبها وقال هذه عمامة وزراء إلا أنها موصلية ثم نظر إلى الحرز مخيط فـي طربوشه فأخذه وفتقه وأخذ اللباس فوجد الكيس الذي فيه ألف دينار ففتحه فوجد فيه ورقة فقرأها فوجد مبايعة اليهودي واسم حسن بدر الدين بن نور الدين النصري ووجد الألف دينار فلما قرأ شمس الدين الورقة صرخ صرخة وخر مغشياً عليه فلما أفاق وعلم مضمون القصة تعجب وقال لا إله إلا ا القادر على كل شيء وقال يا بنت هل تعرفين من الذي أخذ وجهك قالت لا قال أنه ابن أخي وهو ابن عمك وهذه الألف دينـار مهـرك فسبحان ا فليت شعري كيف اتفقت هذه القضية ثم فتح الحرز المخيط فوجد فيه ورقة مكتوباً عليهـا بخـط أخيه نور الدين المصري أبي حسن بدر الدين فلما نظر خط أخيه انشد هذين البيتين:

أرى أثـــارهم فـــأذوب شـــوقاً	واســكب فــي مــواطنهم دمــوعي
وأســأل مــن بفــرقتهم رمــاني	يمـــن علـــي يومـــاً بـــالرجوع

فلما فرغ من الشعر قرأ الحرز فوجد فيه تاريخ زواجه بنت وزير البصرة وتاريخ دخوله بها وتـاريخ عمره إلى حين وفاته وتاريخ ولادة ولده حسن بدر الدين فتعجب واهتز من الطرب وقابل ما جـرى لأخيـه على ما جرى له فوجده سواء بسواء وزواجه وزواج الآخر موافقين تاريخاً ودخولهما بزوجتيهمـا متوافقـاً وولادة حسن بدر الدين ابن أخيه وولادة بنته ست الحسن متوافقين فأخذ الورقتين وطلع بهما إلـى السـلطان واعلمه بما جرى من أول الأمر إلى آخره فتعجب الملك وأمر أن يؤرخ هذا الأمر في الحال ثم أقام الـوزير ينتظر ابن أخيه فما وقع له على خبر فقال وا لأعملن عملاً ما سبقني إليه أحد وأدرك شـهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤)

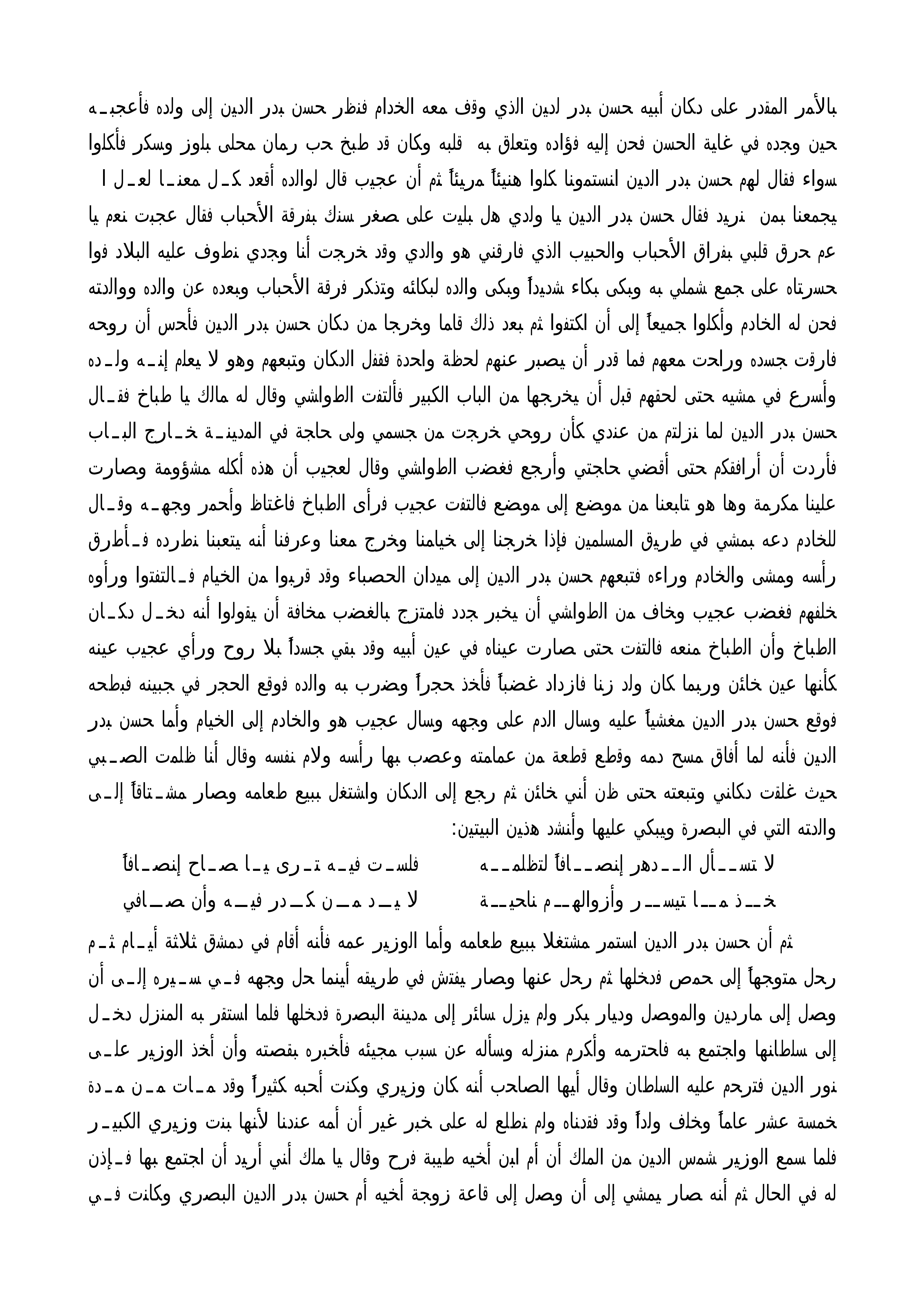
قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير أخذ دواة وقلما وكتب أمتعة البنت وأن الخشخانة في موضـع كذا والستارة الفلانية في موضع كذا وكتب جميع ما في البيت ثم طوى الكتاب وأمر بخزن جميـع الأمتعـة وأخذ العمامة والطربوش وأخذ معه الفرجية والكيس وحفظهما عنده وأما بنت الوزير فإنها لما كملت أشهرها ولدت ولداً مثل القمر يشبه والده من الحسن والكمال والبهاء والجمال فقطعوا سرته وكحلوا مقلته وسلموه إلى المرضعات وسموه عجيباً فصار يومه بشهر وشهره بسنة فلما مر عليه سبع سنين أعطاه جده لفقيه ووصـاه أن يربيه ويحسن تربيته فأقام في المكتب أربع سنوات فصار يقاتل أهل المكتب ويسبهم ويقول لهم من فـيكم مثلي أنا ابن وزير مصر فقامت الأولاد واجتمعوا يشكون إلى العريف مما قاسوه من عجيب فقال لهم العريف أنا أعلمكم شيئاً تقولون له لما يجيء فيتوب عن المجيء للمكتب وذلك أنه إذا جاء غدا فأقعدوا حوله وقولـوا لبعضكم وا ما يلعب معنا هذه اللعبة إلا من يقول لنا على اسم أمه واسم أبيه ومن لم يعرف اسم أمه واسـم أبيه فهو بن حرام فلا يلعب معنا فلما أصبح الصباح أتوا إلى المكتب وحضر عجيب فاحتاطـت بـه الأولاد وقالوا نحن نلعب لعبة ولكن ما يلعب معنا إلا من يقول لنا على اسم أمه واسم أبيه واتفقوا على ذلـك فقـال



واحد منهم اسمي ما جدى وأمي علاوي وأبي عز الدين وقال الآخر مثل قوله والآخر كذلك إلى أن جاء الدور إلى عجيب فقال أنا اسمي عجيب وأمي ست الحسن وأبي شمس الدين الوزير بمصر فقالوا له وا أن الوزير ما هو أبوك فقال عجيب الوزير أبي حقيقة فعند ذلك ضحكت عليه الأولاد وصفقوا عليه وقالوا أنت ما تعرف لك أبا فقم من عندنا فلا يلعب معنا إلا من يعرف اسم أبيه وفي الحال تفرق الأولاد من حوله وتضاحكوا عليه فضاق صدره وانخنق بالبكاء فقال له العريف هل تعتقد أن أباك جدك الوزير أبو أمك ست الحسن أن أباك ما تعرفه أنت ولا نحن لأن السلطان زوجها للسائس الأحدب وجاءت الجن فناموا عندها فإن لم تعرف لك أبا يجعلوك بينهم ولداً زنا ألا ترى أن ابن البائع يعرف أباه فوزير مصر أنما هو جدك وأما أبوك فلا نعرفه نحن ولا أنت فارجع لعقلك فلما سمع ذلك الكلام قام من ساعته ودخل على والدته ست الحسن وصار يشكو لها وهو يبكي ومنعه البكاء من الكلام فلما سمعت أمه كلامه وبكاءه التهب قلبها عليه وقالت له يا ولدي ما الذي أبكاك فاحك لي قصتك فحكى لها ما سمعه من الأولاد ومن العريف وقال يا والدتي من هو أبي قالت له أبوك وزير مصر فقال لها ليس هو أبي فلا تكذبي علي فإن الوزير أبوك أنت لا أبي أنا فمن هو أبي فإن لم تخبريني بالصحيح قتلت روحي بهذا الخنجر فلما سمعت والدته ذكر أبيه بكت لذكر ولد عمها وتذكرت محاسن حسن بدر الدين البصري وما جرى لها معه وصرخت وكذلك ولدها وإذا بالوزير دخل فلما نظر إلى بكائهما احترق قلبه وقال ما يبكيكما فأخبرته بما أتفق لولدها مع صغار المكتب فبكي الآخر ثم تذكر أخاه وما أتفق له معه وما اتفق لأبنته ولم يعلم بما اتفق لولدها مع صغار المكتب فبكي الآخر ثم تذكر أخاه وما اتفق له معه وما اتفق لأبنته ولم يعلم بما في باطن الأمر ثم قام الوزير في الحال ومشي حتى طلع إلى الديوان ودخل على الملك وأخبره بالقصة وطلب منه الإذن بالسفر إلى الشرق ليقصد مدينة البصرة ويسأل عن ابن أخيه وطلب من السلطان أن يكتب له مراسيم لسائر البلاد إذا وجد ابن أخيه في أي موضع يأخذه ثم بكى بين يدي السلطان فرق له قلبه وكتب مراسيل لسائر الأقاليم والبلاد ففرح بذلك ودعا للسلطان وودعه ونزل في الحال وتجهز للسفر وأخذ ما يحتاج إليه وأخذ ابنته وولدها عجيباً وسافر أول يوم وثاني يوم وثالث يوم حتى وصل إلى مدينة دمشق فوجدها ذات أشجار وأنهار كما قال الشاعر:

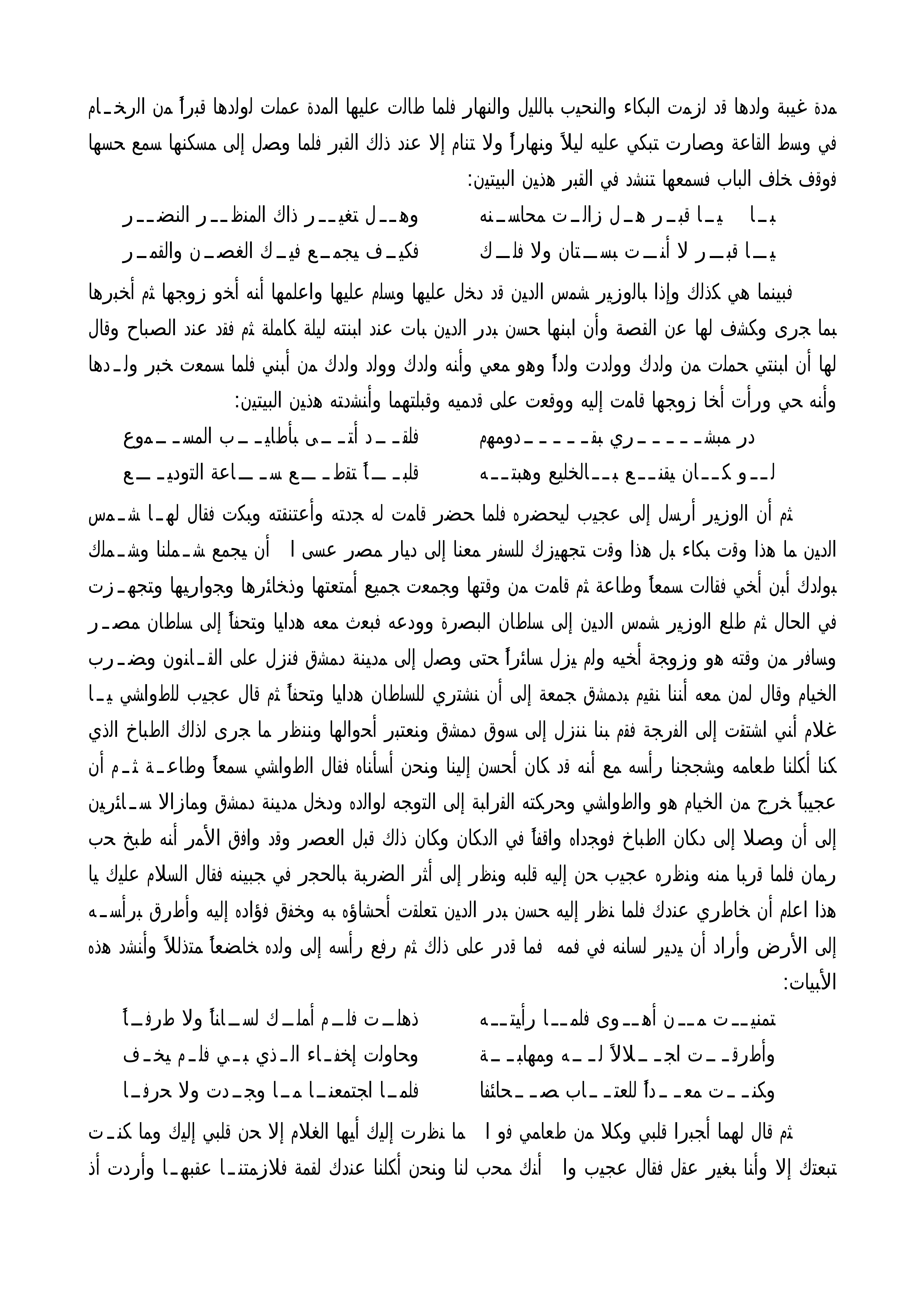
من بعد يوم في دمشق وليلتي حلف الزمان بمثلها لا يغلط
بتنا وجنح الليل في غفلاته ومن الصباح عليه فرع أشمط
والظل في تلك الغصون كأنه در يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة والريح تكتب والغمام ينقط

فنزل الوزير من ميدان الحصباء ونصب خيامه وقال لغلمانه نأخذ الراحة هنا يومين فدخل الغلمان المدينة لقضاء حوائجهم هذا يبيع وهذا يشتري وهذا يدخل الحمام وهذا يدخل جامع بني أمية الذي ما في الدنيا مثله ودخل المدينة عجيب هو وخادمه يتفرجان والخادم يمشي خلف عجيب وفي يده سوط لو ضرب به جملاً لسقط ولم يثر فلما نظر أهل دمشق إلى عجيب وقده واعتداله وبهائه وكماله بديع الجمال رخيم الدلال ألطف من نسيم الشمال وأحلى للظمآن من الماء الزلال وألد من القافية لصاحب الاعتلال فلما رآه أهل دمشق تبعوه وصارت الخلق تجري وراء وتتبعه وتقعد في الطريق حتى يجيء عليهم وينظرونه إلى أن وقف عجيب


بالأمر المقدر على دكان أبيه حسن بدر لدين الذي وقف معه الخدام فنظر حسن بدر الدين إلى ولده فأعجبـه حين وجده في غاية الحسن فحن إليه فؤاده وتعلق به قلبه وكان قد طبخ حب رمان محلى بلوز وسكر فأكلوا سواء فقال لهم حسن بدر الدين انستمونا كلوا هنيئاً مريئاً ثم أن عجيب قال لوالده أقعد كـل معنـا لعـل ا يجمعنا بمن نريد فقال حسن بدر الدين يا ولدي هل بليت على صغر سنك بفرقة الأحباب فقال عجبت نعم يا عم حرق قلبي بفراق الأحباب والحبيب الذي فارقني هو والدي وقد خرجت أنا وجدي نطوف عليه البلاد فوا حسرتاه على جمع شملي به وبكى بكاء شديداً وبكى والده لبكائه وتذكر فرقة الأحباب وبعده عن والده ووالدته فحن له الخادم وأكلوا جميعاً إلى أن اكتفوا ثم بعد ذلك قاما وخرجا من دكان حسن بدر الدين فأحس أن روحه فارقت جسده وراحت معهم فما قدر أن يصبر عنهم لحظة واحدة فقفل الدكان وتبعهم وهو لا يعلم إنـه ولـده وأسرع في مشيه حتى لحقهم قبل أن يخرجها من الباب الكبير فألتفت الطواشي وقال له مالك يا طباخ فقـال حسن بدر الدين لما نزلتم من عندي كأن روحي خرجت من جسمي ولى حاجة في المدينـة خـارج البـاب فأردت أن أرافقكم حتى أقضي حاجتي وأرجع فغضب الطواشي وقال لعجيب أن هذه أكله مشؤومة وصارت علينا مكرمة وها هو تابعنا من موضع إلى موضع فالتفت عجيب فرأى الطباخ فاغتاظ وأحمر وجهـه وقـال للخادم دعه بمشي في طريق المسلمين فإذا خرجنا إلى خيامنا وخرج معنا وعرفنا أنه يتعبنا نطرده فـأطرق رأسه ومشى والخادم وراءه فتبعهم حسن بدر الدين إلى ميدان الحصباء وقد قربوا من الخيام فـالتفتوا ورأوه خلفهم فغضب عجيب وخاف من الطواشي أن يخبر جدد فامتزج بالغضب مخافة أن يقولوا أنه دخـل دكـان الطباخ وأن الطباخ منعه فالتفت حتى صارت عيناه في عين أبيه وقد بقي جسداً بلا روح ورأي عجيب عينه كأنها عين خائن وربما كان ولد زنا فازداد غضباً فأخذ حجراً وضرب به والده فوقع الحجر في جبينه فبطحه فوقع حسن بدر الدين مغشياً عليه وسال الدم على وجهه وسال عجيب هو والخادم إلى الخيام وأما حسن بدر الدين فأنه لما أفاق مسح دمه وقطع قطعة من عمامته وعصب بها رأسه ولام نفسه وقال أنا ظلمت الصـبي حيث غلقت دكاني وتبعته حتى ظن أني خائن ثم رجع إلى الدكان واشتغل ببيع طعامه وصار مشـتاقاً إلـى والدته التي في البصرة ويبكي عليها وأنشد هذين البيتين:

لا تسـأل الـدهر إنصـافاً لتظلمـه	فلسـت فيـه تـرى يـا صـاح إنصـافاً
خـذ مـا تيسـر وأزوالهـم ناحيـة	لا يـد مـن كـدر فيـه وأن صـافي

ثم أن حسن بدر الدين استمر مشتغلا ببيع طعامه وأما الوزير عمه فأنه أقام في دمشق ثلاثة أيـام ثـم رحل متوجهاً إلى حمص فدخلها ثم رحل عنها وصار يفتش في طريقه أينما حل وجهه فـي سـيره إلـى أن وصل إلى ماردين والموصل وديار بكر ولم يزل سائر إلى مدينة البصرة فدخلها فلما استقر به المنزل دخـل إلى سلطانها واجتمع به فاحترمه وأكرم منزله وسأله عن سبب مجيئه فأخبره بقصته وأن أخذ الوزير علـى نور الدين فترحم عليه السلطان وقال أيها الصاحب أنه كان وزيري وكنت أحبه كثيراً وقد مـات مـن مـدة خمسة عشر عاماً وخاف ولداً وقد فقدناه ولم نطلع له على خبر غير أن أمه عندنا لأنها بنت وزيري الكبيـر فلما سمع الوزير شمس الدين من الملك أن أم ابن أخيه طيبة فرح وقال يا ملك أني أريد أن اجتمع بها فـإذن له في الحال ثم أنه صار يمشي إلى أن وصل إلى قاعة زوجة أخيه أم حسن بدر الدين البصري وكانت فـي



مدة غيبة ولدها قد لزمت البكاء والنحيب بالليل والنهار فلما طالت عليها المدة عملت لولدها قبراً من الرخـام في وسط القاعة وصارت تبكي عليه ليلاً ونهاراً ولا تنام إلا عند ذلك القبر فلما وصل إلى مسكنها سمع حسها فوقف خلف الباب فسمعها تنشد في القبر هذين البيتين:

بـا يـا قبـر هـل زالـت محاسـنه — وهـل تغيـر ذاك المنظـر النضـر
يـا قبـر لا أنـت بسـتان ولا فلـك — فكيـف يجمـع فيـك الغصـن والقمـر

فبينما هي كذلك وإذا بالوزير شمس الدين قد دخل عليها وسلم عليها واعلمها أنه أخو زوجها ثم أخبرها بما جرى وكشف لها عن القصة وأن ابنها حسن بدر الدين بات عند ابنته ليلة كاملة ثم فقد عند الصباح وقال لها أن ابنتي حملت من ولدك وولدت ولداً وهو معي وأنه ولدك وولد ولدك من أبني فلما سمعت خبر ولـدها وأنه حي ورأت أخا زوجها قامت إليه ووقعت على قدميه وقبلتهما وأنشدته هذين البيتين:

در مبشـ ـ ـ ـ ـري بقـ ـ ـ ـ ـدومهم — فلقـ ـد أتـ ـى بأطايـ ـب المسـ ـموع
لـو كـان يقنـع بـالخليع وهبتـه — قلبـ ـاً تقطـ ـع سـ ـاعة التوديـ ـع

ثم أن الوزير أرسل إلى عجيب ليحضره فلما حضر قامت له جدته وأعتنقته وبكت فقال لهـا شـمس الدين ما هذا وقت بكاء بل هذا وقت تجهيزك للسفر معنا إلى ديار مصر عسى ا أن يجمع شـملنا وشـملك بولدك أبن أخي فقالت سمعاً وطاعة ثم قامت من وقتها وجمعت جميع أمتعتها وذخائرها وجواريها وتجهـزت في الحال ثم طلع الوزير شمس الدين إلى سلطان البصرة وودعه فبعث معه هدايا وتحفاً إلى سلطان مصـر وسافر من وقته هو وزوجة أخيه ولم يزل سائراً حتى وصل إلى مدينة دمشق فنزل على القـانون وضـرب الخيام وقال لمن معه أننا نقيم بدمشق جمعة إلى أن نشتري للسلطان هدايا وتحفاً ثم قال عجيب للطواشي يـا غلام أني اشتقت إلى الفرجة فقم بنا ننزل إلى سوق دمشق ونعتبر أحوالها وننظر ما جرى لذلك الطباخ الذي كنا أكلنا طعامه وشججنا رأسه مع أنه قد كان أحسن إلينا ونحن أسأناه فقال الطواشي سمعاً وطاعـة ثـم أن عجيباً خرج من الخيام هو والطواشي وحركته القرابة إلى التوجه لوالده ودخل مدينة دمشق ومازالا سـائرين إلى أن وصلا إلى دكان الطباخ فوجداه واقفاً في الدكان وكان ذلك قبل العصر وقد وافق الأمر أنه طبخ حب رمان فلما قربا منه ونظره عجيب حن إليه قلبه ونظر إلى أثر الضربة بالحجر في جبينه فقال السلام عليك يا هذا اعلم أن خاطري عندك فلما نظر إليه حسن بدر الدين تعلقت أحشاؤه به وخفق فؤاده إليه وأطرق برأسـه إلى الأرض وأراد أن يدير لسانه في فمه فما قدر على ذلك ثم رفع رأسه إلى ولده خاضعاً متذللاً وأنشد هذه الأبيات:

تمنيـ ـت مـ ـن أهـ ـوى فلمـ ـا رأيتـ ـه — ذهلـ ـت فلـ ـم أملـ ـك لسـ ـاناً ولا طرفـ ـاً
وأطرقـ ـت اجـ ـلالاً لـ ـه ومهابـ ـة — وحاولت إخفـ ـاء الـ ـذي بـ ـي فلـ ـم يخـ ـف
وكنـ ـت معـ ـداً للعتـ ـاب صـ ـحائفا — فلمـ ـا اجتمعنـ ـا مـ ـا وجـ ـدت ولا حرفـ ـا

ثم قال لهما أجبرا قلبي وكلا من طعامي فو ا ما نظرت إليك أيها الغلام إلا حن قلبي إليك وما كنـت تبعتك إلا وأنا بغير عقل فقال عجيب وا أنك محب لنا ونحن أكلنا عندك لقمة فلازمتنـا عقبهـا وأردت أذ

تهتكنا ونحن لا نأكل لك أكلاً إلا بشرط أن نحلف أنك لا تخرج وراءنا ولا تتبعنا وألا نعود إليك من وقتنا هذا فنحن مقيمون في هذه المدينة جمعة حتى يأخذ جدي هدايا للملك فقال بدر الدين لكم على ذلك فدخل عجيب هو والخادم في الدكان فقدم لهما زبدية ممتلئة حب رمان فقال عجيب كل معنا لعل الله يفرج عنا ففرح حسن بدر الدين وأكل معهم حتى امتلأت بطونهما وشبعا شبعاً على خلاف عادتهما ثم أنصرفا وأسرعا في مشيهما حتى وصلا إلى خيامهما ودخل عجيب على جدته أم والده حسن بدر الدين فقبلته وتذكرت حسن بدر الدين فتنهدت وبكت ثم أنها أنشدت هذين البيتين:

لو لم أرى بأن الشمل يجتمع	ما كان لي في حياتي بعدكم طمع
أقسمت ما في فؤادي غير حبكم	والله ربي على الأسرار مطلع

ثم قالت لعجيب يا ولدي أين كنت قال في مدينة دمشق فعند ذلك قامت وقدمت له زبدية طعام من حب الرمان وكان قليل الحلاوة وقالت للخادم أقعد مع سيدك فقال الخادم في نفسه والله ما لنا شهية في الأكل ثم جلس الخادم وأما عجيب فإنه لما جلس كان بطنه ممتلئاً بما أكل وشرب فأخذ لقمة وغمسها في حب الرمان وأكلها فوجده قليل الحلاوة لأنه شبعاناً فتضجر وقال أي شيء هذا الطعام الوحش فقالت جدته يا ولدي أتعيب طبيخي وأنا طبخته ولا أحد يحسن الطبيخ مثلي إلا والدك حسن بدر الدين فقال عجيب والله يا سيدتي أن طبيخك هذا غير منقل نحن في هذه الساعة رأينا في المدينة طباخاً طبخ حب رمان ولكن رائحته ينفتح لها القلب وأما طعامه فأنه يشتهي نفس المتخوم أن تأكل وأما طعامك بالنسبة إليه فأنه لا يساوي كثيراً ولا قليلاً فلما سمعت جدته كلامه اغتاظت غيظ شديداً ونظرت إلى الخادم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جدة عجيب لما سمعت كلامه اغتاظت ونظرت إلى الخادم وقالت له ويلك هل أنت أفسدت ولدي لأنك دخلت به إلى دكاكين الطباخين فخاف الطواشي وأنكر وقال ما دخلنا الدكان ولكن جزنا جوازاً فقال عجيب والله لقد دخلنا وأكلنا وهو أحسن من طعامك فقامت جدته وأخبرت أخا زوجها وأغرته على الخادم فحضر الخادم قدام الوزير فقال له لم دخلت بولدي دكان الطباخ فخاف الخادم وقال ما دخلنا فقال عجيب بل دخلنا وأكلنا من حب الزمان حتى شبعنا وسقانا الطباخ شراباً بثلج وسكر فازداد غضب الوزير على الخادم وسأله فأنكر فقال له الوزير أن كان كلامك صحيحاً فاقعد وكل قدامنا فعند ذلك تقدم الخادم وأراد أن يأكل فلم يقدر ورمي اللقمة وقال يا سيدي أني شبعان من البارحة فعرف الوزير أنه أكل عند الطباخ فأمر الجواري أن يطرحنه فطرحنه ونزل عليه بالضرب الوجيع فاستغاث وقال يا سيدي أني شبعان من البارحة ثم منع عنه الضرب وقال له انطلق بالحق فقال اعلم أننا دخلنا دكان الطباخ وهو يطبخ حب الرمان فغرف لنا منه والله ما أكلت عمري مثله ولا رأيت أقبح من هذا الذي قدامنا فغضبت أم حسن بدر الدين وقالت لابد أن تذهب إلى هذا الطباخ وتجيء لنا بزبدية حب رمان من الذي عنده وتريه لسيدك حتى يقول أيهما أحسن وأطيب فقال الخادم نعم ففي الحال أعطته زبدية ونصف دينار فمضى الخادم حتى وصل إلى الدكان وقال للطباخ نحن تراهنا على طعامك في بيت سيدنا لأن هناك حب رمان طبخه أهل البيت فهات

لنا بهذا النصف دينار وأدر بالك في طهيه وأتقنه فقد أكلنا الضرب الموجع على طبيخك فضحك حسن بدر الدين وقال وا أن هذا الطعام لا يحسنه أحد إلا أنا ووالدتي وهي الآن في بلاد بعيدة ثم أنه عرف الزبدية وأخذها وختمها بالمسك وماء الورد فأخذها الخادم وأسرع بها حتى وصل إليهم فأخذتها والدة حسن وذاقتها ونظرت حسن طعمها فعرفت طباخها فصرخت ثم وقعت مغشياً عليها فبهت الوزير من ذلك ثم رشوا عليها ماء الورد وبعد ساعة أفاقت وقالت أن كان ولدي في الدنيا فما طبخ حب الرمان هذا إلا هو وهو ولدي حسن بدر الدين لاشك فيه ولا محالة لأن هذا طعامه وما أحد يطبخه غيره إلا أنا لأني علمته طبيخه فلما سمع الوزير كلامها فرح فرحاً شديداً وقال وا شوقاه إلى رؤية أبن أخي أترى تجمع الأيام شملنا وما نطلب الاجتماع به إلا من ا تعالى ثم أن الوزير قام من وقته وساعته وصاح على الرجال الذين معه وقال يمضي منكم عشرون رجلاً إلى دكان الطباخ ويهدمونها وكتفونه بعمامته ويجرونه غصباً إلى مكاني من غير أيذاء يحصل له فقالوا له نعم ثم أن الوزير ركب من وقته وساعته إلى دار السعادة واجتمع بنائب دمشق وأطلعه على الكتب التي معه من السلطان فوضعها على رأسه بعد تقبيلها وقال من هو غريمك قال رجل طباخ ففي الحال أمر حجابه أن يذهبوا إلى دكانه فذهبوا فرأوها مهدومة وكل شيء فيها مكسور لأنه لما توجه إلى دار السعادة فعلت جماعته ما أمرهم به وصاروا منتظرين مجيء الوزير من دار السعادة وحسن بدر الدين يقول في نفسه يا ترى أي شيء رأوا في حب الرمان حتى صار لي هذا الأمر فلما حضر الوزير من عند نائب دمشق وقد أذن له في أخذ غريمه وسفره به فلما دخل الخيام طلب الطباخ فأحضروه مكتفا بعمامته فلما نظر حسن بدر الدين إلى عمه بكى بكاء شديداً وقال يا مولاي ما ذنبي عندكم فقال له أنت الذي طبخت حب الرمان قال نعم فهل وجدتم فيه شيئاً يوجب ضرب الرقبة فقال هذا أقل جزائك فقال له يا سيدي أما توقفني على ذنبي فقال له الوزير نعم في هذه الساعة ثم أن الوزير صرخ على الغلمان وقال هاتوا الجمال وأخذوا حسن بدر الدين معهم وأدخلوه في صندوق وقفلوا عليه وساروا ولم يزالوا سائرين إلى أن أقبل الليل فحطوا وأكلوا شيئاً من الطعام وأخرجوا حسن بدر الدين فأطعموه وأعادوه إلى الصندوق ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا إلى مكان فاخرجوا حسن بدر الدين من الصندوق وقال له هل أنت الذي طبخت حب الرمان قال نعم ياسيدي فقال الوزير قيدوه فقيدوه وأعادوه إلى الصندوق وساروا إلى أن وصلوا إلى مصر وقد نزلوا في الزيدانية فأمر بإخراج حسن بدر الدين من الصندوق وأمر بإحضار نجار وقال أصنع لهذا لعبة خشب فقال حسن بدر الدين وما تصنع بها فقال أصلبك وأسمرك فيها ثم أدور بك المدينة كلها فقال على أي شيء تفعل بي ذلك فقال الوزير على عدم اتقان طبيخك حب الرمان كيف طبخته وهو ناقص فلفلاً فقال له وهل لكونه ناقص فلفلاً تصنع معي هذا كله أما كفاك حبسي وكل يوم تطعموني أكلة واحدة فقال له الوزير من أجل كونه ناقصاً فلفلاً ما جزاؤك إلا القتل فتعجب حسن بدر الدين وحزن على روحه وصار يتفكر في نفسه فقال له الوزير في أي شيء تتفكر فقال له في العقول السخيفة التي مثل عقلك فإنه لو كان عندك عقل ما كنت فعلت معي هذه الأفعال لأجل نقص الفلفل فقال له الوزير يجب علينا أن نؤدبك حتى لا تعود لمثله فقال حسن بدر الدين أن الذي فعلته معي أقل شيء فيه أدبي فقال لابد من صلبك وكل هذا والنجار يصلح الخشب وهو ينظر

إليه ولم يزالوا كذلك إلى أن أقبل الليل فأخذه عمه ووضعه في الصندوق وقال في غد يكون صلبك ثم صبر عليه حتى عرف أنه نام فقام وركب وأخذ الصندوق قدامه ودخل المدينة وسار إلى أن دخل بيته ثم قال لأبنته ست الحسن الحمد الذي جمع شملك بابن عمك قومي وأفرشي البيت مثل فرشه ليلة الجلاء فأمرت الجواري بذلك فقمن وأوقدن الشمع وقد أخرج الوزير الورقة التي كتب فيها أمتعة البيت ثم قرأها وأمر أن يضعوا كل شيء في مكانه حتى أن الرائي إذا رأى ذلك لايشك في أنها ليلة الجلاء بعينها ثم أن الوزير أمر أن تحط عمامة حسن بدر الدين في مكانها الذي حلها فيه بيده وكذلك السروال والكيس الذي تحت الطراحة ثم أن الوزير أمر ابنته تتحف نفسها كما كانت ليلة الجلاء وتدخل المخدع وقال لها إذ دخل عليك ابن عمك فقولي له قد أبطأت علي في دخولك بيت الخلاء ودعيه يبيت عندك وتحدثي معه إلى النهار وكتب هذا التاريخ ثم أن الوزير أخرج بدر الدين من الصندوق بعد أن فك القيد من رجليه وخلع ما عليه من الثياب وصار بقميص النوم وهو رفيع من غير سروال كل هذا وهو نائم لا يعرف بذلك ثم أنتبه بدر الدين من النوم فوجد نفسه في دهليز نير فقال في نفسه هل أنا في أضغاث أحلام أو في اليقظة ثم قام بدر الدين فمشي قليلاً إلى باب ثان ونظر وإذا هو في البيت الذي أنجلت فيه العروسة ورأى المخدع والسرير ورأى عمامته وحوائجه فلما نظر ذلك بهت وصار يقدم رجلاً ويؤخر أخرى وقال في نفسه هل هذا في المنام أو في اليقظة وصار يمسح جبينه ويقول وهو متعجب وا أن هذا مكان العروسة التي انجلت فيه علي فإني كنت في صندوق فبينما هو يخاطب نفسه وإذا بست الحسن رفعت طرف الناموسية وقالت له يا سيدي أما تدخل فإنك أبطأت علي في بيت الخلاء فلما سمع كلامها ونظر إلى وجهها وضحك وقال أن هذه أضغاث أحلام ثم دخل وتهد وتفكر فيما جرى له وتحير في أمره وأشكلت عليه قضيته ولما رأى عمامته وسرواله والكيس الذي فيه الألف دينار قال ا اعلم أني في أضغات أحلام وصار من فرط التعجب متحيراً وهنا أدرك شهرزاد الصباح.

(وفي ليلة ٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بدر الدين تعجب وتحير فعند ذلك قالت له ست الحسن مالي أراك متعجباً متحيراً ما كنت هكذا في أول الليل فضحك وقال كم عام لي غائب عنك فقالت له سلامتك اسم ا حواليك أنت أنما خرجت إلى الكنيف لتقضي حاجة وترجع فاي شيء جري في عقلك فلما سمع بدر الدين ذلك ضحك وقال لها صدقت ولكنني لما خرجت من عندك غلبني النوم في بيت الراحة فحلمت أني كنت طباخاً في دمشق وأقمت بها عشرة سنين وكأنه جاءني صغير من أولاد الأكابر ومعه خادم وحصل من أمره كذا وكذا ثم أن حسن بدر الدين مسح بيده على جبينه فرأى أثر الضرب عليه فقال وا يا سيدتي كأنه حق لأنه ضربني على جبيني فشجه فكأنه في اليقظة ثم قال لعل هذا المنام حصل حين تعانقت أنا وأنت ونمنا فرأيت في المنام كأني سافرت إلى دمشق بلا طربوش ولا عمامة ولا سروال وعملت طباخاً ثم سكت ساعة وقال وا كأني رأيت أني طبخت حب رمان وفلفله قليل وا ما كأني ألا نمت في بيت الراحة فرأيت هذا كله في المنام فقالت له ست الحسن با وعليك أي شيء رأيته زيادة على ذلك فحكى لها جميع ما رآه ثم قال وا لولا أني أنتبهت لكانوا صلبوني على لعبة خشب فقالت له على أي شيء فقال على قلة الفلفل في حب الرمان ورأيت كأنهم أخرجوا دكاني وكسروا مواعيني وحطوني في صندوق وجاءوا بالنجار ليصنع لي لعبة

من خشب لأنهم أرادوا صلبي عليها فالحمد الذي جعل ذلك كله في المنام ولم يجعله في اليقظة فضـحكت ست الحسن وضمته إلى صدرها وضمها إلى صدره ثم تذكر وقال وا ما كانه إلا في اليقظة فأنا ما عرفت أي شيء الخبر ولا حقيقة الحال ثم أنه نام وهو متحير في أمره فتارة يقول رأيته في المنام وتارة يقول رأيته في اليقظة ولم يزل كذلك إلى الصباح ثم دخل عليه عمه الوزير شمس الدين فسلم عليه فنظر له حسن بـدر الدين وقال با عليك أما أنت الذي أمرت بتكتيفي وتسمير دكاني من شأن حب الرمان لكونه قليل الفلفل فعند ذلك قال الوزير اعلم يا ولدي أنه ظهر الحق وبان ما كان مختفياً أنت ابن أخي وما فعلت ذلك حتى تحققـت أنك الذي دخلت على بنتي تلك الليلة وما تحققت ذلك حتى رأيتك عرفت البيت وعرفت عمامتـك وسـراويلك وذهبك والورقتين التي كتبتها بخطك والتي كتبها والدك أخي فإني ما رأيتك قبل ذلك وما كنت أعرفك وأمـا أمك فإني جئت بها معي من البصرة ثم رمى نفسه عليه وبكى فلما سمع حسن بدر الدين كلام عمـه تعجـب غاية العجب وعانق عمه وبكى من شدة الفرح ثم قال له الوزير يا ولدي أن سبب ذلك كله ما جـرى بينـي وبين والدك وحكى له جميع ما جرى بينه وبين أخيه وأخبره بسبب سفر والده إلى البصره ثـم أن الـوزير أرسل إلى عجيب فلما رآه والده قال هذا الذي ضربني بالحجر فقال الوزير هذا ولدك فعند ذلك رمي نفسـه عليه وأنشد هذه الأبيات:

ولقـــد بكيـــت علـــى تفـــرق شـــملنا	زمانـاً وفـاض الـدمع مـن أجفـاني
ونـذرت أن أجمـع المهيمـين شـملنا	مـا عـدت أذكـر فرقـة بلسـاني
هجـم السـرور علـى حتـى أنـه	مـن فـرط مـا قـد سـرني أبكـاني

فلما فرغ من شعره التفتت إليه والدته وألقت روحها عليه وأنشدت هذين البيتين:

الـدهر أقسـم لا يـزال مكـدري	حنثـت يمينـك يـا زمـان فكفـر
السـعد وافـى والحبيـب مسـاعدي	فـانهض إلـى داعـي السـرور وشـمر

ثم أن والدته حكت له جميع ما وقع لها بعده وحكى لها جميع ما قاساه فشكروا ا على جمـع شـملهم ببعضهم ثم أن الوزير طلع إلى السلطان وأخبره بما جرى له فتعجب وأمر أن يؤرخ ذلك في السجلات ليكون حكاية على ممر الأوقات ثم أن الوزير أقام مع ابن أخيه وأبنته وأبنها وزوجة أخيه في الذ عيش إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات وهذا يا أمير المؤمنين ما جرى للوزير شمس الدين وأخيه نور الـدين فقـال الخليفة هارون الرشيد وا أن هذا الشيء وعجاب ووهب للشاب سرية من عنده ورتب له مـا يعـيش بـه وصار ممن ينادمه ثم أن البنت قالت وما هذا بأعجب من حكاية الخيـاط والأحـدب واليهـودي والمباشـر والنصراني فيما وقع لهم قال الملك وما حكايتهم.

(حكاية الخياط والأحدب واليهودي والمباشر والنصراني فيما وقع بينهم)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان في مدينة الصين رجـل خياط مبسوط الرزق يحب اللهو والطرب وكان يخرج هو وزوجته في بعض الأحيان يتفرجان على مرائـب المتنزهات فخرجا يوماً من أول النهار ورجعا آخره إلى منزلهما عند المساء فوجدا في طريقهما رجل أحدب

رؤيته تضحك الغضبان وتزيل الهم والأحزان فعند ذلك تقدم الخياط هو وزوجته يتفرجان عليه ثم أنهما عزما عليه أن يروح معها إلى بيتهما لينادمهما تلك الليلة فأجابهما إلى ذلك ومشى معهما إلى البيت فخرج الخيـاط إلى السوق وكان الليل قد أقبل فاشترى سمكا مقلياً وخبزاً وليموناً وحلاوة يتحلون بها ثم رجع وحط السـمك قدام الأحدب وجلسوا يأكلون فأخذت امرأة الخياط جزلة سمك كبيرة ولقمتها للأحدب وسدت فمه بكفها وقالت وا   ما تأكلها إلا دفعة واحدة في نفس واحد ولا أمهلك حتى تمضغها فابتلعها وكان فيها شوكة قوية فتصلبت في حلقة لأجل انقضاء أجله فمات وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

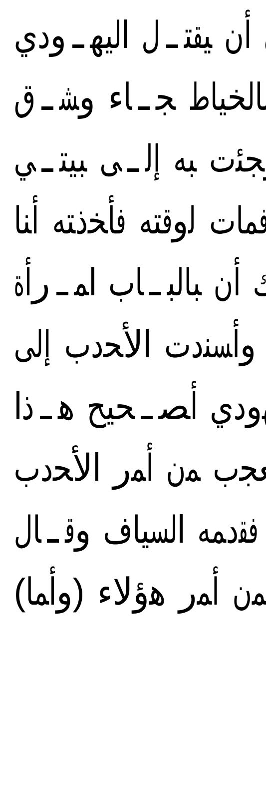
(وفي ليلة ٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن امرأة الخياط لما لقمت للأحدب الجزلة السمك مات لانقضاء أجله في وقته فقال الخياط لاحول ولا قوة إلا با   العلي العظيم هذا المسكين ما كان موته إلا هكذا على أيدينا فقالـت المرأة وما هذا التواني أما سمعت قول الشاعر:

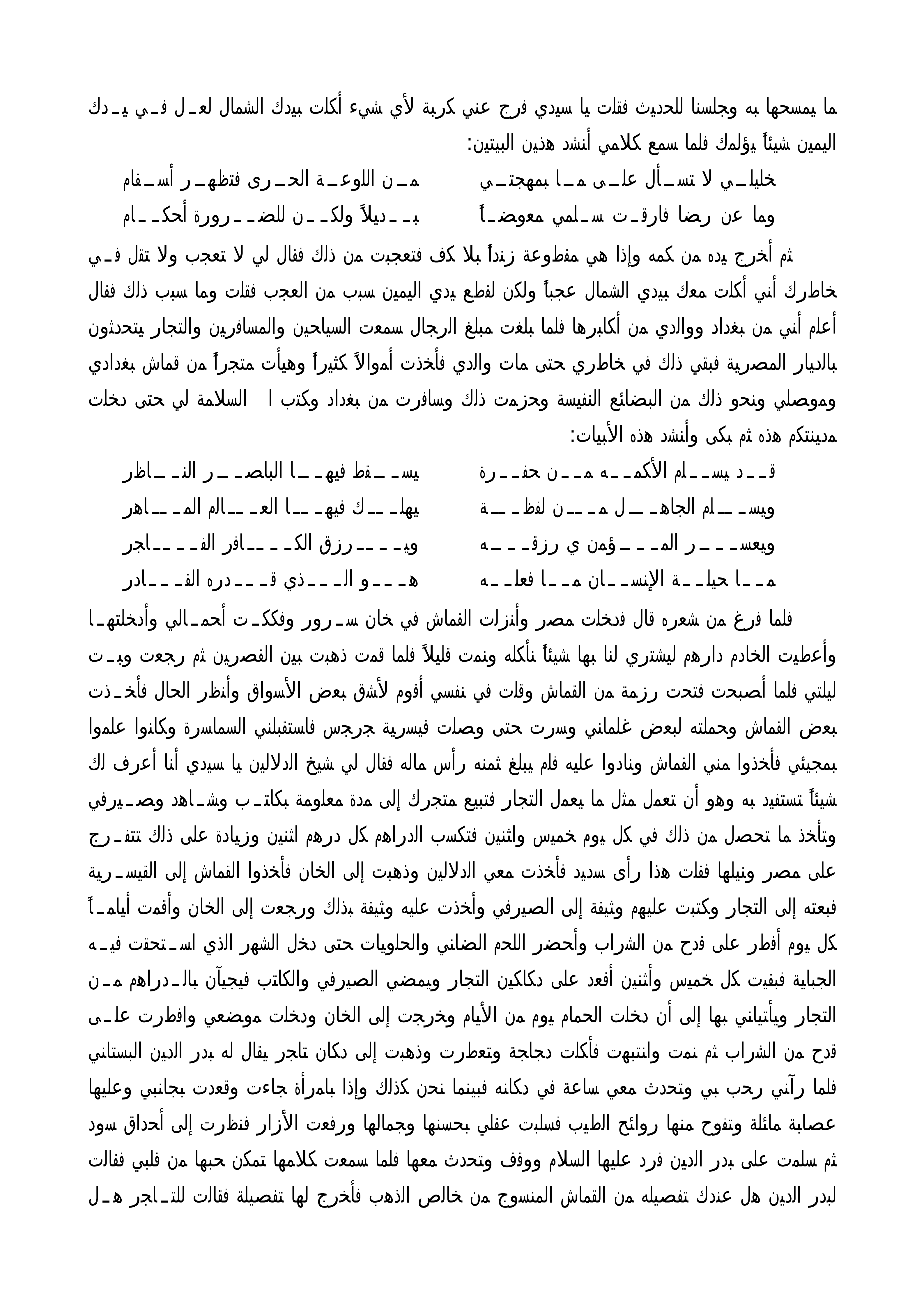
مـالي أعلـل نفسـي بالمحـال علـى	أمـر يكـون بـه هـم وأحـزان
ماذا القعـود علـى نـار ومـا خمـدت	أن القعـود فـي النيـران خسـران

فقال لها زوجها وما أفعله قالت قم واحمله في حضنك وأنشر عليه فوطه حرير وأخرج أنا قدامك وأنت ورائي في هذه الليلة وقل هذا ولدي وهذه أمه ومرادنا أن نوديه إلى الطبيب ليداويه فلما سمع الخيـاط هـذا الكلام قام وحمل الأحدب في حضنه وزوجته تقول يا ولدي سلامتك أين محل وجعك وهذا الجدري كان لـك في أي سكان فكل من رآهما يقول معهما طفل مصاب بالجدري ولم يزالا سائرين وهما يسألان عـن منـزل الطبيب حتى دلوهما على بيت طبيب يهودي فقرعا الباب فنزلت لهما جارية سوداء وفتحت الباب ونظـرت وإذ بانسان حامل صغير وأمه معه فقالت الجارية ما خبركم فقالت امرأة الخياط معنا صغير مرادنا أن ينظره الطبيب فخذي الربع دينار وأعطيه لسيدك ودعيه ينزل ليرى ولدي فقد لحقه ضعف فطلعت الجارية ودخلـت زوجة الخياط داخل العتبة وقالت لزوجها دع الأحدب هنا ونفوز بأنفسنا فأوقفه الخياط وأسنده إلـى الحـائط وخرج هو وزوجته وأما الجارية فإنها دخلت على اليهودي وقالت له في أسفل البيت ضعيف مع امرأة ورجل وقد أعطياني ربع دينار لك وتصف لهما ما يوافقه فلما رأى اليهودي الربع دينار فرح وقام عاجلاً ونزل في الظلام فأول ما نزل عثرت رجله في الأحدب وهو ميت فقال يا للعزيز يا للمولى والعشر كلمات يا لهـارون ويوشع بن نون كأنني عثرت في هذا المريض فوقع إلى أسفل فمات فكيف أخرج بقتيلي من بيتي فحمله وطلع به من حوش البيت إلى زوجته واعلمها بذلك فقالت له وما قعودك ههنا فإن قعدت هنا إلـى طلـوع النهـار راحت أرواحنا فأنا وأنت نطلع به إلى السطح ونرميه في بيت جارنا المسلم فإنه رجل مباشر علـى مطـبخ السلطان وكثيراً ما تأتي القطط في بيته وتأكل مما فيه من الأطعمه والفيران وأن استمر فيه ليلة تنزل عليـه الكلاب من السطوح وتأكله جميعه فطلع اليهودي وزوجته وهما حاملان الأحدب وأنزلاه بيديه ورجليه إلـى الأرض وجعلاه ملامسا للحائط ثم نزلا وانصرفا ولم يستقر نزول الأحدب إلا والمباشر قد جاء إلى البيت في وقته وطلع البيت ومعه شمعة مضيئة فوجد ابن آدم واقفاً في الزاوية في جانب المطبخ فقال ذلك المباشر مـا هذا وأشعل الذي يسرق حوائجنا ما هو إلا ابن آدم فيأخذ ما وجده من لحم أودهن ولو خبأتـه مـن القطـط

والكلاب وأن قتلت قطة الحارة وكلابها جميعاً لا يفيد لأنه ينزل من السطوح ثم أخذ مطرقة عظيمة ووكـزه بها فصار عنده ثم ضربه بها على صدره فوقع فوجده ميتاً فحزن وقال لا حول ولا قوة إلا با وخاف على نفسه وقال لعن ا الدهن واللحم وهذه الليلة كيف فرغت منية ذلك الرجل على يدي ثم نظر إليه فـإذا هـو أحدب فقال أما يكفي أنك أحدب حتى تكون حرامياً وتسرق اللحم والدهن يا ستار استرني بسترك الجميل ثـم حمله على أكتافه ونزل به من بيته في آخر الليل ومازال سائرا به إلى أول السوق فأوقفه بجانب دكـان فـي رأس عطفة وتركه وانصرف وإذا بنصر أني وهو سمسار السلطان وكان سكران فخرج يريد الحمام فقال له سكره أن المسيح قريب فمازال يمشي ويتمايل حتى قرب من الأحدب وجعل يريق الماء قباله فلاحـت منـه التفاته فوجد واحداً واقفاً وكان النصراني قد خطفوا عمامته في أول الليل فلما رأى الأحدب واقفاً اعتقـد أنـه يريد خطف عمامته فطبق كفه ولكم الأحدب على رقبته فوقع في الأرض وصاح النصراني علـى حـارس السوق ثم نزل على الأحدب من شدة سكره ضرباً وصار يخنقه خنقاً فجاء الحارس فوجد النصـراني باركـاً على المسلم وهو يضر به فقال الحارس قم عنه فقام فتقدم إليه الحارس فوجده ميتاً فقال كيف يقتل النصراني مسلماً ثم قبض على النصراني وكتفه وجاء به إلى البيت الوالي والنصراني يقول في نفسه يا مسيح يا عذراء كيف قتلت هذا وما أسرع ما مات في لكمة قد راحت السكرة وجاءت الفكرة ثم أن الأحدب والنصراني باتـا في بيت الوالي وأمر الوالي السياف أن ينادي عليه ونصب للنصراني خشبة وأوقفه تحتهـا وجـاء السـياف ورمي في رقبة النصراني الحبل وأراد أن يعلقه وإذا بالمباشر قد شق الناس فرأى النصراني وهـو واقـف تحت المشنقة ففسح الناس وقال للسياف لا تفعل أنا الذي قتلته فقال له الوالي لأي شيء قتلته قال أني دخلـت الليلة بيتي فرأيته نزل من السطح وسرق مصالحي فضربته بمطرقة على صدره فمات فحملته وجئت به إلى السوق وأوقفته في موضع كذا في عطفة كذا ثم قال المباشر ما كفاني أني قتلت مسلماً حتـى يقتـل بسـببي نصراني فلا تشنق غيري فلما سمع الوالي كلام المباشر أطلق سراح النصراني السمسار وقال للسياف اشنق هذا باعترافه فأخذ الحبل من رقبة النصراني ووضعه في رقبة المباشر وأوقفه تحت الخشبة وأراد أن يعلقـه وإذا باليهودي الطبيب قد شق الناس وصاح على السياف وقال لا تفعل فما قتله إلا أنا وذلك أنه جاءني فـي بيتي ليداوي فنزلت إليه فعثرت فيه برجلي فمات فلا تقتل المباشر وأقتلني فأمر الـوالي أن يقتـل اليهـودي الطبيب فأخذ السياف الحبل من رقبة المباشر ووضعه في رقبة اليهودي الطبيب وإذا بالخياط جـاء وشـق الناس وقال للسياف لا تفعل فما قتله إلا أنا وذلك أني كنت بالنهار أتفرج وجئت عليه وجئت به إلـى بيتـي واشتريت سمكاً وقعدنا نأكل فأخذت زوجتي قطعة سمك ولقمة ودستهما في فمه فزور فمات لوقته فأخذته أنا وزوجتي وجئنا به لبيت اليهودي فنزلت الجارية وفتحت لنا الباب فقلت لها قولي لسـيدك أن بالبـاب امـرأة ورجلا ومعهما ضعيف تعال انظره وصف له دواء وأعطيتها ربع دينار فطلعت لسيدنا وأسندت الأحدب إلى جهة السلم ومضيت أنا وزوجتي فنزل اليهودي فعثر فيه فظن أنه قتله ثم قال الخياط لليهودي أصـحيح هـذا قال نعم والتفت الخياط للوالي وقال له أطلق اليهودي وأشنقني فلما سمع الوالي كلامه تعجب من أمر الأحدب وقال أن هذا أمر يؤرخ في الكتب ثم قال للسياف أطلق اليهودي وأشنق الخياط باعترافه فقدمه السياف وقـال هل نقدم هذا ونؤخر هذا ولا نشنق واحداً ثم وضع الحبل في رقبة الخياط فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما)



ما كان من أمر الأحدب فقيل أنه كان مسخرة للسلطان وكان السلطان لا يقدر أن يفارقه فلما سكر الأحدب غاب عنه تلك الليلة وثاني يوم إلى نصف النهار فسأل عنه بعض الحاضرين فقالوا له يا مولانا طلع به الوالي وهو ميت وأمر بشنق قاتله فنزل الوالي ليشنق القاتل فحضر له ثان وثالث وكل واحد يقول ما قتله إلا أنا وكل واحد يذكر للوالي سبب قتله له فلما سمع الملك هذا الكلام صرخ على الحاجب وقال له انزل إلى الوالي وأئتني بهم جميعاً فنزل الحاجب فوجد السياف كاد أن يقتل الخياط فصرخ عليه الحاجب وقال لا تفعل واعلم الوالي أن القضية بلغت الملك ثم أخذه وأخذ الأحدب معه محمولاً والخياط واليهودي والنصراني والمباشر وطلع بالجميع إلى الملك فلما تمثل الوالي بين يديه قبل الأرض وحكى له جميع ما جرى مع الجميع فلما سمع الملك هذه الحكاية تعجب وأخذه الطرب وأمر أن يكتب ذلك بماء الذهب وقال للحاضرين هل سمعتم مثل قصة هذا الأحدب فعند ذلك تقدم النصراني وقال يا ملك الزمان أن أذنت لي حدثتك بشيء جرى لي وهو أعجب وأغرب وأطرب من قصة الأحدب فقال الملك حدثنا بما عندك فقال النصراني اعلم يا ملك الزمان أني لما دخلت تلك الديار أتيت بمتجر وأوقعني المقدور عندكم وكان مولدي بمصر وأنا من قبطها وتربيت بها وكان والدي سمساراً فلما بلغت مبلغ الرجال توفي والدي فعملت سمساراً مكانه فبينما أنا قاعد يوماً من الأيام وإذا بشاب أحسن ما يكون وعليه أفخر ملبوس وهو راكب حماراً فلما رآني سلم علي فقمت إليه تعظيماً له فأخرج منديلاً وفيه قدر من السمسم وقال كم يساوي الأردب من هذا فقلت له مائة درهم فقال لي خذ التراسين والكيالين وأعمد إلى خان الجوالي في باب النصر تجدني فيه وتركني ومضى وأعطاني السمسم بمنديله الذي فيه العينة فدرت على المشترين فبلغ ثمن كل أردب مائة وعشرين درهماً فأخذت معي أربعة تراسين ومضيت إليه فوجدته في انتظاري فلما رآني قام إلى المخزن وفتحه فكيلناه فجاء جميع ما فيه خمسين أردباً فقال الشاب لك في كل أردب عشرة دراهم سمسرة وأقبض الثمن واحفظه عندك وقدر الثمن خمسة آلاف لك منها خمسمائة ويبقى لي أربعة آلاف وخمسمائة فإذا فرغ بيع حواصلي جئت إليك وأخذتها فقلت له الأمر كما تريد ثم قبلت يديه ومضيت من عنده فحصل لي في ذلك اليوم ألف درهم وغاب عني شهرا ثم جاء وقال لي أين الدراهم فقلت ها هي حاضرة فقال احفظها حتى أجيء إليك فآخذها فقعدت أنتظره فغاب عني شهراً ثم جاء وقال لي أين الدراهم فقمت وسلمت عليه وقلت له هل لك أن تأكل عندنا شيئاً فأبى وقال لي احفظ الدراهم حتى أمضي وأجيء فآخذها منك ثم ولى فقمت وأحضرت له الدراهم وقعدت انتظره فغاب عني شهراً ثم جاء وقال لي بعد هذا اليوم آخذها منك ثم ولى فقمت وأحضرت له الدراهم وقعدت انتظره فغاب عني شهراً فقلت في نفسي أن هذا الشاب كامل السماحة ثم بعد الشهر جاء وعليه ثياب فاخرة فلما رأيته قبلت يديه ودعوت له وقلت له يا سيدي أما تقبض دراهمك فقال مهلاً علي حتى أفرغ من قضاء مصالحي وأخذها منك ثم ولى فقلت في نفسي وا إذا جاء لاضيفنه لكوني انتفعت بدراهمه وحصل لي منها مال كثير فلما كان آخر السنة جاء وعليه بدلة أفخر من الأولى فحلفت عليه أن ينزل عندي ويضيفني فقال بشرط أن ما تنفقه من مالي الذي عندك قلت نعم وأجلسته ونزلت فهيأت ما ينبغي من الأطعمة والأشربة وغير ذلك وأحضرته بين يديه وقلت له باسم ا فتقدم إلى المائدة ومد يده الشمال وأكل معي فتعجبت منه فلما فرغا غسل يده وناولته



ما يمسحها به وجلسنا للحديث فقلت يا سيدي فرج عني كربة لأي شيء أكلت بيدك الشمال لعـل فـي يـدك اليمين شيئاً يؤلمك فلما سمع كلامي أنشد هذين البيتين:

خليلـي لا تسـأل علـى مـا بمهجتـي   مـن اللوعـة الحـرى فتظهـر أسـقام

وما عن رضا فارقـت سـلمي معوضـاً   بـديلاً ولكـن للضـرورة أحكـام

ثم أخرج يده من كمه وإذا هي مقطوعة زنداً بلا كف فتعجبت من ذلك فقال لي لا تعجب ولا تقل فـي خاطرك أنني أكلت معك بيدي الشمال عجباً ولكن لقطع يدي اليمين سبب من العجب فقلت وما سبب ذلك فقال أعلم أنني من بغداد ووالدي من أكابرها فلما بلغت مبلغ الرجال سمعت السياحين والمسافرين والتجار يتحدثون بالديار المصرية فبقي ذلك في خاطري حتى مات والدي فأخذت أموالاً كثيراً وهيأت متجراً من قماش بغدادي وموصلي ونحو ذلك من البضائع النفيسة وحزمت ذلك وسافرت من بغداد وكتب ا السلامة لي حتى دخلت مدينتكم هذه ثم بكى وأنشد هذه الأبيات:

قـد يسـلم الأكمـه مـن حفـرة   يسـقط فيهـا الباصـر النـاظر

ويسـلم الجاهـل مـن لفظـة   يهلـك فيهـا العـالم المـاهر

ويعسـر المـؤمن ي رزقـه   ويـرزق الكـافر الفـاجر

مـا حيلـة الإنسـان مـا فعلـه   هـو الـذي قـدره القـادر

فلما فرغ من شعره قال فدخلت مصر وأنزلت القماش في خان سـرور وفككـت أحمـالي وأدخلتهـا وأعطيت الخادم دارهم ليشتري لنا بها شيئاً نأكله ونمت قليلاً فلما قمت ذهبت بين القصرين ثم رجعت وبـت ليلتي فلما أصبحت فتحت رزمة من القماش وقلت في نفسي أقوم لأشق بعض الأسواق وأنظر الحال فأخـذت بعض القماش وحملته لبعض غلماني وسرت حتى وصلت قيسرية جرجس فاستقبلني السماسرة وكانوا علموا بمجيئي فأخذوا مني القماش ونادوا عليه فلم يبلغ ثمنه رأس ماله فقال لي شيخ الدلالين يا سيدي أنا أعرف لك شيئاً تستفيد به وهو أن تعمل مثل ما يعمل التجار فتبيع متجرك إلى مدة معلومة بكاتـب وشـاهد وصـيرفي وتأخذ ما تحصل من ذلك في كل يوم خميس واثنين فتكسب الدراهم كل درهم اثنين وزيادة على ذلك تتفـرج على مصر ونيلها فقلت هذا رأى سديد فأخذت معي الدلالين وذهبت إلى الخان فأخذوا القماش إلى القيسـرية فبعته إلى التجار وكتبت عليهم وثيقة إلى الصيرفي وأخذت عليه وثيقة بذلك ورجعت إلى الخان وأقمت أيامـاً كل يوم أفطر على قدح من الشراب وأحضر اللحم الضاني والحلويات حتى دخل الشهر الذي اسـتحقت فيـه الجباية فبقيت كل خميس وأثنين أقعد على دكاكين التجار ويمضي الصيرفي والكاتب فيجيآن بالـدراهم مـن التجار ويأتياني بها إلى أن دخلت الحمام يوم من الأيام وخرجت إلى الخان ودخلت موضعي وافطرت علـى قدح من الشراب ثم نمت وانتبهت فأكلت دجاجة وتعطرت وذهبت إلى دكان تاجر يقال له بدر الدين البستاني فلما رآني رحب بي وتحدث معي ساعة في دكانه فبينما نحن كذلك وإذا بامرأة جاءت وقعدت بجانبي وعليها عصابة مائلة وتفوح منها روائح الطيب فسلبت عقلي بحسنها وجمالها ورفعت الأزار فنظرت إلى أحداق سود ثم سلمت على بدر الدين فرد عليها السلام ووقف وتحدث معها فلما سمعت كلامها تمكن حبها من قلبي فقالت لبدر الدين هل عندك تفصيله من القماش المنسوج من خالص الذهب فأخرج لها تفصيلة فقالت للتـاجر هـل

آخذها واذهب ثم أرسل إليك بثمنها فقال لها التاجر لا يمكن يا سيدتي لأن هذا صاحب القماش وله على قسط فقالت ويلك أن عادتي أن آخذ منك كل قطعة قماش بجملة دراهم وأربحك فيها فوق ما تريد ثم أرسـل إليـك ثمنها فقال نعم ولكني مضطر إلى الثمن في هذا اليوم فأخذت التفصيلة ورمته بها فـي صـدره وقالـت أن طائفتكم لا تعرف لأحد قدراً ثم قامت مولية فظننت أن روحي راحت معها فقمت ووقفت وقلت لها يا سـيدتي تصدقي على بالألتفات وارجعي بخطواتك الكريمة فرجعت وتبسمت وقالت لأجلك رجعت وقعـدت قصـادي على الدكان فقلت لبدر الدين هذه التفصيلة كم ثمنها عليك قال ألف ومائة درهم فقلت له ولك مائة درهم فائدة فهات ورقة فاكتب لك فيها ثمنها فأخذت التفصيلة منه وكتبت له ورقة بخطي وأعطيتها التفصيلة وقلت لهـا خذي أنت وروحي وإن شئت هاتي ثمنها إلى في السوق وإن شئت هي ضيافتك مني فقالت جزاك ا خيـراً ورزقك مالي وجعلك بعلي فتقبل ا الدعوة وقلت لها يا سيدتي اجعلي هذه التفصيلة لك ولـك أيضـاً مثلهـا ودعيني أنظر وجهك فكشفت القناع عن وجهها فلما نظرت وجهها نظرة أعقبتني ألف حسرة وتعلـق قلبـي بمحبتها فصرت لا أملك عقلي ثم رخت القناع وأخذت التفصيلة وقالت يا سيدي لا توحشني وقد ولت وقعدت في السوق إلى بعد العصر وأنا غائب العقل وقد تحكم الحب عندي فمن شدة ما حصل لي من الحب سـألت التاجر عنها حين أردت القيام فقال لي أن هذه صاحبة مال وهي بنت أمير مات والدها وخلف لها مالاً كثيـراً فودعته وانصرفت وجئت إلى الخان فقدم إلى العشاء فتذكرتها فلم آكل شيئاً ونمت فلم يأتني نوم فسهرت إلى الصباح ثم قمت فلبست بدلة غير التي كانت على وشربت قدحاً من الشراب وأفطرت على شيء قليل وجئت إلى دكان التاجر فسلمت عليه وجلست عنده فجاءت الصبية وعليها بدلة أفخر من الأولـى ومعهـا جاريـة فجلست وسلمت على دون بدر الدين وقالت لي بلسان فصيح ما سمعت أعذب ولا أحلى منه أرسل معي مـن يقبض الف والمائة درهم ثمن التفصيلة فقلت لها ولأي شيء فقالت لا أعدمناك وناولتني الثمن وقعدت اتحدث معها فأومئت إليها بالإشارة ففهمت أني أريد وصالها فقامت على عجل منها واستوحشت مني وقلبي متعلـق بها وخرجت أنا خارج السوق في أثرها وإذا بجارية أتتني وقالت يا سيدي كلم سيدتي فتعجبـت وقلـت مـا يعرفني هنا أحد فقالت الجارية ما أسرع ما نسيتها سيدتي التي كانت اليوم على دكان التاجر فـلان فمشـيت معها إلى الصيارف فلما رأتني زوتني لجانبها وقالت يا حبيبي وقعت بخاطري وتمكن حبك من قلبـي ومـن ساعة رأيتك لم يطب لي نوم ولا أكل ولا شرب فقلت لها عندي أضعاف ذلك والحال يغنـي عـن الشـكوى فقالت يا حبيبي أجي عندك فقلت لها أنا رجل غريب ومالي مكان يأويني إلا خان فإن تصدقت على بان أكون عندك يكمل الحظ قالت نعم لكن الليلة ليلة الجمعة ما فيها شيء إلا أن كان في غد بعد الصلاة فصل واركب حمارك واسأل من الحبانية فإن وصلت فأسأل عن قاعة بركات النقيب المعروف بأبي شاملة فإني ساكنة هناك ولا تبطيء فإني في انتظارك ففرحت فرحاً زائداً ثم افترقنا وجئت للخان الذي أنا فيه وبت طول الليل سهران فما صدقت أن الفجر لاح حتى قمت وغيرت ملبوسي وتعطرت وتطيبت وأخذت معي خمسين دينـاراً فـي منديل ومشيت من خان مسرور إلى باب زويلة فركبت حماراً وقلت لصاحبه امض بي إلى الحبانية فمضـى في أقل من لحظة فما أسرع ما وقف على درب يقال له درب المنقرى فقلت له أدخل الدرب وأسأل عن قاعة النقيب فغاب قليلاً وقال أنزل فقلت أمش قدامي إلى القاعة فمشى حتى أوصلني إلى المنزل فقلت له في غـد

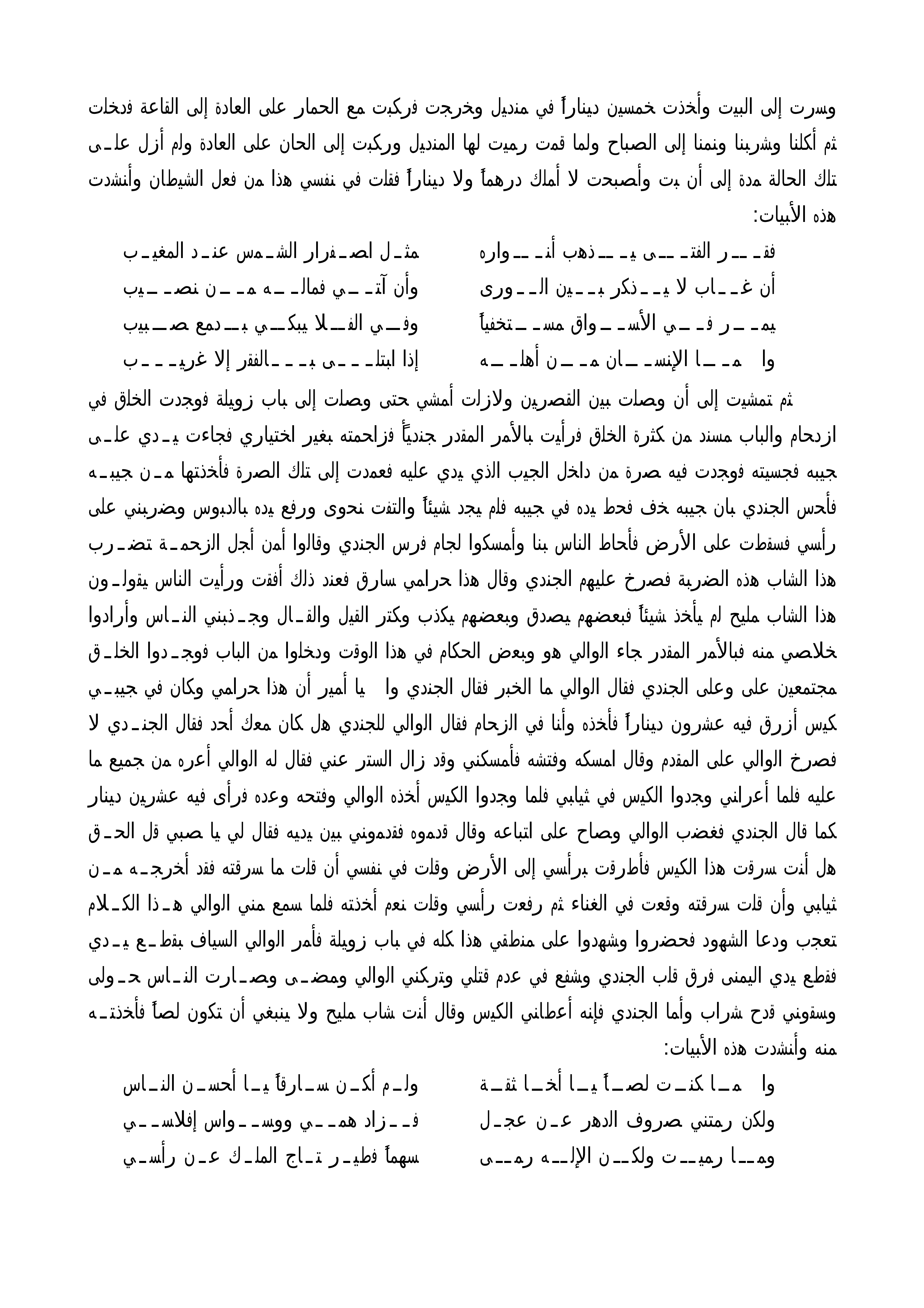
تجبيني هنا وتوديني فقال الحمار بسم ا فناولته ربع دينار ذهباً فأخذه وانصرف فطرقت الباب فخـرج لـي بنتان صغيرتان وبكران منهدتان كأنهما قمران فقالتا ادخل أن سيدتنا في انتظارك لم تنم الليلة لولعهـا بـك فدخلت قاعة مغلقة بسبعة أبواب وفي دائرها شبابيك مطلة على بستان فيه من الفواكه جميع الألوان وبه أنهار دافقة وطيور ناطقة وهي مبيضة بياضاً سلطانياً يرى الإنسان وجهه فيها وسقفها مطلي بذهب وفـي دائرهـا طرزات مكتوبة بالأزورد قد حوت أوصاف حسنة واضاءت للناظرين وأرضها مفروشة بالرخـام المجـزع وفي أرضها فسقية وفي أركان تلك الفسقية الدر والجوهر مفروشة بالبسط الحرير الملونة والمراتـب فلمـا دخلت جلست وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب التاجر قال للنصراني فلما دخلت وجلست لم أشعر إلا والصبية قد أقبلت وعليها تاج مكلل بالدر والجوهر وهي منقشة مخططة فلما رأتني تبسمت فـي وجهـي وحضـنتني ووضعتني في صدرها وجعلت فمها على فمي وجعلت تمص لساني وأنا كذلك وقالت أصحيح أتيت عندي أم هذا منام فقلت لها أنا عبدك فقالت أهلا ومرحباً وا من يوم رأيتك ما لذلي نوم ولا طاب لي طعام فقلت وأنا كذلك ثم جلست نتحدث وأنا مطرق برأسي إلى الأرض حياء ولم أمكث إلا قليلاً حتى قدمت لي سـفرة مـن أفخر الألوان من محمر ومرق ودجاج محشواً فأكلت معها حتى اكتفينا ثم قدموا إلى الطشط والأبريق فغسلت يدي ثم تطيبنا بماء الورد والمسك وجلسنا نتحدث فأنشدت هذين البيتين:

لـــو علمنـــا قـــدومكم لفرشـــنا مهجـــة القلـــب مـــع ســـواد العيـــون
ووضـــــعنا خـــــدودنا للقـــــاكم وجعلنـــا المســـير فـــوق الجفـــون

وهي تشكو إلى ما لاقت وأنا أشكو إليها ما لقيت وتمكن حبها عندي وهان على جميع المال ثم أخـذنا نلعب ونتهارش مع العناق والتقبيل إلى أن أقبل الليل فقدمت لنا الجواري الطعام والمدام فـإذا هـي حضـرة كاملة فشربنا إلى نصف الليل ثم اضطجعنا ونمنا فنمت معها إلى الصباح فما رأيت عمري مثل هذه الليلة فلما أصبح الصباح قمت ورميت لها تحت الفراش المنديل الذي فيه الدنانير وودعتها وخرجت فبكت وقالـت يـا سيدي متى أرى هذا الوجه المليح فقلت لها أكون عندك وقت العشاء فلما خرجت أصبت الحمار الذي جاء بي بالأمس على الباب ينتظرني فركبت معه حتى وصلت خان مسرور فنزلت وأعطيت الحمار نصـف دينـار وقلت له تعالى في وقت الغروب قال على الرأس فدخلت الخان وأفطرت ثم خرجت أطالب بثمن القماش ثـم رجعت وقد عملت لها خروفاً مشوياً وأخذت حلاوة ثم دعوت الحمال ووصفت له المحل وأعطيتـه أجرتـه ورجعت في أشغالي إلى الغروب فجاءني الحمار فأخذت خمسين ديناراً وجعلتها في منديل ودخلت فوجـدتهم مسحوا الرخام وحلوا النحاس وعمروا القناديل وأوقدوا الشموع وغرفوا الطعام وروقوا الشراب فلما رأتنـي رمت يديها على رقبتي وقالت أوحشتني ثم قدمت الموائد فأكلنا حتى اكتفينا ورفعت الجواري المائدة وقـدمت المدام فلم نزل في شراب وتقبيل وحظ إلى نصف الليل فنمنا إلى الصباح ثم قمت وناولتها الخمسـين دينـاراً على العادة وخرجت من عندها فوجدت الحمار فركبت إلى الخان فنمت ساعة ثم قمت جهزت العشا فعملـت جوزاً ولوزاً وتحتهم أرز مفلفل وعملت قلقاساً مقلياً ونحو ذلك وأخذت فاكهة ونقـلاً ومشـموماً وأرسـلتها



وسرت إلى البيت وأخذت خمسين ديناراً في منديل وخرجت فركبت مع الحمار على العادة إلى القاعة فدخلت ثم أكلنا وشربنا ونمنا إلى الصباح ولما قمت رميت لها المنديل وركبت إلى الحان على العادة ولم أزل على تلك الحالة مدة إلى أن بت وأصبحت لا أملك درهماً ولا ديناراً فقلت في نفسي هذا من فعل الشيطان وأنشدت هذه الأبيات:

فقر الفتى يذهب أنواره ... مثل اصفرار الشمس عند المغيب

أن غاب لا يذكر بين الورى ... وأن آتي فماله من نصيب

يمر في الأسواق مستخفياً ... وفي الفلا يبكي بدمع صبيب

والله ما الإنسان من أهله ... إذا ابتلى بالفقر إلا غريب

ثم تمشيت إلى أن وصلت بين القصرين ولازلت أمشي حتى وصلت إلى باب زويلة فوجدت الخلق في ازدحام والباب مسند من كثرة الخلق فرأيت بالأمر المقدر جندياً فزاحمته بغير اختياري فجاءت يدي على جيبه فجسيته فوجدت فيه صرة من داخل الجيب الذي يدي عليه فعمدت إلى تلك الصرة فأخذتها من جيبه فأحس الجندي بان جيبه خف فحط يده في جيبه فلم يجد شيئاً والتفت نحوى ورفع يده بالدبوس وضربني على رأسي فسقطت على الأرض فأحاط الناس بنا وأمسكوا لجام فرس الجندي وقالوا أمن أجل الزحمة تضرب هذا الشاب هذه الضربة فصرخ عليهم الجندي وقال هذا حرامي سارق فعند ذلك أفقت ورأيت الناس يقولون هذا الشاب مليح لم يأخذ شيئاً فبعضهم يصدق وبعضهم يكذب وكثر القيل والقال وجذبني الناس وأرادوا خلاصي منه فبالأمر المقدر جاء الوالي هو وبعض الحكام في هذا الوقت ودخلوا من الباب فوجدوا الخلق مجتمعين على وعلى الجندي فقال الوالي ما الخبر فقال الجندي والله يا أمير أن هذا حرامي وكان في جيبي كيس أزرق فيه عشرون ديناراً فأخذه وأنا في الزحام فقال الوالي للجندي هل كان معك أحد فقال الجندي لا فصرخ الوالي على المقدم وقال امسكه وفتشه فأمسكني وقد زال الستر عني فقال له الوالي أعره من جميع ما عليه فلما أعراني وجدوا الكيس في ثيابي فلما وجدوا الكيس أخذه الوالي وفتحه وعده فرأى فيه عشرين دينار كما قال الجندي فغضب الوالي وصاح على اتباعه وقال قدموه فقدموني بين يديه فقال لي يا صبي قل الحق هل أنت سرقت هذا الكيس فأطرقت برأسي إلى الأرض وقلت في نفسي أن قلت ما سرقته فقد أخرجه من ثيابي وأن قلت سرقته وقعت في الغناء ثم رفعت رأسي وقلت نعم أخذته فلما سمع مني الوالي هذا الكلام تعجب ودعا الشهود فحضروا وشهدوا على منطقي هذا كله في باب زويلة فأمر الوالي السياف بقطع يدي فقطع يدي اليمنى فرق قلب الجندي وشفع في عدم قتلي وتركني الوالي ومضى وصارت الناس حولى وسقوني قدح شراب وأما الجندي فإنه أعطاني الكيس وقال أنت شاب مليح ولا ينبغي أن تكون لصاً فأخذته منه وأنشدت هذه الأبيات:

والله ما كنت لصاً يا أخا ثقة ... ولم أكن سارقاً يا أحسن الناس

ولكن رمتني صروف الدهر عن عجل ... فزاد همي ووسواس إفلاسي

وما رميت ولكن الإله رمى ... سهماً فطير تاج الملك عن رأسي

فتركني الجندي وأنصرف بعد أن أعطاني الكيس وأنصرفت أنا ولفيت يدي في خرقة وأدخلتها عنـي وقد تغيرت حالتي وأصفر لوني مما جرى لي فتمشيت إلى القاعة وأنا على غير استواء ورميت روحي على الفراش فنظرتني الصبية متغير اللون فقالت لي ما وجعك ومالي أرى حالتك تغيرت فقلت لها رأسي توجعني وما أنا طيب فعند ذلك أغتاظت وتشوشت لأجلي وقالت لا تحرق قلبي يا سيدي أقعد وارفع رأسك وحـدثني بما حصل لك اليوم فقد بان لي في وجهك كلام فقلت دعيني من الكلام فبكت وقالت كأنك قد فرغ غرضك منا فإني أراك على خلاف العادة فبكت وصارت تحدثني وأنا لا أجيبها حتى أقبل الليل فقدمت لي الطعام فامتنعت وخشيت أن تراني آكل بيدي الشمال فقلت لا أشتهي أن آكل في هذه الساعة فقالت حدثني بما جرى لك فـي هذا اليوم ولأي شيء أراك مهموماً مكسور الخاطر والقلب فقلت في هذه الساعة أحدثك على مهلي فقدمت لي الشراب وقالت دونك فإنه يزيل همك فلابد أن تشرب وتحدثني بخبرك فقلت لها أن كان ولابد فأسقيني بيـدك فملأت القدح وشربته وملأته وناولتني أياه فتناولته منها بيدي الشمال وفرت الدمعة من جفني فأنشـدت هـذه الأبيات:

إذا أراد ا أمـــــــراً لأمـــــــريء	وكــان ذا عقــل وســمع وبصـــر
أصـــم أذنيـــه وأعمـــي قلبـــه	وســل منـــه عقلـــه ســل الشـــعر
حتـــى إذا أنفـــذ فيـــه حكمـــه	رد إليـــــه عقلـــــه ليعتبـــــر

فلما فرغت من شعري تناولت القدح بيدي الشمال وبكيت فلما رأتني أبكي صرخت صرخة قوية وقالت ما سبب بكائك قد أحرقت قلبي ومالك تناولت القدح بيدك الشمال فقلت لها أن بيدي حبة فقالت أخرجها حتـى أفقعها لك فقلت ما هو وقت فقعها لا تطيلي علي فما أخرجها في تلك الساعة ثم شربت القدح ولم تزل تسقيني حتى غلب السكر علي فنمت مكاني فأبصرت يدي بلا كف ففتشتني فرأت معي الكيس الذي فيه الذهب فدخل عليها الحزن مالا يدخل على أحد ولا زالت تتألم بسببي إلى الصباح فلما أفقت من النوم وجدتها هيـأت لـي مسلوقة وقدمتها فإذا هي أربعة من طيور الدجاج واسقتني قدح شراب فأكلت وشربت وحطيت الكيس وأردت الخروج فقالت أين تروح فقلت إلى مكان كذا لأزحزح بعض الهم عن قلبي فقالت لا تروح بل أجلس فجلست فقالت لي وهل بلغت محبتك أياي إلى أن صرفت جميع مالك علي وعدمت كفك فأشهدك علـى والشـاهد ا أني لا أفارقك وسترى صحة قولي ولعل ا استجاب دعوتي بزواجك وأرسلت خلف الشهود فحضروا فقالت لهم اكتبوا كتابي على هذا الشاب وأشهدوا أني قبضت المهر فكتبوا كتابي عليها ثم قالت اشـهدوا أن جميـع مالي الذي في هذا الصندوق وجميع ما عندي من المماليك والجواري لهذا الشاب فشهدوا عليها وقبلـت أنـا التمليك وأنصرفوا بعدما أخذوا الأجرة ثم أخذتني من يدي وأوقفتني على خزانة وفتحت صندوقاً كبيراً وقالت لي أنظر هذا الذي في الصندوق فنظرت فإذا هو ملآن مناديل فقالت هذا مالك الذي أخذته منك فكلما أعطيتني منديلاً فيه خمسون دينار ألفه وأرميه في هذا الصندوق فخذ مالك فقد رده ا عليك وأنت اليوم عزيـز فقـد جرى عليك القضاء بسببي حتى عدمت يمينك وأنا لا أقدر على مكافأتك ولو بذلت روحي لكان ذلك قليلاً ولك الفضل ثم قالت لي تسلم مالك فتسلمته ثم نقلت مافي صندوقها إلى صندوقي وضمت مالها إلى مـالي الـذي كنت أعطيتها أياه وفرح قلبي وزال همي فقمت فقبلتها وسكرت معها فقالت لقد بذلت جميع مالك ويدك فـي

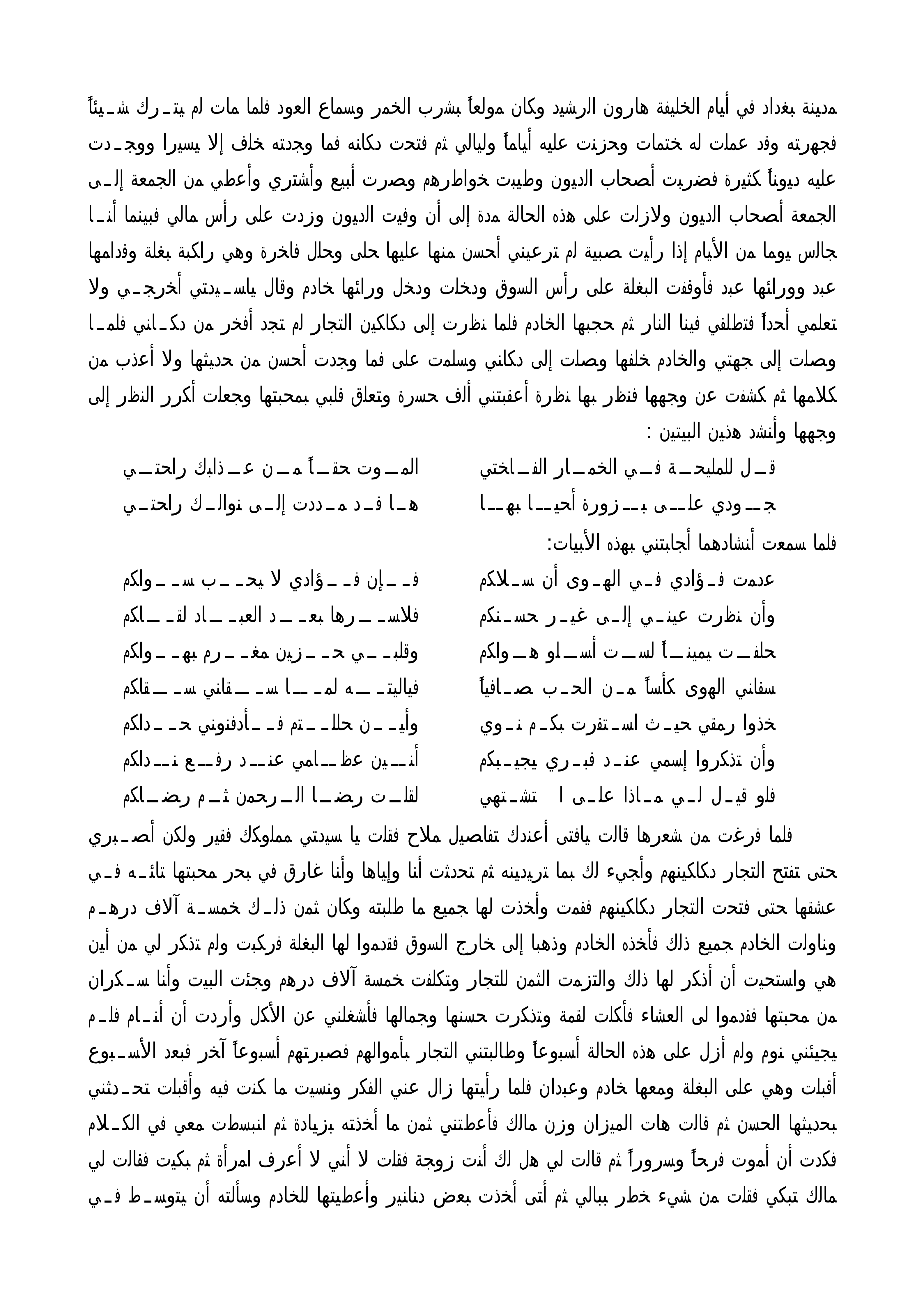
محبتي فكيف أقدر على مكافأتك وا لو بذلت روحي في محبتك لكان ذلك قليل وما أقوم بواجب حقك علـى ثم أنها كتبت لي جميع ما تملك من ثياب بدنها وصيغتها وأملاكها بحجة وما نامت تلك الليلة إلا مهمومة من أجلي حين حكيت لها ما وقع لي وبت معها ثم أقمنا على ذلك أقل من شهر وقوى بهـا الضـعف وزاد بهـا المرض وما مكثت غير خمسين يوماً ثم صارت من أهل الآخرة فجهزتها وواريتها في التراب وعملت لهـا ختمات وتصدقت عليها بجملة من المال ثم نزلت من التربة فرأيت لها مالا جزيلاً وأملاكاً وعقـارات ومـن جملة ذلك تلك المخازن السمسم التي بعت لك منها ذلك المخزن وما كان اشتغالي عنك هذه المـدة إلا لأنـي بعت بقية الحواصل وإلى الآن لم أفرغ من قبض الثمن فأرجوا منك أنك لا تخالفني فيما أقوله لك لأني أكلت زادك فقد وهبتك ثمن السمسم الذي عندك فهذا سبب أكلي بيدي الشمال فقلت له لقد أحسنت إلي وتفضلت على فقال لي لابد أن تسافر معي إلى بلادي فإني اشتريت متجراً مصرياً واسكندرانياً فهل لك في مصاحبتي فقلت نعم وواعدته على رأس الشهر ثم بعت جميع ما أملك وأشتريت به متجراً وسافرت أنا وذلك الشاب على هذه البلاد التي هي بلادكم فباع الشاب متجراً واشترى متجراً عوضه من بلادكم ومضي إلى الـديار المصـرية فكان نصيبي من قعودي هذه الليلة حتى حصل ما حصل من غربتي فهذا يا ملك الزمان ما هو أعجب مـن حديث الأحدب فقال الملك لابد من شنقكم كلكم: وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ملك الصين لما قال لابد من شنقكم فعند ذلك تقدم المباشر إلـى ملـك الصين وقال أن أذنت لي حكيت لك حكاية اتفقت لي في تلك المدة قبل أن أجد هذا الأحدب وأن كانت أحـب من حديثه تهب لنا أرواحنا فقال الملك هات ما عندك فقال أعلم أني كنت تلك الليلة الماضـية عنـد جماعـة عملوا ختمة وجمعوا الفقهاء فلما قرأ المقرءون وفرغوا مدوا السماط فمن جملة ما قـدموا أزرباجـة فقـدمنا لنأكل الزرباجة فتأخر واحد منا وأمتنع عن الأكل منها فحلفنا عليه فأقسم أنه لا يأكل منها فشددنا عليه فقال لا تشددوا علي فكفاني ما جرى لي من أكلها فأنشد هذا البيت:

إذا صـديق أنكـرت جانبـه لـم تعينـي علـى فراقـه الحيـل

فلما فرغنا قلنا له با ما سبب امتناعك عن الأكل من هذه الزرباجة فقال لأني لا آكـل منهـا إلا أن غسلت يدي أربعين مرة بالأشنان وأربعين مرة بالسعد وأربعين مرة بالصابون فجملتها مائة وعشرون مـرة فعند ذلك أمر صاحب الدعوة غلمانه فأتوا بالماء الذي طلبه فغسل يديه كما ذكر ثم تقدم وهو منكره وجلـس ومد يده وهو مثل الخائف ووضع يده في الزرباجة وصار يأكل وهو متغصب ونحن نتعجـب منـه غايـة التعجب ويده ترتعد فنصب أبهام يده فإذا هو مقطوع وهو يأكل بأربعة أصابع فقلنا له با عليك مالإبهامـك هكذا هو خلقة ا أم أصابه حادث فقال يا أخواني ما هو هذا الإبهام وحده ولكن إبهام الأخرى وكذلك رجلاي الأثنين ولكن أنظروا ثم كشف إبهام يده الأخرى فوجدناها مثل اليمين وكذلك رجلاه بلا أبهامين فلما رأينـاه كذلك أزددنا عجباً وقلنا له ما بقي لنا صبر على حديثك والأخبار بسبب قطع إبهامي يديك وإبهامي رجليـك وسبب غسل يديك مائة وعشرين مرة فقال أعلموا أن والدي كان تاجر من التجار الكبار وكان أكبـر تجـار



مدينة بغداد في أيام الخليفة هارون الرشيد وكان مولعاً بشرب الخمر وسماع العود فلما مات لم يتـرك شـيئاً فجهرته وقد عملت له ختمات وحزنت عليه أياماً وليالي ثم فتحت دكانه فما وجدته خلف إلا يسيرا ووجـدت عليه ديوناً كثيرة فضربت أصحاب الديون وطيبت خواطرهم وصرت أبيع وأشتري وأعطي من الجمعة إلـى الجمعة أصحاب الديون ولازلت على هذه الحالة مدة إلى أن وفيت الديون وزدت على رأس مالي فبينما أنـا جالس يوما من الأيام إذا رأيت صبية لم ترعيني أحسن منها عليها حلى وحلل فاخرة وهي راكبة بغلة وقدامها عبد وورائها عبد فأوقفت البغلة على رأس السوق ودخلت ودخل ورائها خادم وقال ياسـيدتي أخرجـي ولا تعلمي أحداً فتطلقي فينا النار ثم حجبها الخادم فلما نظرت إلى دكاكين التجار لم تجد أفخر من دكـاني فلمـا وصلت إلى جهتي والخادم خلفها وصلت إلى دكاني وسلمت على فما وجدت أحسن من حديثها ولا أعذب من كلامها ثم كشفت عن وجهها فنظر بها نظرة أعقبتني ألف حسرة وتعلق قلبي بمحبتها وجعلت أكرر النظر إلى وجهها وأنشد هذين البيتين :

قـل للمليحـة فـي الخمـار الفـاختي ... المـوت حقـاً مـن عـذابك راحتـي

جـودي علـى بـزورة أحيـا بهـا ... هـا قـد مـددت إلـى نوالـك راحتـي

فلما سمعت أنشادهما أجابتني بهذه الأبيات:

عدمت فـؤادي فـي الهـوى أن سـلاكم ... فـإن فـؤادي لا يحـب سـواكم

وأن نظرت عينـي إلـى غيـر حسـنكم ... فلاسـرها بعـد العبـاد لقـاكم

حلفـت يمينـاً لسـت أسـلو هـواكم ... وقلبـي حـزين مغـرم بهـواكم

سقاني الهوى كأساً مـن الحـب صـافياً ... فياليتـه لمـا سـقاني سـقاكم

خذوا رمقي حيـث اسـتقرت بكـم نـوي ... وأيـن حللـتم فـأدفنوني حـداكم

وأن تذكروا إسمي عنـد قبـري يجيـبكم ... أنـين عظـامي عنـد رفـع نـداكم

فلو قيـل لـي مـاذا علـى ا تشـتهي ... لقلـت رضـا الـرحمن ثـم رضـاكم

فلما فرغت من شعرها قالت يافتى أعندك تفاصيل ملاح فقلت يا سيدتي مملوكك فقير ولكن أصـبري حتى تفتح التجار دكاكينهم وأجيء لك بما تريدينه ثم تحدثت أنا وإياها وأنا غارق في بحر محبتها تائـه فـي عشقها حتى فتحت التجار دكاكينهم فقمت وأخذت لها جميع ما طلبته وكان ثمن ذلـك خمسـة آلاف درهـم وناولت الخادم جميع ذلك فأخذه الخادم وذهبا إلى خارج السوق فقدموا لها البغلة فركبت ولم تذكر لي من أين هي واستحيت أن أذكر لها ذلك والتزمت الثمن للتجار وتكلفت خمسة آلاف درهم وجئت البيت وأنا سـكران من محبتها فقدموا لى العشاء فأكلت لقمة وتذكرت حسنها وجمالها فأشغلني عن الأكل وأردت أن أنـام فلـم يجيئني نوم ولم أزل على هذه الحالة أسبوعاً وطالبتني التجار بأموالهم فصبرتهم أسبوعاً آخر فبعد الأسـبوع أقبلت وهي على البغلة ومعها خادم وعبدان فلما رأيتها زال عني الفكر ونسيت ما كنت فيه وأقبلت تحـدثني بحديثها الحسن ثم قالت هات الميزان وزن مالك فأعطتني ثمن ما أخذته بزيادة ثم انبسطت معي في الكـلام فكدت أن أموت فرحاً وسروراً ثم قالت لي هل لك أنت زوجة فقلت لا أنني لا أعرف امرأة ثم بكيت فقالت لي مالك تبكي فقلت من شيء خطر ببالي ثم أتى أخذت بعض دنانير وأعطيتها للخادم وسألته أن يتوسـط فـي

الأمر فضحك وقال هي عاشقة لك أكثر منك وما لها بالقماش حاجة وأنما هي لأجل محبتها لك فخاطبها بمـا تريد فإنها لا تخالفك فيما تقول فرأتني وأنا أعطي الخادم الدنانير فرجعت وجلست ثم قلت لها تصدقي علـى مملوكك وأسمحي له فيما يقول ثم حدثتها بما في خاطري فأعجبها ذلك وأجابتني وقالت هـذا الخـادم يـأتي برسالتي وأعمل أنت بما يقول لك الخادم ثم قامت ومضت وقمت وسلمت التجار أموالهم وحصل لهم الـربح إلا أنا فأنها حين ذهبت حصل لي الندم من انقطاع خبرها عني ولم أنم طول الليل فما كان إلا أيـام قلائـل وجاءني خادمها فأكرمته وسألته عنها فقال أنها مريضة فقلت للخادم أشرح لي أمرها قال أن هـذه الصـبية ربتها السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد وهي من جواريها وقد اشتهت على سيدتها الخروج والدخول فأذنت لها في ذلك فصارت تدخل وتخرج حتى صارت قهرمانة ثم أنها حدثت بك سيدتها وسألتها أن تزوجهـا بـك فقالت سيدتها لا أفعل حتى أنظر هذا الشاب فإن كان يشبهك زوجتك به ونحن نريد في هذه الساعة أن ندخل بك الدار فان دخلت ولم يشعر بك أحد وصلت تزويجك إياها وإن انكشف أمرك ضربت رقبتك فماذا تقـول فقلت نعم أروح معك وأصبر على الأمر الذي حدثتني به فقال لي الخادم إذا كانت هذه الليلـة فـامض إلـى المسجد الذي بنته السيدة زبيدة على الدجلة فصل فيه وبت هناك فقلت حباً وكرامة فلما جـاء وقـت العشـاء مضيت إلى المسجد وصليت فيه وبت هناك فلما كان وقت السحر رأيت الخادمين قد أقبلا في زورق ومعهما صناديق فارغة فأدخلوها في المسجد وأنصرفوا وتأخر واحد منهما فتأملته وإذا هو الذي كان واسـطة بينـي وبينها فبعد ساعة صعدت إلينا الجارية صاحبتي فلما أقبلت قمت إليها وعانقتها فقبلتني وبكت وتحدثنا سـاعة فأخذتني ووضعتني في صندوق وأغلقته علي ولم أشعر إلا وأنا في دار الخليفة وجاءوا إلي بشيء كثير مـن الأمتعة بحيث يساوي خمسين ألف درهم ثم رأيت عشرين جارية أخرى وهن نهد أبكار وبينهن الست زبيـدة وهي لم تقدر على المشي مما عليها من الحلي والحلل فلما أقبلت تفرقت الجواري من حواليها فأتيـت إليهـا وقبلت الأرض بين يديها فأشارت لي بالجلوس فجلست بين يديها ثم شرعت تسألني عن حالي وعـن نسـبي فأجبتها عن كل ما سألتني عنه ففرحت وقالت وا ما خابت تربيتنا في هذه الجارية ثم قالت لي أعلم أن هذه الجارية عندنا بمنزلة ولد الصلب وهي وديعة ا عندك فقبلت الأرض قدامها ورضيت بزواجـي إياهـا ثـم أمرتني أن أقيم عندهم عشرة أيام فأقمت عندهم هذه المدة وأنا لا أدري مـن هـي الجاريـة إلا أن بعـض الوصائف تأتيني بالغداء والعشاء لأجل الخدمة وبعد هذه المدة استأذنت السيدة زبيدة زوجها أمير المؤمنين في زواج جاريتها فأذن لها وأمر لها بعشرة آلاف دينار فأرسلت السيدة زبيدة إلى القاضي والشهود وكتبوا كتابي عليها وبعد ذلك عملوا الحلويات والأطعمة الفاخرة وفرقوا على سائر البيوت ومكثوا على هذا الحال عشـرة أيام أخر وبعد العشرين يوماً ادخلوا الجارية الحمام لاجل الدخول بها ثم أنهم قدموا سفرة فيها طعام من جملته خافقية زرباجة محشوة بالسكر وعليها ماء ورد ممسك وفيها أصناف الدجاج المحمرة وغيـره مـن سـائر الألوان مما يدهش العقول فوا حين حضرت المائدة ما أمهلت نفسي حتى نزلت على الزرباجة وأكلت منها بحسب الكفاية ومسحت يدي ونسيت أن أغسلها ومكثت جالساً إلى أن دخل الظلام وأوقدت الشموع وأقبلـت المغنيات بالدفوف ولم يزالوا يجلون العروسة وينقطون بالذهب حتى طافت القصر كله وبعد ذلك أقبلوا علـى ونزعوا ما عليها من الملبوس فلما خلوت بها في الفراش وعانقتها وأنا لم أصدق بوصالها أشمت فـي يـدي

رائحة الزرباجة فلما شمت الرائحة صرخت صرخة فنزل لها الجواري من كل جانب فارتجفت ولم أعلم مـا الخبر فقالت الجواري مالك يا أختنا فقالت لهم أخرجوا على هذا المجنون فأنا أحسب أنه عاقل فقلت لها ومـا الذي ظهر لك من جنوني فقالت يا مجنون لأي شيء أكلت من الزرباجة ولم تغسل يدك فو ا لا أقبلك على عدم عقلك وسوء فعلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للشباب لا أقبلك على عدم عقلك وسوء فعلك ثم تناولـت من جانبها سوطاً ونزلت به على ظهري ثم على مقاعدي حتى غبت عن الوجود من كثرة الضرب ثم أنهـا قالت للجواري خذوه وأمضوا به إلى متولي المدينة ليقطع يده التي أكل بها الزرباجة ولم يغسلها فلما سـمعت ذلك قلت لا حول ولا قوة إلا با أتقطع يدي من أجل أكل الزرباجة وعدم غسلي إياها فدخلن عليها الجواري وقلن لها يا أختنا لا تؤاخذيه بفعله هذه المرة فقالت وا لابد أن أقطع شيئاً من أطرافه ثم راحت وغابت عني عشرة أيام ولم أرها إلا بعد العشرة أيام ثم أقبلت على وقالت لي يا أسود الوجه أنا لا أصلح لك فكيف تأكـل الزرباجة ولم تغسل يدك ثم صاحت على الجواري فكتفوني وأخذت موسا ماضـياً وقطعـت إبهـامي يـدي وأبهامي رجلي كما ترون يا جماعة فغشى على ثم ذرت على بالذرور فانقطع الدم وقلت في نفسـي لا آكـل الزرباجة ما بقيت حتى أغسل يدي أربعين مرة بالأشنان وأربعين مرة بالسعد وأربعين مرة بالصابون فأخذت علي ميثاقاً أني لا آكل الزرباجة حتى أغسل يدي كما ذكرت لكم فلما جئتم بهذه الزرباجة تغير لوني وقلـت في نفسي هذا سبب قطع إبهامي يدي ورجلي فلما غصبتم على قلت لابد أن أوفـي بمـا حلفـت فقلـت لـه والجماعة حاضرون ما حصل لك بعد ذلك قال فلما حلفت لها طاب قلبها ونمت أنا وإياها وأقمنا مدة على هذا الحال وبعد تلك المدة قالت أن أهل دار الخلافة لا يعلمون بما حصل بيني وبينك فيها وما دخلها أجنبي غيرك وما دخلت فيها إلا بعناية السيدة زبيدة ثم أعطتني خمسين ألف دينار وقالت خذ هذه الدنانير وأخرج وأشتر لنا بها داراً فسيحة فخرجت واشتريت داراً مليحة فسيحة ونقلت جميع ما عندها من النعم وما أدخرته من الأموال والقماش والتحف إلى هذه الدار التي اشتريتها فهذا سبب قطع إبهامي فأكلنا وأنصرفنا وبعد ذلك جرى لي مع الأحدب ما جرى وهذا جميع حديثي والسلام فقال الملك ما هذا بأعذب من حديث الأحدب بل حديث الأحدب أعذب من ذلك ولابد من صلبكم جميعاً وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قال لابد من صلبكم جميعاً فتقدم اليهودي وقبـل الأرض وقـال ياملك الزمان أنا أحدثك بحديث أعجب من حديث الأحدب فقال له ملك الصين هات ما عندك فقال أعجب مـا جرى لي في زمن شبابي أني كنت في دمشق الشام وتعلمت منه صنعة فعملت فيها فبينما أنـا أعمـل فـي صنعتي يوماً من الأيام إذا تأتي مملوك من بيت الصاحب بدمشق فخرجت له وتوجهـت معـه إلـى منـزل الصاحب فدخلت فرأيت في صدر الأيوان سريراً من المرمر بصفائح الذهب وعليه مريض راقد وهو شـاب لم ير أحسن منه في زمانه فقعدت عند رأسه ودعوت له بالشفا فأشار إلى بعينه فقلت له يا سيدي ناولني يدك فأخرج لي يده اليسرى فتعجبت من ذلك وقلت في نفسي يا العجب أن هذا الشاب مليح ومن بيـت كبيـر

وليس عنده أدب أن هذا هو للعجب ثم حسست مفاصلة وكتبت له ورقة ومكثت أتردد عليه مدة عشـرة أيـام وفي اليوم الحادي عشر قال الشاب هل لك أن تتفرج في الغرفة فقلت نعم فأمر العبيدان يطلعوا الفراش إلـى فوق وأمرهم أن يشووا خروفاً وأن يأتوا إلينا بفاكهة ففعل العبيد ما أمرهم به وأتوا بالفاكهة فأكلنا وأكل هـو بيده الشمال فقلت له حدثني بحديثك فقال لي يا حكيم الزمان اسمع حكاية ما جرى لي اعلم أنني مـن أولاد الموصل وكان لي والد قد توفي أبوه وخلف عشرة أولاد ذكور من جملتهم والدي وكان أكبرهم فكبروا كلهـم وتزوجوا ورزق والدي بي وأما أخوته التسعة فلم يرزقوا بأولاد فكبرت أنا وصرت بين أعمامي وهم فرحون بي فرحاً شديداً فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال وكنت ذات يوم مع والدي في جامع الموصل وكان اليوم يوم جمعة فصلينا الجمعة وخرج الناس جميعاً وأما والدي وأعمامي فإنهم قعدوا يتحدثون فـي عجائـب الـبلاد وغرائب المدن إلى أن ذكروا مصر فقال بعض أعمامي أن المسافرين يقولون ما على وجه الأرض أحسـن من مصر ونيلها ثم أنهم أخذوا يصفون مصر ونيلها فلما فرغوا من كلامهم وسمعت أنا هذه الأوصاف التـي في مصر صار خاطري مشغولاً بها ثم أنصرفوا وتوجه كل واحد منهم إلى منزله فبت تلك الليلة لم يأتني نوم من شغفي بها ولم يطب لي الأكل ولا شرب فلما كان بعد أيام قلائل تجهز أعمامي إلى مصر فبكيـت علـى والدي لأجل الذهاب معهم حتى جهز لي متجراً ومضيت معهم وقال لهم لا تدعوه يدخل مصر بل أتركوه في دمشق ليبيع متجره فيها ثم سافرنا وودعت والدي وخرجنا من الموصل ومازلنا مسافرين حتى وصـلنا إلـى حلب فأقمنا بها أياماً ثم سافرنا إلى أن وصلنا دمشق فرأينا مدينة ذات أشجار وأنهار وأثمار وأطيار كأنها جنة فيها من كل فاكهة فنزلنا في بعض الخانات واستمر بها أعمامي حتى باعوا واشتروا وباعوا بضاعتي فـربح الدرهم خمسة دراهم ففرحت بالربح ثم تركني أعمامي وتوجهوا إلى مصر وأدرك شهرزاد الصباح فسـكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما تركوه أعمامه وتوجهوا إلى مصـر قـال مكثـت بعـدهم وسكنت في قاعة مليحة البنيان يعجز عن وصفها اللسان أجرتها كل شهر بدينارين فصرت أتلـذذ بالمآكـل والمشارب حتى صرفت المال الذي كان معي فبينما أنا قاعد على باب القاعة يوماً من الأيـام وإذا بصـبية أقبلت على وهي لابسة أفخر الملابس ما رأت عيني أفخر منها فعزمت عليها فما قصرت بل صارت داخـل الباب فلما دخلت ظفرت بها وفرحت بدخولها فرددت الباب علي وعليها وكشفت عن وجهها وقلعت أزارهـا فوجدتها بديعة الجمال فتمكن حبها من قلبي فقمت وجئت بسفرة من أطيب المأكول والفاكهة وما يحتاج إليـه المقام وأكلنا ولعبنا وبعد اللعب شربنا حتى سكرنا ثم نمت معها مع أطيب ليلة إلى الصباح وبعد ذلك أعطيتها عشرة دنانير فحلفت أنها لا تأخذ الدنانير مني ثم قالت يا حبيبي انتظرني بعد ثلاثة أيام وقت المغرب أكـون عندك وهيء لنا بهذه الدنانير مثل هذا وأعطتني هي عشرة دنانير وودعتني وانصرفت فأخذت عقلي معهـا فلما مضت الأيام الثلاثة أتت وعليها من المزركش والحلي والحلل أعظم مما كان عليها أولاً وكنت هيئت لها ما يليق بالمقام قبل أن تحضر ثم أكلنا وشربنا ونمنا مثل العادة إلى الصباح ثـم أعطتنـي عشـرة دنـانير وواعدتني بعد ثلاثة أيام أنها تحضر عندي فهيأت لها ما يليق بالمقام وبعد ثلاثة أيام حضرت في قماش أعظم

من الأول والثاني ثم قالت لي يا سيدي هل أنا مليحة فقلت أي وا فقالت هل تأذن لي أن أجيء معي بصبية أحسن مني وأصغر سناً مني حتى تلعب معنا ونضحك وأياها فإنها سألتني أن تخـرج معـي وتبيـت معنـا لنضحك وأياها ثم أعطتني عشرين ديناراً وقالت لي زد لنا المقام لأجل الصبية التي تأتي معي ثـم ودعتنـي وانصرفت فلما كان اليوم الرابع جهزت لها ما يليق بالمقام على العادة فلما كان بعد المغرب وإذا بها قد أتت ومعها واحدة ملفوفة بإزار فدخلتا وجلستا ففرحت وأوقدت الشموع واستقبلتني بالفرح والسرور فقامتا ونزعتا ما عليهما من القماش وكشفت الصبية الجديدة عن وجهها فرأيتها كالبدر في تمامه فلم أر أحسن منها فقمـت وقدمت لهما الأكل والشرب فأكلنا وشربنا وصرت أقبل الصبية الجديدة وأملأ لها القدح وأشرب معها فغارت الصبية الأولى في الباطن ثم قالت با إن هذه الصبية مليحة أما هي أظرف مني قلت أي وا قالت خاطري أن تنام معها قلت على رأسي وعيني ثم قامت وفرشت لنا فقمت ونمت مع الصبية الجديدة إلى وقت الصـبح فلما أصبحت وجدت يدي ملوثة بدم ففتحت عيني فوجدت الشمس قد طلعت فنبهت الصبية فتدحرجت تحتهـا العقد الذي كان في عنق تلك الصبية فأخذته وتأملته وبكيت ساعة ثم أقمت يومين وفي اليوم الثالـث دخلـت الحمام وغيرت أثوابي وأنا ما معي شيء من الدراهم فجئت يوماً إلى السوق فوسوس لي الشيطان لأجل إنفاذ القدر فأخذت العقد الجوهر وتوجهت به إلى السوق وناولته للدلال فقام لي وأجلسني بجانبه وصبر حتى عمر السوق وقال لي أن هذا العقد نحاس مصنوع بصنعة الأفرنج وقد وصل ثمنه إلى ألف درهم فقلت له نعم كنـا صنعناه لواحدة نضحك عليها به وورثتها زوجتي فأرنا بيعه فرح وأقبض الألـف درهـم وأدرك شـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال للدلال أقبض الألف درهم وسمع الدلال ذلك عرف أن قضيته مشكلة فتوجه بالعقد إلى كبير السوق وأعطاه إياه فأخذه وتوجه به إلى الوالي وقال له أن هـذا العقـد\ سرق من عندي ووجدنا الحرامي لابساً لباس أولاد التجار فلم أشعر إلا والظلمة قد أحاطوا بـي وأخـذوني وذهبوا بي إلى الوالي فسألني الوالي عن ذلك العقد فقلت له ما قلته للدلال فضحك الوالي وقال ما هذا كـلام الحق فلم أدر إلا وحواشيه جردوني من ثيابي وضربوني بالمقارع على جميع بدني فأحرقني الضرب فقلـت أنا سرقته وقلت في نفسي أن الأحسن أني أقول أنا سرقته ولا أقول أن صاحبته مقتولة عندي فيقتلوني فيهـا فلما قلت أني سرقته قطعوا يدي وقلوها في الزيت فغشي علي فسقوني الشراب حتى أفقت فأخذت يدي وجئت إلى القاعة فقال صاحب القاعة حيثما جرى لك هذا فأدخل القاعة وأنظر لك موضعاً آخر لأنك متهم بـالحرام فقلت له يا سيدي أمين في يومين أو ثلاثة حتى أنظر لي موضعاً قال نعم ومضى وتركني فبقيت قاعداً أبكـي وأقول كيف أرجع إلى أهلي وأنا مقطوع اليد والذي قطع يدي لم يعلم أني بريء فلعل ا يحدث بعد ذلك أمراً وصرت أبكي بكاء شديداً فلما مضي صاحب القاعة عني لحقني غم شديد فتشوشت يومين وفي اليوم الثالـث ما أدري إلا وصاحب القاعة جاءني ومعه بعض الظلمة وكبير السوق وادعى على أني سرقت العقد فخرجت لهم وقلت ما الخبر فلم يمهلوني بل كتفوني ووضعوا في رقبتي جنزيراً وقالوا لي أن العقد الذي كـان معـك طلع لصاحب دمشق ووزيرها وحاكمها وقالوا أن هذا العقد قد ضاع من بيت الصاحب من مدة ثلاث سـنين

ومعه ابنته فلما سمعت هذا الكلام منهم ارتعدت مفاصلي وقلت في نفسي هم يقتلونني ولا محالة وا لابد أنني أحكي للصاحب حكايتي فإن شاء قتلني وإن شاء عفى عني فلما وصلنا إلى الصاحب أوقفني بين يديه فلما رآني قال أهذا هو الذي سرق العقد ونزل به ليبيعه أنكم قطعتم يده ظلماً ثم أمر بسجن كبير السوق وقال له أعطي هذا دية يده وإلا أشنقك وآخذ جميع ما لك ثم صاح على اتباعه فأخذوه وجردوه وبقيت أنا والصاحب وحدنا بعد أن فكوا الغل من عنقي بأذنه وحلوا وثاقي ثم نظر إلي الصاحب وقال لي يا ولدي حدثني واصدقني كيف وصل إليك هذا العقد قلت يا مولاي أنني أقول لك الحق ثم حدثته بجميع ما جرى لي مع الصبية الأولى وكيف جاءتني بالثانية وكيف ذبحتها من الغير وذكرت له الحديث بتمامه فلما سمع كلامي هز رأسه وحط منديله على وجهه وبكى ساعة ثم أقبل علي وقال لي اعلم يا ولدي أن الصبية بنتي وكنت أحجر عليها فلما بلغت أرسلتها إلى ابن عمها بمصر فمات فجاءتني وقد تعلمت العهر من أولاد مصر وجاءتك أربع مرات ثم جاءتك بأختها الصغيرة والأثنتان شقيقتان وكانتا محبتين لبعضهما فلما جرى للكبيرة ما جرى أخرجت سرها على أختها فطلبت مني الذهاب معها ثم رجعت وحدها فسألتها عنها فوجدتها تبكي عليها وقالت لا أعلم لها خبراً ثم قالت لأمها سراً جميع ما جرى من ذبحها أختها فأخبرتني أمها سراً ولم تزل تبكي وتقول وا لا أزال أبكي عليها حتى أموت وكلامك يا ولدي صحيح فإني أعلم بذلك قبل أن تخبرني به فانظر يا ولدي ما جرى وأنا أشتهي منك أن لا تخالفني فيما أقول لك وهو أني أريد أن أزوجك ابنتي الصغيرة فإنها ليست شقيقة لهما وهي بكر ولا آخذ منك مهراً وأجعل لكما راتباً من عندي وتبقى عندي بمنزلة ولدي فقلت له الأمر كما تريد يا سيدي ومن أين لي أن أصل إلى هذا فأرسل الصاحب في الحال من عنده بريد و أتاني بمالي الذي خلفه والدي وأنا اليوم في أرغد عيش فتعجبت منه وأقمت عنده ثلاثة أيام وأعطاني مالاً كثيراً وسافرت من عنده فوصلت إلى بلادكم هذه فطابت لي فيها المعيشة وجرى لي مع الأحدب ما جرى فقال ملك الصين ما هذا بأعجب من حديث الأحدب ولابد لي من شنقكم جميعاً وخصوصاً الخياط الذي هو رأس كل خطيئة قال يا خياط إن حدثتني بشيء أعجب من حديث الأحدب وهبت لكم أرواحكم.

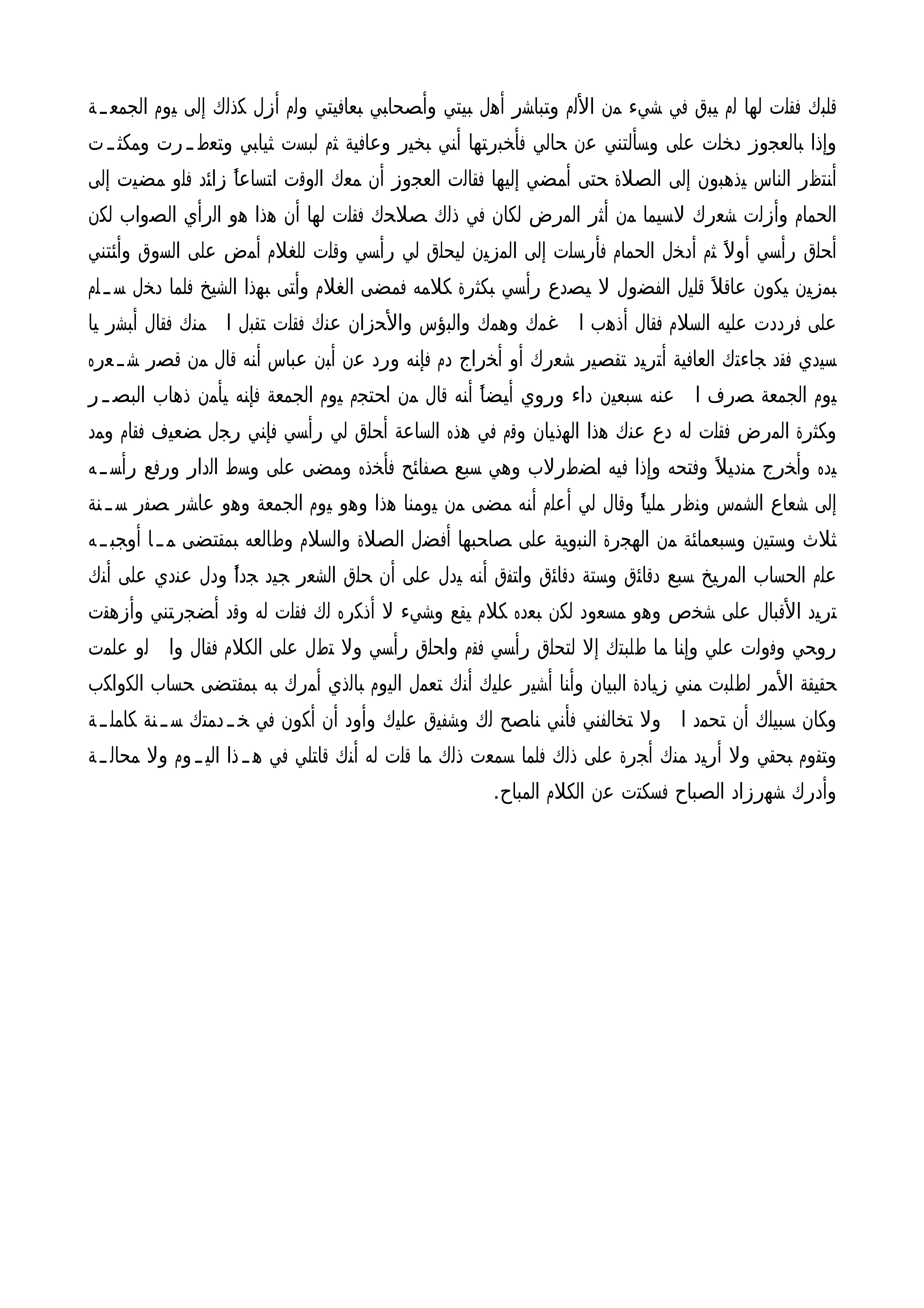
(حكاية مزين بغداد)

فعند ذلك تقدم الخياط وقال اعلم يا ملك الزمان أن الذي جرى لي أعجب مما جرى للجميع لأني كنت قبل أن أجتمع بالأحدب أول النهار في وليمة بعض أصحاب أرباب الصنائع من خياطين وبزازين ونجارين وغير ذلك فلما طلعت الشمس حضر الطعام لنا كل وإذا بصاحب الدار قد دخل علينا ومعه شاب وهو أحسن ما يكون من الجمال غير أنه أعرج فدخل علينا وسلم فقمنا فلما أراد الجلوس رأى فينا إنساناً مزيناً فامتنع من الجلوس وأراد أن يخرج من عندنا فمنعناه نحن وصاحب المنزل وشددنا عليه وحلف عليه صاحب المنزل وقال له ما سبب دخولك وخروجك فقال با يا مولاي لا تتعرض لي بشيء فإن سبب خروجي هذا المزين الذي هو قاعد فلما سمع منه صاحب الدعوة هذا الكلام تعجب غاية العجب وقال كيف يكون هذا الشاب من بغداد وتشوش خاطره من هذا المزين ثم التفتنا إليه وقلنا له أحك لنا ما سبب غيظك من هذا المزين فقال الشاب يا جماعة أنه جرى لي مع هذا المزين أمر عجيب في بغداد بلدي وكان هو سبب عرجي وكسر رجلي وحلفت أني ما بقيت أقاعده في مكان ولا أسكن في بلد هو ساكن بها وقد سافرت من بغداد ورحلت منها

وسكنت في هذه المدينة وأنا الليلة لا أبيت إلا مسافراً فقلنا بالله عليك أن تحكي لنا حكايتك معه فأصفر لون المزين حين سألنا الشاب ثم قال الشاب اعلموا يا جماعة الخير أن والدي من أكابر تجار بغداد ولم يرزقه الله تعالى بولد غيري فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال توفي والدي إلى رحمة الله تعالى وخلف لي مالا وخدماً وحشماً فصرت ألبس أحسن الملابس وآكل أحسن المآكل وكان الله سبحانه وتعالى بغضني في النساء إلى أن كنت ماشياً يوماً من الأيام في أزقة بغداد وإذا بجماعة تعرضوا لي في الطريق فهربت ودخلت زقاقاً لاينفذ وأرتكنت في آخره على مصطبة فلم أقعد غير ساعة وإذا بطاقة قبالة المكان الذي أنا فيه فتحت وطلت منها صبية كالبدر في تمامه لم أر في عمري مثلها ولها زرع تسقيه وذلك الزرع تحت الطلة فالتفتت يميناً وشمالاً ثم قفلت الطاقة وغابت عن عيني فانطلقت في قلبي النار واشتغل خاطري بها وانقلب بغضي للنساء محبة فمازلت جالساً في هذا المكان إلى المغرب وأنا غائب عن الدنيا من شدة الغرام وإذا بقاضي المدينة راكب وقدامه عبيد ووراءه خدم فنزل ودخل البيت الذي طلب منه تلك الصبية فعرفت أنه أبوها ثم أني جئت منزلي وأنا مكروب ووقعت على الفراش مهموماً فدخلن على جواري وقعدن حولي ولم يعرفن ما بي وأنا لم أبدلهن أمراً ولم أرد لخطابهن جواباً وعظم مرضي فصارت الناس تعودني فدخلت على عجوز فلما رأتني لم يخف عليها حالي فقعدت عند رأسي ولا طفتني وقالت لي يا ولدي قل لي خبرك فحكيت لها حكايتي وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

(وفي ليلة ٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما حكى للعجوز حكايته قالت له يا ولدي أن هذه بنت قاضي بغداد وعليها الحجر والموضع الذي رأيتها فيه هو طبقتها وأبوها له أسفل وهي وحدها وأنا كثيراً ما أدخل عندهم ولا تعرف وصالها إلا مني فشد حيلك فتجلدت وقويت نفسي حين سمعت حديثها وفرح أهلي في ذلك اليوم وأصبحت متماسك الأعضاء مرتع تمام الصحة ثم مضت العجوز ورجعت ووجهها متغير فقالت يا ولدي لا تسأل عما جرى منها لما قلت لها ذلك فأنها قالت لي أن لم تسكتي يا عجوز النحس عن هذا الكلام لأفعلن بك ما تستحقينه ولابد أن أرجع إليها ثاني مرة فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضاً على مرضي فلما كان بعد أيام أتت العجوز وقالت يا ولدي أريد منك البشارة فلما سمعت ذلك منها ردت روحي إلى جسمي وقلت لها لك عندي كل خير فقالت أني ذهبت بالأمس إلى تلك الصبية فلما نظرتني وأنا منكسرة الخاطر باكية العين قالت يا خالتي مالي أراك ضيقة الصدر فلما قالت لي ذلك بكيت وقلت لها يا بنتي وسيدتي أني أتيتك الأمس من عند فتى يهواك وهو مشرف على الموت من أجلك فقالت لي وقد رق قلبها ومن أين يكون هذا الفتى الذي تذكرينه قلت هو ولدي وثمرة فؤادي ورآك من الطاقة من أيام مضت وأنت تسقين ورعك ورأى وجهك فهام بك عشقاً وأنا أول مرة أعلمته بما جرى لي معك فزاد مرضه ولزم الوساد بها هو إلا ميت ولا محالة فقالت وقد أصفر لونها هل هذا كله من أجلي قلت أي والله فماذا تأمرين قالت أمضي إليه واقرئيه مني السلام وأخبريه أن عندي أضعاف ما عنده فإذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجيء إلى الدار وأنا أقول افتحوا له الباب وأطلعه عندي واجتمع أنا وإياه ساعة ويرجع قبل مجيء أبي من الصلاة فلما سمعت كلام العجوز زال ما كنت أجده من الألم واستراح قلبي ودفعت إليها ما كان على من الثياب وانصرفت وقالت لي طب



قلبك فقلت لها لم يبق في شيء من الألم وتباشر أهل بيتي وأصحابي بعافيتي ولم أزل كذلك إلى يوم الجمعـة وإذا بالعجوز دخلت على وسألتني عن حالي فأخبرتها أني بخير وعافية ثم لبست ثيابي وتعطـرت ومكثـت أنتظر الناس يذهبون إلى الصلاة حتى أمضي إليها فقالت العجوز أن معك الوقت اتساعاً زائد فلو مضيت إلى الحمام وأزلت شعرك لاسيما من أثر المرض لكان في ذلك صلاحك فقلت لها أن هذا هو الرأي الصواب لكن أحلق رأسي أولاً ثم أدخل الحمام فأرسلت إلى المزين ليحلق لي رأسي وقلت للغلام أمض على السوق وأئتني بمزين يكون عاقلاً قليل الفضول لا يصدع رأسي بكثرة كلامه فمضى الغلام وأتى بهذا الشيخ فلما دخل سـلم على فرددت عليه السلام فقال أذهب ا غمك وهمك والبؤس والأحزان عنك فقلت تقبل ا منك فقال أبشر يا سيدي فقد جاءتك العافية أتريد تقصير شعرك أو أخراج دم فإنه ورد عن أبن عباس أنه قال من قصر شـعره يوم الجمعة صرف ا عنه سبعين داء وروي أيضاً أنه قال من احتجم يوم الجمعة فإنه يأمن ذهاب البصـر وكثرة المرض فقلت له دع عنك هذا الهذيان وقم في هذه الساعة أحلق لي رأسي فإني رجل ضعيف فقام ومد يده وأخرج منديلاً وفتحه وإذا فيه اصطرلاب وهي سبع صفائح فأخذه ومضى على وسط الدار ورفع رأسـه إلى شعاع الشمس ونظر ملياً وقال لي أعلم أنه مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة وهو عاشر صفر سـنة ثلاث وستين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وطالعه بمقتضى مـا أوجبـه علم الحساب المريخ سبع دقائق وستة دقائق واتفق أنه يدل على أن حلق الشعر جيد جداً ودل عندي على أنك تريد الأقبال على شخص وهو مسعود لكن بعده كلام يقع وشيء لا أذكره لك فقلت له وقد أضجرتني وأزهقت روحي وفولت علي وإنا ما طلبتك إلا لتحلق رأسي فقم واحلق رأسي ولا تطل على الكلام فقال وا لو علمت حقيقة الأمر لطلبت مني زيادة البيان وأنا أشير عليك أنك تعمل اليوم بالذي أمرك به بمقتضى حساب الكواكب وكان سبيلك أن تحمد ا ولا تخالفني فأني ناصح لك وشفيق عليك وأود أن أكون في خـدمتك سـنة كاملـة وتقوم بحقي ولا أريد منك أجرة على ذلك فلما سمعت ذلك ما قلت له أنك قاتلي في هـذا اليـوم ولا محالـة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال له أنك قاتلي في هذا اليوم فقال سيدي أنا الـذي تسـميني الناس الصامت لقلة كلامي دون أخوتي لأن أخي الكبير اسمه البقبوق والثاني الهدار والثالث بقبـق والرابـع اسمه الكوز الأصواني والخامس أسمه العشار والسادس اسمه شقالق والسابع اسمه الصامت وهو أنا فلما زاد على هذا المزين بالكلام رأيت أن مرارتي انفطرت وقلت للغلام أعطه ربع دينار وخله ينصرف عني لوجه الله فلا حاجة لي في حلاقة رأسي فقال المزين حين سمع كلامي مع الغلام يا مولاي ما أظنك تعرف بمنزلتي فإن يدي تقع على رأس الملوك والأمراء والوزراء والحكماء والفضلاء وفي مثلي قال الشاعر:

جميـــع الصـــنائع مثـــل العقـــود	وهـــذا المـــزين در الســـلوك
فيعلـــوا علـــى كـــل ذي حكمـــة	وتحـــت يديـــه رؤوس الملـــوك

فقلت دع مالا يعنيك فقد ضيقت صدري وأشلت خاطري فقال أظنك مستعجلاً فقلت له نعم نعـم فقـال تمهل على نفسك فإن العجلة من الشيطان وهي تورث الندامة والحرمان وقد قال عليه الصلاة والسلام خيـر الأمور ما كان فيه تأن وأنا والله رابني أمرك فاشتهي أن تعرفني ما الذي أنت مستعجل من أجله ولعله خيـر فإني أخشى أن يكون شيئاً غير ذلك وقد بقي من الوقت ثلاث ساعات ثم غضب ورمي الموس من يديه وأخذ الاضطراب ومضى إلى الشمس ووقف حصة مديدة وعاد وقال قد بقي لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيـد ولا تنقص فقلت له بالله عليك اسكت عني فقد فتت كبدي فأخذ الموس وسنه كما فعل أولاً وحلق بعض رأسي وقال أنا مهموم من عجلتك فلواطلعتني على سببها لكان خيراً لأنك تعلم أو والدك ما كـان يفعـل شـيئاً إلا بمشورتي فلما علمت أن مالي منه خلاص قلت في نفسي قد جاء وقت الصلاة واريد أن أمضي قبل أن تخرج الناس من الصلاة فإن تأخرت ساعة لا أدري أين السبيل إلى الدخول إليها فقلت أوجز ودع عنك هذا الكـلام والفضول فإنني أريد أن أمضي إلى دعوة عند أصحابي فلما سمع ذكر الدعوة قال يومك يوم مبارك علي لقـد كنت البارحة حلفت على جماعة من أصدقائي ونسيت أن أجهز لهم شيئاً يأكلونه وفي هذه الساعة تذكرت ذلك وا فضيحتاه منهم فقلت له لا تهتم بهذا الأمر بعد تعريفك أنني اليوم في دعوة فكل ما في داري مـن طعـام وشراب لك إن أنجزت أمري وعجلت حلاقة رأسي فقال جزاك الله خيراً صف لي ما عندك لأضيافي حتـى أعرفه فقلت عندي خمسة أوان من الطعام وعشر دجاجات محمرات وخروف مشوي فقال أحضرها لي حتى أنظرها فأحضرت له جميع ذلك فلما عاينه قال بقي الشراب فقلت له عندي قال أحضره فأحضرته له قـال درك ما أكرم نفسك لكن بقي البخور الطيب فأحضرت له درجاً فيه نداً وعود وعنبر ومسك يساوي خمسـين ديناراً وكان الوقت قد ضاق حتى صار مثل صدري فقلت له خذ هذا واحلق لي جميع رأسي بحياة محمـد ﷺ فقال المزين والله ماآخذه حتى أرى جميع ما فيه فأمرت للغلام ففتح له الدرج فرمي المزين الاضطراب مـن يده وجلس على الأرض يقلب الطيب والبخور والعود الذي في الدرج حتى كادت روحي أن تفارق جسمي ثم تقدم وأخذ الموس وحلق من رأسه شيئاً يسيراً وقال والله يا ولدي ما أدري أشكرك ثـم أشـكر والـدك لأن دعوتي اليوم كلها من بعض فضلك وأحسانك وليس عندي من يستحق ذلك وإنما عنـدي زيتـون الحمـامي وصليع الفسخاني وعوكل الفوال وعكرشه البقال وحميد الزبال وعكارش اللبان ولكل هؤلاء رقصة يرقصـها

فضحك عن قلب مشحون بالغيظ وقلت له أقض شغلي وأسير أنا في أمان ا تعـالى وتمضـي أنـت إلـى أصحابك فإنهم منتظرون قدومك فقال ما طلبت إلا أن أعاشرك بهؤلاء الأقوام فأنهم من أولاد الناس الذين ما فيهم فضولي ولو رأيتهم مرة واحدة لتركت جميع أصحابك فقلت له نعم ا سرورك بهم ولابد أن أحضـرهم عندي يوماً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال للمزين لابد أن أحضر أصحابك عندي يوماً فقال له إذا أردت ذلك وقدمت دعوة أصحابك في هذا اليوم فاصبر حتى أمضي بهذا الإكرام الذي أكرمتني به وأدعه عند أصحابي يأكلون ويشربون ولا ينتظرون ثم أعود إليك وأمضي معك إلى أصدقائك فليس بيني وبين أصدقائي حشمة تمنعني عن تركهم والعود إليك عاجلاً وأمضي معك أينما توجهت فقلت لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم أمضي أنت إلى أصدقائك وانشرح معهم ودعني أمضي إلى أصدقائي وأكون معهم في هذا اليوم فإنهم ينتظرون قدومي فقال المزين لا أدعك تمضي وحدك فقلت له أن الموضع الذي أمضي إليه لا يقدر أحـد أن يدخل فيه غيري فقال أظنك اليوم في ميعاد واحدة وإلا كنت تأخذني معك وأنا أحق من جميع الناس وأساعدك على ما تريد فإني أخاف أن تدخل على امرأة أجنبية فتروح روحك فإن هذه مدينة بغداد لا يقدر أحد أن يعمل فيها شيئاً من هذه الأشياء لاسيما في مثل هذا اليوم وهذا والي بغداد صارم عظيم فقلت ويلك يا شيخ الشر أي شيء هذا الكلام الذي تقابلني به فسكت سكوتاً طويلاً وأدركنا وقت الصلاة وجاء وقت الخطبة وقد فرغ مـن حلق رأسي فقلت له أمضي إلى أصحابك بهذا الطعام والشراب وأنا أنتظرك حتى تعود وتمضي معـي ولـم أزل أخادعه لعله يمضي فقال لي أنك تخادعني وتقضي وحدك وترمي نفسك في مصيبة لا خلاص لك منهـا فبا لا تبرح حتى أعود إليك وأمضي معك حتى أعلم ما يتم من أمرك فقلت له نعم لا تبطيء علي فأخذ مـا أعطيته من الطعام والشراب وغيره وخرج من عندي فسلمه إلى الحمال ليوصله إلى منزله وأخفي نفسه فـي بعض الأزقة ثم قمت من ساعتي وقد اعلنوا على المنارات بسلام الجمعة فلبست ثيابي وخرجت وحدي وأتيت إلى الزقاق ووقعت على البيت الذي رأيت فيه تلك الصبية وإذا بالمزين خلفي ولا أعلم بـه فوجـدت البـاب مفتوحاً فدخلت وإذا بصاحب الدار عاد إلى منزله من الصلاة ودخل القاعة وغلق الباب فقلت من أين علم هذا الشيطان بي فأتفق في هذه الساعة لأمر يريده ا من هتك سترى أن صاحب الـدار أذنبـت جاريـة عنـده فضربها فصاحت فدخل عنده عبد ليخلصها فضربه فصاح الآخر فأعتقد المزين أنه يضربني فصاح ومـزق أثوابه وحثا التراب على رأسه وصار يصرخ ويستغيث والناس حوله وهو يقول قتل سيدي في بيت القاضـي ثم مضي إلى داري وهو يصيح والناس خلفه وأعلم أهل بيتي وغلماني فما دريت إلا وهم قد أقبلوا يصيحون وا سيداه كل هذا والمزين قدامهم وهو ممزق الثياب والناس معهم ولم يزالوا يصرخون وهـو فـي أوائلهـم يصرخ وهم يقولوا وا قتيلاه وقد أقبلوا نحو الدار التي أنا فيها فلما سمع القاضي ذلك عظم عليه الأمر وقـام وفتح الباب فرأى جمعاً عظيماً فبهت وقال يا قوم ما القصة فقال له الغلمان أنك قتلت سيدنا فقال يا قوم ومـا الذي فعله سيدكم حتى أقتله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن القاضي قال للغلمان ما الذي فعله سيدكم حتى أقتله ومالي لا أرى هذا المزين بين أيديكم فقال له المزين أنت ضربته في هذه الساعة بالمقارع وأنا أسمع صياحه فقال القاضي ومـا الذي فعله حتى أقتله ومن أدخله داري ومن أين جاء والي أين يقصد فقال له المزين لا تكن شيخاً نحساً فأنـا أعلم الحكاية وسبب دخوله دارك وحقيقة الأمر كله وبنتك تعشقه وهو يعشقها فعلمت أنـه قـد دخـل دارك وأمرت غلمانك فضربوه وا ما بيننا وبينك إلا الخليفة أو تخرج لنا سيدنا ليأخذه أهله ولا تحوجني إلـى أن أدخل وأخرجه من عندكم وعجل أنت بإخراجه فالتجم القاضي عن الكلام وصار في غاية الخجل من النـاس وقال للمزين أن كنت صادقاً فأدخل أنت وأخرجه فنهض المزين ودخل الدار فلما رأيـت المـزين أردت أن أهرب فلم أجد لي مهرباً غير أني رأيت في الطبقة التي أنا فيها صندوقاً كبيراً فدخلت فيـه ورددت الغطـاء عليه وقطعت النفس فدخل القاعة بسرعة ولم يلتفت إلى غير الجهة التي أنا فيها بل قصد الموضع الذي أنـا فيه والتفت يميناً وشمالا فلم يجد إلا الصندوق الذي أنا فيه فحمله على رأسه فلما رأيته فعل ذلك غاب رشدي ثم مر مسرعاً فلما علمت أنه ما يتركني فتحت الصندوق وخرجت منه بسرعة ورميت نفسي علـى الأرض فانكسرت رجلي فلما توجهت إلى الباب وجدت خلقاً كثيراً لم أر في عمري مثل هذا الازدحام الذي حصل في ذلك اليوم فجعلت أنثر الذهب على النسا ليشتغلوا به فاشتغل الناس به وصرت أجري في أزقة بغـداد وهـذا المزين خلفي وأي مكان دخلت فيه يدخل خلفي وهو يقول أرادوا أن يفجعوني في تفسيرك حتى فعلت بنفسك هذه الأفعال فلولا من ا عليك بي ما كنت خلصت من هذه المصيبة التي وقعت فيها وربما كانوا يرمونك في مصيبة لا تخلص منها أبداً فأطلب من ا أن أعيش لك حتى أخلصك وا لقد أهلكني سوء تـدبيرك وكنـت تريد أن تروح وحدك ولكن لا نؤاخذك على جهلك لأنك قليل العقل عجول فقلت له أما كفاك ما جرى منـك حتى تجري ورائي في الأسواق وصرت أتمنى الموت لأجل خلاصي منه فلا أجد موتاً ينقذني منه فمن شـدة الغيظ فررت منه ودخلت دكاناً في وسط السوق واستجرت بصاحبها فمنعه عني وجلست في مخزن وقلت في نفسي ما بقيت أقدر أن أفر من هذا المزين بل يقيم عندي ليلاً ونهاراً ولم يبق في قدرة على النظر إلى وجهه فأرسلت في الوقت أحضرت الشهود وكتبت وصية لأهلي وجعلت أنساناً ناظراً عليهم وأمرته أن يبيع الـدار والعقارات وأوصيته بالكبار والصغار وخرجت مسافراً من ذلك الوقت حتى أتخلص من ذلك القواد ثم جئـت إلى بلادكم فسكنتها ولى فيها مدة فلما عزمت علي وجئت إليكم رأيت هذا القبيح القواد عنـدكم فـي صـدر المكان فكيف يستريح قلبي ويطيب مقامي عندكم مع هذا وقد فعل معي هذا الفعال وانكسرت رجلي بسببه ثم أن الشاب امتنع من الجلوس فلما سمعنا حكايته مع المزين قلنا للمزين أحق ما قاله هذا الشاب عنك فقال وا أنا فعلت ذلك بمعرفتي ولولا أني فعلت لهلك وما سبب نجاته إلا أنا ومن فضل ا عليك بسببي أنه أصـاب برجله ولم يصب بروحه ولو كنت كثير الكلام ما فعلت معه ذلك الجميل وها أنا أقول لكم حديثاً جـرى لـي حتى تصدقوا أني قليل الكلام وما عندي فضول من دون أخوتي وذلك أني كنت ببغداد في أيام خلافة أميـر المؤمنين المنتصر با وكان يحب الفقراء والمساكين ويجالس العلماء والصالحين فاتفق له يوماً أنه غضـب على عشرة أشخاص فأمر المتولي ببغداد أن يأتيه بهم في زورق فنظرتهم أنا فقلت مـا اجتمـع هـؤلاء إلا لعزومة وأظنهم يقطعون يومهم في هذا الزورق في أكل وشرب ولا يكون نديمهم غيري فقمت ونزلت معهم

واختلطت بهم فقعدوا في الجانب الآخر فجاء لهم أعوان الوالي بالأغلال ووضعوها في رقابهم ووضعوا في رقبتي غلال من جملتهم فهذا يا جماعة ما هو من مروءتي وقلة كلامي لأني ما رضيت أن أتكلم فأخذونا جميعاً في الأغلال وقدمونا بين يدي المنتصر با أمير المؤمنين فأمر بضرب رقاب العشرة فضرب السياف رقاب العشرة وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المزين قال لما السياف ضرب رقاب العشرة وبقيت أنا فالتفت الخليفة فرآني فقال للسياف ما بالك لا تضرب رقاب جميع العشرة فقال ضربت رقاب العشرة كلهم فقال له الخليفة ما أظنك ضربت رقاب غير تسعة وهذا الذي بين يدي هو العاشر فقال السياف وحق نعمتك أنهم عشرة قال عدوهم فعدوهم فإذا هم عشرة فنظر إلى الخليفة وقال ما حملك على سكوتك في هذا الوقت وكيف صرت مع أصحاب الدم فلما سمعت خطاب أمير المؤمنين قلت له اعلم يا أمير المؤمنين أني أنا الشيخ الصامت وعندي من الحكمة شيء كثير وأما رزانة عقلي وجودة فهمي وقلة كلامي فإنها لا نهاية لها وصنعتي الزيانة فلما كان أمس بكرة النهار نظرت هؤلاء العشرة قاصدين الزورق فاختلطت بهم ونزلت معهم وظننت أنهم في عزومة فما كان غير ساعة وإذا هم أصحاب جرائم فحضرت إليهم الأعوان ووضعوا في رقابهم الأغلال ووضعوا في رقبتي غلا من جملتهم فمن فرط مروءتي سكت ولم أتكلم فعدم كلامي في ذلك الوقت من فرط مروءتي فساروا بنا حتى أوقفونا بين يديك فأمرت بضرب رقاب العشرة وبقيت أنا بين يدى السياف ولم أعرفكم بنفسى أما هذه مروءة عظيمة قد أحوجتني إلى أن أشاركهم في القتل لكن طول دهري هكذا أفعل الجميل فلما سمع الخليفة كلامي وعلم أني كثير المروءة قليل الكلام ما عندي فضول كما يزعم هذا الشاب الذي خلصته من الأهوال قال الخليفة وأخوتك الستة مثلك فيهم الحكمة والعلم وقلة الكلام قلت لا عاشوا ولا بقوا أن كانوا مثلي ولكن ذممتني يا أمير المؤمنين ولا ينبغي لك أن تقرن أخوتي بي لأنهم من كثرة كلامهم وقلة مروءتهم كل واحد منهم بعاهة ففيهم واحداً أعرج وواحد أعور وواحد أفلج وواحد أعمى وواحد مقطوع الأذنين والأنف وواحد مقطوع الشفتين وواحد أحول العينين ولا تحسب يا أمير المؤمنين أني كثير الكلام ولابد أن أبين لك أني أعظم مروءة منهم ولكل واحد منهم حكاية اتفقت له حتى صار فيه عاهة وأن شئت أن أحكي لك فاعلم يا أمير المؤمنين أن الأول وهو الأعرج كان صنعته الخياطة ببغداد فكان يخيط في دكان استأجرها من رجل كثير المال وكان ذلك الرجل ساكناً على الدكان وكان في أسفل دار الرجل طاحون فبينما أخي الأعرج جالس في الدكان في بعض الأيام يخيط إذ رفع رأسه فرأى امرأة كالبدر الطالع في روشن الدار وهي تنظر الناس فلما رأها أخي تعلق قلبه بحبها وصار يومه ذلك ينظر إليها وترك اشتغاله بالخياطة إلى وقت المساء فلما كان وقت الصباح فتح دكانه وقعد يخيط وهو كلما غرز غرزة ينظر إلى الروشن فمكث على ذلك مدة لم يخيط شيئاً يساوي درهماً فاتفق أن صاحب الدار جاء إلى أخي يوماً من الأيام ومعه قماش وقال له فصل لي هذا وخيطه أقمصة فقال أخي سمعاً وطاعة ولم يزل يفصل حتى فصل عشرين قميصاً إلى وقت العشاء وهو لم يذق طعاماً ثم قال له كم أجرة ذلك فلم يتكلم أخي فأشارت إليه العينية بعينها لا تأخذ منه شيئاً وكان محتاجاً إلى فلس واستمر ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب إلا القليل بسبب اجتهاده في تلك الخياطة

فلما فرغ من الخياطة التي لهم أتى إليهم بالأقمصة وكانت الصبية قد عرفت زوجها بأخي وأخي لا يعلم ذلك واتفقت هي وزوجها على استعمال أخي في الخياطة بلا أجرة بل يضحكون عليه فلما فرغ أخي من جميع أشغالهما عملاً عليه حيلة وزوجاه بجاريتهما وليلة أراد أن يدخل عليها قالاً له بت الليلة في الطاحون وإلى غد يكون خيراً فاعتقد أخي أن لهما قصداً صحيحاً فبات في الطاحون وحده وراح زوج الصبية غمز الطحان عليه ليدوره في الطاحون فدخل عليه الطحان في نصف الليل وجعل يقول أن هذا الثور بطال مع أن القمح كثير وأصحاب الطحين يطلبونه فأنا أعلقه في الطاحون حتى يخلص طحين القمح فعلقه في الطاحون إلى قريب الصبح فجاء صاحب الدار فرأى أخي معلقاً في الطاحون والطحان يضربه بالسوط فتركه ومضى وبعد ذلك جاءت الجارية التي عقد عليها وكان مجيئها في بكرة النهار فحلته من الطاحون وقال قد شق علي أو على سيدتي ما جرى لك وقد حملنا همك فلم يكن له لسان يرد جواباً من شدة الضرب ثم أن أخي رجع إلى منزله وإذا بالشيخ الذي كتب الكتاب قد جاء وسلم عليه وقال له حياك ا زواجك مبارك أنت بت الليلة في النعيم والدلال والعناق من العشاء إلى الصباح فقال له أخي لا سلم ا الكاذب ياألف قواد وا ما جئت إلا لأطحن في موضع الثور إلى الصباح فقال له حدثني بحديثك فحدثه أخي بما وقع له فقال له ما وافق نجمك نجمها ولكن إذا شئت أن أغير لك عقد العقد أغيره لك بأحسن منه لا حل أن يوافق نجمك لأبيها فقال له أنظر أن بقى لك حيلة أخرى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأعرج لما قال للشيخ أنظر أن بقي لك حيلة أخرى فتركه وأتى إلى دكانه ينتظر أحداً يأتي إليه بشغل يتقوت من أجرته وإذا هو بالجارية قد أتت إليه وكانت أتفقت مع سيدتها على تلك الحيلة فقالت له أن سيدتي مشتاقة إليك وقد طلعت السطح لترى وجهك من الروشن فلم يشعر أخي إلا وهي قد طلعت له من الروشن وصارت تبكي وتقول لأي شيء قطعت المعاملة بيننا وبينك فلم يرد عليها جواباً فحلفت له أن جميع ما وقع له في الطاحون لم يكن باختيارها فلما نظر أخي إلى حسنها وجمالها ذهب عنه ما حصل له وقبل عذرها وفرح برؤيتها ثم سلم عليها وتحدث معها وجلس في خياطته مدة وبعد ذلك ذهبت إليه الجارية وقالت له تسلم عليك سيدتي وتقول لك أن زوجها قد عزم على أن يبيت عند بعض أصدقائه في هذه الليلة فإذا مضى عندهم تكون أنت عندنا وتبيت مع سيدتي في الدعيش إلى الصباح وكان زوجها قد قال لها ما يكون العمل في مجيئه عندك حتى آخذه وأجره إلى الوالي فقالت دعني أحتال عليه بحيلة وافضحه فضيحة يشتهر بها في هذه المدينة وأخي لا يعلم شيئاً من كيد النساء فلما أقبل المساء جاءت الجارية إلى أخي وأخذته ورجعت به إلى سيدتها فقالت له وا يا سيدي أني مشتاقة إليك كثيراً فقال با عجل بقبلة قبل كل شيء فلم يتم كلامه إلا وقد حضر زوج الصبية من بيت جاره فقبض على أخي وقال له وا لا أفارقك إلا عند صاحب الشرطة فتضرع إليه أخي فلم يسمعه بل حمله إلى دار الوالي فضربه بالسياط وأركبه جملاً ودوره في شوارع المدينة والناس ينادون عليه هذا جزاء من يهجم على حريم الناس ووقع من فوق الجمل فانكسرت رجله فصار أعرج ثم نفاه الوالي من المدينة فخرج لا يدري أين يقصد فأغتظت أنا فلحقته وأتيت به والتزمت بأكله وشربه إلى الآن فضحك الخليفة من كلامي وقال أحسنت فقلت لا أقبل هذا التعظيم

منك دون أن تصغى إلي حتى أحكي لك ما وقع لبقية أخوتي ولا تحسب أني كثير الكلام فقال الخليفة حـدثني بما وقع لجميع أخوتك وشنف مسامعي بهذه الرقائق وأسلك سبيل الأطناب في ذكر هذه اللطائف فقلت اعلم يا أمير المؤمنين أن أخي الثاني كان اسم بقبق وقد وقع له أنه كان ماشياً يوماً من الأيام متوجهاً إلى حاجة لـه وإذا بعجوز قد أستقبلته وقالت له أيها الرجل قف قليلاً حتى أعرض عليك أمراً فإن أعجبك فأقضه لي فوقف أخي فقالت له أدلك على شيء وأرشدك إليه بشرط أن لا يكون كلامك كثيراً فقال لها أخي هات كلامك قالت له ما قولك في دار حسنة وماؤها يجري وفاكهة ومدام ووجه مليح تشاهده وخد أسيل تقبله وقد رشيق تعانقه ولم تزل كذلك من العشاء إلى الصباح فإن فعلت ما أشترط عليك رأيت الخير فلما سمع أخي كلامها قال لهـا يا سيدتي وكيف قصدتيني بهذا الأمر من دون الخلق أجمعين فأي شيء أعجبك مني فقالت لأخي أما قلت لك لا تكن كثير الكلام وأسكت وأمض معي ثم ولت العجوز وسار أخي تابعاً لها طمعاً فيما وصفته له حتى دخلا داراً فسيحة وصعدت به من أدنى إلى أعلى فرأى قصراً ظريفاً فنظر أخي فرأى فيه أربع بنـات مـا رأى الراؤون أحسن منهن وهن يغنين بأصوات تطرب الحجر الأصم ثم أن بنتاً منهن شربت قدحاً فقال لها أخي بالصحة والعافية وقام ليخدمها فمنعته من الخدمة ثم سقته قدحاً فشرب وصفعته على رقبته فلمـا رأى أخـي ذلك خرج مغضباً ومكثراً للكلام فتبعته العجوز وجعلت تغمزه بعينها أرجع فرجع وجلس ولم ينطق فأعـادت الصفعة على قفاه إلى أن أغمى عليه ثم قام أخي لقضاء حاجته فلحقته العجوز وقالت له أصبر قليلاً حتى تبلغ ما تريد فقال لها أخي إلى كم أصبر قليلاً فقالت له العجوز إذا سكرت بلغت مرادك فرجع أخي إلـى مكانـه وجلس فقامت البنات كلهن وأمرتهن العجوز أن يجردنه من ثيابه وأن يرششن على وجهه ماء ورد ففعلن ذلك فقالت الصبية البارعة الجمال منهن أعزك ا قد دخلت منزلي فإن صبرت على شرطي بلغت مرادك فقـال لها أخي يا سيدتي أنا عبدك وفي قبضة يدك فقالت له اعلم أن ا قد شغفني بحب المطرب فمن أطاعني نال ما يريد ثم أمرت الجواري أن يغنين فغنين حتى طرب المجلس ثم قالت للجارية خذي سيدك وأقضي حاجتـه وائتيني به في الحال فأخذت الجارية أخي ولا يدري ما تصنع به فلحقته العجوز وقالت له أصبر ما بقـي إلا القليل فأقبل أخي على الصبية والعجوز تقول أصبر فقد بلغت ما تريد وأنما بقي شيء واحد وهـو أن تحلـق ذقنك فقال لها أخي وكيف أعمل في فضيحتي بين الناس فقالت له العجوز أنها ما أرادت أن تفعل بك ذلك إلا لأجل أن تصير أمرد بلا ذقن ولا يبقى في وجهك شيء يشكها فإنها صار في قلبها لك محبة عظيمة فأصـبر فقد بلغت المنى فصبر أخي وطاوع الجارية وحلق ذقنه وجاءت به إلى الصبية وإذا هو محلـوق الحـاجبين والشاربين والذقن محمر الوجه ففزعت منه ثم ضحكت حتى استلقت على قفاها وقالت يا سيدي لقد ملكتنـي بهذه الأخلاق الحسنة ثم حلفته بحياتها أن يقوم ويرقص فقام ورقص فلم تدع في البيت مخدة حتى ضربته بها وكذلك جميع الجواري صرن يضربنه بمثل نارنجة وليمونة واترجه إلى أن سقط مغشياً عليه من الضرب ولم يزل الصفع على قفاه والرجم في وجهه إلى أن قالت له العجوز الآن بلغت مرادك واعلم أنه ما بقي عليك من الضرب شيء وما بقي إلا شيء واحد وذلك أن ما عادتها إنها إذا سكرت لا تمكن أحداً من نفسها حتى تقلـع ثيابها وسراويلها وتبقى عريانة من جميع ما عليها من ثيابها وأنت الآخر تقلع ثيابك وتجري ورائهـا وهـي تجري قدامك كأنها هاربة منك ولم تزل تابعها من مكان أنه مكان حتى يقوم إيرك فتمكنك من نفسها ثم قالت

له قم اقلع ثيابك فقام وهو غائب عن الوجود وقلع ثيابه جميعاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عـن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخا المزين قلع ثيابه وصار عرياناً فقالت الجاريـة لأخـي قـم الآن واجري ورائي وأجري أنا قدامك وإذا أردت شيئاً فاتبعني فجرت قدامه وتبعها ثم جعلت تدخل في محل إلـى محل وتخرج من محل إلى محل آخر وأخي وراءها وقد غاب الشنق وايره قائم كأنه مجنون ولم تزل تجري قدامه وهو يجري وراءها فبينما هو كذلك إذ رأى نفسه في وسط زقاق وذلك الزقاق في وسط الجلادين وهم ينادون على الجلود فرآه الناس على تلك الحالة وهو عريان قائم الأير محلوق الذقن والحواجـب والشـوارب محمر الوجه فصاحوا عليه وصاروا يضحكون ويقهقهون وصار بعضهم يصفعه بالجلود وهو عريان حتـى غشي عليه وحملوه على حمار حتى أوصلوه إلى الوالي فقال ما هذا قالوا هذا وقع لنا من بيت الوزير وهـو على هذه الحالة فضربه الوالي مائة سوط وخرجت أنا خلفه وجئت به وأدخلته المدينة سراً ثم رتبت لـه مـا يقتات به فلولا مروءتي ما كنت أحتمل مثله وأما أخي الثالث فاسمه قفة ساقه القضاء والقدر إلى دار كبيـرة فدق الباب طمعاً أن يكلمه صاحبها فيسأله شيئاً فقال صاحب الدار من بالباب فلم يكلمه أحد فسمعه أخي يقول بصوت عال من هذا فلم يكلمه أخي وسمع مشيه حتى وصل إلى الباب وفتحه فقال ما تريد قال له أخي شـيئاً تعالى فقال له هل أنت ضرير قال له أخي نعم فقال له ناولني يدك فناوله يده فأدخله الدار ولم يزل يصعد به من سلم إلى سلم حتى وصل إلى أعلى السطوح وأخي يظن أنه يطعمه شيئاً أو يعطيه شيئاً فلما أنتهى إلى أعلى مكان قال لأخي ما تريد يا ضرير قال أريد شيئاً تعالى فقال له يفتح ا عليك فقال له أخي يا هذا أما كنت تقول لي ذلك وأنا في الأسفل فقال له يا أسفل السفلة لم تسألني شيئاً حين سمعت كلامـي أول مـرة وأنت تدق الباب فقال أخي هذه الساعة ما تريد أن تصنع بي فقال له ما عندي شيء حتى أعطيك أيـاه قـال أنزل بي إلى السلالم فقال لي الطريق بين يديك فقام أخي واستقبل السلالم ومازال نازلاً حتى بقي بيننا وبـين الباب عشرون درجة فزلقت رجله فوقع ولم يزل واقعاً منحدراً من السلالم حتى انشجت رأسه فخرج وهو لا يدري أين يذهب فلحقه بعض رفقائه العميان فقال له أي شيء حصل لك في هذا اليوم فحدثهم بما وقع له قال لهم يا أخواني أريد أن آخذ شيئاً من الدراهم التي بقيت معنا وأنفق منه على نفسي وكان صاحب الدار مشـي خلفه ليعرف حاله فسمع كلامه وأخي لا يدري بأن الرجل يسعى خلفه إلى أن دخل مكانه ودخل الرجل خلفه وهو لا يشعر به وقعد أخي ينتظر رفقاءه فلما دخلوا عليه قال لهم أغلقوا الباب وفتشوا البيت كيلا يكون أحد غريب تبعنا فلما سمع الرجل كلام أخي قام وتعلق بحبل كان في السقف فطافوا البيت جميعه فلم يجدوا أحد ثم رجعوا وجلسوا إلى جانب أخي وأخرجوا الدراهم التي معهم وعدوها فإذا هي عشرة آلاف درهم فتركوها في زاوية البيت وأخذ كل واحد مما زاد عنها ما يحتاج إليه ودفنوا العشرة آلاف درهم في التراب ثم قدموا بـين أيديهم شيئاً من الأكل وقعدوا يأكلون فأحس أخي بصوت غريب في جهته فقال للأصحاب هل معنا غريب ثم مد يده فتعلقت بيد الرجل صاحب الدار فصاح على رفقائه وقال هذا غريب فوقعوا فيه ضـرباً وهنـا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخي لما صاح على رفقائه وقال هذا غريب وقعوا فيه ضرباً فلما طال عليهم ذلك صاحوا يا مسلمين دخل علينا لص يريد أن يأخذ مالنا فاجتمع عليهم خلق فتعامى الرجل الغريـب صاحب الدار الذي أدعوا عليه أنه لص وأغمض عينيه وأظهر أنه أعمى مثلهم بحيث لايشك فيه أحد وصاح يا مسلمين أنا با والسلطان أنا با والوالي أنا با والأمير فإن عندي نصيحة للأمير فلم يشـعروا إلا وقـد احتاطبهم جماعة الوالي فأخذوهم وأخي معهم وأحضروهم بين يديه فقال الوالي ما خبركم فقال ذلك الرجـل اسمع كلامي أيها الوالي لايظهر لك حقيقة حالنا إلا بالعقوبة وأن شئت فأبدأ بعقوبتي قبل رفقائي فقال الـوالي أطرحوا هذا الرجل وأضربوه بالسياط فطرحوه وضربوه فلما أوجعه الضرب فتح إحدى عينيـه فلمـا أزداد عليه الضرب فتح عينه الأخرى فقال له الوالي ما هذه الفعال يا فاجر فقال أعطني الأمان وأنا أخبرك فأعطاه الأمان فقال نحن أربعة نعمل أرواحنا عمياناً ونمر على الناس وندخل البيوت وننظر النسـاء ونحتـال فـي فسادهن واكتساب الأموال من طرقهن وقد حصلنا من ذلك مكسباً عظيماً وهو عشـرة آلاف درهـم فقلـت لرفقائي أعطوني حقي ألفين وخمسمائة فقاموا وضربوني وأخذوا مالي وأنا مستجير با وبك وأنـت أحـق بحصتي من رفقائي وأن شئت أن تعرف صدق قولي فأضرب كل واحداً كثر مما فاته ضربتني يفتح عينيـه فعند ذلك أمر الوالي بعقوبتهم وأول ما بدأ بأخي ومازالوا يضربونه حتى كاد أن يموت ثم قال لهم الوالي يـا فسقه تجحدون نعمة ا وتدعون أنكم عميان فقال أخي ا ا ا ما فينا بصير فطرحوه إلى الضرب ثانيـاً ولم يزالوا يضربونه حتى غشي عليه فقال الوالي دعوه حتى يفيق وأعيدوا عليه الضرب ثالث مرة ثم أمـر بضرب أصحابه كل واحد أكثر من ثلثمائة عصا والبصير يقول لهم افتحوا عيونكم وإلا جددوا عليكم الضرب ثم قال للوالي ابعث معي من يأتيك بالمال فإن هؤلاء ما يفتحون أعينهم ويخافون من فضيحتهم بـين النـاس فبعث الوالي معه من أتاه بالمال فأخذه وأعطى الرجل منه ألفين وخمسمائة درهم على قدر حصته رغماً عنهم ونفي أخي وباقي الثلاثة خارج المدينة فخرجت أنا يا أمير المؤمنين ولحقت أخي وسألته عن حاله فـأخبرني بما ذكرته لك فأدخلته المدينة سراً ورتبت له ما يأكل وما يشرب طول عمره فضحك الخليفة مـن حكـايتي وقال صلوه بجائزة ودعوه ينصرف فقلت له وا ما آخذ شيئاً حتى أبين لأمير المؤمنين ما جرى لبقية أخوتي وأوضح له أني قليل الكلام فقال الخليفة أصدع آذاننا بخرافة خبرك وزدنا من عجرك وبجرك فقلت وأما أخي الرابع يا أمير المؤمنين وهو الأعور فإنه كان جزاراً ببغداد يبيع اللحم ويأتي الخرفان وكانت الكبار وأصحاب الأموال يقصدونه ويشترون منه اللحم فاكتسب من ذلك مالاً عظيماً واقتنى الدواب ولدور ثم أقام علـى ذلـك زمناً طويلاً فبينما هو في دكانه يوماً من الأيام أذ وقف عليه شيخ كبير اللحية فدفع له دراهم وقال أعطني بها لحماً فأخذ منه الدراهم وأعطاه اللحم وانصرف فتأمل أخي في فضة الشيخ فرأى دراهمه بيضاً بياضها ساطع فعزلها وحدها في ناحية وأقام الشيخ يتردد عليه خمسة أشهر وأخي يطرح دراهمه في صندوق وحدها ثم أراد أن يخرجه ويشتري غنماً فلما فتح الصندوق رأى ما فيه ورقاً أبيض مقصوصاً فلطم وجهه وصاح فـاجتمع الناس عليه فحدثهم بحديثه فتعجبوا منه ثم رجع أخي إلى الدكان على عادته فذبح كبشاً وعلقه داخل الـدكان وقطع لحماً وعلقه خارج الدكان وصار يقول في نفسه لعل ذلك الشيخ يجيء فأقبض عليه فما كان إلا سـاعة

وقد أقبل الشيخ ومعه الفضة فقام أخي وتعلق به وصار يصيح يا مسلمين الحقوني واسمعوا قصتي مع هـذا الفاجر فلما سمع الشيخ كلامه قال له أي شيء أحب غليك أن تعرض عن فضيحتي أو أفضحك بـين النـاس فقال له يا أخي بأي شيء تفضحني قال بأنك تبيع لحم الناس في صورة لحم الغنم فقال له يا أخي كـذبت يـا ملعون فقال الشيخ ما ملعون إلا الذي عنده رجل معلق في الدكان فقال له أخي أن كان الأمر كمـا ذكـرت فمالي ودمي حلال لك فقال الشيخ يا معاشر الناس أن هذا الجزار يذبح الآدميين ويبيع لحمهم في صورة لحم الغنم وأن أردتم أن تعلموا صدق قولي فأدخلوا دكانه فهجم الناس على دكان أخي فرأوا ذلك الكـبش صـار أنسياً معلقاً فلما رأوا ذلك تعلقوا بأخي وصاحوا عليه يا كافر يا فاجر وصار أعز الناس إليه يضربه ولطمـه الشيخ على عينه فقلعها وحمل الناس ذلك المذبوح إلى صاحب الشرطة فقال له الشيخ ايها الأميـر أن هـذا الرجل يذبح الناس ويبيع لحمهم على أنه لحم غنم وقد أتيناك به فقم وأقض حق ا عز وجل فدافع أخي عـن نفسه فلم يسمع منه صاحب الشرطة بل أمر بضربه خمسمائة عصا وأخذوا جميع ماله ولولا كثرة ماله لقتلوه ثم نفوا أخي من المدينة فخرج هائماً لا يدري أين يتوجه فدخل مدينة كبيرة واستحسن أن يعمل اسكافياً ففـتح دكاناً وقعد يعمل شيئاً يتقوت منه فخرج ذات يوم في حاجة فسمع صهيل خيل فبحث على سبب ذلك فقيل لـه أن الملك خارج إلى الصيد والقنص فخرج أخي ليتفرج على الموكب وهو يتعجب من خسة رأيه حيث انتقـل من صنعة الأساكفة فالتفت الملك فوقعت عينه على عين أخي فأطرق الملك رأسه وقال أعوذ با من شر هذا اليوم وثنى عنان فرسه وأنصرف راجعاً فرجع جميع العسكر وأمر الملك غلمانه أن يلحقوا أخي ويضـربونه فلحقوه وضربوه ضرباً وجيعاً حتى كاد أن يموت ولم يدر أخي ما السبب فرجع إلى موضعه وهو في حالـة العدم ثم مضى إلى إنسان من حاشية الملك وقص عليه ما وقع له فضحك حتى استلقى على قفاه وقال له يـا أخي اعلم أن الملك لا يطيق أن ينظر إلي أعور لا سيما أن كان العور شمالاً فإنه لا يرجع عن قتله فلما سمع أخي ذلك الكلام عزم على الهروب من تلك المدينة وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأعور لما سمع ذلك الكلام عزم على الهروب مـن تلـك المدينـة وأرتحل منها وتحول إلى مدينة أخرى لم يكن فيها ملك وأقام بها زمناً طويلاً ثم بعد ذلك تفكـر فـي أمـره وخرج يوماً ليتفرج فسمع صهيل خيل خلفه فقال جاء أمر ا وفر يطلب موضعاً ليستتر فيه فلم يجد ثم نظر فرأى بابا منصوباً فدفع ذلك الباب فدخل فرأى دهليزاً طويلاً فاستمر داخلاً فيه فلم يشعر إلا ورجلان قد تعلقا به وقالا الحمد الذي مكننا منك يا عدو ا هذه ثلاث ليال ما أرحتنا ولا تركتنا ننام ولا يستقر لنا مضـجع بل أذقتنا طعم الموت فقال أخي يا قوم ما أمركم با فقالوا أنت تراقبنا وتريد أن تفضحنا وتفضـح صـاحب البيت أما يكفيك أنك أفقرته وأفقرت أصحابك ولكن أخرج لنا السكين التي تهددنا بها كل ليلة وفتشوه فوجدوا في وسطه السكين التي يقطع بها النعال فقال يا قوم أتقوا ا في أمري واعلموا أن حديثي عجيب فقالوا ومـا حديثك فحدثهم بحديثه طمعاً أن يطلقوه فلم يسمعوا منه مقاله ولم يلتفتوا إليه بل ضربوه ومزقوا أثوابه فلمـا تمزقت أثوابه وانكشف بدنه وجدوا أثر الضرب بالمقارع على جنبيه فقالوا له يا ملعون هذا أثـر الضـرب يشهد على جرمك ثم أحضروا أخي بين يدي الوالي فقال في نفسه قد وقعت فأتيت إليه وأخذته وأدخلته المدينة

سراً ورتبت له ما يأكل وما يشرب وأما أخي الخامس فإنه كان مقطوع الأذنين يا أمير المؤمنين وكان رجلاً فقيراً يسأل الناس ليلاً وينفق ما يحصله بالسؤال نهاراً وكان والدنا شيخاً كبيراً طاعناً في السن فخلـف لنـا سبعمائة درهم فأخذ كل واحد منا مائة درهم وأما أخي الخامس هذا فإنه لما أخذ حصته تحير ولم يـدر مـا يصنع بها فبينما هو كذلك إذ وقع في خاطره أنه يأخذ بها زجاجاً من كل نوع ليتجر فيـه ويـربح فأشـتري بالمائة درهم زجاجاً وجعله في قفص كبير وقعد في موضع ليبيع ذلك الزجاج وبجانبه حائط فأسـند ظهـره إليها وقعد متفكراً في نفسه وقال أن رأس مالي في هذا الزجاج مائة درهم أنا أبيعه بمائتين درهم ثم أشـتري بالمائتين درهم زجاجاً وأبيعه بأربعمائة درهم ولا أزال أبيع وأشتري إلى أن يبقى معي مال كثير فاشتري به من جميع المتاجر والعطريات حتى يربح ربحاً عظيماً وبعد ذلك اشتري داراً حسنة واشتري المماليك والخيل والسروج المذهبة وآكل وأشرب ولا أخلي مغنية في المدينة حتى أجيء بها إلى بيتي وأسمع مغانيها هذا كله وهو يحسب في نفسه وقفص الزجاج قدامه ثم قال وأبعث جميع الخاطبات في خطبة بنات الملوك والـوزراء وأخطب بنت الوزير فقد بلغني أنها كاملة الحسن بديعة الجمال وأمهرها بألف دينار فإن رضي أبوها حصـل المراد وأن لم يرض أخذتها قهراً على رغم أنفه فإن حصلت في داري اشتري عشرة خدام صغار ثم اشتري لي كسوة الملوك والسلاطين وأصوغ لي سرجاً من الذهب مرصعاً بالجوهر ثم أركب ومعي المماليك يمشون حولي وقدامي وخلفي حتى إذا رآني الوزير قام إجلالا لي وأقعد بي مكانه ويقعد هو دونـي لأنـه صـهري ويكون معي خادمان بكيسين في كل كيس ألف دينار فأعطيه ألف دينار مهر بنته وأهدي إليه الألـف الثـاني إنما ما حتى ظهر له مروءتي وكرمي وصغر الدنيا في عيني ثم أنصرف إلى داري فإذا جـاء أحـد جهـة امرأتي وهبت له دراهم وخلعت عليه خلعة وأن أرسل إلى الوزير هدية رددتها عليه ولو كانت نفيسـة ولـم أقبل منه حتى يعلموا أني عزيز النفس ولا أخلي نفسي إلا في أعلى مكانة ثم أقدم إليهم في إصـلاح شـأني وتعظيمي فإذا فعلوا ذلك أمرتهم بزفافها ثم أصلح داري إصلاحاً بينا فإذا جاء وقت الجلاء لبست أفخر ثيابي وقعدت على مرتبة من الديباج لا ألتفت يميناً ولا شمالاً لكبر عقلي ورزانة فهمي وتجيء أمرأتي وهي كالبدر في حليها وحللها وأنا لا أنظر غليها عجباً وتيهاً حتى يقول جميع من حضر يا سيدي امرأتك وجاريتك قائمة بين يديك فانعم عليها بالنظر فقد أضر بها القيام ثم يقبلون الأرض قدامي مرار فعند ذلك ارفع رأسي وانظـر إليها نظرة واحدة ثم أطرق برأسي إلى الأرض فيمضون بها واقوم أنا وأغير ثيابي وألبس أحسن ممـا كـان على فإذا جاءوا بالعروسة المرة الثانية لا أنظر إليها حتى يسألوني مرار فأنظر إليها ثم أطرق إلـى الأرض ولم أزل كذلك حتى يتم جلاؤها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخاً المزين الخامس قال أني آمر بعض الخدامين أن يرمي كيساً فيـه خمسمائة دينار للمواشط فإذا أخذته أمرهن أن يدخلنني عليها فإذا أدخلتني عليها لا أنظر إليهـا ولا أكلمهـا أحتقاراً لها لأجل أن يقال أني عزيز النفس حتى تجيء أمها وتقبل رأسي ويدي ونقول لي يا سـيدي أنظـر جاريتك فإنها تشتهي قربك فأجبر خاطرها بكلمة فلم أرد عليها جواباً ولم تزل كذلك تستعطفني حتـى تقـوم وتقبل يدي ورجلي مراراً ثم تقول يا سيدي أن بنتي صبية مليحة ما رأت رجلاً فإذا رأت منـك الانقبـاض

انكسر خاطرها فمل إليها وكلمها ثم أنها تقوم وتحضر لي قدحاً وفيه شراباً ثم أن ابنتها تأخذ القدح لتعطينـي فإذا جاءتني تركتها قائمة بين يدي وأنا متكيء على مخدة مزركشة بالذهب لانظر إليها من كبر نفسي وجلالة قدري حتى تظن في نفسها أني سلطان عظيم الشأن فتقول يا سيدي بحق ا عليك لا تـرد القـدح مـن يـد جاريتك فأني جاريتك فلا أكلمها فتلح علي وتقول لابد من شربه وتقدمه إلى فمي فانفض يدي فـي وجههـا وارفسها واعمل هكذا ثم رفس أخي برجله فجاءت في قفص الزجاج وكان في مكـان مرتفـع فنـزل علـى الأرض فتكسر وكل ما فيه ثم قال أخي هذا كله من كبر نفسي ولو كان أمره إلى أمير المؤمنين لضربته ألف سوط وشهرته في البلد ثم بعد ذلك صار أخي يلطم على وجهه ومزق ثيابه وجعل يبكي ويلطم على وجهـه والناس ينظرون إليه وهم رائحون إلى صلاة الجمعة فمنهم من يرمقه ومنهم من لم يفكر فيه وهو على تلـك الحالة وراح منه رأس المال والربح ولم يزل جالساً يبكي وإذا بامرأة مقبلة إلى صلاة الجمعة وهـي بديعـة الجمال تفوح منها رائحة المسك وتحتها بغلة بردعتها من الديباج مزركشة بالذهب ومعها عدد من الخدم فلما نظرت إلى الزجاج وحال أخي وبكائه أخذتها الشفقة عليه ورق قلبها له وسألت عن حاله فقيل لها أنـه كـان معه طبق زجاج يتعيش منه فانكسر منه فأصابه ما تنظريه فنادت بعض الخدام وقالت له ادفع الذي معك إلى هذا المسكين فدفع له صرة فأخذها فلما فتحها وجد فيها خمسمائة دينار فكاد أن يموت مع شدة الفرح وأقبـل أخي والدعاء لها ثم عاد إلى منزله غنياً وقعد متفكراً وإذا بدق يدق الباب فقام وفتح وإذا بعجـوز لا يعرفهـا فقالت له يا ولدي اعلم أن الصلاة قد قرب زوال وقتها وأنا بغير وضوء وأطلب منك أن تدخلني منزلك حتى توضأ فقال لها سمعاً وطاعة ثم دخل أخي وأذن لها بالدخول وهو طائر من الفرح بالدنانير فلما فرغت أقبلت إلى الموضع الذي هو جالس فيه وصلت هناك ركعتين ثم دعت لأخي دعاء حسناً فشكرها على ذلك وأعطاها دينارين فلما رأت ذلك قالت سبحان ا أني أعجب مما أحبك وأنت بسمة الصعاليك فخذ مالـك عنـي وإن كنت غير محتاج إليه فأردده إلى التي أعطتك أياه لما انكسر الزجاج منك فقال لها أخي يا أمي كيف الحيلـة في الوصول إليها قالت يا ولدي أنها تميل إليك لكنها زوجة رجل موسر فخذ جميع مالك معك فغذا اجتمعـت بها فلا تترك شيئاً من الملاطفة والكلام الحسن إلا وتفعله معها فإنك تنال من جمالها ومن مالها جميع ما تريد فأخذ أخي جميع ما تريد فأخذ أخي جميع الذهب وقام ومشى مع العجوز وهو لا يصدق بذلك فلم تزل تمشي وأخي يمشي وراءها حتى وصلا إلى باب كبير فدقته فخرجت جارية رومية فتحت الباب فـدخلت العجـوز وأمرت أخي بالدخول فدخل دار كبيرة فلما دخلها رأى فيها مجلساً كبيراً مفروشاً وستائر مسدلة فجلس أخـي ووضع الذهب بين يديه ووضع عمامته على ركبته فلم يشعر إلا وجارية أقبلت ما رأى مثلها الراؤون وهـي لابسة أفخر القماش فقام أخي على قدميه فلما رأته ضحكت في وجهه وفرحت به ثم ذهبت إلى الباب وأغلقته ثم أقبلت على أخي وأخذت يده ومضيا جميعاً إلى أن أتيا إلى حجرة منفردة فدخلاها وإذا هي مفروشة بأنواع الديباج فجلس أخي فجلست بجانبه ولاعبته ساعة زمانية ثم قامت وقالت له لا تبرح حتى أجيء إليك وغابت عنه ساعة فبينما هو كذلك إذ دخل عليه عبد أسود عظيم الخلقة ومعه سيف مجرد يأخذ لمعانه بالبصر وقـال لأخي يا ويلك من جاء بك إلى هذا المكان يا أخس الأنس يا ابن الزنا وتربية الخنا فلم يقدر أخي أن يرد عليه جوابا بل أنعقد لسانه في تلك الساعة فأخذه العبد وأعراه ولم يزل يضربه بالسيف صحفاً ضربات متعددة أكثر

من ثمانين ضربة إلى أن سقط من طوله على الأرض فرجع العبد عنه وأعتقد أنه مات وصاح صيحة عظيمة بحيث ارتجت الأرض من صوته ودوى له المكان وقال أين المليحة فأقبلت إليه جارية في يدها طبق مليح فيه ملح أبيض فصارت الجارية تأخذ من ذلك الملح وتحشر الجراحات التي في جلد أخي حتى تهورت وأخي لا يتحرك خيفة أن يعلموا أنه حي فيقتلوه ثم مضت الجارية وصاح العبد صيحة مثل الأولى فجاءت العجوز إلى أخي وجرته من رجله إلى سرداب طويل مظلم ورمته فيه على جماعة مقتولين فاستقر فـي مكانـه يـومين كاملين وكان ا سبحانه وتعالى جعل الملح سبباً لحياته لأنه قطع سيلان عروق الدم فلما رأى أخي في نفسه القوة على الحركة قام من السرداب وفتح طاقة في الحائط وخرج من مكان القتلى وأعطاه ا عز وجل الستر فمشي في الظلام وأختفى في هذا الدهليز إلى الصبح فلما كان وقت الصبح خرجت العجوز في طلب صـيد آخر فخرج أخي في أثرها وهي لا تعلم به حتى أتي منزله ولم يزل يعالج نفسه حتى بريء ولم يزل يتعهـد العجوز وينظر إليها كل وقت وهي تأخذ الناس واحد بعد واحد وتوصلهم إلى تلك الدار وأخي لا ينطق بشيء ثم لما رجعت إليه صحته وكملت قوته عمد إلى خرقة وعمل منها كيساً وملأه زجاجاً وشده في وسطه وتنكر حتى لا يعرفه أحد ولبس ثياب العجم وأخذ سيفاً وجعله تحت ثيابه فلما رأى العجوز قال لها بكلام العجم يـا عجوز هل عندك ميزان يسع تسعمائة دينار فقالت العجوز لي ولد صغير صيرفي عنـده سـائر المـوازين فأمض معي إليه قبل أن يخرج من مكانه حتى يزن لك ذهبك فقال أخي أمشى قدامي فسارت وسـار أخـي خلفها حتى أتت الباب فدقته فخرجت الجارية وضحكت في وجهه وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣)

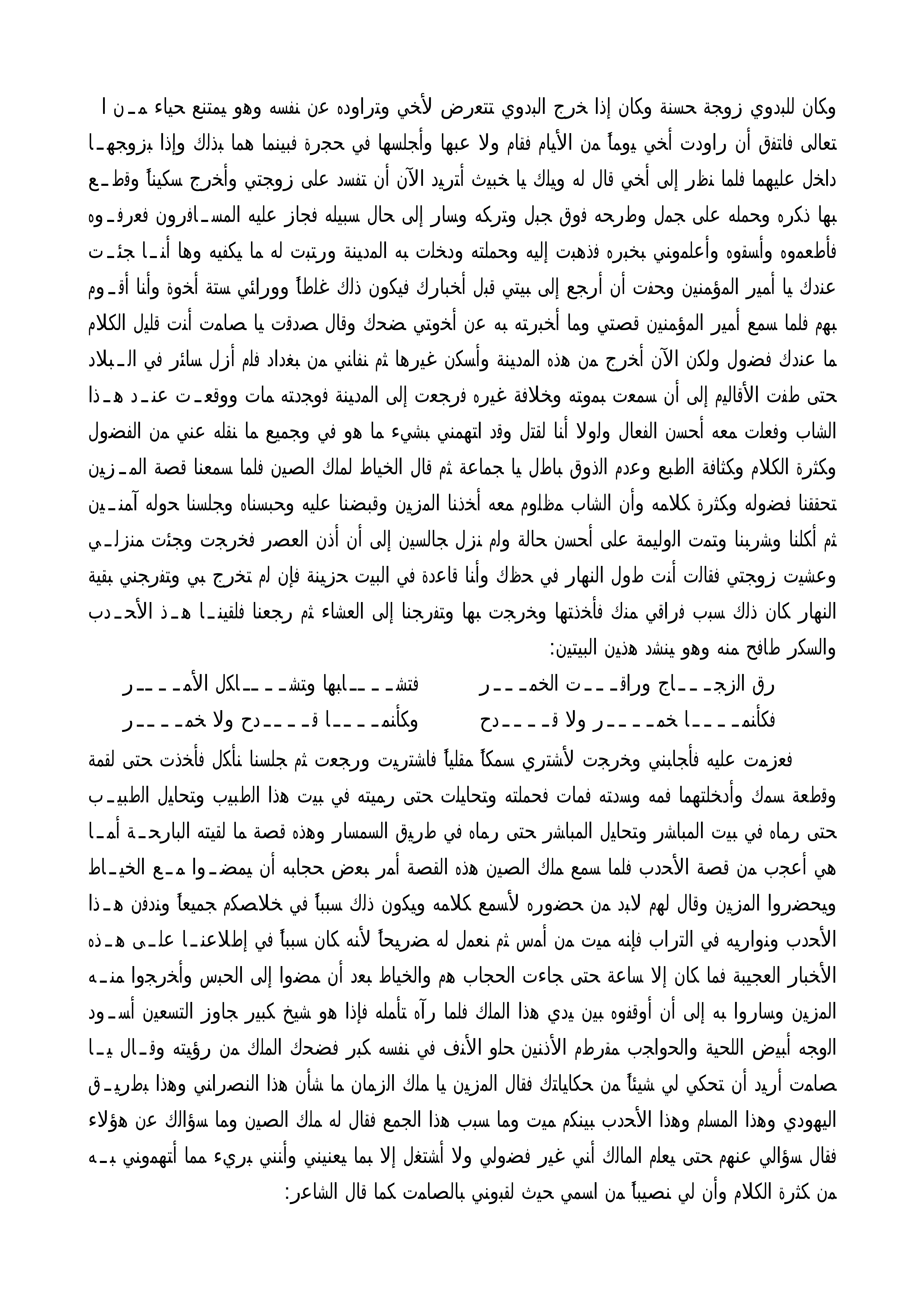
قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المزين قال فخرجت الجارية وضحكت في وجه أخي فقالت العجـوز أتيتكم بلحمة سمينة فأخذت الجارية بيد أخي وأدخلته الدار التي دخلها سابقاً وقعدت عنده ساعة وقامت وقالت لأخي لا تبرح حتى أرجع إليك وراحت فلم يستقر أخي إلا والعبد قد أقبل ومعه السيف المجرد فقال لأخي قم يا مشؤوم فقام أخي وتقدم العبد أمامه وأخي وراءه ومد يده إلى السيف الذي تحت ثيابه وضرب العبد فرمـي رأسه وسحبه من رجله إلى السرداب ونادى أين المليحة فجاءت الجارية وبيدها الطبق الذي فيه الملـح فلمـا رأت أخي والسيف بيده ولت هاربة فتبعها أخي وضربها فرمي رأسها ثم نادى أين العجوز فجاءت فقال لهـا أتعرفيني يا عجوز النحس فقالت لا يا مولاي فقال لها أنا صاحب الدنانير الـذي جئـت وتوضـأت عنـدي وصليت ثم تحيلت علي وصليت ثم تحيلت علي حتى أوقعتيني هنا فقالت أتق ا في أمـري فالتفـت إليهـا وضربها بالسيف فصيرها قطعتين ثم خرج في طلب الحارية فلما رأته طار عقلها وطلبت منه الأمان فأمنهـا ثم قال لها ما الذي أوقعك عند هذا الأسود فقالت أني كنت جارية لبعض التجار وكانت هذه العجـوز تتـردد علي فقالت لي يوماً من الأيام أن عندنا فرحاً ما رأى أحد مثله فأحب أن تنظري إليه فقلت لها سمعاً وطاعـة ثم قمت ولبست أحسن ثيابي وأخذت معي صرة فيها مائة دينار ومضيت معها حتى أدخلتني هذه الدار فلمـا دخلت ما شعرت إلا وهذا الأسود أخذني ولم أزل عنده على هذا الحال ثلاث سنين بحيلة العجوز الكاهنة فقال لها أخي هل له في الدار شيء فقالت عنده شيء كثير فإن كنت تقدر على نقله فأنقله فقام أخي ومشي معهـا

ففتحت له صناديق فيها أكياس فبقي أخي متحيراً فقالت له الجارية أمض الآن ودعني هنا وهات مـن ينقـل المال فخرج وأكترى عشرة رجال وجاء فلما وصل إلى الباب وجده مفتوحاً ولم ير الجاريـة ولا الأكيـاس وأنما رأى شيئاً يسيراً من المال والقماش فعلم أنها خدعته فعند ذلك أخذ المال الذي بقي وفتح الخزائن وأخـذ جميع ما فيها من القماش ولم يترك في الدار شيئاً وبات تلك الليلة مسروراً فلما أصبح الصباح وجد بالبـاب عشرين جندياً فلما خرج إليهم تعلقوا به وقالوا له أن الوالي يطلبك فأخذوه وراحوا إلى الوالي فلما رأى أخـي قال له من أين لك هذا القماش فقال أخي أعطني الأمان فأعطاه منديل الأمان فحدثه بجميع ما وقع لـه مـع العجوز من الأول إلى الآخر ومن هروب الجارية ثم قال للوالي والذي أخذته خذ منه ما شئت ودع لـي مـا أتقوت به فطلب الوالي جميع المال والقماش وخاف أن يعلم به السلطان فأخذ البعض وأعطى أخي الـبعض وقال له أخرج من هذه المدينة وإلا أشنقك فقال السمع والطاعة فخرج إلى بعض البلـدان فخرجـت عليـه اللصوص فعروه وضربوه وقطعوا أذنيه فسمعت بخبره فخرجت إليه وأخذت إليه ثياباً وجئت به إلى المدينـة مسروراً ورتبت له ما يأكله وما يشربه وأما أخي السادس يا أمير المؤمنين وهو مقطوع الشفتين فإنـه كـان فقيراً جداً لا يملك شيئاً من حطام الدنيا الفانية فخرج يوماً من الأيام يطلب شيئاً يسد به رمقه فبينما هو فـي بعض الطرق إذ رأى حسنه ولها دهليز واسع مرتفع وعلى الباب خدم وأمر ونهي فسأل بعض الواقفين هناك فقال هي الإنسان من أولاد الملوك فتقدم أخي إلى البوابين وسألهم شيئاً فقالوا ادخل باب الدار تجد ما تحـب من صاحبها فدخل الدهليز ومشى فيه ساعة حتى وصل إلى دار في غاية ما يكون من الملاحة والظرف وفي وسطها بستان ما رأى الراءون أحسن منه وأرضها مفروشة بالرخام وستورها مسبولة فصار أخي لا يعرف أين يقصد فمضى نحو صدر المكان فرأي إنساناً حسن الوجه واللحية فلما رأى أخي قام إليه ورحب به وسأله عن حاله فأخبره أنه محتاج فلما سمع كلام أخي أظهر غماً شديداً ومد يده إلى ثياب نفسه ومزقها وقال هـل أكون أنا ببلد وأنت بها جائع لاصبر لي على ذلك ووعده بكل خير ثم قال لابد أن تمالحني فقال يا سيدي ليس لي صبر وأني شديد الجوع فصاح يا غلام هات الطشت والأبريق ثم قال له يا ضيفي تقدم وأغسل يدك ثـم أومأ كأنه يغسل يده ثم صاح على أتباعه أن قدموا المائدة فجعلت أتباعه تغدو وترجع كأنها تهيء السفرة ثـم أخذ أخي وجلس معه على تلك السفرة الموهومة وصار صاحب المنزل يومىء ويحرك شـفتيه كأنـه يأكـل ويقول لأخي كل ولا تستح فأنك جائع وأنا أعلم ما أنت فيه من شدة الجوع فجعل أخي يومي كأنه يأكل وهـو يقول لأخي كل وأنظر هذا الخبز وانظر بياضه وأخي لا يبدي شيئاً ثم أن أخي قال في نفسه أن هـذا رجـل يحب أن يهزأ بالناس فقال له يا سيدي عمري ما رأيت أحسن من بياض هذا الخبز ولا ألذ من طعمـه فقـال هذا خبزته جارية لي كنت أشتريتها بخمسمائة دينار ثم صاح صاحب الدار يا غلام قدم لنا الكبـاب الـذي لا يوجد مثله في طعام الملوك ثم قال لأخي كل يا ضيفي فإنك شديد الجوع ومحتاج إلى الأكل فصار أخي يدور حنكه ويمضغ كأنه يأكل وأقبل الرجل يستدعي لوناً بعد لون من الطعام ولا يحضر شيئاً ويأمر أخي بالأكل ثم صاح يا غلام قدم لنا الفراريج المحشوة بالفستق ثم قال كل ما لم تأكل مثله قط فقال يا سيدي أن هذا الأكل لا نظير له في اللذة وأقبل يوماً بيده إلى فم أخي حتى كأنه يلقمه بيده وكان يعدد هذه الألوان ويصفها لأخي بهذه الأوصاف وهو جائع فاشتد جوعه وصار بشهوة رغيف من شعير ثم قال له صاحب الدار هل رأيت أطيـب

من أباريز هذه الأطعمة فقال له أخي لا يا سيدي فقال كثر الأكل ولا تستح فقال قد أكتفيت من الطعام فصاح الرجل على أتباعه أن قدموا الحلاويات فحركوا أيديهم في الهواء كأنهم قدموا الحلاويات ثم قال صاحب المنزل لأخي كل من هذا النوع فإنه جيد وكل من هذه القطائف بحياتي وخذ هذه القطيفة قبل أن ينزل منها الجـلاب فقال له أخي لا عدمتك يا سيدي وأقبل أخي يسأله ممن كثرة المسك الذي في القطائف فقال له أن هذه عادتي في بيتي فدائماً يضعون لي في كل قطيفة مثقالاً من المسك ونصف مثقال من العنبر هذا كله وأخـي يحـرك رأسه وفمه يلعب بين شدقيه كأنه يتلاذذ بأكل الحلاويات ثم صاح صاحب الدار على أصحابه أن أحضروا النقل فحركوا أيديهم في الهواء كأنهم أحضروا النقل وقال لأخي كل من هذا اللوز ومن هذا الجوز ومـن الـزبيب ونحو ذلك وصار يعد دله أنواع النقل ويقول كل ولا تستح فقال أخي يا سيدي قد اكتفيت ولم يبق لـي قـدرة على أكل شيء فقال يا ضيفي أن أردت أن تأكل وتتفرج على غرائب المأكولات فا ا لا تكن جائعـاً ثـم فكر أخي في نفسه وفي استهزاء ذلك الرجل به وقال وا لأعملن فيه عملاً يتوب بسببه إلى ا عـن هـذه الفعال ثم قال الرجل لاتباعه قدموا لنا الشراب فحركوا أيديهم في الهواء حتى كأنهم قدموا الشراب ثـم أومـأ صاحب المنزل كأنه ناول أخي قدحاً قال خذ هذا القدح فإنه يعجبك فقال يا سيدي هذا من أحسانك وأومأ أخي بيده كأنه يشربه فقال له هل أعجبك فقال له يا سيدي ما رأيت ألذ من هذا الشراب فقال لـه أشـرب هنيئـاً وصحة ثم أن صاحب البيت أومأ وشرب ثم ناول أخي قدحاً ثانياً فخيل أنه شربه وأظهر أنه سـكران ثـم أن أخي غافله ورفع يده حتى بان بياض أبطه وصفعه على رقبته صفعة رن لها المكان ثم ثني عليـه بصـفعة ثانية وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخا المزين لما صفع صاحب الدار قال له الرجل ما هـذا يـا أسـفل العالمين فقال يا سيدي أنا عبدك الذي أنعمت عليه وأدخلته منزلك وأطعمته الزاد وأسقيته الخمر العتيق فسكر وعربد عليك ومقامك أعلى من أن تؤاخذه بجهله فلما سمع صاحب المنزل كلام أخي ضحك ضحكاً عالياً ثـم قال أن لي زماناً طويلاً أسخر بالناس وأهزأ بجميع أصحاب المزاح والمجون ما رأيت منهم من له طاقة على أن أفعل به هذه السخرية ولا من له فطنة يدخل بها في جميع أموري غيرك والآن عفوت عنك فكن نـديمي على الحقيقة ولا تفارقني ثم أمر بإخراج عدة من أنواع الطعام المذكورة أولاً فأكل هو وأخي حتى اكتفيا ثـم انتقلا إلى مجلس الشراب فإذا فيه جوار كأنهن الأقمار فغنين بجميع الألحان واشتغلن بجميع الملاهي ثم شربا حتى غلب عليهما السكر وأنس الرجل بأخي حتى كأنه أخوه وأحبه محبة عظيمة وخلع عليه خلعة سنية فلمـا أصبح الصباح عادا لما كانا عليه من الأكل والشرب ولم يزالا كذلك مدة عشرين سنة ثم أن الرجـل مـات وقبض السلطان على ماله واحتوى عليه فخرج أخي من البلد هارباً فلما وصل على نصف الطريـق خـرج عليه العرب فأسروه وصار الذي أسره يعذبه ويقول له أشتر روحك مني بالأموال وإلا أقتلك فجعـل أخـي يبكي ويقول أنا وا لا أملك شيئاً يا شيخ العرب ولا أعرف طريق شيء من المال وأنا أسيرك وصرت فـي يدك فافعل بي ما شئت فأخرج البدوي الجبار من حزامه سكيناً عريضة لو نزلت على رقبة جمل لقطعتها من الوريد إلى الوريد وأخذها في يده اليمنى وتقدم إلى أخي المسكين وقطع بها شفتيه وشدد عليه فـي المطالبـة


وكان للبدوي زوجة حسنة وكان إذا خرج البدوي تتعرض لأخي وتراوده عن نفسه وهو يمتنع حياء مـن ا تعالى فاتفق أن راودت أخي يوماً من الأيام فقام ولا عبها وأجلسها في حجرة فبينما هما بذلك وإذا بزوجهـا داخل عليهما فلما نظر إلى أخي قال له ويلك يا خبيث أتريد الآن أن تفسد على زوجتي وأخرج سكيناً وقطـع بها ذكره وحمله على جمل وطرحه فوق جبل وتركه وسار إلى حال سبيله فجاز عليه المسـافرون فعرفـوه فأطعموه وأسقوه وأعلموني بخبره فذهبت إليه وحملته ودخلت به المدينة ورتبت له ما يكفيه وها أنـا جئـت عندك يا أمير المؤمنين وخفت أن أرجع إلى بيتي قبل أخبارك فيكون ذلك غلطاً وورائي ستة أخوة وأنا أقـوم بهم فلما سمع أمير المؤمنين قصتي وما أخبرته به عن أخوتي ضحك وقال صدقت يا صامت أنت قليل الكلام ما عندك فضول ولكن الآن أخرج من هذه المدينة وأسكن غيرها ثم نفاني من بغداد فلم أزل سائر في الـبلاد حتى طفت الأقاليم إلى أن سمعت بموته وخلافة غيره فرجعت إلى المدينة فوجدته مات ووقعـت عنـد هـذا الشاب وفعلت معه أحسن الفعال ولولا أنا لقتل وقد اتهمني بشيء ما هو في وجميع ما نقله عني من الفضول وكثرة الكلام وكثافة الطبع وعدم الذوق باطل يا جماعة ثم قال الخياط لملك الصين فلما سمعنا قصة المـزين تحققنا فضوله وكثرة كلامه وأن الشاب مظلوم معه أخذنا المزين وقبضنا عليه وحبسناه وجلسنا حوله آمنـين ثم أكلنا وشربنا وتمت الوليمة على أحسن حالة ولم نزل جالسين إلى أن أذن العصر فخرجت وجئت منزلـي وعشيت زوجتي فقالت أنت طول النهار في حظك وأنا قاعدة في البيت حزينة فإن لم تخرج بي وتفرجني بقية النهار كان ذلك سبب فراقي منك فأخذتها وخرجت بها وتفرجنا إلى العشاء ثم رجعنا فلقينـا هـذ الأحـدب والسكر طافح منه وهو ينشد هذين البيتين:

رق الزجـــاج وراقـــت الخمـــر	فتشـــابها وتشـــاكل الأمـــــر
فكأنمــــا خمـــــر ولا قـــــدح	وكأنمــــا قــــدح ولا خمـــــر

فعزمت عليه فأجابني وخرجت لأشتري سمكاً مقلياً فاشتريت ورجعت ثم جلسنا نأكل فأخذت حتى لقمة وقطعة سمك وأدخلتهما فمه وسدته فمات فحملته وتحايلت حتى رميته في بيت هذا الطبيب وتحايل الطبيـب حتى رماه في بيت المباشر وتحايل المباشر حتى رماه في طريق السمسار وهذه قصة ما لقيته البارحـة أمـا هي أعجب من قصة الأحدب فلما سمع ملك الصين هذه القصة أمر بعض حجابه أن يمضـوا مـع الخيـاط ويحضروا المزين وقال لهم لابد من حضوره لأسمع كلامه ويكون ذلك سبباً في خلاصكم جميعاً وندفن هـذا الأحدب ونواريه في التراب فإنه ميت من أمس ثم نعمل له ضريحاً لأنه كان سبباً في إطلاعنـا علـى هـذه الأخبار العجيبة فما كان إلا ساعة حتى جاءت الحجاب هم والخياط بعد أن مضوا إلى الحبس وأخرجوا منـه المزين وساروا به إلى أن أوقفوه بين يدي هذا الملك فلما رآه تأمله فإذا هو شيخ كبير جاوز التسعين أسـود الوجه أبيض اللحية والحواجب مقرطم الأذنين حلو الأنف في نفسه كبر فضحك الملك من رؤيته وقـال يـا صامت أريد أن تحكي لي شيئاً من حكاياتك فقال المزين يا ملك الزمان ما شأن هذا النصراني وهذا بطريـق اليهودي وهذا المسلم وهذا الأحدب بينكم ميت وما سبب هذا الجمع فقال له ملك الصين وما سؤالك عن هؤلاء فقال سؤالي عنهم حتى يعلم المالك أني غير فضولي ولا أشتغل إلا بما يعنيني وأنني بريء مما أتهموني بـه من كثرة الكلام وأن لي نصيباً من اسمي حيث لقبوني بالصامت كما قال الشاعر:

وكلمـــا أبصــرت عينـــاك ذا لقـــب   إلا ومعنـــاه أن فتشـــت فـــي لقبـــي

فقال الملك أشرحوا للمزين حال هذا الأحدب وما جرى له في وقت العشاء وأشرحوا لـه مـا حكـى النصراني وما حكى اليهودي وما حكى المباشر وما حكى الخياط فحكوا له حكايات الجميع فحـرك المـزين رأسه وقال وا أن هذا الشيء عجيب أكشفوا لي عن هذا الأحدب فكشفوا له عنه فجلس عند رأسـه وأخـذ رأسه في حجره ونظر في وجهه وضحك ضحكاً عالياً حتى انقلب على قفاه من شدة الضحك وقال لكل موتة سبب من الأسباب وموتة هذا الأحدب من عجب العجاب يجب أن تؤرخ في السجلات ليعتبر بما مضى ومن هو آت فتعجب المالك من كلامه وقال يا صامت أحك لنا سبب كلامك هذا وهنـا أدرك شـهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قال يا صامت أحكي لنا سبب كلامك هذا فقال يا ملـك وحـق نعمتك أن الأحدب فيه الروح ثم أن المزين أخرج من وسطه مكحلة فيها دهن ودهن رقبة الأحدب وغطاهـا حتى عرقت ثم أخرج كلبتين من حديد ونزل بهما في حلقه فالتقطتا القطعة السمك بعظمها فلما أخرجها رآها الناس بعيونهم ثم نهض الأحدب واقفاً على قدميه وعطس عطسة واستفاق في نفسه وملس بيديه على وجهـه وقال لا إله إلا ا محمد رسول ا فتعجب الحاضرون من الذي رآوه وعاينوه فضحك ملك الصـين حتـى غشي عليه وكذلك الحاضرون وقال السلطان وا أن هذه القصة عجيبة ما رأيت أغرب منها ثم أن السلطان قال يا مسلمين يا جماعة العسكر هل رأيتم في عمركم أحداً يموت ثم يحيا بعد ذلك ولـولا رزقـه ا بهـذا المزين لكان اليوم من أهل الآخرة فإنه كان سبباً لحياته فقالوا وا أن هذا من العجب العجاب ثـم أن ملـك الصين أمر أن تسطر هذه القصة فسطروها ثم جعلوها في خزانة الملك ثم خلع على اليهـودي والنصـراني والمباشر وخلع على كل واحد خلعة سنية وجعل الخياط خياطه ورتب له الرواتب وأصلح بينه وبين الأحدب وخلع على الأحدب خلعة سنية مليحة ورتب له الرواتب وجعله نديمه وأنعم على المزين وخلع عليـه خلعـة سنية ورتب له الرواتب وجعل له جامكية وجعله مزين المملكة ونديمه ولم يزالوا في ألذ عيش وأهناه إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات وليس هذا بأعجب من قصة الوزيرين التي فيها ذكر أنيس الجليس قـال الملك وما حكاية الوزيرين.

(حكاية الوزيرين التي فيها ذكر أنيس الجليس)

(قالت) بلغني أيها الملك السعيد أنه كان بالبصرة ملك من الملوك يحب الفقـراء والصـعاليك ويرفـق بالرعية ويهب من ماله لمن يؤمن بمحمد ﷺ وكان يقال لهذا الملك محمد بن سليمان الزيني وكان له وزيران أحدهما يقال له المعين بن ساوى والثاني يقال له الفضل ابن خاقان وكان الفضل بن خاقان أكرم أهل زمانـه حسن السيرة أجمعت القلوب على محبته وأتفقت العقلاء على مشورته وكل الناس يدعون له بطول مدته لأنه محضر خير مزيل الشر والضير وكان الوزير المعين بن ساوى يكره الناس ولا يحب الخير وكان محضـر سوء وكان الناس على قدر محبتهم لفضل الدين بن خاقان يبغضون المعين بن ساوى بقدرة القادر ثم أن الملك محمد ابن سليمان الزيني كان قاعداً يوماً من الأيام على كرسي مملكته وحوله أرباب دولته إذ نادى وزيـره

الفضل بن خاقان وقال له أنني أريد جارية لايكون في زمانها أحسن منها بحيث تكون كاملة في الجمال فائقـة في الاعتدال حميدة الخصال فقال أرباب الدولة وهذه لا توجد إلا بعشرة آلاف دينار فعند ذلك صاح السلطان على الخازندار وقال أحمل عشرة آلاف دينار إلى دار الفضل ابن خاقان فامتثل الخازندار أمر السلطان ونزل الوزير بعد ما أمره السلطان أن يعمد إلى السوق في كل يوم ويوصي السماسرة على ما ذكره وأنـه لاتبـاع جارية ثمنها فوق الألف دينار حتى تعرض على الوزير فلم تبع السماسرة جارية حتى يعرضوها عليه فامتثل الوزير أمره واستمر على هذا الحال مدة من الزمان ولم تعجبه جارية فاتفق يومـاً مـن الأيـام أن بعـض السماسرة أقبل على دار الوزير الفضل بن خاقان فوجده راكباً متوجهاً إلى قصر الملك فقبض علـى ركابـه وأنشد هذين البيتين:

يـا مـن أعـاد رمـيم الملـك منشـوراً	أنت الوزير الـذي لازال منصـوراً لازال
أحييت ما مات بـين النـاس مـن كـرم	سـ ـ ـعيك عنـ ـ ـد ا مشـ ـ ـكوراً

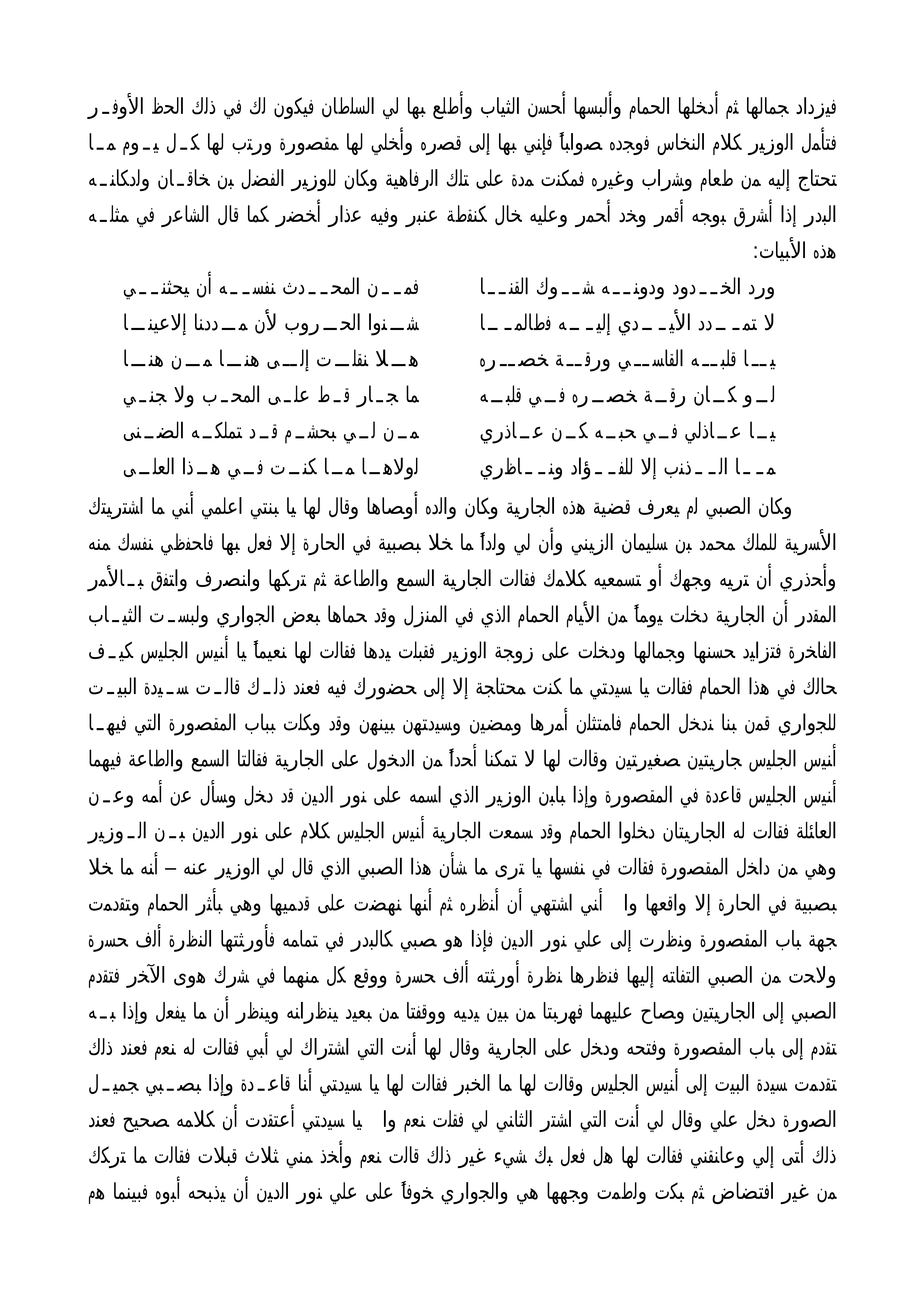
ثم قال يا سيدي أن الجارية التي صدر بطلبها المرسوم الكريم قد حضرت فقال له الوزير علـى بهـا فغاب ساعة ثم حضر ومعه جارية رشيقة القد قاعدة النهد بطرف كحيل وخد أسيل وخصر نحيل وردف ثقيل وعليها أحسن ما يكون من الثياب ورضا به أحلى من الجلاب وقامتها تفضح غصون البان وكلامها أرق من النسيم إذا مر على زهر البستان كما قال فيها بعض واصفيها هذه الأبيات:

لهــا بشــر مثــل الحريــر ومنطــق	رخــيم الحواشــي لا هــراء ولا نــزر
وعينــان قــال ا كونــا فكانتــا	فعــولان بالألبــاب مــا تفعــل الخمــر
فيــا حبهــا زدنــي جــوي كــل ليلــة	ويــا ســلوة الأيــام موعــدك الحشــر
ذوائبهــا ليــل ولكــن جبينهــا	إذا أســفرت يــوم يلــوح بــه الفجــر

فلما رآها الوزير أعجبته غاية الإعجاب فالتفت إلى السمسار وقال له كم ثمن هذه الجارية فقال وقـف لسعرها على عشرة آلاف دينار وحلف صاحبها أن العشرة آلاف دينار لم تجيء ثمن الفراريج التي أكلتها ولا ثمن الخلع التي خلعتها على معلميها فإنها تعلمت الخط والنحو واللغة والتفسير وأصول الفقه والدين والطـب والتقويم والضرب بالآلات المطربة فقال الوزير على بسيدها فأحضره السمسار في الوقت والساعة فإذا هـو رجل أعجمي عاش زمناً طويلاً حتى صيره الدهر عظماً في جلد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجمي صاحب الجارية لما حضر بين يدي الوزير الفضل بن خاقان قال له الوزير رضيت أن تأخذ في هذه الجارية عشرة آلاف دينار من السلطان محمد بن سليمان الزيني فقال العجمي حيث كانت للسلطان فالواجب على أن أقدمها إليه هدية بلا ثمن فعند ذلك أمـر الـوزير بإحضـار الأموال فلما حضرت وزن الدنانير للعجمي ثم أقبل النخاس على الوزير وقال عن أذن مولانا الوزير أتكلـم فقال الوزير هات ما عندك فقال عندي من الرأي أن لا تطلع بهذه الجارية إلى السلطان في هذا اليوم فإنهـا قادمة من السفر وأختلف عليها الهواء وأتعبها السفر ولكن خلها عندك في القصر عشرة أيام حتـى تسـتريح



فيزداد جمالها ثم أدخلها الحمام وألبسها أحسن الثياب وأطلع بها لي السلطان فيكون لك في ذلك الحظ الأوفـر فتأمل الوزير كلام النخاس فوجده صواباً فإني بها إلى قصره وأخلي لها مقصورة ورتب لها كـل يـوم مـا تحتاج إليه من طعام وشراب وغيره فمكثت مدة على تلك الرفاهية وكان للوزير الفضل بن خاقـان ولدكانـه البدر إذا أشرق بوجه أقمر وخد أحمر وعليه خال كنقطة عنبر وفيه عذار أخضر كما قال الشاعر في مثلـه هذه الأبيات:

ورد الخـدود ودونـه شـوك القنـا ... فمـن المحـدث نفسـه أن يجتنـي

لا تمـدد الأيـدي إليـه فطالمـا ... شـنوا الحـروب لأن مـددنا إلاعينـا

يـا قلبـه القاسـي ورقـة خصـره ... هـلا نقلـت إلـى هنـا مـن هنـا

لـو كـان رقـة خصـره فـي قلبـه ... ما جـار قـط علـى المحـب ولا جنـي

يـا عـاذلي فـي حبـه كـن عـاذري ... مـن لـي بجشـم قـد تملكـه الضـنى

مـا الـذنب إلا للفـؤاد ونـاظري ... لولاهـا مـا كنـت فـي هـذا العنـى

وكان الصبي لم يعرف قضية هذه الجارية وكان والده أوصاها وقال لها يا بنتي اعلمي أني ما اشتريتك الأسرية للملك محمد بن سليمان الزيني وأن لي ولداً ما خلا بصبية في الحارة إلا فعل بها فاحفظي نفسك منه وأحذري أن تريه وجهك أو تسمعيه كلامك فقالت الجارية السمع والطاعة ثم تركها وانصرف واتفق بـالأمر المقدر أن الجارية دخلت يوماً من الأيام الحمام الذي في المنزل وقد حماها بعض الجواري ولبسـت الثيـاب الفاخرة فتزايد حسنها وجمالها ودخلت على زوجة الوزير فقبلت يدها فقالت لها نعيماً يا أنيس الجليس كيـف حالك في هذا الحمام فقالت يا سيدتي ما كنت محتاجة إلا إلى حضورك فيه فعند ذلـك قالـت سـيدة البيـت للجواري قمن بنا ندخل الحمام فامتثلن أمرها ومضين وسيدتهن بينهن وقد وكلت بباب المقصورة التي فيهـا أنيس الجليس جاريتين صغيرتين وقالت لها لا تمكنا أحداً من الدخول على الجارية فقالتا السمع والطاعة فيهما أنيس الجليس قاعدة في المقصورة وإذا بابن الوزير الذي اسمه على نور الدين قد دخل وسأل عن أمه وعـن العائلة فقالت له الجاريتان دخلوا الحمام وقد سمعت الجارية أنيس الجليس كلام على نور الدين بـن الـوزير وهي من داخل المقصورة فقالت في نفسها يا ترى ما شأن هذا الصبي الذي قال لي الوزير عنه – أنه ما خلا بصبية في الحارة إلا واقعها وا أني اشتهي أن أنظره ثم أنها نهضت على قدميها وهي بأثر الحمام وتقدمت جهة باب المقصورة ونظرت إلى علي نور الدين فإذا هو صبي كالبدر في تمامه فأورثتها النظرة ألف حسرة ولاحت من الصبي التفاته إليها فنظرها نظرة أورثته ألف حسرة ووقع كل منهما في شرك هوى الآخر فتقدم الصبي إلى الجاريتين وصاح عليهما فهربتا من بين يديه ووقفتا من بعيد ينظرانه وينظر أن ما يفعل وإذا بـه تقدم إلى باب المقصورة وفتحه ودخل على الجارية وقال لها أنت التي اشتراك لي أبي فقالت له نعم فعند ذلك تقدمت سيدة البيت إلى أنيس الجليس وقالت لها ما الخبر فقالت لها يا سيدتي أنا قاعـدة وإذا بصـبي جميـل الصورة دخل علي وقال لي أنت التي اشتر الثاني لي فقلت نعم وا يا سيدتي أعتقدت أن كلامه صحيح فعند ذلك أتى إلي وعانقني فقالت لها هل فعل بك شيء غير ذلك قالت نعم وأخذ مني ثلاث قبلات فقالت ما تركك من غير افتضاض ثم بكت ولطمت وجهها هي والجواري خوفاً على علي نور الدين أن يذبحه أبوه فبينما هم

كذلك وإذا بالوزير دخل وسأل عن الخبر فقالت له زوجته أحلف أن ما قلته لك تسمعه قال نعم فأخبرته بمـا فعله ولده فحزن ومزق ثيابه ولطم على وجهه ونتف لحيته فقالت له زوجته لا تقتل نفسك أنا أعطيـك مـن مالي عشرة آلاف دينار ثمنها فعند ذلك رفع رأسه إليها وقال لها ويلك أنا مالي حاجة بثمنها ولكن خـوفي أن تروح روحي ومال فقالت له يا سيدي ما سبب ذلك قال لها أما تعلمين أن وراءنا هذا العدو الذي يقـال لـه المعين بن ساوي ومتى سمع هذا الأمر تقدم إلى السلطان وقال له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قال لزوجته أما تعلمين أن وراءنا عدواً يقال له المعـين بـن ساوي ومتى سمع بهذا الأمر تقدم إلى السلطان وقال له أن وزيرك الذي تزعم أنه يحبك أخذ منـك عشـرة آلاف دينار واشترى بها جارية ما رأي أحد مثلها فلما أعجبته قال لأبنه خذها أنت حق بهـا مـن السـلطان فأخذها وأزال بكارتها وها هي الجارية عنده فيقول الملك تكذب فيقول للملك عن أذنك أهجم عليه وآتيك بهـا فيأذن له في ذلك فيهجم على الدار ويأخذ الجارية ويحضرها بين يدي السلطان ثم يسألها فما تقـدران تنكـر فيقول له يا سيدي أنت تعلم أني ناصح لك ولكن مالي عندكم حظ فيمثل بي السلطان والناس كلهم يتفرجـون علي وتروح روحي فقالت له زوجته لا تعلم أحداً وهذا الأمر حصل خفية وسلم أمرك إلى ا في هذه القضية فعند ذلك سكن قلب الوزير وطاب خاطره هذا ما كان من أمر الوزير (وأما) ما كان من أمر علي نور الدين فإنه خاف عاقبة الأمر فكان يقضي نهاره في البساتين ولا يأتي إلا في آخر الليل لأمه فينام عندها ويقوم قبل الصبح ولا يراه أحد ولم يزل كذلك شهراً وهو لم ير وجه أبيه فقالت أمه لأبيه يا سيدي هل تعـدم الجاريـة وتعدم الولد فإن طال هذا الأمر على الولد هج قال لها وكيف العمل قالت له أسهر هذه الليلة فإذا جاء فأمسكه وأصطلح أنت وياه وأعطه الجارية فإنها تحبه وهو يحبها وأعطيك ثمنها فسهر الوزير طول الليل فلما أتـى ولده أمسكه وأراد نحره فأدركته أمه وقالت له أي شيء تريد أن تفعل معه فقال لها أريد أن أذبحه فقال الولد لأبيه هل أهون عليك فتغرغرت عيناه بالدموع وقال له يا ولدي كيف هان عليك ذهاب مالي وروحي فقـال الصبي اسمع يا والدي مقال الشاعر:

هبنـي جنيـت فلـم تـزل أهـل النهـي	يهبـون للجـاني سـماحاً شـاملاً
ماذا عسـى يرجـو عـدوك وهـو فـي	درك الحضـيض وأنـت أعلـى منـزلاً

فعند ذلك قام الوزير من على صدر ولده وأشفق عليه وقام الصبي وقبل يد والده فقال يـا ولـدي لـو علمت أنك تنصف أنيس الجليس كنت وهبتها لك فقال يا والدي كيف لا أنصفها قال أوصيك يا ولدي أنـك لا تتزوج عليها ولا تضار رها ولا تتبعها قال له يا والدي أنا أحلف لك أن لا أتزوج عليها ولا أبيعها ثم حلـف له أيماناً على ما ذكر ودخل على الجارية فأقام معها سنة ونسي ا تعالى الملك قصة الجارية. واما المعـين بن ساوي فإنه بلغه الخبر ولكنه لم يقدر أن يتكلم لعظم منزلة الوزير عند السلطان فلما مضت السـنة دخـل الوزير فضل الدين بن خاقان الحمام وخرج وهو عرقان فأصابه الهواء فلزم الوساد وطال به السهاد وتسلسل

به الضعف فعند ذلك نادى ولده على نور الدين فلما حضر بين يديه قال له ياولدي أن الرزق مقسوم والأجل محتوم ولا بد لكل نسمة من شرب كأس المتوفي وأنشدها هذه الأبيات:

مـــن فاتـــه المـــوت لـــم يفتـــه غـــدا والكل منـا علـى حـوض الـردى وردا

سوى العظـم بمـن قـد كـان محتقـراً ولـم يـدع هنـة بـين الـورى أحـداً

لـم يبـق مـن ملـك كـلا ولا ملـك ولا نبـي يعـيش دائمـاً أبـداً

ثم قال يا ولدي مالي عندك وصية ألا تقوى ا والنظر في العواقب وأن تستوصـي بالجاريـة أنـيس الجليس فقال له يا أبت ومن مثلك وقد كنت معروفاً بفعل الخير ودعاء الخطباء لك على المنابر فقال يا ولدي أرجو من ا تعالى القبول ثم نطق بالشهادتين وشهق شهقة فكتب من أهل السعادة فعند ذلك امـتلأ القصـر بالصراخ ووصل الخبر إلى السلطان وسمعت أهل المدينة بوفاة الفضل بن خاقان فبكت عليه الصـبيان فـي مكاتبها ونهض ولده على نور الدين وجهزه وحضرت الأمراء والوزراء وأرباب الدولة وأهل المدينة مشهده وكان ممن حضر الجنازة الوزير المعين بن ساوي وأنشد بعضهم عند خروج جنازته من الدار هذه الأبيات:

قـد قالـت للرجـل المـولى غسـله هـلا اطعـت وكنـت مـن نصـحائه

جنبـه مـاءك ثـم غسـله بمـا أدرت عيـون المجـد عنـد بكائـه

وأزل مجـاميع الحنـوط ونحهـا عنـه وحنطـه بطيـب ثنائـه

ومـر الملائكـة الكـرام بحملـه شـرفاً ألسـت تراهمـوا بأزائـه

لاتـوه أعنـاق الرجـال بحملـه يكفـي الـذي حملـوه مـن نعمائـه

ثم مكث على نور الدين شديد الحزن على والده مدة مديدة فبينما هو جالس يوماً من الأيام فـي بيـت والده إذ طرق الباب طارق فنهض على نور الدين وفتح الباب وإذا برجل من ندماء والده وأصحابه فقبل يـد علي نور الدين وقال يا سيدي من خلف مثلك ما مات وهذا مصير سيد الأولين والآخرين ﷺ يا سيدي طـب نفساً ودع الحزن فعند ذلك نهض على نور الدين إلى قاعة الجلوس ونقل إليها ما يحتاج إليه واجتمـع عليـه أصحابه وأخذ جاريته واجتمع عليه عشرة من أولاد التجار ثم أنه أكل الطعام وشرب الشراب وجدد مقاماً بعد مقام وصار يعطي ويتكرم فعند ذلك دخل عليه وكيله وقال له يا سيدي علي نور الدين أمـا سـمعت قـول بعضهم من ينفق ولم يحسب أفتقر ولد أحسن من قال هذه الأبيات:

أصـون دراهمـي وأذب عنهـا لعلمـي أنهـا سـيفي وترسـي

أأبـذلها إلـى أعـدا الأعـادي وأبـدل فـي الـورى سـعدي بنحسـي

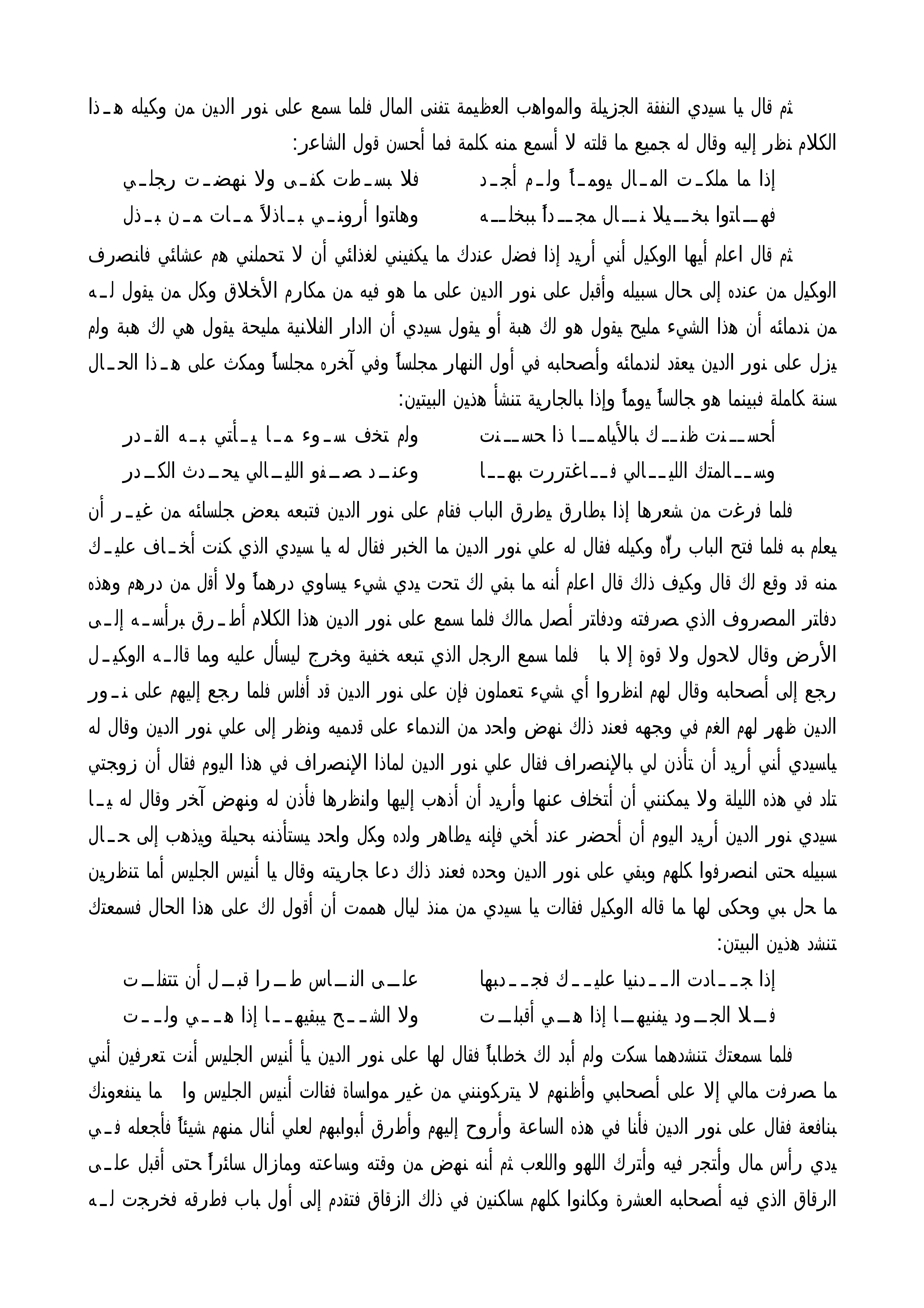
فيـا كلهـا ويشـربها هنيئـاً ولا يسـخو إلـى أحـد بفلـس

وأحفـظ درهمـي عـن كـل شـخص لئـيم الطبـع لا يصـفو لأنسـي

أحـب إلـى مـن قـول لنـذل أنـاني درهمـاً لغـد بخمـس

فيعـرض وجهـه ويصـدعني فتبقـى مثـل نفـس الكلـب نفسـي

فبـاذل الرجـال بغـير مـال ولـو كانـت فضـائلهم كشـمس



ثم قال يا سيدي النفقة الجزيلة والمواهب العظيمة تفنى المال فلما سمع على نور الدين من وكيله هذا الكلام نظر إليه وقال له جميع ما قلته لا أسمع منه كلمة فما أحسن قول الشاعر:

إذا ما ملكت المال يوماً ولم أجد   فلا بسطت كفى ولا نهضت رجلي

فهاتوا بخيلا نال مجداً ببخله   وهاتوا أروني باذلاً مات من بذل

ثم قال اعلم أيها الوكيل أني أريد إذا فضل عندك ما يكفيني لغذائي أن لا تحملني هم عشائي فانصرف الوكيل من عنده إلى حال سبيله وأقبل على نور الدين على ما هو فيه من مكارم الأخلاق وكل من يقول له من ندمائه أن هذا الشيء مليح يقول هو لك هبة أو يقول سيدي أن الدار الفلانية مليحة يقول هي لك هبة ولم يزل على نور الدين يعقد لندمائه وأصحابه في أول النهار مجلساً وفي آخره مجلساً ومكث على هذا الحال سنة كاملة فبينما هو جالساً يوماً وإذا بالجارية تنشأ هذين البيتين:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت   ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها   وعند صفو الليالي يحدث الكدر

فلما فرغت من شعرها إذا بطارق يطرق الباب فقام على نور الدين فتبعه بعض جلسائه من غير أن يعلم به فلما فتح الباب رآه وكيله فقال له علي نور الدين ما الخبر فقال له يا سيدي الذي كنت أخاف عليك منه قد وقع لك قال وكيف ذلك قال اعلم أنه ما بقي لك تحت يدي شيء يساوي درهماً ولا أقل من درهم وهذه دفاتر المصروف الذي صرفته ودفاتر أصل مالك فلما سمع على نور الدين هذا الكلام أطرق برأسه إلى الأرض وقال لاحول ولا قوة إلا با فلما سمع الرجل الذي تبعه خفية وخرج ليسأل عليه وما قاله الوكيل رجع إلى أصحابه وقال لهم انظروا أي شيء تعملون فإن على نور الدين قد أفلس فلما رجع إليهم على نور الدين ظهر لهم الغم في وجهه فعند ذلك نهض واحد من الندماء على قدميه ونظر إلى علي نور الدين وقال له ياسيدي أني أريد أن تأذن لي بالإنصراف فقال علي نور الدين لماذا الإنصراف في هذا اليوم فقال أن زوجتي تلد في هذه الليلة ولا يمكنني أن أتخاف عنها وأريد أن أذهب إليها وانظرها فأذن له ونهض آخر وقال له يا سيدي نور الدين أريد اليوم أن أحضر عند أخي فإنه يطاهر ولده وكل واحد يستأذنه بحيلة ويذهب إلى حال سبيله حتى انصرفوا كلهم وبقي على نور الدين وحده فعند ذلك دعا جاريته وقال يا أنيس الجليس أما تنظرين ما حل بي وحكى لها ما قاله الوكيل فقالت يا سيدي من منذ ليال هممت أن أقول لك على هذا الحال فسمعتك تنشد هذين البيتن:

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها   على الناس طرا قبل أن تتفلت

فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت   ولا الشح يبقيها إذا هي ولت

فلما سمعتك تنشدهما سكت ولم أبد لك خطاباً فقال لها على نور الدين يا أنيس الجليس أنت تعرفين أني ما صرفت مالي إلا على أصحابي وأظنهم لا يتركونني من غير مواساة فقالت أنيس الجليس وا ما ينفعونك بنافعة فقال على نور الدين فأنا في هذه الساعة وأروح إليهم وأطرق أبوابهم لعلي أنال منهم شيئاً فأجعله في يدي رأس مال وأتجر فيه وأترك اللهو واللعب ثم أنه نهض من وقته وساعته ومازال سائراً حتى أقبل على الزقاق الذي فيه أصحابه العشرة وكانوا كلهم ساكنين في ذلك الزقاق فتقدم إلى أول باب فطرقه فخرجت له

جارية وقالت له من أنت فقال لها قولي لسيدك على نور الدين واقف على الباب ويقول لك مملوكـك يقبـل أياديك وينتظر فضلك فدخلت الجارية واعلمت سيدها فصاح عليها وقال لها ارجعي وقولي له ما هـو هنـا فرجعت الجارية إلى علي نور الدين وقالت له يا سيدي أن سيدي ما هو هنا فتوجه على نور الدين وقال فـي نفسه أن كان هذا ولد زنا وأنكر نفسه فغيره ما هو ولد زنا ثم تقدم إلى الباب الثاني وقال كما قال أولاً فأنكر الآخر نفسه فعند ذلك أنشد هذا البيت:

ذهـــب الـــذين إذا وقفـــت ببـــابهم منوا عليـك بمـا تريـدوا مـن النـدى

فلما فرغ من شعره قال وا   لابد أن امتحنهم كلهم عسى أن يكون فيهم واحد يقوم مقام الجميـع فـدار على العشرة فلم يجد أحداً منهم فتح الباب ولا أراه نفسه ولا أمر له برغيف فأنشد هذه الأبيات:

المــرء فــي زمــن الأقبــال كالشــجرة فالناس مـن حولهـا مـا دامـت الثمـرة

حتــى إذا ســقطت كــل الــذي حملــت تفرقــوا وأرادوا غيرهـــا شـــجرة

تبـــاً لأبنـــاء هـــذا الـــدهر كلهـــم فلم أجـد واحـداً يصـفو مـن العشـرة

ثم أنه رجع إلى جاريته وقد تزايد همه فقالت له يا سيدي أما قلت لك أنهم لا ينفعونك بنافعه وقال وا   ما فيهم من أراني وجهه فقالت له يا سيدي بع من أثاث البيت شيئاً فشيئاً وأنفق فباع إلى أن باع جميع ما في البيت ولم يبق عنده شيء فعند ذلك نظر إلى أنيس الجليس وقال لها ما نفعل الآن فقالت له ياسيدي عندي من الرأي أن تقوم في هذه الساعة وتنزل بي إلى السوق فتبيعني وأنت تعلم أن والدك كان اشتراني بعشرة آلاف دينار فلعل ا   يفتح عليك ببعض هذا الثمن وإذا قدر ا   باجتماعنا نجتمع فقال لها يا أليس الجليس ما يهـون على فراقك ساعة واحدة فقالت له ولا أنا كذلك لكن للضرورة أحكام كما قال الشاعر:

تلجيء الضـرورات فـي الأمـور إلـى ســـلوك مـــالا يليـــق بـــالأدب

مـــا حامـــل نفســـه علـــى ســـبب إلا لأمـــــر يليـــــق بالســـــبب

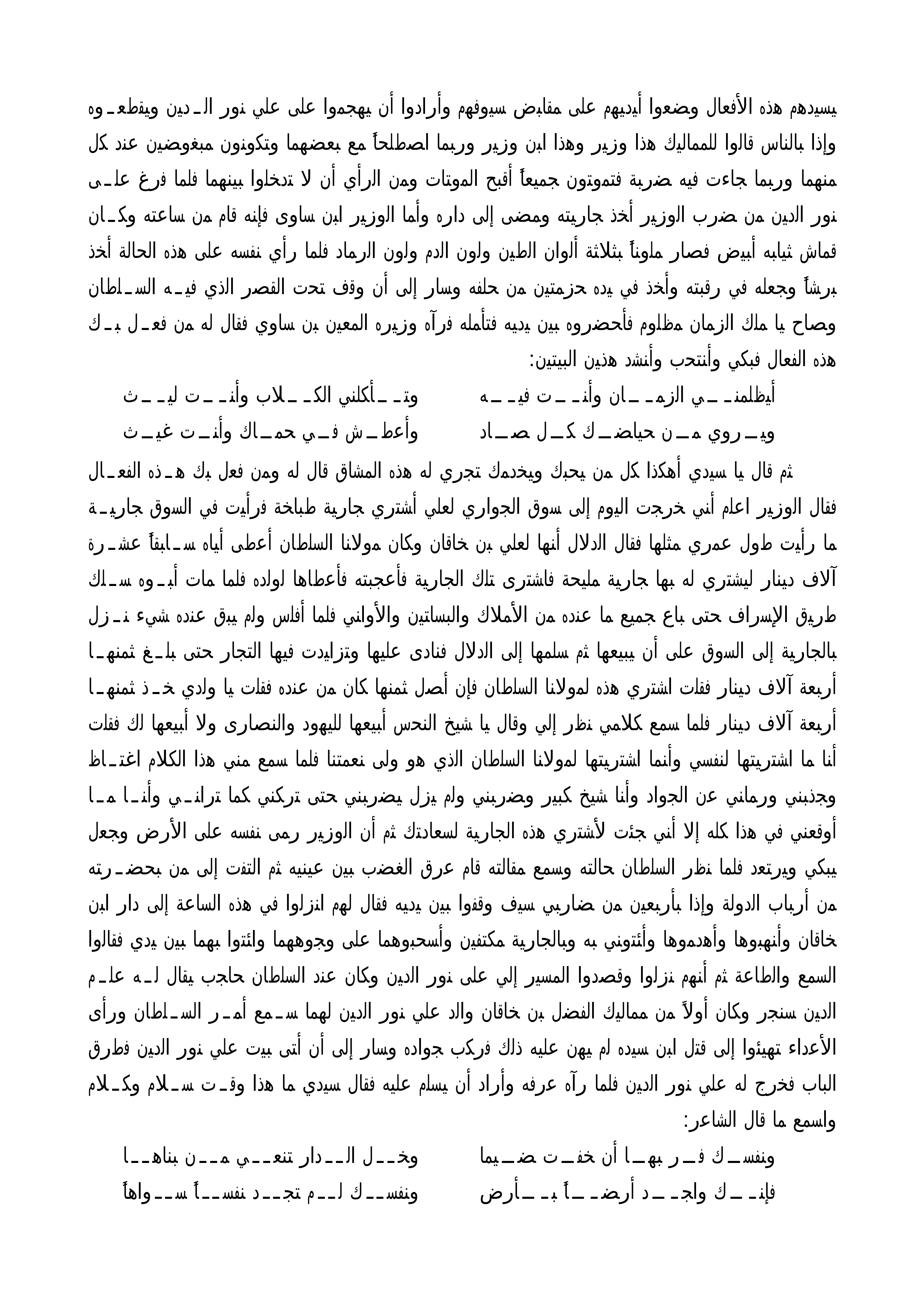
فعند ذلك أخذ أنيس الجليس ودموعه تسيل على خديه ثم أنشد هذين البيتين:

قفــوا زودونـــي نظــرة قبــل فــراقكم أعلـــل قلبـــاً كـــاد بـــالبين يتلـــف

فـــإن كـــان تزويـــدي بـــذلك كلفـــة دعـــوني فـــي وجـــدي ولا تتكلفـــوا

ثم مضى وسلمها إلى الدلال وقال له أعرف مقدار ما تنادي عليه فقال له الدلال يا سيدي علـى نـور الدين الأصول محفوظة ثم قال له   هي أنيس الجليس الذي كان اشتراها والدك مني بعشرة آلاف دينار قـال نعم فعند ذلك طلع الدلال إلى التجار فوجدهم لم يجتمعوا كلهم فصبر حتى اجتمع سائر التجار وامتلأ السـوق بسائر أجناس الجواري من تركية ورومية وشركسية وجرجية وحبشية فلما نظر الدلال إلى ازدحام السـوق نهض قائماً وقال يا تجار يا أرباب الأموال ما كل مدور جوزة ولا كل مستطيلة موزة ولا كل حمراء لحمـة ولا كل بيضاء شحمة ولا كل صهباء خمرة ولا كل سمراء تمرة يا تجار هذه الدرة اليتيمـة التـي لا تفـي الأموال لها بقية بكم تفتحون باب الثمن فقال واحد بأربعة آلاف دينار وخمسمائة وإذا بالوزير المعـين بـن ساوى في السوق فنظر على نور الدين واقفاً في السوق فقال في نفسه ما باله واقفاً فإنه ما بقي عنـده شـيء

يشتري به جواري ثم نظر بعينه فسمع المنادي وهو واقف ينادي في السوق والتجار حوله فقال الوزير فـي نفسه ما أظنه إلا أفلس ونزل بالجارية ليبيعها ثم قال في نفسه أن صح ذلك فما أبرده على قلبـي ثـم دعـا المنادي فأقبل عليه وقبل الأرض بين يديه فقال أني أريد هذه الجارية التي تنادي عليها فلم يمكنـه المخالفـة فجاء بالجارية وقدمها بين يديه فلما نظر إليها وتأمل محاسنها من قامتها الرشيقة وألفاظها الرقيقة أعجبته فقال له إلى كم وصل ثمنها فقال أربعة آلاف وخمسمائة دينار فلما سمع ذلك التجار ما قدر واحد مـنهم أن يزيـد درهماً ولا دينار بل تأخروا جميعاً لما يعلمون من ظلم ذلك الوزير ثم نظر الوزير المعين بن سـاوى إلـى الدلالة وقال ما سبب وقوفك رح والجارية علي بأربعة آلاف دينار ولك خمسمائة دينار فراح الدلال إلى علي نور الدين وقال له يا سيدي راحت الجارية عليك بلا ثمن فقال له وما سبب ذلك قال له نحـن فتحنـا بـاب سعرها بأربعة آلاف دينار وخمسمائة فجاء هذا الظالم المعين بن ساوى ودخل السوق فمـا نظـر الجاريـة أعجبته وقال لي شاور على أربعة آلاف دينار ولك خمسمائة وما أظنه ألاعرف أن الجارية لـك فـإن كـان يعطيك ثمنها في هذه الساعة يكون ذلك من فضل ا لكن أنا أعرف من ظلمه أنه يكتب لك ورقة حوالة على بعض عملائه ثم يرسل إليهم ويقول لا تعطوه شيئاً فكلما ذهبت إليهم لتطالبهم يقولون في غـد نعطيـك ولا يزالون يعدونك ويخلفون يوماً بعد يوم وأنت عزيز النفس وبعد أن يضجوا من مطالبتك أياهم يقولون أعطنـا ورقة الحوالة فإذا أخذوا الورقة منك قطعوها وراح عليك ثمن الجارية فلما سمع على نور الدين من الـدلال هذا الكلام نظر إليه وقال له كيف يكون العمل فقال له أنا أشير عليك بمشورة فإن قبلتها مني كان لك الحـظ الأوفر قال تجيء في هذه الساعة عندي وأنا واقف في وسط السوق وتأخذ الجارية من يدي وتلكمها وتقـول لها ويلك قد فديت يميني التي حلفتها ونزلت بك السوق حيث حلفت عليك أنه لا بد من أخراجك إلى السـوق ومناداة الدلال عليك فإن فعلت ذلك ربما تدخل عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون أنك ما نزلت بها إلا لأجل إبرار اليمين فقال هذا هو الرأي الصواب ثم أن الدلال فارقه وجاء إلى وسط السوق وأمسـك يـد الجاريـة وأشار إلى الوزير المعين بن ساوى وقال يا مولاي هذا مالكها قد أقبل ثم جاء علي نور الدين إلـى الـدلال عليك فأن فعلت ذلك ربما تدخل عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون أنك ما نزلت بها إلا لأجل أبرار اليمـين فقال هذا هو الرأي الصواب ثم أن الدلال فارقه وجاء إلى وسط السوق وأمسك يد الجارية وأشار إلى الوزير المعين بن ساوى وقال يا مولاي هذا مالكها قد أقبل ثم جاء على نور الدين إلى الدلال ونزع الجارية من يده ولكمها وقال ويلك قد نزلت بك إلى السوق لأجل إبراز يميني روحي إلى البيت وبعد ذلك لا تخالفيني فلسـت محتاجاً إلى ثمنك حتى أبيعك وأنا لو بعت أثاث البيت وأمثاله مرات عديدة ما بلغ قدر ثمنك فلما نظر المعين بن ساوى إلى علي نور الدين قال له ويلك وهل بقي عندك شيء يباع أو يشترى ثم أن المعين بن ساوى أراد أن يبطش به فعند ذلك نظر التجار إلى علي نور الدين وكانوا كلهم يحبونه فقال لهم ها أنا بين أيـديكم وقـد عرفتم ظلمه فقال الوزير وا لولا أنتم لقتلته ثم رمزوا كلهم لبعضهم بعين الإشارة وقالوا ما أحد منا يـدخل بينك وبينه فعند ذلك تقدم على نور الدين إلى الوزير بن ساوى وكان علي نور الدين شجاعاً فجذب الـوزير من فوق سرجه فرماه على الأرض وكان هناك معجنة طين فوقع الوزير في وسطها وجعل علي نور الـدين يلكمه فجاءت لكمة على أسنانه فاختضبت لحيته بدمه وكان مع الوزير عشرة مماليك فلما رأوا نور الدين فعل


يسيدهم هذه الأفعال وضعوا أيديهم على مقابض سيوفهم وأرادوا أن يهجموا على علي نور الـدين ويقطعـوه وإذا بالناس قالوا للمماليك هذا وزير وهذا ابن وزير وربما اصطلحا مع بعضهما وتكونون مبغوضين عند كل منهما وربما جاءت فيه ضربة فتموتون جميعاً أقبح الموتات ومن الرأي أن لا تدخلوا بينهما فلما فرغ علـى نور الدين من ضرب الوزير أخذ جاريته ومضى إلى داره وأما الوزير ابن ساوى فإنه قام من ساعته وكـان قماش ثيابه أبيض فصار ملوناً بثلاثة ألوان الطين ولون الدم ولون الرماد فلما رأي نفسه على هذه الحالة أخذ برشاً وجعله في رقبته وأخذ في يده حزمتين من حلفه وسار إلى أن وقف تحت القصر الذي فيـه السـلطان وصاح يا ملك الزمان مظلوم فأحضروه بين يديه فتأمله فرآه وزيره المعين بن ساوي فقال له من فعـل بـك هذه الفعال فبكي وأنتحب وأنشد هذين البيتين:

أيظلمنـــي الزمـــان وأنـــت فيــــه	وتــأكلني الكـــلاب وأنـــت ليـــث
ويـــروي مـــن حياضـــك كـــل صـــاد	وأعطـــش فـــي حمـــاك وأنـــت غيـــث

ثم قال يا سيدي أهكذا كل من يحبك ويخدمك تجري له هذه المشاق قال له ومن فعل بك هـذه الفعـال فقال الوزير اعلم أني خرجت اليوم إلى سوق الجواري لعلي أشتري جارية طباخة فرأيت في السوق جاريـة ما رأيت طول عمري مثلها فقال الدلال أنها لعلي بن خاقان وكان مولانا السلطان أعطى أباه سـابقاً عشـرة آلاف دينار ليشتري له بها جارية مليحة فاشترى تلك الجارية فأعجبته فأعطاها لولده فلما مات أبـوه سـلك طريق الإسراف حتى باع جميع ما عنده من الأملاك والبساتين والأواني فلما أفلس ولم يبق عنده شيء نـزل بالجارية إلى السوق على أن يبيعها ثم سلمها إلى الدلال فنادى عليها وتزايدت فيها التجار حتى بلـغ ثمنهـا أربعة آلاف دينار فقلت اشتري هذه لمولانا السلطان فإن أصل ثمنها كان من عنده فقلت يا ولدي خـذ ثمنهـا أربعة آلاف دينار فلما سمع كلامي نظر إلي وقال يا شيخ النحس أبيعها لليهود والنصارى ولا أبيعها لك فقلت أنا ما اشتريتها لنفسي وأنما اشتريتها لمولانا السلطان الذي هو ولى نعمتنا فلما سمع مني هذا الكلام اغتـاظ وجذبني ورماني عن الجواد وأنا شيخ كبير وضربني ولم يزل يضربني حتى تركني كما تراني وأنـا مـا أوقعني في هذا كله إلا أني جئت لأشتري هذه الجارية لسعادتك ثم أن الوزير رمى نفسه على الأرض وجعل يبكي ويرتعد فلما نظر السلطان حالته وسمع مقالته قام عرق الغضب بين عينيه ثم التفت إلى من بحضـرته من أرباب الدولة وإذا بأربعين من ضاربي سيف وقفوا بين يديه فقال لهم انزلوا في هذه الساعة إلى دار ابن خاقان وأنهبوها وأهدموها وأئتوني به وبالجارية مكتفين وأسحبوهما على وجوههما وائتوا بهما بين يدي فقالوا السمع والطاعة ثم أنهم نزلوا وقصدوا المسير إلي على نور الدين وكان عند السلطان حاجب يقال لـه علـم الدين سنجر وكان أولاً من مماليك الفضل بن خاقان والد علي نور الدين لهما سـمع أمـر السـلطان ورأى الأعداء تهيئوا إلى قتل ابن سيده لم يهن عليه ذلك فركب جواده وسار إلى أن أتى بيت علي نور الدين فطرق الباب فخرج له علي نور الدين فلما رآه عرفه وأراد أن يسلم عليه فقال سيدي ما هذا وقـت سـلام وكـلام واسمع ما قال الشاعر:

ونفســـك فـــر بهـــا أن خفـــت ضـــيما	وخـــل الـــدار تنعـــي مـــن بناهـــا
فإنـــك واجـــد أرضـــاً بـــأرض	ونفســـك لـــم تجـــد نفســـاً ســـواهاً

فقال علي نور الدين يا علم الدين ما الخبر فقال انهض وفز بنفسك أنت والجارية فإن المعين ابن ماوي نصب لكما شركاً ومتى وقعتما في يده قتلكما وقد أرسل إليكما السلطان أربعين ضارباً بالسيف والرأي عندي أن تهربا قبل أن يحل الضرر بكما ثم أن سنجر مد يده إلي على نور الدين بدنانير فعدها فوجـدها أربعـين دينار وقال له يا سيدي خذ هذه ولو كان معي أكثر من ذلك لأعطيتك أياه لكن ما هذا وقت معاتبة فعند ذلـك دخل علي نور الدين على الجارية وأعلمها بذلك فتخبلت ثم خرج الأثنان في الوقت إلى ظاهر المدينة وأسبل ا عليهما ستره ومشيا إلى ساحل البحر فوجدا مركباً تجهزت للسفن والريس واقف في وسط المركب يقـول من بقي له حاجة من وداع أو زواده أو نسي حاجة فليأت بها فإننا متوجهون فقال كلهم لم يبق لنا حاجـة يـا ريس فعند ذلك قال الريس لجماعته هيا حلوا الطرف واقلعوا الأوتاد فقال نور الدين إلى أين باريس فقال إلى دار السلام بغداد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الريس لما قال لعلي نور الدين إلى دار السلام مدينة بغداد نزل علـي نور الدين ونزلت معه الجارية وعوموا ونشروا القلوع فسارت بهم المركب وطاب لهم الريح هذا ما جـرى لهؤلاء (وأما) ما جرى للأربعين الذين أرسلهم السلطان فإنهم جاءوا إلى بيت علي نور الدين فكسروا الأبواب ودخلوا وطافوا جميع الأماكن فلم يقفوا لهما على أى خبر فهدموا الدار ورجعوا لو اعلمـوا السـلطان فقـال اطلبوهما في أي مكان كانا فيه فقالوا السمع والطاعة ثم نزل الوزير المعين بن ساوى إلى بيته بعد أن خلـع عليه السلطان خلعة وقال لا يأخذ بثأرك إلا أنا فدعا له بطول البقاء واطمأن قلبه ثم أن السلطان أمر أن ينادي في المدينة يا معاشر الناس كافة قد أمر السلطان أن من عثر بعلي نور الدين بن خاقان وجاء به إلى السلطان خلع عليه خلعة وأعطاه ألف دينار ومن أخفاه أو عرف مكانه ولم يخبر به فإنه يستحق ما يجري عليـه مـن النكال فصار جميع الناس في التفتيش على علي نور الدين فلم يعرفوا له أثرا هذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من أمر علي نور الدين وجاريته فأنهما وصلا بالسلامة إلى بغداد فقال الريس هذه بغداد وهـي مدينـة أمينة قد ولى عنها الشتاء ببرده وأقبل عليها فصل الربيع بورده وأزهرت أشجارها وجرت أنهارها فعند ذلك طلع علي نور الدين هو وجاريته من المركب وأعطى الريس خمسة دنانير ثم سارا قليلاً فرمتهمـا المقـادير بين البساتين فجاء إلى مكاناً فوجداه مكنوساً مرشوشاً بمصاطب مستطيلة وقوانيس معلقة ملآنة مـاء وفوقـه مكعب من القصب بطول الزقاق وفي صدر الزقاق باب بستان إلا أنه مغلق فقال على نور الدين للجارية وا أن هذا محل مليح فقالت يا سيدي أقعد بنا ساعة على هذه المصاطب فطلعا وجلسا على المصاطب ثم غسـلا وجوههما وأيديهما واستلذا بمرور النسيم فناما وجل من لا ينام وكان البستان يسمي بستان النزهـة وهنـاك قصر يقال له قصر الفرجة وهو للخليفة هارون الرشيد وكان الخليفة إذا ضاق صدره يـأتي إلـى البسـتان ويدخل ذلك القصر فيقعد فيه وكان القصر له ثمانون شباكاً ومعلقاً فيه ثمانون قنديلاً وفي وسطه شمعدان كبير من الذهب فإذا دخله الخليفة أمر الجواري أن تفتح الشبابيك وأمر اسحق النديم والجواري أن يغنوا لينشـرح صدره ويزول همه وكان للبستان خولي شيخ كبير يقال له الشيخ إبراهيم واتفق أنه خرج ليقضي حاجة مـن أشغاله فوجد المتفرجين معهم النساء وأهل الريبة فغضب غضباً شديداً فصبر الشيخ أبراهيم حتى جاء عنـده

الخليفة في بعض الأيام فاعلمه بذلك فقال الخليفة كل من وجدته على باب البستان أفعل به ما أردت فلما كان ذلك اليوم خرج الشيخ إبراهيم الخولي لقضاء حاجة عرضت له فوجد الأثنين نائمين على البسـتان مغطيـين بازار واحد فقال أما عرفا أن الخليفة أعطاني إذنا أن كل من لقيته قتلته ولكن أنا أضرب هذين ضرباً خفيفـاً حتى لا يتقرب أحد من باب البستان ثم قطع جريدة خضراء وخرج إليهما ووقع يده فبان بياض أبطـه وأراد ضربهما فتفكر في نفسه وقال يا إبراهيم كيف تضربهما ولم تعرف حالهما وقد يكونان غريبين أو من أبنـاء السبيل ورمتهما المقادير هنا فأنا أكشف عن وجوههما وأنظر إليهما فرفع الأزار عن وجوههما وقال هـذان حسنان لا ينبغي أن أضربهما ثم غطي وجوههما وتقدم إلى رجل علي نور الدين وجعل يكبسها ففـتح عينـه فوجده شيخاً كبيراً فاستحى علي نور الدين ولم رجليه واستوى قاعداً وأخذ يد الشيخ فقبلها فقال له يا ولـدي من أين أنتم فقال له يا سيدي نحن غرباء وفرت الدمعة من عينه فقال الشيخ إبراهيم يا ولدي اعلم أن النبـي ﷺ أوصى بإكرام الغريب ثم قال له يا ولدي أما تقوم وتدخل البستان وتتفرج فيه فينشرح صدرك فقال له نور الدين يا سيدي هذا البستان لمين قال يا ولدي هذا ورثته من أهلي وما كان قصد الشيخ إبراهيم بهذا الكلام إلا أن يطمئنا ويدخلا البستان فلما سمع نور الدين كلامه شكره وقام هو وجاريته والشيخ إبراهيم قدامهما فدخلوا البستان فإذا هو بستان بابه مقنطر عليه كروم وأعنابه مختلفة الألوان الأحمر كله يا قـوت والأسـود كأنـه أبنوس فدخلوا تحت عريشة فوجدوا فيها الأثمار صنوان وغير صنوان والأطيار تغرد بالحان على الأغصان والهزار يترنم والقمري ملا بصوته المكان والشحرور كأنه في تغريده إنسان والأشجار قد أينعت أثمارها من كل مأكول ومن فاكهة زوجان والمشمش ما بين كافوري ولوزي ومشمش خراسان والبرقـوق كأنـه لـون الحسان والقراسية تذهل عقل كل إنسان والتين ما بين أحمر وأبيض وأخضر من أحسن الألوان والزهر كأنه اللؤلؤ والمرجان والورد يفضح بحمرته خدود الحسان والبنفسج كأنه الكبريت دنا من النيران والآس والمنتور والخزامى مع شقائق النعمان وتكللت تلك الأوراق بمدامع الغمام وضحك ثغر الأقحوان وصار النرجس ناظر إلى ورد بعيون السودان والأترج كأنه أكواب والليمون كبنادق من ذهب وفرشت الأرض بالزهر من سـائر الألوان وأقبل الربيع فأشرق ببهجته المكان والنهر في خرير والطير في هدير والريح في صفير والزمان في اعتدال والنسيم في اعتلال ثم دخل بهما الشيخ إبراهيم القاعة المغلقة فابتهجوا بحسن تلك القاعة وما فيها من اللطائف الغريبة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٩)

قالت بلغني أن الشيخ إبراهيم دخل القاعة ومعه علي نور الدين والجارية وجلسوا في بعض الشـبابيك فتذكر علي نور الدين المقاساة التي مضت له فقال وا أن هذا المكان في غاية الحسن لقد فكرني بما مضـى وأطفأ من كربي جمر الغضى ثم أن الشيخ إبراهيم قدم لهما الأكل فأكلا كفايتهما ثم غسلا أيديهما وجلس نور الدين في شباك من تلك الشبابيك وصاح على جاريته فأتت إليه فصارا ينظران إلى الأشجار وقد حملت سائر الأثمار ثم التفت على نور الدين إلى الشيخ إبراهيم وقال له يا شيخ إبراهيم أما عندك شيء من الشـراب لأن الناس يشربون بعد أن يأكلون فجاءه الشيخ إبراهيم بماء حلو بارد فقال له علي نور الدين ما هـذا الشـراب الذي أريده فقال له أتريد الخمر فقال له نور الدين نعم فقال أعوذ با منها أن لي ثلاثة عشر عاماً ما فعلـت ذلك لأن النبي ﷺ لعن شاربه وعاصره وحامله هل يصيبك من لعنهم شيء قال لا قال خذ هـذين الـدينارين وهذين الدرهمين وأركب هذا الحمار وقف بعيداً وأي إنسان وجدته يشتري فصح عليه وقل لـه خـذ هـذين الدرهمين واشتر بهذين الدينارين خمراً وأحمله على الحمار وحينئذ لا تكون شارباً ولا حاملاً ولا عاصراً ولا يصيبك شيء مما أصاب الجميع فقال الشيخ إبراهيم وقد ضحك من كلامه وا ما رأيت أظـرف منـك ولا أحلى من كلامك فقال له نور الدين نحن صرنا محسوبين عليك وما عليك إلا الموافقة فائت لنا بجميـع مـا نحتاج إليه فقال له الشيخ إبراهيم يا ولدي هذا كراري قدامك وهو الحاصل المعد لأمير المؤمنين فأدخله وخذ منه ما شئت فإن فيه فوق ما تريد فدخل علي نور الدين الحاصل فرأى فيه أواني من الذهب والفضة والبللور مرصعة بأصناف الجواهر فأخرج منها ما أراد وسكب الخمر في البواطي والقناني وصـار هـو وجاريتـه يتعاطيان واندهشا من حسن ما رأيا ثم أن الشيخ إبراهيم جاء لهما بالمشموم وقعد بعيداً عنهمـا فلـم يـزالا يشربان وهما في غاية الفرح حتى تحكم معهما الشراب واحمرت خدودهما وتغازلت عيونهمـا واسـترخت شعورهما فقال الشيخ إبراهيم مالي أقعد بعيداً عنهما كيف أقعد عندهما وأي وقت اجتمع في قصرنا مثل هذين الاثنين اللذين كأنهما قمران ثم أن الشيخ إبراهيم تقدم وقعد في طرف الأيوان فقال له علي نور الدين يا سيدي بحياتي أن تتقدم عندنا فتقدم الشيخ إبراهيم عندهما فملأ نور الدين قدحاً ونظر إلى الشيخ إبراهيم وقـال لـه اشرب حتى تعرف لذة طعمه فقال الشيخ أعوذ با أن لي ثلاث عشرة سنة ما فعلت شيئاً من ذلك فتغافل عنه نور الدين وشرب القدح ورمي نفسه في الأرض وأظهر أنه غاب عليه السكر فعند ذلك نظرت إليـه أنـيس الجليس وقالت له يا شيخ إبراهيم انظر هذا كيف عمل معي قال لها يا سيدتي ماله قالت دائماً يعمل معي هكذا فيشرب ساعة وينام وأبقى أنا وحدي لا أجد لي نديماً ينادمني على قدحي فإذا شربت فمن يعاطيني وإذا غنيت فمن يسمعني فقال لها الشيخ إبراهيم وقد حنت أعضاؤه ومالت نفسه إليها من كلامها لا ينبغي من النـديم أن يكون هكذا ثم أن الجارية ملأت قدحاً ونظرت إلى الشيخ إبراهيم وقالت بحياتي أن تأخذه وتشربه ولا تـردده فأقبله وأجبر خاطري فمد الشيخ إبراهيم يد وأخذ القدح شربه وملأت له ثانياً ومدت إليه ليدها به وقالت له يا سيدي بقي لك هذا فقال لها وا لا أقدر أن شربه فقد كفاني الذي شربته فقالت له وا لابد منه فأخذ القـدح وشربه ثم أعطته الثالث فأخذه وأراد أن يشربه وإذا بنور الدين هم قاعداً. وأدرك شهرزاد الصـباح فسـكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٠)

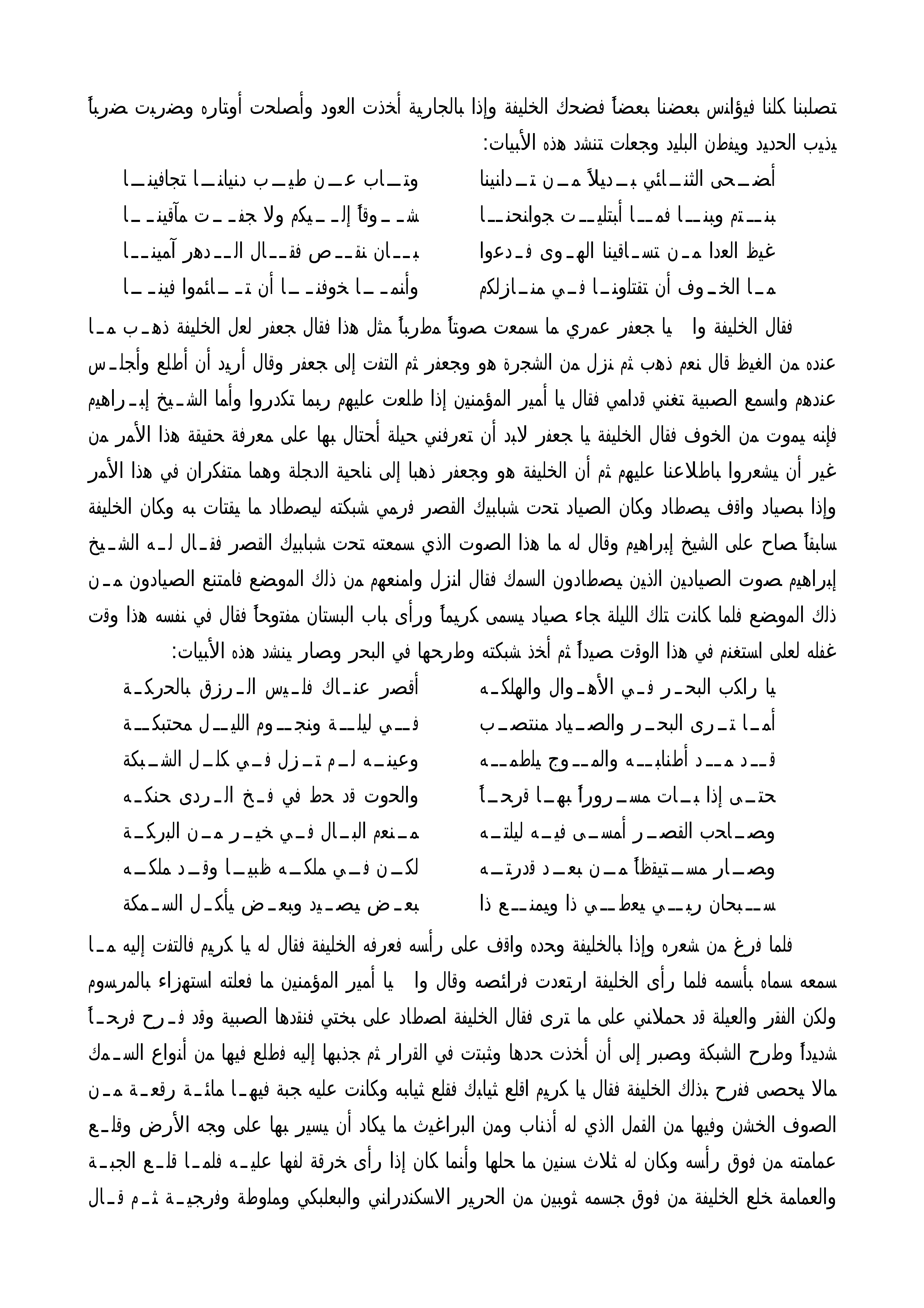
قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي نور الدين هم قاعداً فقال له يا شيخ إبراهيم أي شيء هـذا مـا حلفت عليك من ساعة فأبيت وقلت أن لي ثلاثة عشر عاماً ما فعلته فقال الشيخ إبراهيم وقد استحى مالي ذنب فإنما هي شددت على فضحك نور الدين وقعدوا للمنادمة فالتفتت الجارية وقالت لسيدها سراً يا سيدي أشـرب ولا تحلف على الشيخ إبراهيم حتى أفرجك عليه فجعلت الجارية تملأ وتسقى سيدها وسيدها يملأ ويسقها ولم يزالا كذلك مرة بعد مرة فنظر لهما الشيخ إبراهيم وقال لهما أي شيء هذا وما هذه المنادمة لا تسقياني وقـد صرت نديمكما فضحكا من كلامه إلى أن أغمى عليهما ثم شربا وسقياه ومازالوا في المنادمة إلى ثلث الليـل فعند ذلك قالت الجارية يا شيخ إبراهيم عن أذنك هل أقوم وأوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف فقـال لهـا قومي ولا توقدي إلا شمعة واحدة فنهضت على قدميها وابتدأت من أول الشمع إلى أن أوقده ثمانين شمعة ثم قعدت وبعد ذلك قال نور الدين يا شيخ إبراهيم وأنا أي شيء حظي عندك أما تخليني أوقد قنديلاً مـن هـذه القناديل فقال له الشيخ إبراهيم قم وأوقد قنديلاً واحداً ولا تتثاقل أنت الآخر فقام وابتدأ من أولها إلى أن أوقـد ثمانين قنديلاً فعند ذلك رقص المكان فقال لهما الشيخ إبراهيم وقد غاب عليه السكر أنتما أخرع مني ثم أنـه نهض على قدميه وفتح الشبابيك جميعاً وجلس معهما يتنادمون ويتناشدون الأشعار وابتهج بهم المكان فقـدر ا السميع العليم الذي جعل لكل شيء سبباً أن الخليفة كان في تلك الساعة جالساً في الشبابيك المطلـة علـى ناحية الدجلة في ضوء القمر فنظر إلى تلك الجهة فرأى ضوء القناديل والشموع في البحر ساطعاً فلاحت من الخليفة التفاته إلى القصر الذي في البستان فرآه يلهج من تلك الشموع والقناديل فقال علي بجعفر البرمكي فما كان إلا لحظة وقد حضر جعفر بين يدي أمير المؤمنين فقال له يا كلب الوزراء أتخدمني ولم تعلمنـي بمـا يحصل في مدينة بغداد فقال له جعفر وما سبب هذا الكلام فقال لولا أن مدينة بغداد أخذت مني ما كان قصر الفرجة مبتهجاً بضوء القناديل والشموع وانفتحت شبابيكه ويلك من الذي يكون له قدرة على هذه الفعال إلا إذا كانت الخلافة أخذت مني فقال جعفر وقد ارتعدت فرائصه ومن أخبرك بأن قصر الفرجة أوقدت فيه القناديـل والشموع وفتحت شبابيكه فقال له تقدم عندي وانظر فتقدم جعفر عند الخليفة ونظر ناحية البستان فوجد القصر كأنه شعلة نار نورها غلب على نور القمر فأراد جعفر أن يعتذر عن الشيخ إبراهيم الخولي ربما هذا الأمـر بإذنه لما رأى فيه من المصلحة فقال يا أمير المؤمنين كان الشيخ إبراهيم في الجمعة التي مضت قال لي يـا سيدي جعفر أني أريد أن أفرح أولادي في حياتك وحياة أمير المؤمنين فقلت له وما مرادك بهذا الكلام فقـال لي مرادي أن أخذ لي أذناً من الخليفة بأني أطاهر أولادي في القصر فقلت له افعل ما شئت من فرح أولادك وإن شاء ا اجتمع بالخليفة وأعلمه بذلك فراح من عندي على هذا الحال ونسيت أن أعلمك فقال الخليفة يـا جعفر كان لك عندي ذنب واحد فصار لك عندي ذنبان لأنك أخطأت من وجهين الوجه الأول أنك ما أعلمتني بذلك والوجه الثاني أنك بلغت الشيخ إبراهيم مقصوده فإنه ما جاء إليك وقال لك هذا الكلام إلا تعريضاً بطلب شيء من المال يستعين به على مقصوده فلم تعطه شيئاً ولم تعلمني حتى أعطيه فقال جعفر يا أمير المـؤمنين نسيت فقال الخليفة وحق أبائي وأجدادي ما أتم بقية ليلتي إلا عنده فإنه رجل صالح يتردد إليه المشايخ ويحتفل بالفقراء ويواسي المساكين وأظن أن الجميع عنده في هذه الليلة فلابد من الذهاب إليه لعل واحد منهم يدعو لنا



دعوة يحصل لنا بها خيري الدنيا والآخرة وربما يحصل له نفع في هذا الأمر بحضوري ويفرح بـذلك هـو واجباً به فقال جعفر يا أمير المؤمنين أن معظم الليل قد مضى وهم في هذه الساعة على وجـه الانفضـاض فقال الخليفة لابد من الرواح عنده فسكت جعفر وتحير في نفسه وصار لايدري فنهض الخليفة علـى قدميـه وقام جعفر بين يديه ومعهما مسرور الخادم ومشي الثلاثة متنكرين ونزلوا من القصر وجعلوا يشـقون فـي الأزقة وهم في زي التجار إلى أن وصلوا إلى البستان المذكور فتقدم الخليفة فرأى البستان مفتوحـاً فتعجـب وقال انظر الشيخ إبراهيم كيف خلى الباب مفتوحاً إلى هذا الوقت وما هي عادته ثم أنهم دخلوا إلى أن انتهوا إلى آخر البستان وقفوا تحت القصر فقال الخليفة يا جعفر أريد أن أتسلل عليهم قبل أن اطلع عنـدهم حتـى انظر ما عليه المشايخ من النفحات وواردات الكرمات فإن لهم شؤونا في الخلوات والجلوات لأننـا الآن لـم نسمع لهم صوتاً ولم نرا لهم أثراً ثم أن الخليفة نظر فرأى شجرة جوز عالية فقال يا جعفر أريد أن اطلع على هذه الشجرة فإن فروعها قريبة من الشبابيك وانظر إليهم ثم أن الخليفة طلع فوق الشجرة ولم يزل يتعلق مـن فرع إلى فرع حتى وصل إلى الفرع الذي يقابل الشباك وقعد فوقه ونظر من شباك القصـر فـرأي صـبية وصبياً كأنهما قمران سبحان من خلقهما ورأى الشيخ إبراهيم قاعداً وفي يده قدح وهو يقول يا سيدة المـلاح الشرب بلا طرب غير فلاح ألم تسمعي قول الشاعر:

أدرهـــا بـــالكبير وبالصـــغير	وخـــذها مـــن يـــد القمـــر المنيـــر
ولا تشـــرب بـــلا طـــرب فـــأني	رأيـــت الخيـــل تشـــرب بالصـــفير

فلما عاين الخليفة من الشيخ إبراهيم هذه الفعال قام عرق الغضب بين عينيه ونزل وقال يا جعفر أنا ما رأيت شيئاً من كرمات الصالحين مثل ما رأيت في هذه الليلة فاطلع أنت الآخر على هذه الشجرة وانظر لئلا تفوتك بركات الصالحين فلما سمع جعفر كلام أمير المؤمنين صار متحيراً في أمره وصعد إلى أعلى الشجرة وإذا به نظر فرأى على نور الدين والشيخ إبراهيم والجارية وكان الشيخ إبراهيم في يده القدح فلمـا عـاين جعفر تلك الحالة أيقن بالهلاك ثم نزل فوقف بين يدي أمير المؤمنين فقال الخليفة يا جعفر الحمـد الـذي جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة المطهرة وكفانا شر تلبيات الطريقة المزورة فلم يقدر جعفر أن يتكلم مـن شدة الخجل ثم نظر الخليفة إلى جعفر وقال يا هل ترى من أوصل هؤلاء إلى هذا المكان ومن أدخلهم قصري ولكن مثل هذا الصبي وهذه الصبية ما رأت عيني حسناً وجمالاً وقداً وأعتدالاً مثلهما فقال جعفر وقد استرجى رضا الخليفة صدقت يا أمير المؤمنين فقال يا جعفر اطلع بنا على هذا الفرع الذي هو مقابلهم لنتفرج علـيهم فطلع الأثنان على الشجرة ونظراهما فسمع الشيخ إبراهيم يقول يا سيدتي قد تركت الوقار بشرب العقـار ولا يلذ ذلك إلا بنغمات الأوتار فقالت له أنيس الجليس يا شيخ إبراهيم وا لو كان عندنا شيء من آلات الطـرب لكان سرورنا كاملاً فلما سمع الشيخ إبراهيم كلام الجارية نهض قائماً على قدميه فقال الخليفة لجعفر يا تـرى ماذا يريد أن يعمل فقال جعفر لا أدري فغاب الشيخ إبراهيم وعاد ومعه عوداً فتأمله الخليفة فإذا هـو عـود أسحق النديم فقال الخليفة وا أن غنت الجارية ولم تحسن الغناء صلبتكم كلكم وأن غنت وأحسنت الغناء فإني أعفوا عنهم وأصلبك أنت فقال جعفر اللهم اجعلها لا تحسن الغناء فقال الخليفة لأي شـيء فقـال لأجـل أن



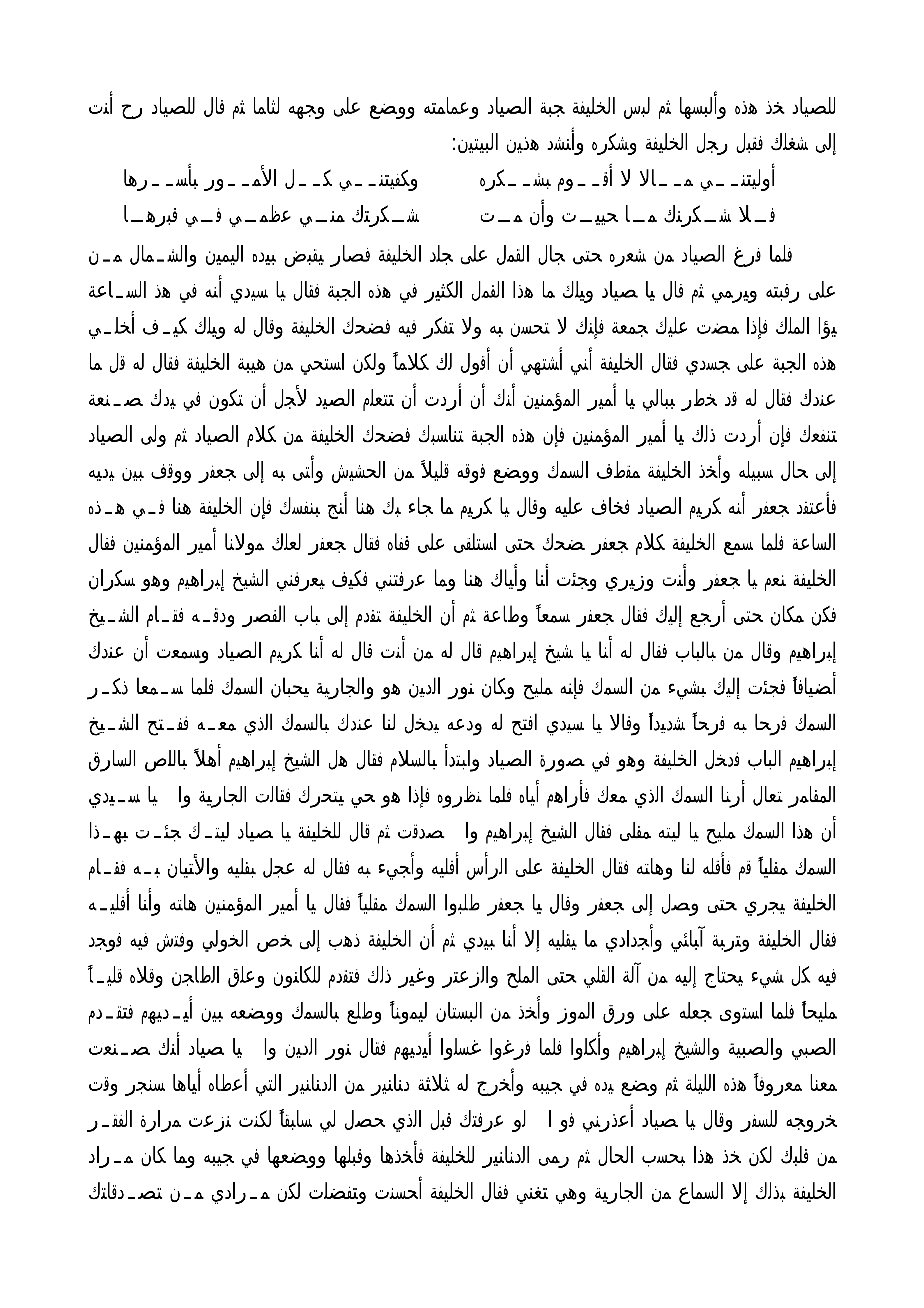
تصلبنا كلنا فيؤانس بعضنا بعضاً فضحك الخليفة وإذا بالجارية أخذت العود وأصلحت أوتاره وضربت ضرباً يذيب الحديد ويفطن البليد وجعلت تنشد هذه الأبيات:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ... وناب عن طيب دنيانا تجافينا
بنتم وبنا فما أبتليت جوانحنا ... شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا ... بأن نغص فقال الدهر آمينا
ما الخوف أن تقتلونا في منازلكم ... وإنما خوفنا أن تأثموا فينا

فقال الخليفة وا   يا جعفر عمري ما سمعت صوتاً مطرباً مثل هذا فقال جعفر لعل الخليفة ذهب ما عنده من الغيظ قال نعم ذهب ثم نزل من الشجرة هو وجعفر ثم التفت إلى جعفر وقال أريد أن أطلع وأجلس عندهم واسمع الصبية تغني قدامي فقال يا أمير المؤمنين إذا طلعت عليهم ربما تكدروا وأما الشيخ إبراهيم فإنه يموت من الخوف فقال الخليفة يا جعفر لابد أن تعرفني حيلة أحتال بها على معرفة حقيقة هذا الأمر من غير أن يشعروا باطلاعنا عليهم ثم أن الخليفة هو وجعفر ذهبا إلى ناحية الدجلة وهما متفكران في هذا الأمر وإذا بصياد واقف يصطاد وكان الصياد تحت شبابيك القصر فرمي شبكته ليصطاد ما يقتات به وكان الخليفة سابقاً صاح على الشيخ إبراهيم وقال له ما هذا الصوت الذي سمعته تحت شبابيك القصر فقال له الشيخ إبراهيم صوت الصيادين الذين يصطادون السمك فقال انزل وامنعهم من ذلك الموضع فامتنع الصيادون من ذلك الموضع فلما كانت تلك الليلة جاء صياد يسمى كريماً ورأى باب البستان مفتوحاً فقال في نفسه هذا وقت غفله لعلى استغنم في هذا الوقت صيداً ثم أخذ شبكته وطرحها في البحر وصار ينشد هذه الأبيات:

يا راكب البحر في الأهوال والهلكه ... أقصر عناك فليس الرزق بالحركة
أما ترى البحر والصياد منتصب ... في ليلة ونجوم الليل محتبكة
قد مد أطنابه والموج يلطمه ... وعينه لم تزل في كلل الشبكة
حتى إذا بات مسروراً بها فرحاً ... والحوت قد حط في فخ الردى حنكه
وصاحب القصر أمسى فيه ليلته ... منعم البال في خير من البركة
وصار مستيقظاً من بعد قدرته ... لكن في ملكه ظبيا وقد ملكه
سبحان ربي يعطي ذا ويمنع ذا ... بعض يصيد وبعض يأكل السمكة

فلما فرغ من شعره وإذا بالخليفة وحده واقف على رأسه فعرفه الخليفة فقال له يا كريم فالتفت إليه ما سمعه سماه بأسمه فلما رأى الخليفة ارتعدت فرائصه وقال وا   يا أمير المؤمنين ما فعلته استهزاء بالمرسوم ولكن الفقر والعيلة قد حملاني على ما ترى فقال الخليفة اصطاد على بختي فنقدها الصبية وقد فرح فرحاً شديداً وطرح الشبكة وصبر إلى أن أخذت حدها وثبتت في القرار ثم جذبها إليه فطلع فيها من أنواع السمك مالا يحصى ففرح بذلك الخليفة فقال يا كريم اقلع ثيابك فقلع ثيابه وكانت عليه جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وفيها من القمل الذي له أذناب ومن البراغيث ما يكاد أن يسير بها على وجه الأرض وقلع عمامته من فوق رأسه وكان له ثلاث سنين ما حلها وأنما كان إذا رأى خرقة لفها عليه فلما قلع الجبة والعمامة خلع الخليفة من فوق جسمه ثوبين من الحرير الاسكندراني والبعلبكي وملوطة وفرجية ثم قال


للصياد خذ هذه وألبسها ثم لبس الخليفة جبة الصياد وعمامته ووضع على وجهه لثاما ثم قال للصياد رح أنت إلى شغلك فقبل رجل الخليفة وشكره وأنشد هذين البيتين:

أوليتنـــي مــــالا لا أقـــوم بشـــكره وكفيتنـــي كـــل الأمـــور بأســـرها
فـــلا شـــكرتك منـــي عظمـــي فـــي قبرهـــا شـــكرتك مـــا حييـــت وأن مـــت

فلما فرغ الصياد من شعره حتى جال القمل على جلد الخليفة فصار يقبض بيده اليمين والشمال من على رقبته ويرمي ثم قال يا صياد ويلك ما هذا القمل الكثير في هذه الجبة فقال يا سيدي أنه في هذ الساعة يؤا الملك فإذا مضت عليك جمعة فإنك لا تحسن به ولا تفكر فيه فضحك الخليفة وقال له ويلك كيف أخلي هذه الجبة على جسدي فقال الخليفة أني أشتهي أن أقول لك كلاماً ولكن استحي من هيبة الخليفة فقال له قل ما عندك فقال له قد خطر ببالي يا أمير المؤمنين أنك أن أردت أن تتعلم الصيد لأجل أن تكون في يدك صنعة تنفعك فإن أردت ذلك يا أمير المؤمنين فإن هذه الجبة تناسبك فضحك الخليفة من كلام الصياد ثم ولى الصياد إلى حال سبيله وأخذ الخليفة مقطف السمك ووضع فوقه قليلاً من الحشيش وأتى به إلى جعفر ووقف بين يديه فأعتقد جعفر أنه كريم الصياد فخاف عليه وقال يا كريم ما جاء بك هنا أنج بنفسك فإن الخليفة هنا في هذه الساعة فلما سمع الخليفة كلام جعفر ضحك حتى استلقى على قفاه فقال جعفر لعلك مولانا أمير المؤمنين فقال الخليفة نعم يا جعفر وأنت وزيري وجئت أنا وأياك هنا وما عرفتني فكيف يعرفني الشيخ إبراهيم وهو سكران فكن مكان حتى أرجع إليك فقال جعفر سمعاً وطاعة ثم أن الخليفة تقدم إلى باب القصر ودقه فقام الشيخ إبراهيم وقال من بالباب فقال له أنا يا شيخ إبراهيم قال له من أنت قال له أنا كريم الصياد وسمعت أن عندك أضيافاً فجئت إليك بشيء من السمك فإنه مليح وكان نور الدين هو والجارية يحبان السمك فلما سمعا ذكر السمك فرحا به فرحاً شديداً وقالا يا سيدي افتح له ودعه يدخل لنا عندك بالسمك الذي معه ففتح الشيخ إبراهيم الباب فدخل الخليفة وهو في صورة الصياد وابتدأ بالسلام فقال هل الشيخ إبراهيم أهلاً باللص السارق المقامر تعال أرنا السمك الذي معك فأراهم أياه فلما نظروه فإذا هو حي يتحرك فقالت الجارية وا يا سيدي أن هذا السمك مليح يا ليته مقلى فقال الشيخ إبراهيم وا صدقت ثم قال للخليفة يا صياد ليتك جئت بهذا السمك مقلياً قم فأقله لنا وهاته فقال الخليفة على الرأس أقليه وأجيء به فقال له عجل بقليه والأتيان به فقام الخليفة يجري حتى وصل إلى جعفر وقال يا جعفر طلبوا السمك مقلياً فقال يا أمير المؤمنين هاته وأنا أقليه فقال الخليفة وتربة آبائي وأجدادي ما يقليه إلا أنا بيدي ثم أن الخليفة ذهب إلى خص الخولي وفتش فيه فوجد فيه كل شيء يحتاج إليه من آلة القلي حتى الملح والزعتر وغير ذلك فتقدم للكانون وعلق الطاجن وقلاه قلياً مليحاً فلما استوى جعله على ورق الموز وأخذ من البستان ليموناً وطلع بالسمك ووضعه بين أيديهم فتقدم الصبي والصبية والشيخ إبراهيم وأكلوا فلما فرغوا غسلوا أيديهم فقال نور الدين وا يا صياد أنك صنعت معنا معروفاً هذه الليلة ثم وضع يده في جيبه وأخرج له ثلاثة دنانير من الدنانير التي أعطاه أياها سنجر وقت خروجه للسفر وقال يا صياد أعذرني فو ا لو عرفتك قبل الذي حصل لي سابقاً لكنت نزعت مرارة الفقر من قلبك لكن خذ هذا بحسب الحال ثم رمى الدنانير للخليفة فأخذها وقبلها ووضعها في جيبه وما كان مراد الخليفة بذلك إلا السماع من الجارية وهي تغني فقال الخليفة أحسنت وتفضلت لكن مرادي من تصدقاتك

العميمة أن هذه الجارية تغني لنا صوتاً حتى أسمعها فقال على نور الدين ياأنيس الجليس قالت نعم قـال لهـا وحياتي أن تغني لنا شيئاً من شأن خاطر هذا الصياد لأنه يريد أن يسمعك فلما سمعت كلام سـيدها أخـذت العود وغمزته بعد أن فركت أذنه وأنشدت هذين البيتين:

وغـ ـادت لعبـ ـة بـ ـالعود أنملهـ ـا فعـادت الـنفس عنـد الجـس تختـلس
قد أسـمعت بالأغـاني مـن بـه صـمم وقال أحسـنت مغنـى مـن بـه خـرس

ثم أنها ضربت ضرباً غريباً إلى أن أذهلت العقول فقال نور الدين يا صياد هـل أعجبتـك الجاريـة وتحريكها الأوتار فقال الخليفة أي وا فقال نور الدين هي هبة مني إليك هبة كريم لا يرجع في عطائه ثم أن نور الدين نهض قائماً على قدميه وأخذ ملوطة ورماها على الخليفة وهو في صورة الصياد وأمره أن يخرج ويروح بالجارية فنظر الجارية إليه وقالت يا سيدي هل أنت رائح بلا وداع أن كان ولابد فقف حتى أودعـك وأنشدت هذين البيتين:

لـئن غبتمـوا عنـي فـإن محلكـم لفـي مهجتـي بـين الجـوانح والحشـا
وأرجـو مـن الـرحمن جمعـاً لشـملنا وذلـك فضـل ا يؤتيـه مـن يشـأ

فلما فرغت من شعرها أجابها نور الدين وهو يقول:

ودعتنـي يـ ـوم الفـ ـراق وقالـ ـت وهـي تبكـي مـن لوعـة وفـراق
مـا الـذي أنـت صـانع بعـد بعـدي قلـت قـولي هـذا لمـن هـو بـاقي

ثم أن الخليفة لما سمع ذلك صعب عليه التفريق بينهما والتفت إلى الصبي وقال له يا سيدي نور الـدين اشرح لي أمرك فأخبره نور الدين بحاله من أوله إلى آخره فلما فهم الخليفة هذا الحال قال له أين تقصد فـي هذه الساعة قال له بلاد ا فسيحة فقال له الخليفة أنا أكتب لك ورقة توصلها إلى السلطان محمد ابن سـليمان الزيني فإذا قرأها لا يضرك بشيء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما قال لعلي نور الدين أنا أكتب لـك ورقـة توصـلها إلـى السلطان محمد بن سليمان الزيني فإذا قرأها لا يضرك بشيء فقال له علي نور الدين وهل في الـدنيا صـياد يكاتب الملوك أن هذا شيء لا يكون أبداً فقال له الخليفة صدقت ولكن أنا أخبرك بالسبب اعلم أني أنا قـرأت أنا وأياه في مكتب واحد عند فقيه وكنت أنا عريفه ثم أدركته السعادة وصار سلطاناً وجعلني ا صياداً ولكن لم أرسل إليه في حاجة إلا قضاها ولو أدخلت إليه في كل يوم من شأن ألف حاجة قضاها فلما سمع نور الدين كلامه قال له اكتب حتى أنظر فأخذ دواة وقلما وكتب بعد البسملة أما بعد فإن هذا الكتاب من هارون الرشـيد بن المهدي إلى حضرة محمد بن سليمان الزيني المشمول بنعمتي الذي جعلته نائباً عني في بعـض مملكتـي أعرفك أن الموصل إليك هذا الكتاب نور الدين بن خاقان الوزير فساعة وصوله عندكم تنزع نفسك من الملك وتجلسه مكانك فإني قد وليته على ما كنت وليتك عليه سابقاً فلا تخالف أمري والسلام ثم أعطى علـي نـور الدين ابن خاقان الكتاب فأخذه نور الدين وقبله وحطة في عمامته ونزل في الوقـت مسـافراً وطـالع قصـر السلطان ثم صرخ صرخة عظيمة فسمعه السلطان فطلبه فلما حضر بين يديه قبل الأرض قدامه ثم أخرجـد



الورقة وأعطاه إياها فلما رأى عنوان الكتاب بخط أمير المؤمنين قام واقفاً على قدميه وقبلها ثـلاث مـرات وقال السمع والطاعة تعالى ولأمير المؤمنين ثم أحضر القضاة الأربعة والأمراء وأراد أن يخلع نفسه مـن الملك وإذا بالوزير المعين بن ساوى قد حضر فأعطاه السلطان ورقة أمير المؤمنين فلما قرأها قطعهـا عـن آخرها وأخذها في فمه ومضغها ورماها فقال له السلطان وقد غضب ويلك ما الذي حملك على هذه الفعـال قال له هذا ما اجتمع بالخليفة ولا بوزيره وأنما هو علق شيطان مكان وقع ورقة فيها خط الخليفـة فزورهـا وكتب فيها ما أراد فلأي شيء تعزل نفسك من السلطنة مع أن الخليفة لم يرسل إليك رسولاً بخط شريف ولو كان هذا الأمر صحيحاً لأرسل معه حاجباً أو وزيراً لكنه جاء وحده فقال له وكيف العمل قال له أرسل معـي هذا الشاب وأنا آخذه وأتسلمه منك وأرسله صحبه حاجب إلى مدينة بغداد فإن كان كلامه صحيحاً يأتينا بخط شريف وتقليد وأن كان غير صحيح ترسلوه إلينا مع الحاجب وأنا آخذ حقي من غريمي فلما سمع السـلطان كلام الوزير ودخل عقله صاح على الغلمان فطرحوه وضربوه إلى أن أغمى عليه ثم أمر أن يضعـوا فـي رجليه قيداً وصاح على السجان فلما حضر قبل الأرض بين يديه وكان هذا السجان يقال له قطيط فقال له يـا قطيط أريد أن تأخذ هذا وترميه في مطمورة من المطامير التي عندك في السجن وتعاقبه بالليل والنهار فقـال له السجان سمعاً وطاعة ثم أن السجان أدخل نور الدين في السجن وقفل عليه الباب ثم أمر بكـنس مصـطبة وراء الباب وفرشها بسجادة أو مخدة وأقعد نور الدين عليها وفك قيده وأحسن إليه وكان كل يوم يرسل إلـى السجان ويأمره بضربه والسجان يظهر أنه يعاقبه وهو يلاطفه ولم يزل كذلك مدة أربعين يوماً فلما كان اليوم الحادي والأربعون جاءت هدية من عند الخليفة فلما رآها السلطان أعجبته فشاور الوزراء في أمرها فقال لعل هذه الهدية كانت للسلطان الجديد فقال الوزير المعين ابن ساوي لقد كان المناسب قتله وقـت قدومـه فقـال السلطان وا لقد ذكرتني به أنزل هاته وأضرب عنقه فقال الوزير سمعاً وطاعة فقام وقال له أن قصـدي أن أنادي في المدينة من أراد أن يتفرج على ضرب رقبة نور الدين علي بن خاقان فليأت إلى القصر فيأتي جميع الناس ليتفرجوا عليه لاشفي فؤادي وأكمد حسادي فقال له السلطان افعل ما تريد فنزل الوزير وهـو فرحـان مسرور وأقبل على الوالي وأمره أن ينادي بما ذكرنا فلما سمع الناس المنادي حزنوا وبكـوا جمعـا حتـى الصغار في المكاتب والسوقة في دكاكينهم وتسابق الناس يأخذون لهم أماكن ليتفرجوا فيها وذهب بعض الناس إلى السجن حتى يأتي معه ونزل الوزير ومعه عشرة مماليك إلى السجن ثم أنهم نادوا علي نور الدين هذا أقل جزاء من يزور مكتوباً على الخليفة إلى السلطان ولازالوا يطوفون به في البصرة إلى أن أوقفوه تحت شباك القصر وجعلوه في منقع الدم وتقدم إليه السياف وقال له أنا عبد مأمور فإن كان لك حاجة فأخبرني بها حتـى أقضيها لك فإنه ما بقي من عمرك إلا قدر ما يخرج السلطان وجهه من الشباك فعند ذلك نظر يميناً وشـمالاً وأنشد هذه الأبيات:

فهـل فـيكم خـل شـفيق يعيننـي ... سـألتكم بـا رد جـوابي

مضى الوقت من عمري وحانـت منيتـي ... فهـل راحـم لـي كـي ينـال ثـوابي

وينظـر فـي حـالي ويكشـف كربتـي ... بشـربة مـاء كـي يهـون عـذابي

فتباكت الناس عليه وقام السياف وأخذ شربة ماء يناوله أياها فنهض الوزير من مكانه وضرب قلة الماء بيده فكسرها وصاح على السياف وأمره بضرب عنقه فعند ذلك عصب عيني علي نور الدين فصاح النـاس على الوزير وأقاموا عليه الصراخ وكثر بينهم القيل والقال فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد علا وعجـاج مـلأ الجو والفلا فلما نظر إليه السلطان وهو قاعد في القصر قال انظر وأما الخبر فقال الوزير حتى نضرب عنق هذا قبل فقال له السلطان أصبر أنت حتى تنظر الخبر وكان ذلك الغبار غبار جعفر وزير الخليفة ومن معـه وكان السبب في مجيئهم أن الخليفة مكث ثلاثين يوماً لم يتذكر قصة علي بن خاقان ولم يذكرها له أحد إلى أن جاء ليلة من الليالي إلى مقصورة أنيس الجليس فسمع بكاءها وهي تنشد بصوت رقيق قول الشاعر:

خيالـك فـي التباعـد والتـداني وذكـرك لا يفارقـه لسـاني

وتزايد بكاؤها وإذا قد فتح الباب ودخل المقصورة فرأى أنيس الجليس وهي تبكي فلما رأت الخليفـة وقعت على قدميه وقبلتهما ثلاث مرات ثم أنشدت هذين البيتين:

أيـامن زكـا أصـلا وطـاب ولادة وأثمـر غصـناً يانعـاً وزكـا جنسـاً

أذكـرك الوعـد الـذي سـمت بـه محاسـنك الحسـنا وحاشـاك أن تنسـى

فقال الخليفة من أنت قالت أنا هدية علي بن خاقان إليك وأريد إنجاز الوعد الذي وعدتني به من أنـك ترسلني إليه مع التشريف والآن لي هنا ثلاثون يوماً لم أذق طعم النوم فعند ذلك طلب الخليفة جعفر البرمكي وقال من منذ ثلاثين يوماً لم أسمع بخبر علي بن خاقان وما أظن إلا أن السلطان قتله ولكن وحيـاة رأسـي وتربة آبائي وأجدادي أن كان جرى له أمر مكروه لا هلكن من كان سبباً فيه ولو كان أعـز النـاس عنـدي وأريد أن تسافر أنت في هذه الساعة إلى البصرة وتأتي بأخبار الملك محمد بن سليمان الزيني مع علـي بـن خاقان فأمتثل أمره وسافر فلما أقبل جعفر نظر ذلك الهرج والمرج والازدحام فقال الوزير جعفـر مـا هـذا الازدحام فذكروا له ما هم فيه من أمر علي نور الدين بن خاقان فلما سمع جعفر كلامهم أسرع بالطلوع إلـى السلطان وسلم عليه وأعلمه بما جاء فيه وأنه إذا كان وقع لعلي نور الدين أمر مكروه فإن السلطان يهلك مـن كان السبب في ذلك ثم أنه قبض على السلطان والوزير المعين بن ساوي وأمر بإطلاق علي نور الدين بـن خاقان وأجلسه سلطانا في مكان السلطان محمد بن سليمان الزيني وقعد ثلاثة أيام في البصرة مدة الضـيافة فلما كان صبح اليوم الرابع التفت علي بن خاقان إلى جعفر وقال أني اشتقت إلى رؤية أمير المؤمنين فقـال جعفر للملك محمد بن سليمان تجهز للسفر فأننا نصلي الصبح ونتوجه إلى بغداد فقال السمع والطاعة ثم أنهم صلوا الصبح وركبوا جميعهم ومعهم الوزير المعين بن ساوى وصار يتندم على فعله وأما علي نور الدين بن خاقان فإنه ركب بجانب جعفر ومازالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بغداد دار السلام وبعد ذلك دخلوا علـى الخليفة فلما دخلوا عليه حكوا له قصة نور الدين فعند ذلك أقبل الخليفة علي علي بن خاقان وقال له خذ هـذا السيف وأضرب به رقبة عدوك فأخذه وتقدم لي المعين بن ساوى فنظر إليه وقال أنا عملت بمقتضى طبيعتي فأعمل أنت بمقتضى طبيعتك فرمى السيف من يده ونظر إلى الخليفة وقال يا أمير المؤمنين أنه خدعني وأنشد قول الشاعر:

فخدعتـه بخديعـة لمـا أتـى والحـر يخدعـه الكـلام الطيـب

فقال الخليفة أتركه أنت ثم قال لمسرور يا مسرور قم أنت واضرب رقبته فقام مسرور ورمى رقبته فعند ذلك قال الخليفة لعلي بن خاقان تمن علي فقال له يا سيدي أنا مالي حاجة بملك البصرة وما أريد إلا مشاهدة وجه حضرتك فقال الخليفة حباً وكرامة ثم أن الخليفة دعا بالجارية فحضرت بين يديه فأنعم عليهما وأعطاهما قصراً من قصور بغداد ورتب لهما مرتبات وجعله من ندمائه ومازال مقيماً عنده إلى أن أدركه الممات وليس هذا بأعجب من حكاية التاجر وأولاده قال الملك وكيف ذلك.

(حكاية التاجر أيوب وابنه غانم وبنته فتنة)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان تاجر من التجار له مال وله ولدكانه البدر ليلة تمامه فصيح اللسان يسمه غانم بن أيوب المتيم المسلوب وله أخت أسمها فتنة من فرط حسنها وجمالها فتوفي والدهما وخلف لهما مالاً جزيلاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ذلك التاجر خلف لهما مالاً جزيلاً ومن جملة ذلك مائة حمل من الخز والديباج ونوافج المسك ومكتوب على الأحمال هذا بقصد بغداد وكان مراده أن يسافر إلى بغداد فلما توفاه ا تعالى ومضت مدة أخذ ولده هذه الأحمال وسافر بها إلى بغداد وكان ذلك في زمن هارون الرشيد وودع أمه وأقاربه وأهل بلدته قبل سيره وخرج متوكلاً على ا تعالى وكتب ا له السلامة حتى وصل إلى بغداد وكان مسافراً صحبة جماعة من التجار فاستأجر له داراً حسنة وفرشها بالبسط والوسائد وأرخى عليها الستور وأنزل فيها تلك الأحمار والبغال والجمال وجلس حتى استراح وسلم عليه تجار بغداد وأكابرها ثم أخذ بقجة فيها عشرة تفاصيل من القماش النفيس مكتوب عليها أثمانها ونزل بها إلى سوق التجار فلاقوه وسلموا عليه وأكرموه وتلقوه بالترحيب وأنزلوه على دكان شيخ السوق وباع التفاصيل فربح في كل دينار دينارين ففرح غانم وصار يبيع القماش والتفاصيل شيئاً فشيئاً ولم يزل كذلك سنة وفي أول السنة الثانية جاء إلى ذلك السوق فرأى بابه مقفولاً فسأل عن سبب ذلك فقيل له أنه توفي واحد من التجار وذهب التجار كلهم يمشون في جنازته فهل لك أن تكسب أجراً وتمشي معهم قال نعم ثم سأل عن محل الجنازة فدلوه عن المحل فتوضأ ثم مشي مع التجار إلى أن وصلوا المصلى وصلوا على الميت ثم مشي التجار جميعهم قدام الجنازة إلى المقبرة فتبعهم غانم إلى أن وصلوا بالجنازة إلى المقبرة خارج المدينة ومشوا بين المقابر حتى وصلوا إلى المدفن فوجدوا أهل الميت نصبوا على القبر خيمة وأحضروا الشموع والقناديل ثم دفنوا الميت وجلس القراء يقرءون على ذلك القبر فجلس التجار ومعهم غانم بن أيوب وهو غالب عليه الحياء فقال في نفسه أنا لم أقدر على أن أفارقهم حتى انصرف معهم ثم أنهم جلسوا يسمعون القرآن إلى وقت العشاء فقدموا لهم العشاء والحلوى فأكلوا حتى اكتفوا وغسلوا أيديهم ثم جلسوا مكانهم فاشتغل خاطر غانم ببضاعته وخاف من اللصوص وقال في نفسه أنا رجل غريب ومتهم بالمال فإن بت الليلة بعيداً عن منزلي سرق اللصوص ما فيه من المال والأحمال وخاف على متاعه فقام وخرج من بين الجماعة وأستأذنهم على أنه يقضي حاجة فسار يمشي ويتتبع آثار الطريق حتى جاء إلى باب المدينة وكان ذلك الوقت نصف الليل فوجد باب المدينة مغلقاً ولم ير أحداً غادياً ولا رائحاً ولم يسمع صوتاً سوى نبيح الكلاب وعوى الذئاب فقال لا حول ولا قوة إلا با كنت خائفاً

على مالي وجئت من أجله فوجدت الباب مغلقاً فصرت الآن خائفاً على روحي ثم رجع ينظر له محلاً ينام فيه إلى الصباح فوجد تربة محوطة بأربع حيطان وفيها نخلة ولها باب من الصوان مفتوح فدخلها وأراد أن ينـام فلم يجئه نوم وأخذته رجفة ووحشة وهو بين القبور فقام واقفاً على قدميه وفتح باب المكان ونظر فرأى نوراً يلوح على بعد في ناحية باب المدينة فمشي قليلاً فرأى النور متبلاً في الطريق التي توصل إلى التربة التـي هو فيها فخاف غانم على نفسه وأسرع برد الباب وتعلق حتى طلع فوق النخلة وتدارى في قلبها فصار النور يتقرب من التربة شيئاً فشيئاً حتى قرب من التربة فتأمل النور فرأى ثلاثة عبيد اثنان حاملان صندوقاً وواحداً في يده فاس وفانوس فلما قربوا من التربة قال أحد العبدين الحاملين الصندوق ويلك يا صواب فقـال العبـد الآخر منها مالك يا كافور فقال إنا كنا هنا وقت العشاء وخلينا الباب مفتوحاً فقال نعم هذا الكلام صحيح فقال ها هو مغلق متربس فقال لهما الثالث وهو حامل الفاس والنور وكان اسمه بخيتاً ما أعقل عقلكما أما تعرفـان أن أصحاب الغيطان يخرجون من بغداد ويترددون هنا فيمسي عليهم المساء فيدخلون هنا ويغلقـون علـيهم الباب خوفاً من السودان الذين هم مثلنا أن يأخذوهم ويشووهم ويأكلوهم فقالوا له صدقت وما فينا أقـل عقـلاً منك فقال لهم أنكم لم تصدقوني حتى ندخل التربة نجد فيها أحداً وأظن أنه إذا كان فيها أحـداً ورأى النـور هرب فوق النخلة فلما سمع غانم كلام العبد قال في نفسه ما أمكر هذا العبد فقبح ا السودان لما فـيهم مـن الخبث واللؤم ثم قال لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم وما الذي يخلصني من هذه الورطة ثم أن الأثنـين الحاملين للصندوق قالا لمن معه الفاس تعلق على الحائط وافتح الباب لنا يا صواب لأننا تعبنا من الصـندوق على رقابنا فإذا فتحت لنا الباب اك علينا واحد من الذين نمسكهم ونقليه اك قلياً جيداً بحيث لا يضيع من دهنه نقطة فقال صواب أنا خائف من شيء تذكرته من قلة عقل وهو أننا نرمي الصندوق وراء الباب لأنه ذخيرتنا فقالا له أن رميناه ينكسر فقال أنا خائف أن يكون في داخل التربة الحرامية الذين يقتلون النـاس ويسـرقون الأشياء لأنهم إذا أمسى عليهم الوقت يدخلون في هذه الأماكن ويقسمون ما يكون معهـم فقـال لـه الأثنـان الحاملان للصندوق يا قليل العقل هل يقدرون أن يدخلوا هذا ثم حملا الصندوق وتعلقا على الحـائط ونـزلا وفتحا الباب والعبد الثالث الذي هو بخيت واقف لهما بالنور والمقطف الذي فيه بعض من الجنس ثـم أنهـم جلسوا وقفلوا الباب فقال واحد\ منهم يا أخواني نحن تعبنا من المشي والشيل والحط وفتح الباب وقفله وهـذا الوقت نسف الليل ولم يبق فينا قوة لفتح الباب ودفن الصندوق ولكننا نجلس هنا ثلاث ساعات لنستريح ثم نقوم ونقضي حاجتنا ولكن كل واحد منا يحكي لنا سبب تطويشه وجميع ما وقع له من المبتدأ إلى المنتهى لأجـل فوات هذه الليلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العبيد الثلاثة لما قالوا لبعضهم كل واحد يحكي جميع ما وقع له قـال الأول وهو الذي كان حامل النور أنا أحكي لكم حكايتي فقالوا له تكلم قال لهم أعلموا يا أخواني أني لما كنت صغيراً جاء بي الجلاب من بلادي وعمري خمس سنين فباعني لواحد جاويش وكان له بنت عمرهـا ثـلاث سنوات فتربيت معها وكانوا يضحكون علي وأنا ألاعب البنت وأرقص لها وأغني لها إلى أن صار عمـري أثنتي عشرة سنة وهي بنت عشر سنين ولا يمنعونني عنها إلى أن دخلت عليها يوماً من الأيام وهي جالسـة

في محل خلوة وكأنها خرجت من الحمام الذي في البيت لأنها كانت معطرة مبخرة ووجهها مثل القمر في ليلة أربعة عشر فلاعبتني ولاعبتها فنفر أحليلي حتى صار مثل المفتاح الكبير فدفعتني على الأرض فوقعت على ظهري وركبت على صدري وصارت تتمرغ علي فانكشف أحليلي فما رأته وهو نافر أخذته بيدها وصـارت تحك به على أشفار فرجها من فوق لباسها فهاجت الحرارة عندي وحضنتها فشبكت يدها في عنقي وقرطـت على بجهدها فما أشعر إلا وأحليلي فتق لباسها ودخل في فرجها وأزال بكارتها فلما عاينت ذلك هربت عنـد أصحابي فدخلت عليها أمها فلما رأت حالها غابت عن الدنيا ثم تداركت أمرها وأخفت حالها عن أبيها وكتمته وصبرت عليها مدة شهرين كل هذا وهم ينادونني ويلاطفونني حتى أخذوني من المكان الذي كنت فيـه ولـم يذكروا شيئاً من هذا الأمر لأبيها لأنهم كانوا يحبونني كثيراً ثم أن أمها خطبت لها شاباً مزين كان يزين أباها وأمهرتها من عندها وجهزتها له كل هذا وأبوها لا يعلم بحالها وصاروا يجتهدون في تحصيل جهازها ثم أنهم أمسكوني على غفلة وخصوني ولما زفوها للعريس جعلوني طواشياً لها أمشي قدامها أينما راحت سواء كـان رواحها إلى الحمام أو إلى بيت أبيها وقد ستروا أمرها وليلة الدخلة ذبحوا على قميصها حمامة ومكثت عندها مدة طويلة وأنا أتملى بحسنها وجمالها على قدر ما أمكنني من تقبيل وعناق إلى أن ماتت هي وزوجها وأمها وأبوها ثم أخذت بيت المال وصرت في هذا المكان وقد ارتفقت بكم وهذا سبب قط أحليلي والسلام فقال العبد الثاني اعلموا يا أخواني أني كنت في ابتداء أمري ابن ثمان سنين ولكن كنت أكذب على الجلابة كل سنة كذبة حتى يقعوا في بعضهم فقلق مني الجلاب وأنزلني في يد الدلال وأمره أن ينادي من يشتري هذا العبد علـى عيبه فقيل له وما عيبه قال يكذب في كل سنة كذبة واحدة فتقدم رجل تاجر إلى الدلال وقال له كم أعطوا في هذا العبد من الثمن على عيبه قال أعطوا ستمائة درهم قال ولك عشرون فجمع بينه وبين الجلاب وقبض منه الدراهم وأوصلني الدلال إلى منزل ذلك التاجر وأخذ دلالته فكساني التاجر ما يناسبني ومكثت عنـده بـاقي سنتي إلى أن هلت السنة الجديدة بالخير وكانت سنة مباركة مخصبة بالنبات فصار التجار يعملون العزومات وكل يوم على واحد منهم إلى أن جاءت العزومة على سيدي في بستان خارج البلد فراح هو والتجار وأخـذ لهم ما يحتاجون إليه من أكل وغيره فجلسوا يأكلون ويشربون ويتنادمون إلى وقت الظهر فاحتاج سيدي إلـى مصلحة من البيت فقال يا عبد اركب البغلة وروح إلى المنزل وهات من سيدتك الحاجـة الفلانيـة وأرجـع سريعاً فامتثلت أمره ورحت إلى المنزل فلما قربت من المنزل صرخت وأرخيت الدموع فاجتمع أهل الحارة كباراً وصغاراً وسمعت صوتي زوجة سيدي وبناته ففتحوا الباب وسألوني عن الخبر فقلت لهم أن سيدي كان جالساً تحت حائط قديمة هو وأصحابه فوقعت عليهم فلما رأيت ما جرى لهم ركبت البغلـة وجئـت مسـرعاً لأخبركم فلما سمع أولاده وزوجته ذلك الكلام صرخوا وشقوا ثيابهم ولطموا علـى وجـوههم فأتـت إلـيهم الجيران وأما زوجته سيدي فإنها قلبت متاع البيت بعضه على بعض وخلعت رفوفه وكسرت طبقاته وشبابيكه وسخمت حيطانه بطين ونيلة وقالت ويلك يا كافور تعال ساعدني وأخرب هذه الدواليب وكسر هذه الأوانـي والصيني فجئت إليها وأخرجت معها رفوف البيت وأتلفت ما عليها ودواليبه وأتلفت مـا فيهـا ودرت علـى السقوف وعلى كل محل حتى أخرجت الجميع وأنا أصيح واسيداة ثم خرجت سيدتي مكشوفة الوجـه بغطـاء رأسها لا غير وخرج معها البنات والأولاد وقالوا يا كافور امشي قدامنا وأرنا مكان سيدك الذي هو ميت فيه

تحت الحائط حتى نخرجه من تحت الردم ونحمله في تابوت ونجيء به إلى البيت فنخرجـه خرجـة مليحـة فمشيت قدامهم وأنا أصيح واسيداه وهم خلفي مكشوفوا الوجوه والرؤوس يصيحون وامصيبتاه وانكبتاه فلـم يبق أحد من الرجال ولا من النساء ولا من الصبيان ولا صبية ولا عجوزة إلا جاءت معنا وصـاروا كلهـم يلطمون وهم في شدة البكاء فمشيت بهم في المدينة فسأل الناس عن الخبر فأخبروهم بما سمعوا منـي فقـال الناس لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم أننا نمضي للوالي ونخبره فلما وصلوا إلى الوالي أخبروه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهم لما وصلوا إلى الوالي وأخبروه قام الوالي وركب وأخذ معه الفعلـة بالمساحي والقفف ومشوا تابعين أثرى ومعهم كثير من الناس وأنا قدامهم أبكي وأصيح وأحثوا التراب علـى رأسي وألطم على وجهي فلما دخلت عليهم ورآني سيدي وأنا ألطم وأقول واسيدتاه من يحن علي بعد سيدتي يا ليتني كنت فداءها فلما رآني سيدي بهت وأصفر لونه وقال مالك يا كافور وما هذا الحال وما الخبر فقلـت له أنك لما أرسلتني إلى البيت لأجني لك بالذي طلبته رحت إلى البيت ودخلته فرأيت الحائط التي في القاعـة وقعت فأنهدمت القاعة كلها على سيدتي وأولادها فقال لي وهل سيدتك لم تسلم فقال لا ما سلم منهم أحد وأول من مات منهم سيدتي الكبيرة فقال وهل سلمت بنتي الصغيرة فقلت له لا فقال لي وما حال البغلة التي أركبها هل هي سالمة فقلت له لا يا سيدي فإن حيطان البيت وحيطان الأصطبل انطبقت على جميع ما فـي البيـت حتى على الغنم والأوز والدجاج وصاروا كلهم كوم لحم وصاروا تحت الردم ولم يبق منهم ولم يبق من ذلك كله أثر وأما الغنم والأوز والدجاج فإن الجميع أكلها القطط والكلاب فلما سمع سيدي كلامي صار الضياء في وجهه ظلاماً ولم يقدر أن يتمالك نفسه ولا عقله ولم يقدر أن يقف على قدميه بل جاءه الكساح وانكسر ظهره ومزق أثوابه ونتف لحيته ولطم على وجهه ورمي عمامته من فوق رأسه ومازال يلطم على وجهه حتى سال منه الدم وصار يصيح آه وا أولاده آه وازوجتاه آه وامصيبتاه من جرى له مثل ما جرى لي فصاحت التجار رفقاؤه لصياحه وبكوا معه ورثوا لحاله وشقوا أثوابهم وخرج سيدي من ذلك البستان وهو يلطم من شدة مـا جرى له وأكثر اللطم على وجهه وصار كأنه سكران فبينما الجماعة خارجون من بـاب البسـتان وإذا هـم نظروا غبرة عظيمة وصياحات بأصوات مزعجة فنظروا إلى تلك الجهة فرأوا الجماعة المقبلين وهو الـوالي وجماعته والخلق والعالم الذين يتفرجون وأهل التاجر وراءهم يصرخون ويصيحون وهم في بكاء وحزن زائد فأول من لاقى سيدي زوجته وأولادها فلما رآهم بهت وضحك وقال لهم ما حالكم أنتم وما حصل لكـم فـي الدار وما جرى لكم فلما رأوه قالوا الحمد على سلامتك أنت ورموا أنفسـهم عليـه وتعلقـت أولاده بـه وصاحوا وا أبتاه الحمد على سلامتك يا أبانا وقالت له زوجته الحمد الذي أرانا وجهـك بسـلامة وقـد أندهشت وطار عقلها لما رأته وقالت له كيف كانت سلامتك أنت وأصحابك فقال لها وكيف كان حـالكم فـي الدار فقالوا نحن طيبون بخير وعافية وما أصاب دارنا شيء من الشر غير أن عبدك كـافوراً جـاء إلينـا مكشوف الرأس ممزق الأثواب وهو يصيح واسيداه فقلنا له ما الخبر يا كافور فقال أن سيدي جلـس تحـت حائط في البستان ليقضي حاجة فوقعت عليه فمات فقال لهم سيده وا أنه أتاني في هذه الساعة وهو يصـيح

واسيدتاه وأ أولاد سيدتاه وقال أن سيدتي وأولادها ماتوا جميعاً ثم نظر إلى جانبه فرآني وعمامتي ساقطة في رأسي وأنا أصيح وأبكي بكاء شديداً وأحثوا التراب على رأسي فصرخ على فأقبلت عليه فقال لي ويلك يا عبد النحس يا ابن الزانية يا ملعون الجنس ما هذه الوقائع التي عملتها ولكن وا لأسلخن جلدك عن لحمك وأقطعن لحمك عن عظمك فقلت له وا ما تقدر أن تعمل معي شيئاً لأنك قد اشتريتني على عيبي بهذا الشرط والشهود يشهدون عليك حين اشتريتني على عيبي وأنت عالم به وهو أني أكذب في كل سنة كذبة واحدة وهذه نصف كذبة فإذا كملت السنة كذبت نصفها الآخر فتبقى كذبة كاملة فصاح على يا ألعن العبيد هل هذا كله نصف كذبة وأنما هو داهية كبيرة اذهب عني فأنت حر فقلت وا أن أعتقتني أنت ما أعتقك أنا حتى تكمل السنة وأكذب نصف الكذبة الباقي وبعد أن أتمها فأنزل بي السوق وبعني بما اشتريتني به على عيبي ولا تعتقني فأنني مالي صنعة أقتات منها وهذه المسألة التي ذكرتها لك شرعية ذكرها الفقهاء في باب العتق فبينما نحن في الكلام وإذا بالخلايق والناس وأهل الحارة نساء ورجالاً قد جاءوا يعملون العزاء وجاء الوالي وجماعته فراح سيدي والتجار إلى الوالي وأعلموه بالقضية وأن هذه نصف كذبة فلما سمع الحاضرون ذلك منه استعظموا تلك الكذبة وتعجبوا غاية العجب فلعنوني وشتموني فبقيت واقفاً أضحك وأقول كيف يقتلني سيدي وقد اشتراني على هذا العيب فلما مضى سيدي إلى البيت وجده خراباً وأنا الذي أخربت معظمه وكسرت فيه شيئاً يساوي جملة من المال فقالت له زوجته أن كافور هو الذي كسر الأواني والصيني فازداد غيظه وقال وا ما رأيت عمري ولد زنا مثل هذا العبد ولأنه يقول إنها نصف كذبة فكيف لو كانت كذبة كاملة فحينئذ كان أخرب مدينة أو مدينتين ثم ذهب من شدة غيظه إلى الوالي فضربني علقة شديدة حتى غبت من الدنيا وغشي على فأتاني بالمزين في حال غشيتي فخصاني وكواني فلما أفقت وجدت نفسي خصياً وقال لي سيدي مثل ما أحرقت قلبي على أعز الشيء عندي أحرقت قلبك على أعز الشيء عندك ثم أخذني فباعني بأغلى ثمن لأني صرت طواشيا وما زلت القي الفتن في الأماكن التي أباع فيها وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

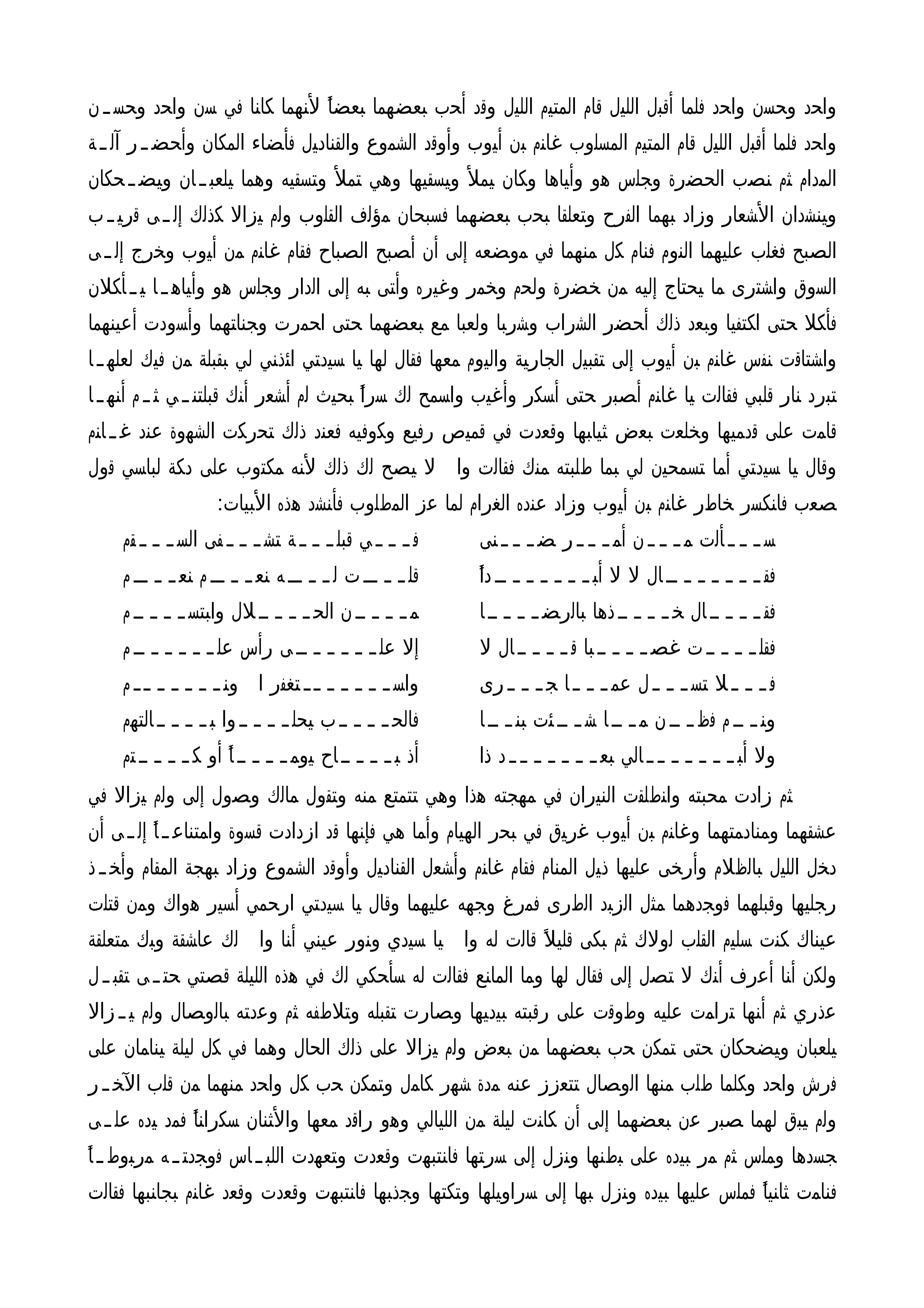
(وفي ليلة 55)

قالت بلغني أن العبد قال ومازلت ألقي الفتن في الأماكن التي أباع فيها وأنتقل من أمير إلى أمير ومن كبير إلى كبير بالبيع والشراء حتى دخلت قصر أمير المؤمنين وقد انكسرت نفسي وضعفت قوتي وأعدمت خصيتي فلما سمع العبدان كلامه ضحكا عليه وقالا له أنك خبيث بن خبيث قد كذبت كذباً شنيعاً. ثم قالوا للعبد الثالث أحك لنا حكايتك قال لهم يا أولاد عمي كل ما حكى هذا بطال فأنا أحكي لكم سبب قطع خصيتي وقد كنت استحق أكثر من ذلك لأني كنت نكحت سيدتي وابن سيدتي والحكاية معي طويلة وما هذا وقت حكايتها لأن الصباح يا أولاد عمي قريب وربما يطلع علينا الصباح ومعنا هذا الصندوق فننفضح بين الناس وتروح أرواحنا فدونكم فتح الباب فإذا فتحناه ودخلنا محلنا قلت لكم على سبب قطع خصيتي ثم تعلق ونزل من الحائط وفتح الباب فدخلوا وحطوا الشمع وحفروا حفرة على قدر الصندوق بين أربعة قبور وصار كافور يحفر وصواب ينقل التراب بالقفف إلى أن حفر وأنصف قامة ثم حطوا الصندوق في الحفرة وردوا عليه التراب وخرجوا من التربة وردوا الباب وغابوا عن عين غانم بن أيوب فلما خلا لغانم المكان وعلم أنه وحده اشتغل

سره بما في الصندوق وقال في نفسه يا ترى أي شيء في الصندوق ثم صبر حتى برق الفجـر ولاح وبـان ضياؤه فنزل من فوق النخلة وأزال التراب بيده حتى كشف الصندوق وخلصه ثم أخذ حجراً وضرب القفـل فكسره وكشف الغطاء ونظر فرأى صبية نائمة مبنجة ونفسها طالع ونازل إلا أنها ذات حسن وجمال وعليهـا حلي ومصاغ من الذهب وقلائد من الجوهر تساوي ملك السلطان ما يفي بثمنها مال فلما رآها غانم بن أيوب عرف أنهم تغامزوا عليها فلما تحقق ذلك الأمر عالج فيها حتى أخرجها من الصندوق وأرقدها على قفاها فلما استنشقت الأرياح ودخل الهواء في مناخرها عطست ثم شرقت وسعلت فوقع من حلقها قرص بنج لو شـمه الفيل لرقد من الليل إلى الليل ففتحت عينيها وأدارت طرفها وقالت بكلام فصيح ويلك يا ريح مـا فيـك ري للعطشان ولا أنس للريان أين زهر البستان فلم يجاوبها أحد فالتفتت وقالت صبيحة شجرة الدر نـور الهـدى نجمة الصبح أنت في شهر نزهة حلوة ظريفة تكلموا فلم يجبها أحد فجالت بطرفها وقالت ويلي عند إنزالـي في القبور يا من يعلم ما في الصدور ويجازى يوم البعث والنشور من جاء بي من بـين السـتور والخـدور ووضعني بين أربعة قبور هذا كله وغانم واقف على قدميه فقال لها يا سيدتي لا خدور ولا قصور ولا قبـور ما هذا إلا عبدك غانم بن أيوب ساقه إليك الملك علام الغيوب حتى ينجيك من هذه الكروب ويحصل لك غاية المطلوب وسكت فلما تحققت الأمر قالت أشهد أن لا إله إلا ا وأشهد أن محمداً رسول ا والتفتت إلى غانم وقد وضعت يديها على صدرها وقالت له بكلام عذب أيها الشاب المبارك من جاء بي إلى هذا المكان فها أنا قد أفقت فقال يا سيدتي ثلاثة عبيد خصيون أتوا وهم حاملون هذا الصندوق ثم حكى لها جميع ما جرى وكيف أمسى عليه المساء حتى كان سبب سلامتها وإلا كانت ماتت بغصتها ثم سألها عن حكايتها وخبرها فقالت لـه أيها الشاب الحمد الذي رماني عند مثلك فقم الآن وحطني في الصندوق وأخرج إلى الطريق فإذا وجـدت مكارياً أو بغالاً فأكثره لحمل هذا الصندوق وأوصلني إلى بيتك فإذا صرت في دارك يكون خيراً وأحكي لـك حكايتي وأخبرك بقصتي ويحصل لك الخير من جهتي ففرح وخرج إلى البرية وقد شعشع النهـار وطلعـت الشمس بالأنوار وخرجت الناس ومشوا فأكترى رجلاً ببغل وأتى به إلى التربة فحمل الصندوق بعدما حط فيه الصبية ووقعت محبتها في قلبه وسار بها وهو فرحان لأنها جارية تساوي عشرة آلاف دينار وعليهـا حلـى وحلل يساوي مالا جزية وما صدق أن يصل إلى داره وأنزل الصندوق وفتحـه وأدرك شـهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن غانم بن أيوب وصل إلى داره بالصندوق وفتحه وأخرج الصبية منـه ونظرت فرأت هذا المكان محلاً مليحاً مفروشاً بالبسط الملونة والألوان المفرحة وغيـر ذلـك ورأت قماشـاً محزوماً وأحمالاً وغير ذلك فعلمت أنه تاجر كبير صاحب أموال ثم أنها كشفت وجهها ونظرت إليه فإذا هـو شاب مليح فلما رأته أحبته وقالت له هات لنا شيئاً نأكله فقال لها غانم على الرأس والعين ثـم نـزل السـوق واشترى خروفاً مشوياً وصحن حلاوة وأخذ معه نقلاً وشمعاً وأخذ معه نبيذاً وما يحتاج إليه الأمر مـن آلـة المشموم وأتى إلى البيت ودخل بالحوائج فلما رأته الجارية ضحكت وقبلته وأعتنقته وصارت تلاطفه فازدادت عنده المحبة واحتوت على قلبه ثم أكلا وشربا إلى أن أقبل الليل وقد أحب بعضهما بعضاً لأنهما كانا في سن



واحد وحسن واحد فلما أقبل الليل قام المتيم الليل وقد أحب بعضهما بعضاً لأنهما كانا في سن واحد وحسـن واحد فلما أقبل الليل قام المتيم المسلوب غانم بن أيوب وأوقد الشموع والقناديل فأضاء المكان وأحضـر آلـة المدام ثم نصب الحضرة وجلس هو وأياها وكان يملأ ويسقيها وهي تملأ وتسقيه وهما يلعبـان ويضـحكان وينشدان الأشعار وزاد بهما الفرح وتعلقا بحب بعضهما فسبحان مؤلف القلوب ولم يزالا كذلك إلـى قريـب الصبح فغلب عليهما النوم فنام كل منهما في موضعه إلى أن أصبح الصباح فقام غانم من أيوب وخرج إلـى السوق واشترى ما يحتاج إليه من خضرة ولحم وخمر وغيره وأتى به إلى الدار وجلس هو وأياهـا يـأكلان فأكلا حتى اكتفيا وبعد ذلك أحضر الشراب وشربا ولعبا مع بعضهما حتى احمرت وجناتهما وأسودت أعينهما واشتاقت نفس غانم بن أيوب إلى تقبيل الجارية واليوم معها فقال لها يا سيدتي ائذني لي بقبلة من فيك لعلهـا تبرد نار قلبي فقالت يا غانم أصبر حتى أسكر وأغيب واسمح لك سراً بحيث لم أشعر أنك قبلتنـي ثـم أنهـا قامت على قدميها وخلعت بعض ثيابها وقعدت في قميص رفيع وكوفيه فعند ذلك تحركت الشهوة عند غـانم وقال يا سيدتي أما تسمحين لي بما طلبته منك فقالت وا لا يصح لك ذلك لأنه مكتوب على دكة لباسي قول صعب فانكسر خاطر غانم بن أيوب وزاد عنده الغرام لما عز المطلوب فأنشد هذه الأبيات:

سـألت مـن أمـر ضـنى … فـي قبلـة تشـفى السـقم

فقـال لا لا أبـداً … قلـت لـه نعـم نعـم

فقـال خـذها بالرضـا … مـن الحـلال وابتسـم

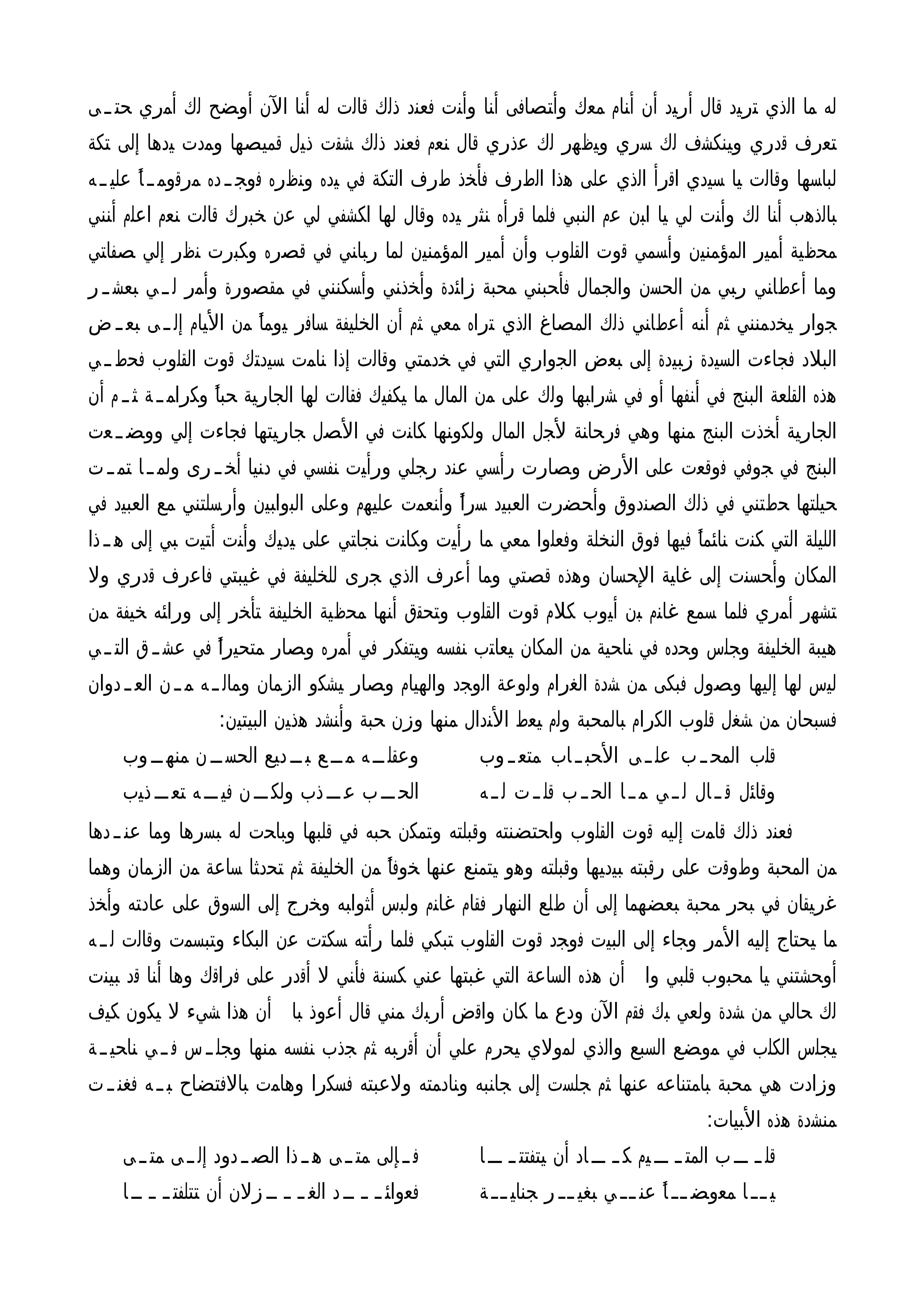
فقلـت غصـبا قـال لا … إلا علـى رأس علـم

فـلا تسـل عمـا جـرى … واسـتغفر ا ونـم

ونـم فظـن مـا شـئت بنـا … فالحـب يحلـوا بـالتهم

ولا أبـالي بعـد ذا … أذ بـاح يومـاً أو كـتم

ثم زادت محبته وانطلقت النيران في مهجته هذا وهي تتمتع منه وتقول مالك وصول إلى ولم يزالا في عشقهما ومنادمتهما وغانم بن أيوب غريق في بحر الهيام وأما هي فإنها قد ازدادت قسوة وامتناعـاً إلـى أن دخل الليل بالظلام وأرخى عليها ذيل المنام فقام غانم وأشعل القناديل وأوقد الشموع وزاد بهجة المقام وأخـذ رجليها وقبلهما فوجدهما مثل الزبد الطرى فمرغ وجهه عليهما وقال يا سيدتي ارحمي أسير هواك ومن قتلت عيناك كنت سليم القلب لولاك ثم بكى قليلاً قالت له وا يا سيدي ونور عيني أنا وا لك عاشقة وبك متعلقة ولكن أنا أعرف أنك لا تصل إلى فقال لها وما المانع فقالت له سأحكي لك في هذه الليلة قصتي حتـى تقبـل عذري ثم أنها ترامت عليه وطوقت على رقبته بيديها وصارت تقبله وتلاطفه ثم وعدته بالوصال ولم يـزالا يلعبان ويضحكان حتى تمكن حب بعضهما من بعض ولم يزالا على ذلك الحال وهما في كل ليلة ينامان على فرش واحد وكلما طلب منها الوصال تتعزز عنه مدة شهر كامل وتمكن حب كل واحد منهما من قلب الآخـر ولم يبق لهما صبر عن بعضهما إلى أن كانت ليلة من الليالي وهو راقد معها والأثنان سكراناً فمد يده علـى جسدها وملس ثم مر بيده على بطنها ونزل إلى سرتها فانتبهت وقعدت وتعهدت اللبـاس فوجدتـه مربوطـاً فنامت ثانياً فملس عليها بيده ونزل بها إلى سراويلها وتكتها وجذبها فانتبهت وقعدت وقعد غانم بجانبها فقالت



له ما الذي تريد قال أريد أن أنام معك وأتصافى أنا وأنت فعند ذلك قالت له أنا الآن أوضح لك أمري حتـى تعرف قدري وينكشف لك سري ويظهر لك عذري قال نعم فعند ذلك شقت ذيل قميصها ومدت يدها إلى تكة لباسها وقالت يا سيدي اقرأ الذي على هذا الطرف فأخذ طرف التكة في يده ونظره فوجـده مرقومـاً عليـه بالذهب أنا لك وأنت لي يا ابن عم النبي فلما قرأه نثر يده وقال لها اكشفي لي عن خبرك قالت نعم اعلم أنني محظية أمير المؤمنين وأسمي قوت القلوب وأن أمير المؤمنين لما رباني في قصره وكبرت نظر إلي صفاتي وما أعطاني ربي من الحسن والجمال فأحبني محبة زائدة وأخذني وأسكنني في مقصورة وأمر لـي بعشـر جوار يخدمنني ثم أنه أعطاني ذلك المصاغ الذي تراه معي ثم أن الخليفة سافر يوماً من الأيام إلـى بعـض البلاد فجاءت السيدة زبيدة إلى بعض الجواري التي في خدمتي وقالت إذا نامت سيدتك قوت القلوب فحطـي هذه القلعة البنج في أنفها أو في شرابها ولك على من المال ما يكفيك فقالت لها الجارية حباً وكرامـة ثـم أن الجارية أخذت البنج منها وهي فرحانة لأجل المال ولكونها كانت في الأصل جاريتها فجاءت إلي ووضـعت البنج في جوفي فوقعت على الأرض وصارت رأسي عند رجلي ورأيت نفسي في دنيا أخـرى ولمـا تمـت حيلتها حطتني في ذلك الصندوق وأحضرت العبيد سراً وأنعمت عليهم وعلى البوابين وأرسلتني مع العبيد في الليلة التي كنت نائماً فيها فوق النخلة وفعلوا معي ما رأيت وكانت نجاتي على يديك وأنت أتيت بي إلى هـذا المكان وأحسنت إلى غاية الإحسان وهذه قصتي وما أعرف الذي جرى للخليفة في غيبتي فاعرف قدري ولا تشهر أمري فلما سمع غانم بن أيوب كلام قوت القلوب وتحقق أنها محظية الخليفة تأخر إلى ورائه خيفة من هيبة الخليفة وجلس وحده في ناحية من المكان يعاتب نفسه ويتفكر في أمره وصار متحيراً في عشـق التـي ليس لها إليها وصول فبكى من شدة الغرام ولوعة الوجد والهيام وصار يشكو الزمان ومالـه مـن العـدوان فسبحان من شغل قلوب الكرام بالمحبة ولم يعط الأنذال منها وزن حبة وأنشد هذين البيتين:

قلب المحـب علـى الأحبـاب متعـوب   وعقلـه مـع بـديع الحسـن منهـوب

وقائل قـال لـي مـا الحـب قلـت لـه   الحـب عـذب ولكـن فيـه تعـذيب

فعند ذلك قامت إليه قوت القلوب واحتضنته وقبلته وتمكن حبه في قلبها وباحت له بسرها وما عنـدها من المحبة وطوقت على رقبته بيديها وقبلته وهو يتمنع عنها خوفاً من الخليفة ثم تحدثا ساعة من الزمان وهما غريقان في بحر محبة بعضهما إلى أن طلع النهار فقام غانم ولبس أثوابه وخرج إلى السوق على عادته وأخذ ما يحتاج إليه الأمر وجاء إلى البيت فوجد قوت القلوب تبكي فلما رأته سكتت عن البكاء وتبسمت وقالت لـه أوحشتني يا محبوب قلبي وا أن هذه الساعة التي غبتها عني كسنة فأني لا أقدر على فراقك وها أنا قد بينت لك حالي من شدة ولعي بك فقم الآن ودع ما كان واقض أربك مني قال أعوذ با أن هذا شيء لا يكون كيف يجلس الكلب في موضع السبع والذي لمولاي يحرم علي أن أقربه ثم جذب نفسه منها وجلـس فـي ناحيـة وزادت هي محبة بامتناعه عنها ثم جلست إلى جانبه ونادمته ولاعبته فسكرا وهامت بالافتضاح بـه فغنـت منشدة هذه الأبيات:

قلـــب المتـــيم كـــاد أن يتفتتـــا   فـإلى متـى هـذا الصـدود إلـى متـى

يـــا معوضـــاً عنـــي بغيـــر جنايـــة   فعوائـــد الغـــزلان أن تتلفتـــا

صـد وهجـر زائـد وصـبابة … مـا كـل هـذا الأمـر يحملـه الفتى

فبكى غانم بن أيوب وبكت هي لبكائه ولم يزالا يشربان إلى الليل ثم قام غانم وفرش فرشين كل فرش في مكان وحده فقالت له قوت القلوب لمن هذا الفرش الثاني فقال لها هذا لي والآخر لك ومن الليلة لا ننام إلا على هذا النمط وكل شيء للسيد حرام على العبد فقالت يا سيدي دعنا من هذا وكل شيء يجري بقضاء وقدر فأبى فأنطلقت النار في قلبها وزاد غرامها فيه وقالت وا ما ننام إلا سواء فقال معاذ ا وغلب عليها ونام وحده إلى الصباح فزاد بها العشق والغرام واشتد بها الوجد والهيام وأقاما على ذلك ثلاثة أشهر طوال وهي كلما تقرب منه يمتنع عنها ويقول كل ما هو مخصوص بالسيد حرام على العبد فلما طال بها المطال مع غانم بن أيوب المتيم المسلوب وزادت بها الشجون والكروب أنشدت هذه الأبيات:

بـديع الحسـن كـم هـذا التجنـي … ومـن أغـراك بـالأعراض عنـي

حويـت مـن الرشـاقة كـل معنـى … وحـزت مـن الملاحـة كـل فـن

وأجريـت الغـرام لكـل قلـب … وكللـت السـهاد بكـل جفـن

وأعـرف قلبـك الأغصـان تجنـي … فيـا غصـن الأراك أراك تجنـي

وعهـدي بالظبـا صـيد فمـالي … أراك تصـيد أربـاب المجـن

وأعجـب مـا أحـدث عنـك أنـي … فتنـت وأنـت لـم تعلـم بـأني

فـلا تسـمح بوصـلك لـي فـأني … أغـار عليـك منـك فكيـف منـي

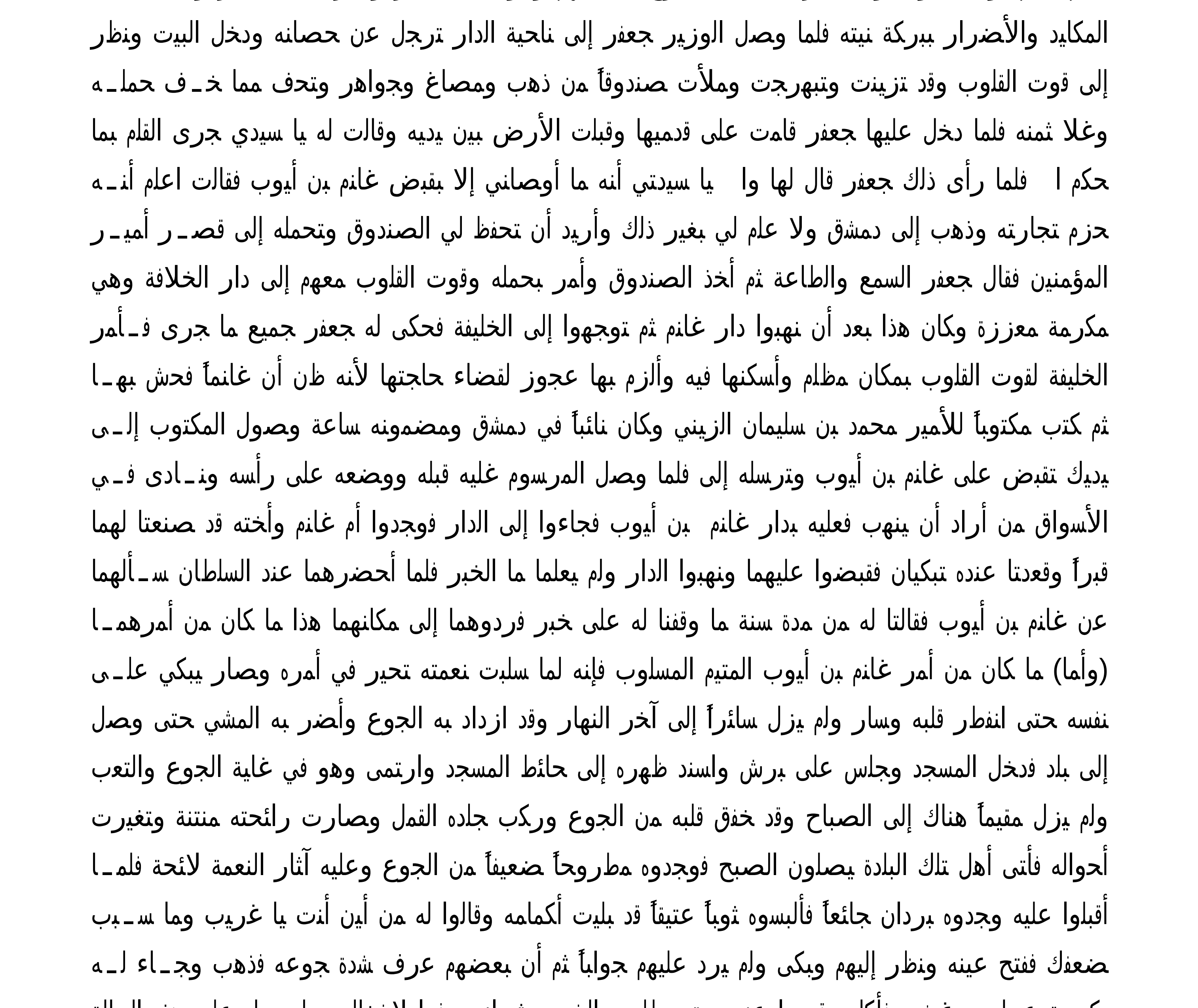
ولسـت بقائـل مـا دمـت حيـا … بـديع الحسـن كـم هـذا التجنـي

وأقاموا على هذا الحال مدة والخوف يمنع غانماً عنها فهذا ما كان من أمر المتيم المسلوب غانم أيوب (وأما) ما كان من أمر زبيدة فإنها في غيبة الخليفة فعلت بقوت القلوب ذلك الأمر ثم صارت متحيرة تقول في نفسها ما أقول للخليفة إذا جاء وسأل عنها وما يكون جوابي له فدعت بعجوز كانت عندها وأطلعتها على سرها وقالت لها كيف أفعل وقت القلوب قد فرط فيها الفرط فقالت لها العجوز لما فهمت الحال اعلمي يا سيدتي أنه قرب مجيء الخليفة ولكن أرسلي إلى نجار وأمريه أن يعمل صورة ميت من خشب ويحفروا له قبراً وتوقد حوله الشموع والقناديل وأمري كل منن في القصر أن يلبسوا الأسود وأمري جواريك والخدام إذا علموا أن الخليفة أتى من سفره أن يشيعوا الحزن في الدهليز فإذا دخل وسأل عن الخبر يقولون إن قوت القلوب ماتت ويعظم ا أجرك فيها ومن معزتها عند سيدتنا دفنتها في قصرها فإذا سمع ذلك يبكي ويعز عليه ثم يسهر القراء على قبرها لقراءة الختمان فإن قال في نفسه إن بنت عمي زبيدة من غيرتها سعت في هلاك قوت القلوب أو غلب عليه الهيام فأمر بإخراجها من القبر فلا تفزعي من ذلك ولو حفروا على تلك الصورة التي على هيئة ابن آدم وأخرجوها وهي مكفنة بالأكفان الفاخرة فإن أراد الخليفة إزالة الأكفان عنها لينظرها فأمنعيه أنت من ذلك والأخرى يمنعه وتقول رؤية عورتها حرام فيصدق حينئذ أنها ماتت ويردها إلى مكانها ويشكرك على فعالك وتخلصين إن شاء ا تعالى من هذه الورطة فلما سمعت السيدة زبيدة كلامها ورأت أنه صواب خلعت عليها خلعة وأمرتها أن تفعل ذلك بعد ما أعطتها جملة من المال فشرعت العجوز في ذلك الأمر حالاً وأمرت النجار أن يعمل لها صورة كما ذكرنا وبعد تمام الصورة جاءت بها إلى السيدة زبيدة

فكفنتها وأوقدت الشموع والقناديل وفرشت البسط حول القبر ولبست الواد وأمرت الجواري أن يلبسن السـواد واشتهر الأمر في القصر أن قوت القلوب ماتت ثم بعد مدة أقبل الخليفة من غيبته وطلع إلى قصره ولكن ماله شغل إلا قوت القلوب فرأى الغلمان والخدام والجواري كلهم لابسين السواد فارتجف فؤاده فلما دخل القصـر على السيدة زبيدة رآها لابسة الأسود فسأل عن ذلك فأخبروه بموت قوت القلوب فوقع مغشياً عليه فلما أفـاق سأل عن قبرها فقالت له السيدة زبيدة اعلم يا أمير المؤمنين أنني من معزتها عندي دفنتها في قصري فـدخل الخليفة بثياب السفر إلى القصر ليزور قوت القلوب فوجد البسط مفروشة والشموع والقناديل موقودة فلما رأى ذلك شكرها على فعلها ثم أنه صار حائراً في أمره ولم يزل ما بين مصدق ومكذب فلما غاب عليه الوسواس أمر بحفر القبر وأخرجها منه فلما رأى الكفن وأراد أن يزيله عنها ليراها خاف من الله تعالى فقالت العجـوز ردوها إلى مكانها ثم إن الخليفة أمر في الحال بإحضار الفقهاء والمقرئين وقرأوا الختمات على قبرها وجلس بجانب القبر يبكي إلى أن غشي عليه ولم يزل قاعداً على قبرها شهراً كاملاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لم يزل يتردد على قبرها مدة شهر فـاتفق أن الخليفـة دخـل الحريم بعد انفضاض الأمراء والوزراء من بين يديه إلى بيوتهم ونام ساعة فجلست عند رأسه جارية وعنـد رجليه جارية وبعد أن غاب عليه النوم تنبه وفتح عينيه فسمع الجارية التي عند رأسه تقول للتي عند رجليـه ويلك يا خيزران قالت لأي شيء يا قضيب قالت لها إن سيدنا ليس عنده علم بما جري حتى إنه يسهر علـى قبر لم يكن فيه إلا خشبة منجرة صنعة النجار فقالت لها الأخرى وقرت القلوب أي شيء أصابها فقالت اعلمي أن السيدة زبيدة أرسلت مع جارية بنجاً وبنجتها فلما تحكم البنج منها وضعتها في صـندوق وأرسـلتها مـع صواب وكافور وأمرتهما أن يرمياها في التربة فقالت خيزران ويلك يا قضيب هل السيدة قوت القلـوب لـم تمت فقالت سلامة شبابها من الموت ولكن أنا سمعت السيدة زبيدة تقول إن قوت القلوب عند شاب تاجر اسمه غانم الدمشقي وأن لها عنده إلى هذا اليوم أربعة أشهر وسيدنا هذا يبكي ويسهر الليالي على قبر لم يكن فيـه الميت وصارتا تتحدثان بهذا الحديث والخليفة يسمع كلامهما فلما فرغ الجاريتان من الحديث وعرف القضـية وأن هذا القبر زور وأن قوت القلوب عند غانم بن أيوب مدة أربعة أشهر غضب غضباً شديداً وقام وأحضر أمراء دولته فعند ذلك أقبل الوزير جعفر البرمكي وقبل الأرض بين يديه فقال له الخليفة بغيظ أنزل يا جعفر بجماعة وأسأل عن بيت غانم بن أيوب وأهجموا على داره وأئتوني بجاريتي قوت القلوب ولابد لي أن أعذبه فأجابه جعفر بالسمع والطاعة فعند ذلك نزل جعفر هو ،اتباعه والوالي صحبته ولم يزالوا سـائرين إلـى أن وصلوا إلى دار غانم وكان غانم خرج في ذلك الوقت وجاء بقدر لحم وأراد أن يمد يده ليأكل منها هو وقوت القلوب فلاحت منه التفاته فوجد البلاط أحاط بالدار والوزير والوالي والظلمة والمماليـك بسـيوف مجـردة وداروا به كما يدور بالعين السواد فعند ذلك عرفت أن خبرها وصل إلى الخليفة سـيدها فأيقنـت بـالهلاك فالهلاك وأصفر لونها وتغيرت محاسنها ثم أنها نظرت إلى غانم وقالت له يا حبيبي فز بنفسك فقال لها كيـف أعمل وإلى أين أذهب ومالي ورزقي في هذا الدار فقالت له لا تمكث لئلا تهلك ويذهب مالك فقـال لهـا يـا

حبيبتي ونور عيني كيف أصنع في الخروج وقد أحاطوا بالدار فقالت له لا تخف ثم إنها نزعت ما عليه من الثياب وألبسته خلقاناً بالية وأخذت القدر التي كان فيها اللحم ووضعتها فوق رأسه وحطت فيها بعض خبز وزبدية طعام وقالت له أخرج بهذه الحيلة ولا عليك مني فأنا أعرف أي شيء في يد من الخليفة فلما سمع

غانم كلام قوت القلوب وما أشارت عليه به خرج من بينهم وهو حامل القدر وستر عليه الستار ونجا من المكايد والأضرار ببركة نيته فلما وصل الوزير جعفر إلى ناحية الدار ترجل عن حصانه ودخل البيت ونظر إلى قوت القلوب وقد تزينت وتبهرجت وملأت صندوقاً من ذهب ومصاغ وجواهر وتحف مما خف حمله وغلا ثمنه فلما دخل عليها جعفر قامت على قدميها وقبلت الأرض بين يديه وقالت له يا سيدي جرى القلم بما حكم ا فلما رأى ذلك جعفر قال لها وا يا سيدتي أنه ما أوصاني إلا بقبض غانم بن أيوب فقالت اعلم أنه حزم تجارته وذهب إلى دمشق ولا علم لي بغير ذلك وأريد أن تحفظ لي الصندوق وتحمله إلى قصر أمير المؤمنين فقال جعفر السمع والطاعة ثم أخذ الصندوق وأمر بحمله وقوت القلوب معهم إلى دار الخلافة وهي مكرمة معززة وكان هذا بعد أن نهبوا دار غانم ثم توجهوا إلى الخليفة فحكى له جعفر جميع ما جرى فأمر الخليفة لقوت القلوب بمكان مظلم وأسكنها فيه وألزم بها عجوز لقضاء حاجتها لأنه ظن أن غانماً فحش بها ثم كتب مكتوباً للأمير محمد بن سليمان الزيني وكان نائباً في دمشق ومضمونه ساعة وصول المكتوب إلى يديك تقبض على غانم بن أيوب وترسله إلى فلما وصل المرسوم غليه قبله ووضعه على رأسه ونادى في الأسواق من أراد أن ينهب فعليه بدار غانم بن أيوب فجاءوا إلى الدار فوجدوا أم غانم وأخته قد صنعتا لهما قبراً وقعدتا عنده تبكيان فقبضوا عليهما ونهبوا الدار ولم يعلما ما الخبر فلما أحضرهما عند السلطان سألهما عن غانم بن أيوب فقالتا له من مدة سنة ما وقفنا له على خبر فردوهما إلى مكانهما هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر غانم بن أيوب المتيم المسلوب فإنه لما سلبت نعمته تحير في أمره وصار يبكي على نفسه حتى انفطر قلبه وسار ولم يزل سائراً إلى آخر النهار وقد ازداد به الجوع وأضر به المشي حتى وصل إلى بلد فدخل المسجد وجلس على برش واسند ظهره إلى حائط المسجد وارتمى وهو في غاية الجوع والتعب ولم يزل مقيماً هناك إلى الصباح وقد خفق قلبه من الجوع وركب جلده القمل وصارت رائحته منتنة وتغيرت أحواله فأتى أهل تلك البلدة يصلون الصبح فوجدوه مطروحاً ضعيفاً من الجوع وعليه آثار النعمة لائحة فلما أقبلوا عليه وجدوه بردان جائعاً فألبسوه ثوباً عتيقاً قد بليت أكمامه وقالوا له من أين أنت يا غريب وما سبب ضعفك ففتح عينه ونظر إليهم وبكى ولم يرد عليهم جواباً ثم أن بعضهم عرف شدة جوعه فذهب وجاء له بكرجة عسل ورغيفين فأكل وقعدوا عنده حتى طلعت الشمس ثم انصرفوا لإشغالهم ولم يزل على هذه الحالة شهراً وهو عندهم وقد تزايد عليه الضعف والمرض فتعطفوا عليه وتشاوروا مع بعضهم في أمره ثم أتفقوا على أن يوصلوه إلى المارستان الذي ببغداد فبينما هم كذلك وإذا بأمرأتين سائلتين قد دخلتا عليه وهما أمه وأخته فلما رآهما أعطاهما الخبز الذي عند رأسه ونامتا عنده تلك الليلة ولم يعرفهما فلما كان ثاني يوم أتاه أهل القرية وأحضروا جملاً وقالوا لصاحبه أجمل لهذا الضعيف فوق الجمل فإذا وصلت على بغداد فأنزله على باب المارستال لعله يتعافى فيحصل لك الأجر فقال لهم السمع والطاعة ثم أنهم أخرجوا غانم بن أيوب من المسجد وحملوه بالبرش الذي هو نائم عليه فوق الجمل وجاءت أمه وأخته يتفرجان عليه من جملة الناس

ولم يعلما به ثم نظرتا إليه وتأملتاه وقالتا أنه يشبه غانماً ابننا فيا ترى هل هو هذا الضعيف أولاً وأما غانم فإنه لم يفق إلا وهو محمول فوق الجمل فصار يبكي وينوح وأهل القرية ينظرون وأمه وأخته يبكيان عليه ولم يعرفانه ثم سافرت أمه وأخته إلى أن وصلتا إلى بغداد وأما الجمال فإنه لم يزل سائراً به حتى أنزله على باب المارستان وأخذ جملة ورجع فمكث غانم راقداً هناك إلى الصباح فلما درجت الناس في الطريق نظروا إليه وقد صار رق الخلال ولم يزل الناس يتفرجون عليه حتى جاء شيخ السوق ومنع الناس عنه وقال أنا أكتسب الجنة بهذا المسكين لأنهم متى أدخلوه المارستان قتلوه في يوم واحد ثم أمر صبيانه بحمله فحملوه إلى بيته وفرش له فرشاً جديداً ووضع له مخدة جديدة وقال لزوجته أخدميه بنصح فقالت على الرأس ثم شمرت وسخنت له ماء وغسلت يديه ورجليه وبدنه وألبسته ثوباً من لبس جواريها وسقته قدح شراب ورشت عليه ماء ورد فأفاق وتذكر محبوبته قوت القلوب فزادت به الكروب هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر قوت القلوب فإنه لما غضب عليها الخليفة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قوت القلوب لما غضب عليها الخليفة وأسكنها في مكان مظلم استمرت فيه على هذا الحال ثمانين يوماً فاتفق أن الخليفة مر يوماً من الأيام على ذلك المكان فسمع قوت القلوب تنشد الأشعار فلما فرغت من أنشادها قالت يا حبيبي يا غانم ما أحسنك وما أعف نفسك قد أحسنت لمن أساءك وحفظت حرمة من انتهك حرمتك وسترت حريمه وهو سباك وسبى أهلك ولابد أن تقف أنت وأمير المؤمنين بين يدي حاكم عادل وتنتصف عليه في يوم يكون القاضي هو ا والشهود هم الملائكة فلما سمع الخليفة كلامها وفهم شكواها علم أنها مظلومة فدخل قصره وأرسل الخادم لها فلما حضرت بين يديه أطرقت وهي باكية العين حزينة القلب فقال يا قوت القلوب أراك تتظلمين مني وتنسبيني إلى الظلم وتزعمين أني أسأت على من أحسن إلي فمن هو الذي حفظ حرمتي وانتهكت حرمته وستر حريمي وسبيت حريمه فقالت له غانم بن أيوب فإنه لم يقربني بفاحشة وحق نعمتك يا أمير المؤمنين فقال الخليفة لاحول ولا قوة إلا با يا قوت القلوب تمني على فأنا أبلغك مرادك قالت تمنيت عليك محبوبي غانم بن أيوب فلما سمع كلامها قال أحضره أن شاء ا مكرماً فقالت يا أمير المؤمنين أن أحضرته أتهبني له فقال أن أحضرته وهبتك هبة كريم لا يرجع في عطائه فقالت يا أمير المؤمنين أئذن لي أن أدور عليه لعل ا يجمعني به فقال لها افعلي مجدا لك ففرحت وخرجت ومعها ألف دينار فزارت المشايخ وتصدقت عنه وطلعت ثاني يوم إلى التجار وأعطت عريف السوق دراهم وقالت له تصدق بها على الغرباء ثم طلعت ثاني جمعة ومعها ألف دينار ودخلت سوق الصاغة وسوق الجواهرجية وطلبت عريف السوق فحضر فدفعت له ألف دينار وقالت له تصدق بها على الغرباء فظهر إليها العريف وهو شيخ السوق وقال لها هل لك أن تذهبي إلى داري وتنظري إلى هذا الشاب الغريب ما أظرفه وما أكمله وكان هو غانم بن أيوب المتيم المسلوب ولكن العريف ليس له به معرفة وكان يظن أنه رجل مسكين مديون سلبت نعمته أو عاشق فارق أحبته فلما سمعت كلامه خفق قلبها وتعلقت به أحشاؤها فقالت له أرسل معي من يوصلني إلى دارك فأرسل معها صبياً صغيراً فأوصلها إلى الدار التي فيها الغريب فشكرته على ذلك فلما دخلت تلك الدار وسلمت على زوجة العريف قامت زوجة

العريف وقبلت الأرض بين يديها لأنها عرفتها فقالت لها قوت القلوب أين الضعيف الذي عندكم فبكت وقالت ها هو يا سيدتي إلا أنه ابن ناس وعليه أثر النعمة فالتفتت إلى الفرش الذي هو راقد عليه وتأملته فرأته كأنه هو بذاته ولكنه قد تغير حاله وزاد نحوله ورق إلى أن صار كالخلال واتبهم عليها أمره فلم تتحقق أنه هو ولكن أخذها الشفقة عليه فصارت تبكي وتقول أن الغرباء مساكين وأن كانوا أمراء في بلادهم ورتبت له الشراب والأدوية ثم جلست عند رأسه ساعة وركبت وطلعت إلى قصرها وصارت تطلع في كل سوق لأجل التفتيش على غانم ثم أن العريف أتى بأمه وأخته فتنة ودخل بهما على قوت القلوب وقال يا سيدة المحسنات قد دخل مدينتنا في هذا اليوم امرأة وبنت وهما من وجوه الناس وعليهما أثر النعمة لائح لكنهما لابستان ثياباً من الشعر وكل واحدة معلقة في رقبتها مخلاة وعيونهما باكية وقلوبهما حزينة وها أنا أتيت بهما إليك لتأويهما وتصونيهما عن ذل السؤال لأنهما ليستا أهلاً لسؤال اللئام وأن شاء ا ندخل بسببهما الجنة فقالت وا يا سيدي لقد شوقتني إليهما وأين هم فأمرهما بالدخول فعند ذلك دخلت فتنة وأمها على قوت القلوب فلما نظرتهما قوت القلوب وهما ذاتا جمال بكت عليهما وقالت وا أنهما أولاد نعمة ويلوح عليهما أثر الغنى فقال العريف يا سيدتي أننا نحب الفقراء والمساكين لأجل الثواب وهؤلاء ربما جار عليهم اللمة وسلبوا نعمتهم وأخربوا ديارهم ثم أن المرأتين بكيتا بكاء شديداً وتفكرتا غانم بن أيوب المتيم المسلوب فزاد نحبهما فلما بكيتا بكت قوت القلوب لبكائهما ثم أن أمه قالت نسأل ا أن يجمعنا بمن نريده وهو ولدي غانم بن أيوب فلما سمعت قوت القلوب هذا الكلام علمت أن هذه المرأة أم معشوقها وأن الأخرى أخته فبكت هي حتى غشي عليها فلما أفاقت أقبلت عليهما وقالت لهما لا بأس عليكما فهذا اليوم أول سعادتكما وآخر شقاوتكما فلا تحزنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قوت القلوب قالت لهما لا تحزنا ثم مرت العريف أن يأخذهما إلى بيته ويخلي زوجته تدخلهما الحمام وتلبسهما ثياباً حسنة وتتوصى بهما وتكرمهما غاية الإكرام وأعطته جملة من المال وفي ثاني يوم ركبت قوت القلوب وذهبت إلى بيت العريف ودخلت عند زوجته فقامت إليها وقبلت يديها وشكرت إحسانها ورأت أم غانم وأخته وقد أدخلتهما زوجة العريف الحمام ونزعت ما عليهما من الثياب فظهرت عليهما آثار النعمة فجلست تحادثهما ساعة ثم سألت زوجة العريف عن المريض الذي عندها فقالت هو بحالة فقالت قوموا بنا نطل عليه ونعود فقامت هي وزوجة العريف وأم غانم وأخته ودخلن عليه وجلسن عنده فلما سمعهن غانم بن أيوب المتيم المسلوب يذكرون قوت القلوب وكان قد انتحل جسمه ورق عظمه ردت له روحه ورفع رأسه من فوق المخدة ونادى ياقوت القلوب فنظرت إليهم وتحققته فعرفته وصاحت بنولها نعم حبيبي فقال لها قربي مني فقالت له لعلك غانم بن أيوب المتيم المسلوب فقال لها نعم أنا هو فعند ذلك وقعت مغشياً عليها فلما سمعت أخته وأمه كلامهما صاحتا بقولهما وافرحتاه وقعتا مغشياً عليهما وبعد ذلك استفاقتا فقالت له قوت القلوب الحمد الذي جمع شملك بك وبامك وأختك يا أمير المؤمنين فصدق كلامي ورضي عنك وهو اليوم يتمنى أن يراك ثم قالت لغانم أن الخليفة وهبني لك ففرح بذلك غاية الفرح فقالت لهم قوت القلوب لا يبرحوا حتى أحضر ثم أنها قامت من وقتها وساعتها وانطلقت لي قصرها وحملت

الصندوق الذي أخذته من داره وأخرجت منه دنانير وأعطت العريف أياها وقالت له خذ هذه الدنانير واشتر لكل شخص منهم أربع بدلات كوامل من أحسن القماش وعشرين منديلاً وغير ذلك مما يحتاجون إليه ثم أنها دخلت بهما وبغانم الحمام وأمرت بغسلهم وعملت لهم المساليق وماء الخولنجان وماء التفاح بعد أن خرجوا من الحمام ولبسوا الثياب وأقامت عندهم ثلاثة أيام وهي تطعمهم لحم الدجاج والمساليق وتسقيهم السكر المكرر وبعد ثلاثة أيام ردت لهم أرواحهم وأدخلتهم الحمام ثانياً وخرجوا وغيرت عليهم الثياب وخلتهم في بيت العريف وذهبت إلى الخليفة وقبلت الأرض بين يديه وأعلمته بالقصة وأنه قد حضر سيدها غانم بن أيوب المتيم المسلوب وأن أمه وأخته قد حضرتا فلما سمع الخليفة كلام قوت القلوب قال للخدام علي بغانم فنزل جعفر إليه وكانت قوت القلوب قد سبقته ودخلت على غانم وقالت له أن الخليفة قد أرسل إليك ليحضرك بين يديه فعليك بفصاحة اللسان وثبات الجنان وعذوبة الكلام وألبسته حلة فاخرة وأعطته دنانير بكثرة وقالت له أكثر البذل إلى حاشية الخليفة وأنت داخل عليه وإذا بجعفر أقبل عليه وهو على بغلته فقام غانم وقابله وحياه وقبل الأرض بين يديه وقد ظهر كوكب سعده وارتفع طالع مجده فأخذه جعفر ولم يزالا سائرين حتى دخلا على أمير المؤمنين فلما حضرا بين يديه نظر إلى الوزراء والأمراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة وأصحاب الصولة وأن غانم فصيح اللسان ثابت الجنان رقيق العبارة أنيق الإشارة فاطرق برأسه إلى الأرض ثم نظر إلى الخليفة وأنشد هذه الأبيات:

أفديك من ملك عظيم الشأن ... متتابع الحسنات والأحسان

متوقد العزمات فياض الندى ... حدث عن الطوفان والنيران

لا يلجون بغيره من قيصر ... في ذا المقام وصاحب الأيوان

تضع الملوك على ثرى أعتابه ... عند السلام جواهر التيجان

حتى إذا شخصت له أبصارهم ... خروا لهيبته على الأذقان

ويفيدهم ذاك المقام مع الرضا ... رتب العلا وجلالة السلطان

ضاقت بعسكرك الفيافي والفلا ... فأضرب خيامك في ذرى كيوان

وأقرى الكواكب بالمواكب محسنا ... لشريف ذاك العالم الروحاني

وملكت شامخة الصياصي عنوة ... من حسن تدبير وثبت جنان

ونشرت عدلك في البسيطة كلها ... حتى استوى القاصي بها والداني

فلما فرغ من شعره طرب الخليفة من محاسن رونقه وأعجبه فصاحة لسانه وعذوبة منطقه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن غانم بن أيوب لما أعجب الخليفة فصاحته ونظمه وعذوبة منطقه قال له أدن مني فدنا منه ثم قال له اشرح لي قصتك وأطلعني على حقيقة خبرك فقعد وحدث الخليفة بما جرى له من المبتدأ إلى المنتهى فلما علم الخليفة أنه صادق خلع عليه وقربه إليه وقال ابريء ذمتي فأبر أذمته وقال له يا أمير المؤمنين أن العبد وما ملكت يداه لسيده ففرح الخليفة بذلك ثم أمر أن يفرد له قصر ورتب له من

الجوامك والجرايات شيئاً كثيراً فنقل أمه وأخته إليه وسمع الخليفة بأن أخته فتنة في الحسن فتنة فخطبها منـه فقال له غانم أنها جاريتك وأنا مملوكك فشكره وأعطاه مائة ألف دينار وأتى بالقاضي والشهود وكتبوا الكتاب ودخل هو وغانم في نهار واحد فدخل الخليفة على فتنة وغانم بن أيوب على قوت القلوب فلما أصبح الصباح أمر الخليفة أن يؤرخ جميع ما جرى لغانم من أوله إلى آخره وأن يدون في السجلات لأجل أن يطلع عليه من يأتي بعده فيتعجب من تصرفات الأقدار ويفوض الأمر إلى خالق الليل والنهار وليس هذا بأعجب من حكايـة عمر النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وما جرى لهم من العجائب والغرائب قال الملك وما حكايتهم.

(حكاية الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان بمدينة دمشق قبل خلافة عبد الملك بن مروان ملك يقال له عمر النعمان وكان من الجبابرة الكبار قد قهر الملوك الأكاسرة والقياصرة وكان لا يصطلي له بنـار ولا يجاريـه أحد في مضمار وإذا غضب يخرج من منخريه لهيب النار وكان قد ملك جميع الأقطار ونفذ حكمه في سائر القرى والأمصار وأطاع له جميع العباد ووصلت عساكره إلى أقصى البلاد ودخـل فـي حكمـه المشـرق والمغرب وما بينهما من الهند والسند والصين واليمن والحجاز والحبشة والسودان والشام والروم وديار بكـر وجزائر البحار وما في الأرض من مشاهير الأنهار كسيحون وجيحون والنيل والفرات وأرسل رسـله إلـى أقصى العمار ليأتوه بحقيقة الأخبار فرجعوا وأخبروه بأن سائر الناس أذعنت لطاعته وجميع الجبابرة خضعت لهيبته وقد عمهم بالفضل والامتنان وأشاع بينهم العدل والأمان لأنه كان عظيم الشأن وحملت إليه الهدايا مـن كل فكان وجبي إليه خراج الأرض في طولها والعرض وكان له ولد وقد سماه شركان لأنه نشأ آفة من آفات الزمان وقهر الشجعان وأباد الأقران فأحبه والده حباً شديداً ما عليه من مزيد وأوصى له بالملك من بعده ثـم أن شركان هذا حين بلغ مبلغ الرجال وصار له من العمر عشرون سنة أطاع له جميع العباد لما به من شـدة البأس والعناد وكان والده عمر النعمان له أربع نساء بالكتاب والسنة لكنه لم يرزق منهن بغير شركان وهـو من أحداهن والباقيات عواقر لم يرزق من واحدة منهن بولد ومع ذلك كان له ثلثمائة وستون سرية على عدد أيام السنة القبطية وتلك السراري من سائر الأجناس وكان قد بنى لكل واحدة منهن القصورة وكانت المقاصير من داخل القصر فإنه بنى أثنى عشر قصراً على عدد شهور السنة وجعل في كل قصـر ثلاثـين مقصـورة فكانت جملة المقاصير ثلثمائة وستون مقصورة وأسكن تلك الجواري في هذه المقاصير وفرض لكـل سـرية منهن ليلة يبيتها عندها وما يأتيها إلا بعد سنة كاملة فأقام على ذلك مدة من الزمان ثم أن ولده شركان اشتهر في سائر الآفاق ففرح به والده وأزداد قوة فطغى وتجبر وفتح الحصون والبلاد وأتفق بالأمر المقدر أن جارية من جواري النعمان قد حملت واشتهر حملها وعلم الملك بذلك ففرح فرحاً شديداً وقال لعل ذريتـي ونسـلي تكون كلها ذكوراً فارخ يوم حملها وصار يحسن إليها فعلم شركان بذلك فأغتم وعظم الأمر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شركان لما علم أن جارية أبيه قد حملت أغتم وعظم عليه ذلك وقال قد جاءني من ينازعني في المملكة فأضمر في نفسه أن هذه الجارية أن ولدت ولداً ذكراً قتله وكتم ذلك في نفسه

هذا ما كان من أمر شركان (وأما) ما كان من أمر الجارية فإنها كانت رومية وكان قد بعثها إليه هدية ملك الروم صاحب قيسارية وأرسل معها تحفاً كثيرة وكان اسمها صفية وكانت أحسن الجواري وأجملهن وجهاً وأونهن عرضاً وكانت ذات عقل وافر وجمال باهر وكانت تخدم الملك ليلة مبيتة عندها وتقول له أيها الملك كنت أشتهي من إله السماء أن يرزقك مني ولداً ذكراً حتى أحسن تربيته لك وأبالغ في أدبه وصيانته فيفرح الملك ويعجبه ذلك الكلام فما زالت كذلك حتى كملت أشهرها فجلست على كرسي الطلق وكانت على صلاح تحسن العبادة فتصلي وتدعو ا أن يرزقها بولد صالح ويسهل عليها ولادته فتقبل ا منها دعاءها وكان الملك قد وكل بها خادماً يخبره بما تضعه هل هو ذكر أو أنثى وكذلك ولده شركان أرسل من يعرفه بذلك فلما وضعت صفية ذلك المولود تأملته القوابل فوجدنه بنتاً بوجه أبهى من القمر فأعلمن الحاضرين بذلك فرجع رسول الملك وأخبره بذلك وكذلك رسول شركان أخبره بذلك ففرح فرحاً شديداً فلما أنصرف الخدام قالت صفية للقوابل أمهلوا علي ساعة فأني أحس بأن أحشائي فيها شيء آخر ثم تأوهت وجاءها الطلق ثانياً وسهل ا عليها فوضعت مولوداً ثانياً فنظرت إليه القوابل فوجدته ولداً ذكراً يشبه البدر بجبين أزهر وخد أحمر مورد ففرحت به الجارية والخدام والحشم وكل من حضر ورمت صفية الخلاص وقد أطلقوا الزغاريد في القصر فسمع بقية الجواري بذلك فحسدنها وبلغ عمر النعمان الخبر ففرح واستبشر وقام ودخل عليها وقبل رأسها ونظر إلى المولود ثم أنحنى عليه وقبله وضربت الجواري بالدفوف ولعبت بالآلات وأمر الملك أن يسموا المولود ضوء المكان وأخته نزهة الزمان فامتثلوا أمره وأجابوا بالسمع والطاعة ورتب لهم الملك من يخدمهم من المراضع والخدم والحشم والدايات ورتب لهم الرواتب من السكر والأشربة والأدهان وغير ذلك مما يكل عن وصفه اللسان وسمعت أهل دمشق بما رزق ا الملك من الأولاد فزينت المدينة وأظهر والفرح والسرور وأقبلت الأمراء والوزراء وأرباب الدولة وهنوا الملك عمر النعمان بولده ضوء المكان وبنته نزهة الزمان فشكرهم الملك على ذلك وخلع عليهم وزاد في أكرامهم من الأنعام وأحسن إلى الحاضرين من الخاص والعام ومازال على تلك الحالة إلى أن مضى أربعة أعوام وهو بعد كل قليل من الأيام يسأل عن صفية وأولادها وبعد الأربعة أعوام أمر أن ينقل إليها من المصاغ والحلي والحلل والأموال شيء كثير وأوصاهم بتربيتها وحسن أدبهما كل هذا وابن الملك شركان لا يعلم أن والده عمر النعمان رزق ولداً ذكراً ولم يعلم أنه رزق سوى نزهة الزمان وأخفوا عليه خبر ضوء المكان إلى أن مضت أيام وأعوام وهو مشغول بمقارعة الشجعان ومبارزة الفرسان فبينما عمر النعمان بجالس يوماً من الأيام إذ دخل عليه الحجاب وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا أيها الملك قد وصلت إلينا رسل من ملك الروم صاحب القسطنطينية العظمى وأنهم يريدون الدخول عليك والتمثل بين يديك فإن أذن لهم الملك بذلك ندخلهم وإلا فلا مرد لأمره فعند ذلك أمر لهم بالدخول فلما دخلوا عليه مال إليهم وأقبل عليهم وسألهم عن حالهم وما سبب أقبالهم فقبلوا الأرض بين يديه وقالوا أيها الملك الجليل صاحب الباع الطويل أعلم أن الذي أرسلنا إليك الملك أفريدون صاحب البلاد اليونانية والعساكر النصرانية المقيم بمملكة القسطنطينية يعلمك أنه اليوم في حرب شديد مع جبار عنيد وهو صاحب قيسارية والسبب في ذلك أن بعض ملوك العرب اتفق أنه وجد في بعض الفتوحات كنزاً من قديم الزمان من عهد الاسكندر فنقل منه أموالاً لا تعد ولا تحصى ومن جملة ما وجد فيه ثلاث خرزات مدورات على قدر

بيض النعام وتلك الخرزان من أعلى الجواهر الأبيض الخالص الذي لا يوجد له نظير وكل خـرزة منقـوش عليها بالقلم اليوناني أمور من الأسرار ولهن منافع وخواص كثيرةومن خواصهن أن كل مولود علقت عليـه خرزة منهن لم يصبه ألم ما دامت الخرزة معلقة عليه ولا يحلم ولا يسخن فلما وضع يديه عليها ووقـع بهـا وعرف ما فيها من الأسرار إلى الملك أفريدون هدية من التحف والمال ومن جملتها الثلاث خرزات وجهـز مركبين واحدة فيها مال والأخرى فيها رجال تحفظ تلك الهدايا ممن يتعرض لها في البحر وكان يعرف مـن نفسه أنه لا أحد يقدر أن يتعدى عليه لكونه ملك العرب لا سيما وطريق المراكب التي فيها الهدا يا في البحر الذي في مراكبه مملكة القسطنطينية وهي متوجهة إليه وليس في سواحل ذلك البحر إلاوصاياه فلمـا جهـز المركبين سافرا إلى أن قربا من بلادنا فخرج عليهما بعض قطاع الطريق من تلك الأرض وفيهم عساكر من عند صاحب قيسارية فأخذوا جميع ما في المركبين من التحف والأموال والذخائر والثلاث خـرزات وقتلـوا الرجال فبلغ ذلك ملكنا فأرسل إليهم عسكراً فهزموه فأرسل إليهم عسكراً أقوى من الأول فهزموه أيضاً فعنـد ذلك أغتاظ الملك وأقسم أنه لا يخرج إليهم إلا بنفسه في جميع عسكره وأنه لا يرجع عـنهم حتـى يخـرب قيسارية ويترك أرضها وجميع البلاد التي يحكم عليها ملكها خراباً والمراد من صاحب القوة والسلطان الملك عمر النعمان أن يمدنا بعسكر من عنده حتى يصير له الفخر وقد أرسل إليك ملكنا معنا شيئاً من أنواع الهدايا ويرجو من أنعامك قبولها والتفضل عليه بالأنجاز ثم أن الرسل قبلوا الأرض بين يدي الملك عمر النعمـان. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن رسل ملك القسطنطينية قبلوا الأرض بين يدي الملك عمر النعمان بعد أن حكوا له ثم أعلموه بالهدية وكانت الهدية خمسين جارية من خواص بلاد الروم وخمسين مملوكـاً علـيهم أقبية من الديباج بمناطق من الذهب والفضة وكل مملوك في أذنه حلقة من الذهب فيها لؤلؤة تسـاوي الـف مثقال من الذهب والجواري كذلك وعليهم من القماش ما يساوي مالا جزيلاً فلما رآهم الملك قبلهم وفرح بهم وأمر باكرام الرسل وأقبل على وزرائه يشاورهم فيما يفعل فنهض من بينهم وزير وكان شيخاً كبيراً يقال لـه دندان فقبل الأرض بين يدي الملك عمر النعمان وقال أيها الملك ما في الأمر أحسن من أنك تجهز عسـكراً جـــرارا

وتجعل قائدهم ولدى شركان ونحن بين يديه غلمان وهذا الرأى أحسن لوجهين الأول أن ملك الروم قد استجار بك وأرسل إليك هدية فقبلتها والوجه الثاني أن العدو لا يجسر على بلادنا فإذا منع عسكرك عن ملك الـروم وهزم عدوه ينسب هذا الأمر إليك ويشيع ذلك في سائر الأقطار والبلاد ولا سيما إذا وصل الخبر إلى جزائر البحر وسمع بذلك أهل المغرب فأنهم يحملون إليك الهدايا والتحف والأموال فلما سمع الملك هذا الكلام مـن وزيره دندان أعجبه واستصوبه وخلع عليه وقال له مثلك من تستشيره الملوك وينبغي أن تكون أنت في مقدم العسكر وولدي شركان في ساقة العسكر ثم أن الملك أمر بإحضار ولده فلما حضر قص عليه القصة وأخبره بما قاله الرسل وبما قاله الوزير دندان وأوصاه بأخذ الأهبة والتجهيز للسفر وأنه لا يخالف الوزير دندان فيما يشور به عليه وأمره أني ينتخب من عسكره عشرة آلاف فارس كاملين العدة صابرين على الشـدة فامتثـل


شركان ما قاله والده عمر النعمان وقام في الوقت واختار من عسكره عشرة آلاف فارس ثم دخـل قصـره وأخرج مالا جزيلاً وأنفق عليهم المال وقال لهم قد أمهلتكم ثلاثة أيام فقبلوا الأرض بين يديه مطيعين لأمـره ثم خرجوا من عنده وأخذوا في الأهبة وإصلاح الشأن ثم أن شركان دخل خزائن السلاح وأخذ غير ذلك وبعد ذلك أقاموا ثلاثة أيام ثم خرجت العساكر إلى ظاهر المدينة وخرج عمر النعمان لوداع ولده شـركان فقبـل الأرض بين يديه وأهدى له سبع خزائن من المال وأقبل على الوزير دندان وأوصاه بعسكر ولده شركان فقبل الأرض بين يديه وأجابه بالسمع والطاعة وأقبل الملك على ولده شركان وأوصاه بمشاورة الوزير دندان فـي سائر الأمور فقبل ذلك ورجع والده إلى أن دخل المدينة ثم أن شركان أمر كبار العسكر بعرضهم عليه وكانت عدتهم عشرة آلاف فارس غير ما يتبعهم ثم أن القوم حملوا ودقت الطبول وصاح النفير وانتشـرت الأعـلام تخفق على رؤوسهم ولم يزالوا سائرين والرسل تقدمهم إلى أن ولى النهار وأقبل اللليل فنزلـوا وأسـتراحوا وباتوا تلك الليلة فلما أصبح الصباح ركبوا وساروا ولم يزالوا سائرين والرسل يدلونهم على الطريـق مـدة عشرين يوما ثم أشرفوا في اليوم الحادي والعشرين على واد واسع الجهات كثير الأشـجار والنبـات وكـان وصولهم إلى ذاك الوادي ليلاً فأمرهم شركان بالنزول والإقامة فيه ثلاثة أيام فنزل العساكر وضربوا الخيـام وافترق العسكر يميناً وشمالاً ونزل الوزير دندان وصحبته رسل أفريدون صاحب القسطنطينية في وسط ذلك الوادي وأما الملك شركان فإنه كان في وقت وصول العسكر وقف بعدهم ساعة حتى نزلوا جميعهم وتفرقـوا في جوانب الوادي ثم أنه أرخى عنان جواده وأراد أن يكشف ذلك الوادي ويتولى الحرس بنفسه لأجل وصية والده أياه فإنهم في أول بلاد الروم وأرض العدو فسار وحده بعد أن أمر مماليكه وخواصـه بـالنزول عنـد الوزير دندان ثم أنه لم يزل سائراً على ظهر جواده في جوانب الوادي إلى أن مضى من الليل ربعه فتعـب وغاب عليه النوم فصار لا يقدر أن يركض الجواد وكان له عادة أنه ينام علىظهر جواده فلما هجـم عليـه النوم نام ولم يزل الجواد سائراً به إلى نصف الليل فدخل به في بعض الغابات وكانت تلـك الغابـة كثيـرة الأشجار فلم ينتبه شركان حتى دق الجواد بحافره في الأرض فاستيقظ فوجد نفسه بين الأشجار وقد طلع عليه القمر وأضاء في الخافقين فاندهش شركان لما رأى نفسه في ذلك المكان وقال كلمة لا يخجل قائلها وهـي لا حول ولا قوة إلا با فبينما هو كذلك خائف من الوحوش متحيرا لا يدري أين يتوجه فلما رأى القمر أشرف على مرج كأنه من مروج الجنة سمع كلاماً مليحاً وصوتاً عالياً وضحكاً يسبى عقول الرجال فنـزل الملـك شركان عن جواده في الأسحار ومشى حتى أشرف على نهر فرأى فيه الماء يجري وسمع كلام أمرأة تـتكلم بالعربية وهي تقول وحق المسيح أن هذا منكن غير مليح ولكن كل من تكلمـت بكلمـة صـرعتها وكتفتهـا بزيارها كل هذا وشركان يمشي إلى جهة الصور حتى انتهى إلى طرف المكان ثم نظر فـإذا بنهـر مسـرح وطيور تمرح وغزلان تسنح ووحوش ترتع والطيور بلغاتها المعاني الحظ تنشرح وذلك المكـان مـزركش بأنواع النبات كما قيل في أوصاف مثله هذا أن البيتان:

مـا تحسـن الأرض إلا عنـد زهرتهـا ... والمـاء مـن فوقهـا يجـري بإرسـال

صـنع الإلـه العظـيم الشـان مقتـدراً ... معطى العطايـا ومعطـي كـل مفضـال

فنظر شركان إلى ذلك المكان فرأي فيه ديراً ومن داخل الدير قلعة شاهقة في أهواء في ضوء القمـر وفي وسطها نهر يجري الماء منه إلى تلك الرياض وهناك امرأة بين يديها عشرة جـوار كـأنهن الأقمـار وعليهن من أنواع الحلي والحلل ما يدهش الأبصار وكلهن أبكار بديعات كما قيل فيهن هذه الأبيات:

يشـ ـ ـرق المـ ـ ـرج بمـ ـ ـا فيـ ـ ـه	مـ ـ ـ ـن البـ ـ ـ ـيض العـ ـ ـ ـوالي
زاد حسـ ـ ـ ـ ـ ـناً وجمـ ـ ـ ـ ـ ـالاً	مـ ـ ـ ـن بـ ـ ـ ـديعات الخـ ـ ـ ـلال
كـ ـ ـ ـ ـل هيفـ ـ ـ ـاء قوامـ ـ ـ ـاً	ذات غـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـنج ودلال
راخيـ ـ ـات الشـ ـ ـعور كعناقيـ ـ ـ ـد	الـ ـ ـداوالي فاتنـ ـ ـات بعيـ ـ ـون
راميـ ـ ـات بالنبـ ـ ـال مائسـ ـ ـات	قـ ـ ـاتلات لصـ ـ ـناديد الرجـ ـ ـال

فنظر شركان إلى هؤلاء العشر جوار فوجد بينهن جارية كأنها البدر عند تمامه بحاجب مرجرج وجبين أبلج وطرف أهدب وصدغ معقرب كاملة في الذات والصفات كما قال الشاعر في مثلها هذه الأبيات:

تزهـ ـ ـو علـ ـ ـى بالحـ ـاظ بـ ـ ـديعات	وقـ ـ ـدها مخجـ ـ ـل للسـ ـ ـمهريات
تبـ ـ ـدو إلينـ ـ ـا وخـ ـ ـداها مـ ـ ـوردة	فيهـ ـا مـ ـن الظـ ـرف أنـ ـواع الملاحـ ـات
كـ ـأن طرتهـ ـا فـ ـي نـ ـور طلعتهـ ـا	ليـ ـل يلـ ـوح علـ ـى صـ ـبح المسـ ـرات

فسمعها شركان وهي تقول للجواري تقدموا حتى أصارعكم قبل أن يغيب القمر ويأتي الصباح فصارت كل واحدة منهن تتقدم إليها فتصرعها في الحال وتكتفها بزنارها فلم تـزل تصـارعهن وتصـرعهن حتـى صرعت الجميع ثم التفتت إليها جارية عجوز كانت بين يديها وقالت لها وهي كالمغضبة عليهـا يـا فـاجرة أتفرحين بصرعك للجواري فها أنا عجوز وقد صرعتهن أربعين مرة فكيف تعجبين بنفسك ولكن أن كان لك قوة على مصارعتي فصارعيني فإن أردت ذلك وقمت لمصارعتي أقوم لك وأجعـل رأسـك بـين رجليـك فتبسمت الجارية ظاهراً وقد امتلأت غيظاً منها باطناً وقامت إليها وقالت لها يا سيدتي ذات الـدواهي بحـق المسيح أتصارعينني حقيقة أو تمزحين معي قالت لها بل أصارعك حقيقة وأدرك شهرزاد الصـباح فسـكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما قالت لها أصارعك حقيقة قالت لها قومي للصراع أن كان لك قوة فلما سمعت العجوز منها اغتاظت غيظاً شديداً وقام شعر بدنها كأنه شعر قنفذ وقامت لهـا الجاريـة فقالت لها العجوز وحق المسيح لم أصارعك إلا وأنا عريانة يا فاجرة ثم أن العجوز أخذت منديل حرير بعـد أن فكت لباسها وأدخلت يديها تحت ثيابها ونزعتها من فوق جسدها ولمت المنديل وشدته في وسطها فصارت كأنها عفريتة معطاء أو حية رقطاء ثم انحنت على الجارية وقالت لها أفعلي كفعلي كل هذا وشـركان ينظـر إليهما ثم أن شركان صار يتأمل في تشويه صورة العجوز ويضحك ثم أن العجوز لما فعلـت ذلـك قامـت الجارية على مهل وأخذت فوطة يمانية وثنتها مرتين وشمرت سراويلها فبان لها ساقان من المرمر وفوقهـا كثيب من البلور ناعم مربرب وبطن يفوح المسك من أعكانه كأنه مصفح بشقائق النعمان وصدر فيه نهـدان كفحلى رمان ثم أنحنت عليها العجوز تماسكا ببعضهما فرفع شركان رأسه إلى السماء ودعا ا أن الجاريـة

تغلب العجوز فدخلت الجارية تحت العجوز ووضعت يدها الشمال في شفتها ويدها اليمين في رقبتها مع حلقها ورفعتها على يديها فانفلتت العجوز من يديها وأرادت الخلاص فوقعت على ظهرها فارتفعت رجلاهـا إلـى فوق فبانت شعرتها في القمر ثم ضربت ضربتين عفرتت أحداهما في الأرض ودخنت الأخرى فـي السـماء فضحك شركان منهما حتى وقع على الأرض ثم قام وسل حسامه والتفت يميناً وشمالاً فلم يـر أحـداً غيـر العجوز مرمية على ظهرها فقال في نفسه ما كذب من سماك ذات الدواهي ثم تقرب منهما ليسمع ما يجـري بينهما فأقبلت الجارية ورمت على العجوز ملاءة من حرير رفيعة وألبستها ثيابها واعتذرت إليها وقالت لها يا سيدتي ذات الدواهي ما أردت إلا صرعك لأجل جميع ما حصل لك ولكن أنت أنفلت من بين يدي فالحمد على السلامة فلم ترد عليها جواباً فقامت تمشي من خجلها ولم تزل ماشية إلى أن غابت عن البصر وصارت الجواري مكتفات مرميات والجارية واقفة وحدها فقال شركان في نفسه لكل رزق سبب ما غلب على النـوم وسار بي الجواد إلى هذا المكان إلا لبختي فلعل هذه الجارية وما معها يكون غنيمة لي ثم ركب جواده ولكزه ففر به كالسهم إذا فر من القوس وبيده حسامه مجرد من غلافه ثم صاح ا أكبر فلما رأته الجارية نهضـت قائمة وقالت اذهب إلى أصحابك قبل الصباح لئلا يأتيك البطارقة فيأخذوك على أسنة الرماح وأنت ما فيك قوة لدفع النسوان فكيف تدافع الرجال الفرسان فتحير شركان في نفسه وقال لها وقد ولت عنه معرضـة لقصـد الدير يا سيدتي أتذهبين وتتركين المتيم الغريب المسكين الكسيرالقلب فالتفتت إليه وهي تضحك ثم قالت له ما حاجتك فإني أجيب دعوتك فقال كيف أطأ أرضك وأتحلى بحلاوة لطفك وأرجع بلا أكل مـن طعامـك وقـد صرت من بعض خدامك فقالت لا يأبى الكرامة إلا لئيم تفضل باسم ا على الرأس والعين وأركب جـوادك وسر على جانب النهر مقابلي فأنت في ضيافتي ففرح شركان وبادر إلى جواده وركب ومازال ماشياً مقابلها وهي سائرة قبالته إلى أن وصل إلى جسر معمول بأخشاب من الجوز وفيه بكر بسلاسل من البولاد وعليهـا أقفال في كلاليب فنظر شركان إلى ذلك الجسر وإذا بالجواري اللاتي كن معها في المصارعة قائمات ينظرن إليها فلما أقبلت عليهن كلمت جارية منهن بلسان الرومية وقالت لها قومي إليه وأمسكي عنان جواده ثم سيري به إلى الدير فسار شركان وهي قدامه إلى أن عدي الجسر وقد اندهش عقله مما رأى وقال في نفسه يا ليـت الوزير دندان كان معي في هذا المكان وتنظر عيناه إلى تلك الجواري الحسان ثم التفت إلى تلك الجارية وقال لها يا بديعة الجمال قد صار لي عليك الآن حرمتان حرمة الصحبة وحرمة سيري إلى منزلك وقبول ضيافتك وقد صرت تحت حكمك وفي عهدك فلو أنك تنعمين على بالمسير إلى بلاد الإسلام وتتفرجين على كل أسـد ضرغام وتعرفين من أنا فلما سمعت كلامه اغتاظت منه وقالت له وحق المسيح لقد كنت عندي ذا عقل ورأى ولكني أطلعت الآن على ما في قلبك من الفساد وكيف يجوز لك أن تتكلم بكلمة تنسب بها إلى الخداع كيـف أصنع هذا وأنا أعلم متى حصلت عند ملككم عمر النعمان لا أخلص منه لأنه ما في قصوره مثلي ولو كـان صاحب بغداد وخراسان وبنى له أثنى عشر قصراً في كل قصر ثلثمائةوست وستون جارية على عـدد أيـام السنة والقصور عدد أشهر السنة وحصلت عنده ما تركني لأن اعتقادكم أنه يحل لكم التمتع بمثلي كمـا فـي كتبكم حيث قيل فيها أوما ملكت أيمانكم فكيف تكلمني بهذا الكلام وأما قولك وتتفرجين على شجعان المسلمين فوحق المسيح أنك قلت قولاً غير صحيح فأني رأيت عسكركم لما استقبلتم أرضنا وبلادنا في هذين اليـومين

فلما أقبلتم لم أر تربيتكم تربية ملوك وأنما رأيتكم طوائف مجتمعة وأما قولك تعرفين من أنا فأنـا لا أصـنع معك جميلاً لأجل أجلالك وأنما أفعل ذلك لأجل الفخر ومثلك ما يقول لمثل ذلك ولو كنت شركان بن الملـك عمر النعمان الذي ظهر في هذا المكان فقال شركان في نفسه لعلها عرفت قدوم العساكر وعرفـت عـدتهم وأنهم عشرة آلاف فارس وعرفت أن والدي أرسلهم معي لنصرة ملك القسطنطينية ثم قال شركان يا سـيدتي أقسمت عليك بمن تعتقدين من دينك أن تحدثيني بسبب ذلك حتى يظهر لي الصدق من الكذب ومن يكون عليه وبالي ذلك فقالت له وحق ديني لولا أن خفت أن يشيع خبري أني من بنات الروم لكنـت خـاطرت بنفسـي وبارزت العشرة آلاف فارس وقتلت مقدمهم الوزير دندان وظفرت بفارسهم شركان وما كان على من ذلـك عار ولكني قرأت الكتب وتعلمت الأدب من كلام العرب ولست أصف لك نفسي بالشجاعة مع أنك رأيت مني العلامة والصناعة والقوة في الصراع والبراعة ولو حضر شركان مكانك في هذه الليلة وقيل له نط هذا النهر لاذعن وأعترف بالعجز وأني أسأل المسيح أن يرميه بين يدي في هذا الدير حتى أخرج له في صفة الرجـال أو أسره وأجعله في الأغلال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية النصرانية لما قالت هذا الكلام لشركان وهو يسـمعه أخذتـه النخوة والحمية وغيره الأبطال وأراد أن يظهر لها نفسه ويبطش بها ولكن رده عنها فـرط جمالهـا وبـديع حسنها فأنشد هذا البيت:

وإذا المليـح أتـى بـذنب واحـد	جـاءت محاسـنه بـألف شـفيع

ثم صعدت وهو في أثرها فنظر شركان إلى ظهر الجارية فرأى أردافها تتلاطم كالأمواج فـي البحـر الرجراج فأنشد هذه الأبيات:

فـي وجههـا شـافع يمحـو إسـلمتها	مـن القلـوب وجيـه حيثمـا شـفعا
إذا تأملتهـا ناديـت مـن عجـب	البـدر فـي ليلـة إلا كمـال قـد طلعـا
لـو أن عفريـت بلقـيس يصـارعها	مـع فـرط قوتـه فـي سـاعة صـرعا

ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام ففتحت الجارية الباب ودخلـت ومعها شركان وسار إلى دهليز طويل مقبى على عشر قناطر معقودة وعلى كل قنطرة قنديل مـن البلـور يشتعل كاشتعال الشمس فلقيها الجواري في آخر الدهليز بالشموع المطيبة وعلى رؤسهن العصائب المزركشة بالفصوص من أصناف الجواهر وسارت وهن أمامها وشركان ورائها إلى أن وصلها إلى الدير فوجد بـدائر ذلك الدير أسرة مقابلة لبعضها وعليها ستور مكللة بالذهب وأرض الدير مفروشة بأنواع الرخام المجزع وفي وسطه بركة ماء عليها أربع وعشرون قارورة من الذهب والماء يخرج منها كـاللجين ورأي فـي الصـدر سريراً مفروشاً بالحرير الملوكي فقالت له الجارية أصعد يا مولاي على هذا السرير فصـعد شـركان فـوق السرير وذهبت الجارية وغابت عنه فسأل عنها بعض الخدام فقالوا له أنها ذهبت إلى مرقدها ونحن نخـدمك كما أمرت ثم أنها قدمت إليه من غرائب الألوان فأكل حتى اكتفى ثم بعد ذلك قدمت إليه طشتاً وأبريقـاً مـن الذهب فغسل يديه وخاطره مشغول بعسكره لكونه لا يعلم ما جرى لهم بعد ويتذكر أيضاً كيف نسي وصيـة

أبيه فصار متحيراً في أمره نادماً على ما فعل إلى أن طلع الفجر وبان النهار وهو يتحسر علـى مـا فعـل وصار مستغرقاً في الفكر وأنشد هذه الأبيات:

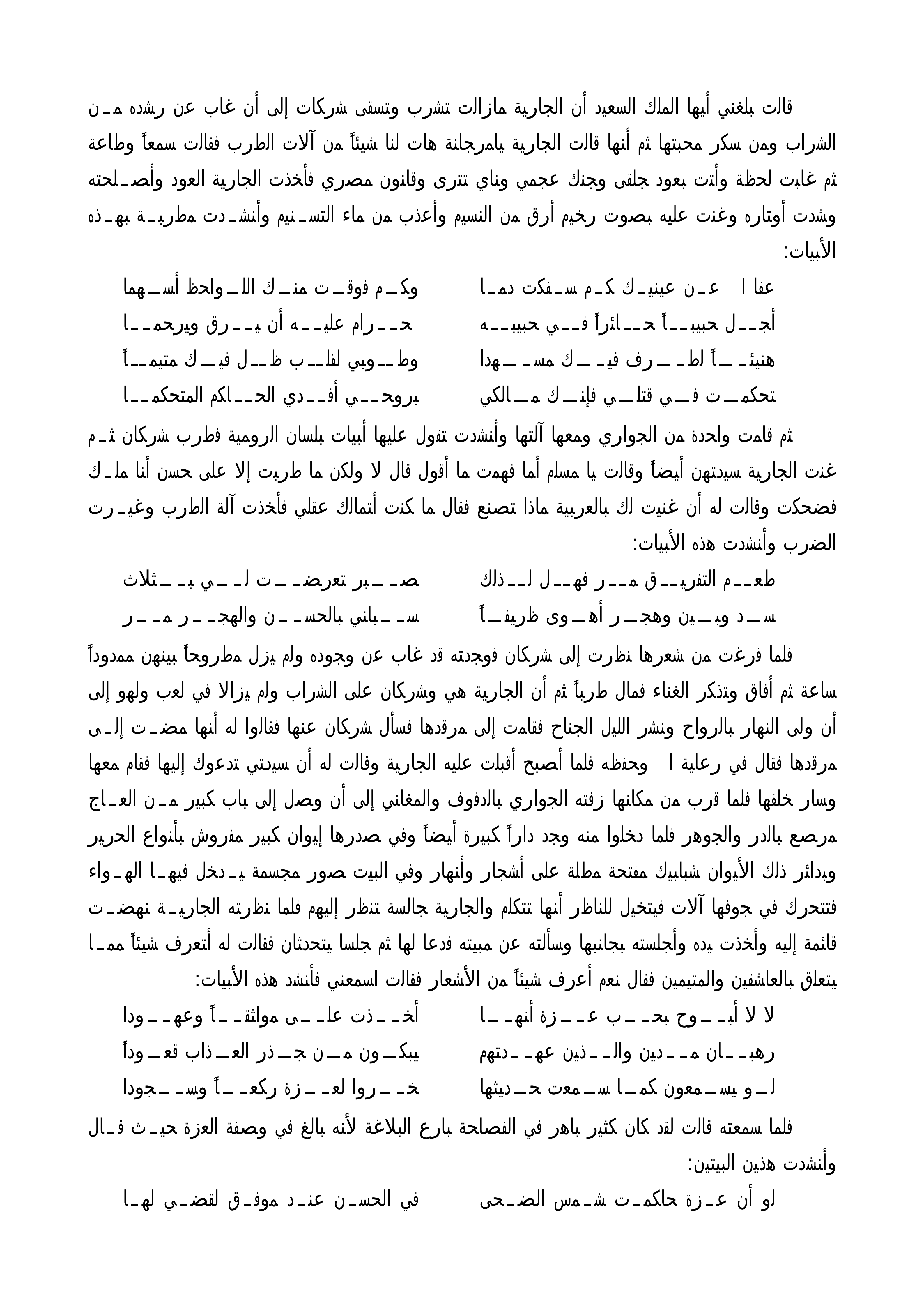
لـــم أعـــدم الحـــزم ولكننـــي دهيـــت فـــي الأمـــر فمـــا حيلتـــي
لـو كـان مـن يكشـف عنـي الهـوى برئـــت مـــن حـــولي ومـــن قـــوتي
وأن قلبـــي فـــي ضـــلال الهـــوى صـــب وأرجـــو ا فـــي شـــدتي

فلما فرغ من شعره رأى بهجة عظيمة قد أقبلت فنظر فإذا هو بأكثر من عشرين جارية كالأقمار حول تلك الجارية وهي بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها ديباج ملوكي وفي وسطها زنا مرصع بأنواع الجـواهر وقد ضم خصرهما وأبرز ردفها فصارا كأنهما كثيب بللور تحت قضيب من فضة ونهداها كفحلى رمان فلما نظر شركان ذلك كاد عقله أن يطير من الفرح ونسى عسكره ووزيره وتأمل رأسها فرأي عليها شـبكة مـن اللؤلؤ مفصلة بأنواع الجواهر والجواري عن يمينها ويسارها يرفعن أذيالها وهي تتمايل عجباً فعند ذلك وثب شركان قائماً على قدميه من هيبة حسنها وجمالها فصاح واحيرتاه من هذا الزنار وأنشد هذه الأبيات:

ثقيلـــــــة الأرداف مائلـــــــة خرعوبـــــة ناعمـــــة النهـــــد
تكتمـــت مـــا عنـــدها مـــن جـــوي ولســـت أكـــتم الـــذي عنـــدي
خـــداعها يمشـــين مـــن خلفهـــا كالقيـــل فـــي حـــل وفـــي عقـــد

ثم أن الجارية جعلت تنظر إليه زماناً طويلاً وتكرر فيه النظر إلى أن تحققته وعرفته فقالت له بعـد أن أقبلت عليه قد أشرق بك المكان يا شركان كيف كانت ليلتك يا همام بعد ما مضينا وتركناك ثم قالـت لـه أن الكذب عند الملوك منقصة وعار ولا سيما عند أكابر الملوك وأنت شركان ابن عمر النعمان فلا تنكر نفسـك وحسبك ولا تكتم أمرك عني ولا تسمعني بعد ذلك غير الصدق لأن الكذب يورث البغض والعداوة فقـد نفـذ فيك سهم القضا فعليك بالتسليم والرضا فلما سمع كلامها لم يمكنه الإنكار فأخبرها بالصدق وقـال لهـا أنـا شركان بن عمر النعمان الذي عذبني الزمان وأوقعني في هذا المكان فمهما شـئت فافعليـه الآن فاطرقـت برأسها إلى الأرض زماناً طويلاً ثم التفتت إليه وقالت له طب نفساً وقرعينا فإنك ضيفي وصار بيننا وبينـك خبز وملح وحديث ومؤانسة فأنت في ذمتي وفي عهدي فكن آمناً وحق المسـيح لـو أراد أهـل الأرض أن يؤذوك لما وصلوا إليك إلا أن خرجت روحي من أجلك ولو كان خاطري في قتلك لقتلتك في هذا الوقت ثـم تقدمت إلى المائدة وأكلت من كل لون لقمة فعند ذلك أكل شركان ففرحت الجارية وأكلت معه إلى أن أكتفيـا وبعد أن غسلا أيديهما قامت وأمرت جارية أن تأتي بالرياحين وآلات الشراب من أواني الـذهب والفضـة والبلور وأن يكون الشراب من سائر الألوان المختلفة والأنواع النفسية فأتتها بجميع ما طلبته ثم أن الجاريـة ملأت أولاً القدح وشربته قبله كما فعلت في الطعام ثم ملأت ثانياً وأعطته أياه فشرب فقالت له يا مسلم انظر كيف أنت في ألذ عيش ومسرة ولم تزل تشرب معه إلى أن غاب عن رشده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٥)



قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية مازالت تشرب وتسقى شركان إلى أن غاب عن رشده من الشراب ومن سكر محبتها ثم أنها قالت الجارية يامرجانة هات لنا شيئاً من آلات الطرب فقالت سمعاً وطاعة ثم غابت لحظة وأتت بعود جلقى وجنك عجمي وناي تترى وقانون مصري فأخذت الجارية العود وأصلحته وشدت أوتاره وغنت عليه بصوت رخيم أرق من النسيم وأعذب من ماء التسنيم وأنشدت مطربة بهذه الأبيات:

عفا ا عن عينيك كم سفكت دما ... وكم فوقت منك اللواحظ أسهما

أجل حبيباً جائراً في حبيبه ... حرام عليه أن يرق ويرحما

هنيئاً لطرف فيك مسهدا ... وطوبي لقلب ظل فيك متيماً

تحكمت في قتلي فإنك مالكي ... بروحي أفدي الحاكم المتحكما

ثم قامت واحدة من الجواري ومعها آلتها وأنشدت تقول عليها أبيات بلسان الرومية فطرب شركان ثم غنت الجارية سيدتهن أيضاً وقالت يا مسلم أما فهمت ما أقول قال لا ولكن ما طربت إلا على حسن أنامك فضحكت وقالت له أن غنيت لك بالعربية ماذا تصنع فقال ما كنت أتمالك عقلي فأخذت آلة الطرب وغيرت الضرب وأنشدت هذه الأبيات:

طعم التفريق مر فهل لذاك ... صبر تعرضت لي بثلاث

سد وبين وهجر أهوى ظريفاً ... سباني بالحسن والهجر مر

فلما فرغت من شعرها نظرت إلى شركان فوجدته قد غاب عن وجوده ولم يزل مطروحاً بينهن ممدوداً ساعة ثم أفاق وتذكر الغناء فمال طرباً ثم أن الجارية هي وشركان على الشراب ولم يزالا في لعب ولهو إلى أن ولى النهار بالرواح ونشر الليل الجناح فقامت إلى مرقدها فسأل شركان عنها فقالوا له أنها مضت إلى مرقدها فقال في رعاية ا وحفظه فلما أصبح أقبلت عليه الجارية وقالت له أن سيدتي تدعوك إليها فقام معها وسار خلفها فلما قرب من مكانها زفته الجواري بالدفوف والمغاني إلى أن وصل إلى باب كبير من العاج مرصع بالدر والجوهر فلما دخلوا منه وجد داراً كبيرة أيضاً وفي صدرها إيوان كبير مفروش بأنواع الحرير وبدائر ذلك الأيوان شبابيك مفتحة مطلة على أشجار وأنهار وفي البيت صور مجسمة يدخل فيها الهواء فتتحرك في جوفها آلات فيتخيل للناظر أنها تتكلم والجارية جالسة تنظر إليهم فلما نظرته الجارية نهضت قائمة إليه وأخذت يده وأجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها ثم جلسا يتحدثان فقالت له أتعرف شيئاً مما يتعلق بالعاشقين والمتيمين فقال نعم أعرف شيئاً من الأشعار فقالت اسمعني فأنشد هذه الأبيات:

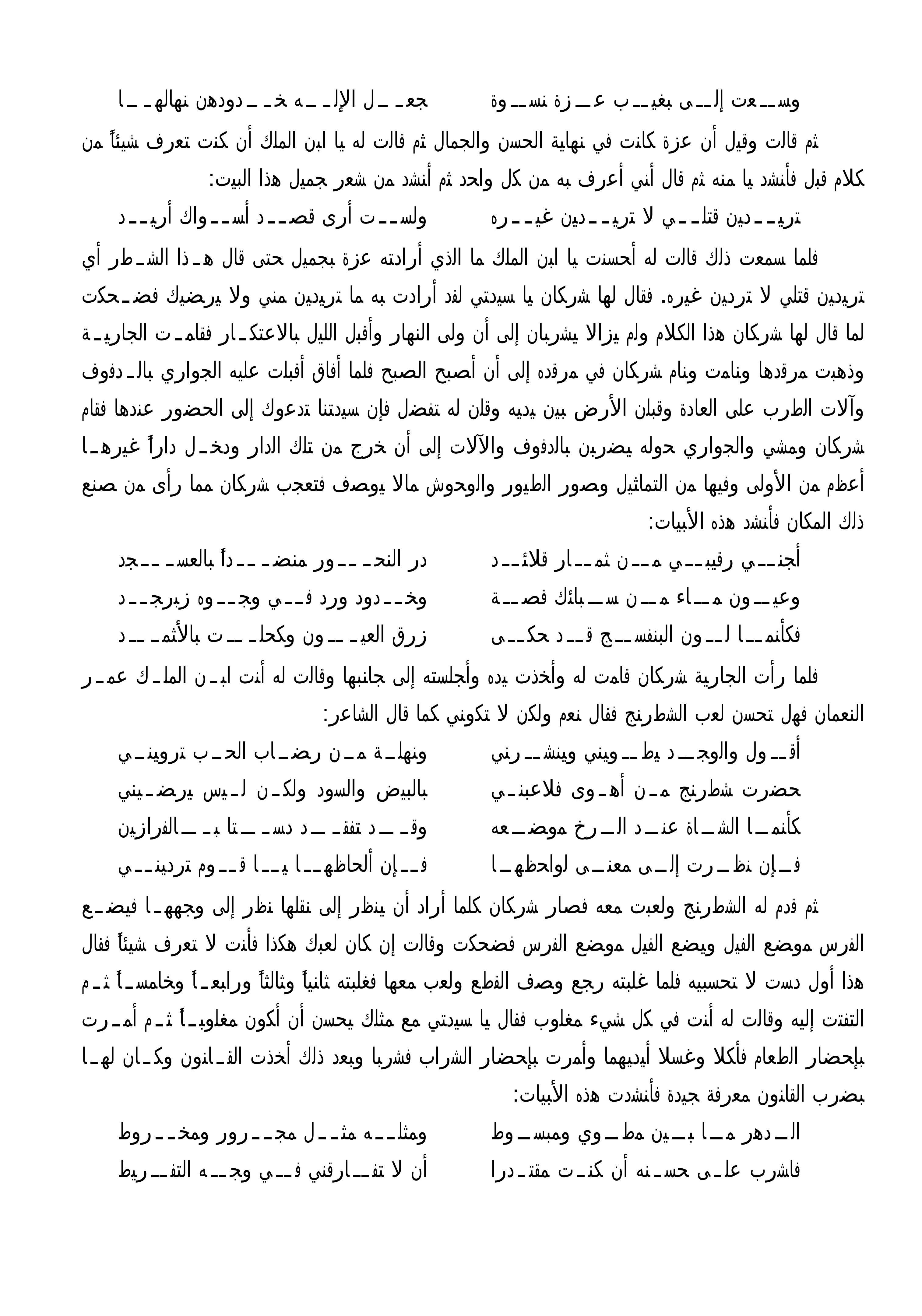
لا لا أبوح بحب عزة أنها ... أخذت علي مواثقاً وعهودا

رهبان مدين والذين عهدتهم ... يبكون من حذر العذاب قعودا

لو يسمعون كما سمعت حديثها ... خروا لعزة ركعاً وسجودا

فلما سمعته قالت لقد كان كثير باهر في الفصاحة بارع البلاغة لأنه بالغ في وصفة العزة حيث قال وأنشدت هذين البيتين:

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى ... في الحسن عند موفق لقضي لها



وسـعت إلـى بغيـب عـزة نسـوة   جعـل الإلـه خـدودهن نعالهـا

ثم قالت وقيل أن عزة كانت في نهاية الحسن والجمال ثم قالت له يا ابن الملك أن كنت تعرف شيئاً من كلام قبل فأنشد يا منه ثم قال أنني أعرف به من كل واحد ثم أنشد من شعر جميل هذا البيت:

تريـدين قتلـي لا تريـدين غيـره   ولسـت أرى قصـد أسـواك أريـد

فلما سمعت ذلك قالت له أحسنت يا ابن الملك ما الذي أرادته عزة بجميل حتى قال هـذا الشـطر أي تريدين قتلي لا تردين غيره. فقال لها شركان يا سيدتي لقد أرادت به ما تريدين مني ولا يرضيك فضـحكت لما قال لها شركان هذا الكلام ولم يزالا يشربان إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكـار فقامـت الجاريـة وذهبت مرقدها ونامت ونام شركان في مرقده إلى أن أصبح الصبح فلما أفاق أقبلت عليه الجواري بالـدفوف وآلات الطرب على العادة وقبلن الأرض بين يديه وقلن له تفضل فإن سيدتنا تدعوك إلى الحضور عندها فقام شركان ومشي والجواري حوله يضربن بالدفوف والآلات إلى أن خرج من تلك الدار ودخـل داراً غيرهـا أعظم من الأولى وفيها من التماثيل وصور الطيور والوحوش مالا يوصف فتعجب شركان مما رأى من صنع ذلك المكان فأنشد هذه الأبيات:

أجنـي رقيبـي مـن ثمـار قلائـد   در النحـور منضـداً بالعسـجد

وعيـون مـاء مـن سـبائك فضـة   وخـدود ورد فـي وجـوه زبرجـد

فكأنمـا لـون البنفسـج قـد حكـى   زرق العيـون وكحلـت بالأثمـد

فلما رأت الجارية شركان قامت له وأخذت يده وأجلسته إلى جانبها وقالت له أنت ابـن الملـك عمـر النعمان فهل تحسن لعب الشطرنج فقال نعم ولكن لا تكوني كما قال الشاعر:

أقـول والوجـد يطـويني وينشـرني   ونهلـة مـن رضـاب الحـب ترويـني

حضرت شطرنج مـن أهـوى فلاعبنـي   بالبيض والسود ولكـن لـيس يرضـيني

كأنمـا الشـاة عنـد الـرخ موضـعه   وقـد تفقـد دسـتا بـالفرازين

فـإن نظـرت إلـى معنـى لواحظهـا   فـإن ألحاظهـا يـا قـوم ترديـني

ثم قدم له الشطرنج ولعبت معه فصار شركان كلما أراد أن ينظر إلى نقلها نظر إلى وجههـا فيضـع الفرس موضع الفيل ويضع الفيل موضع الفرس فضحكت وقالت إن كان لعبك هكذا فأنت لا تعرف شيئاً فقال هذا أول دست لا تحسبيه فلما غلبته رجع وصف القطع ولعب معها فغلبته ثانياً وثالثاً ورابعـاً وخامسـاً ثـم التفتت إليه وقالت له أنت في كل شيء مغلوب فقال يا سيدتي مع مثلك يحسن أن أكون مغلوبـاً ثـم أمـرت بإحضار الطعام فأكلا وغسلا أيديهما وأمرت بإحضار الشراب فشربا وبعد ذلك أخذت القـانون وكـان لهـا بضرب القانون معرفة جيدة فأنشدت هذه الأبيات:

الـدهر مـا بـين مطـوي ومبسـوط   ومثلـه مثـل مجـرور ومخـروط

فاشرب علـى حسـنه أن كنـت مقتـدرا   أن لا تفـارقني فـي وجـه التفـريط

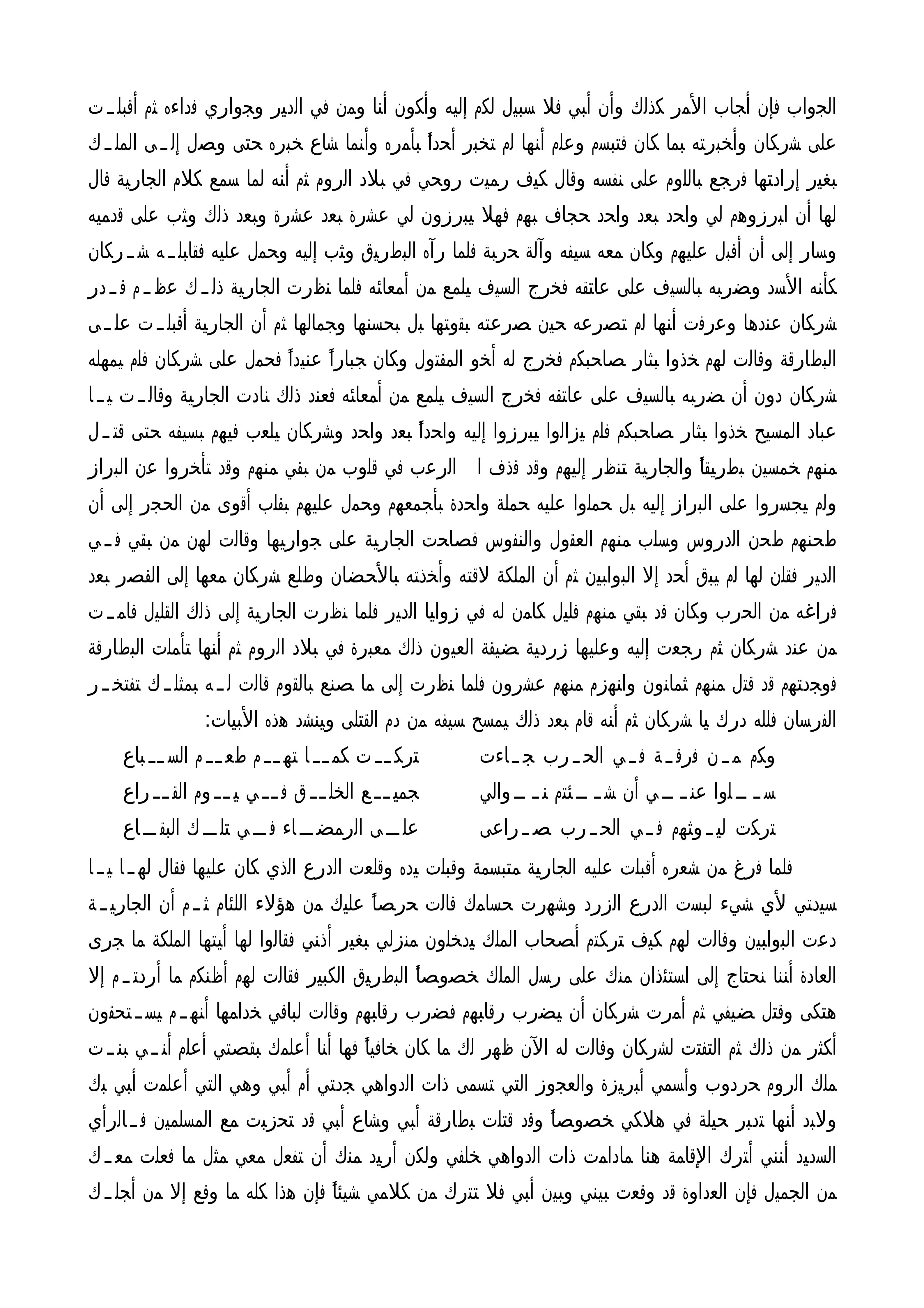
ثم أنهما لم يزالا على ذلك إلى أن دخل الليل فكان ذلك اليوم أحسن من اليوم الذي قبله فلما أقبل الليـل مضت الجارية إلى مرقدها وأنصرف شركان إلى موضعه فنام إلى الصباح ثم أقبلت عليه الجواري بالدفوف وآلات الطرف وأخذوه على العادة إلى أن وصلوا إلى الجارية فلما رأته نهضت قائمة وأمسـكته مـن يـده وأجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها بطول البقاء ثم أخذت العود وأنشدت هذين البيتين:

لأتـــركنن إلــــى الفــــراق	فإنـــــه مــــــر المــــــذاق
الشـــمس عنــــد غروبهـــا	تصـــفر مـــن ألـــم الفـــراق

فبينما هما على هذه الحالة وإذا هما بضجة فالتفتا فرأيا رجالاً وشباناً مقبلين وغالبهم بطارقة وبأيـديهم السيوف مسلولة تلمع وهم يقولون بلسان الرومية وقعت عندنا يا شركان فأيقن بالهلاك فلما سمع شركان هـذا الكلام قال في نفسه لعل هذه الجارية الجميلة خدعتني وأمهلتني إلى أن جاءت رجالها وهم البطارقـة الـذين خوفتني بهم ولكن أنا الذي جنيت على نفسي وألقيتها في الهلاك ثم التفت إلى الجارية ليعاتبها فوجد وجهها قد تغير بالأصفرار ثم وثبت على قدميها وهي تقول لهم من أنتم فقال لها البطريق المقدم علـيهم أيتهـا الملكـة الكريمة والدرة اليتيمة أما تعرفين الذي عندك من هو قالت له لا أعرفه فمن هو فقال لها هذا مخرب البلـدان وسيد الفرسان هذا شركان بن الملك عمر النعمان هذا الذي فتح القلاع وملك كل حصن مناع وقد وصل خبره إلى الملك حردوب والدك من العجوز ذات الدواهي وتحقق ذلك والدك ملكنا نقلاً عن العجوز وها أنـت قـد نصرت عسكر الروم بأخذ هذا الأسود المشئوم فلما سمعت كلام البطريق نظرت إليه وقالت له ما إسمك قال لها إسمي ماسورة بن عبدك موسورة بن كاشردة بطريق البطارقة قالت له كيف دخلت على بغير أذني فقـال لها يا مولاتي أني لما وصلت إلى الباب ما منعني حاجب ولا بواب بل قام جميع البوابين ومشوا بين أيـدينا كما جرت به العادة أنه إذا جاء أحد غيرنا يتركونه واقفاً على الباب حتى يستأذنوا عليه بالدخول وليس هـذا وقت أطالة الكلام والملك منتظر رجوعنا إليه بهذا الملك الذي هو شرارة جمرة عسكر الإسلام لأجل أن يقتله ويرحل عسكره إلى المواضع الذي جاءوا منه من غير أن يحصل لنا تعب في قتالهم فلما سمعت الجارية هذا الكلام قالت له أن هذا الكلام غير حسن ولكن قد كذبت العجوز ذات الدواهي فإنها قد تكلمت بكلام باطـل لا تعلم حقيقته وحق المسيح أن الذي عندي ما هو شركان ولا أسرته ولكن رجل آتي إلينا وقدم علينـا فطلـب الضيافة فأضفناه فإن تحققنا أنه شركان بعينه وثبت عندنا إنه هو من غير شك فلا يليق بمروءتي أني أمكنكم منه لأنه دخل تحت عهدي وذمتي فلا تخونوني في ضيق ولا تفضحوني بين الأنام بل ارجع أنت إلى الملـك أبي وقبل الأرض بين يديه وأخبره بأن الأمر بخلاف ما قالته العجوز ذات الدواهي فقال البطريق ماسورة يا أبريزة أنا ما أقدر أن أعود إلى الملك إلا بغريمه فلما سمعت هذا الكلام قالت لاكان هذا الأمر فإنـه عنـوان للسفه لأن هذا رجل واحد وأنتم مائة بطريق فإذا أردتم مصادمته فأبرزوا له واحداً بعد واحد ليظهـر عنـد الملك من هو البطل منكم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة أبريزة لما قالت للبطريق ذلك قال وحق المسيح لقد قلت الحـق ولكن ما يخرج له أولاً غيري فقالت الجارية أصبر حتى أذهب إليه وأعرفه بحقيقة الأمر وأنظر ما عنده من



الجواب فإن أجاب الأمر كذلك وأن أبي فلا سبيل لكم إليه وأكون أنا ومن في الدير وجواري فداءه ثم أقبلت على شركان وأخبرته بما كان فتبسم وعلم أنها لم تخبر أحداً بأمره وأنما شاع خبره حتى وصل إلى الملك بغير إرادتها فرجع باللوم على نفسه وقال كيف رميت روحي في بلاد الروم ثم أنه لما سمع كلام الجارية قال لها أن ابرزوهم لي واحد بعد واحد حجاف بهم فهلا يبرزون لي عشرة بعد عشرة وبعد ذلك وثب على قدميه وسار إلى أن أقبل عليهم وكان معه سيفه وآلة حربة فلما رآه البطريق وثب إليه وحمل عليه فقابله شركان كأنه الأسد وضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من أمعائه فلما نظرت الجارية ذلك عظم قدر شركان عندها وعرفت أنها لم تصرعه حين صرعته بقوتها بل بحسنها وجمالها ثم أن الجارية أقبلت على البطارقة وقالت لهم خذوا بثار صاحبكم فخرج له أخو المقتول وكان جباراً عنيداً فحمل على شركان فلم يمهله شركان دون أن ضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من أمعائه فعند ذلك نادت الجارية وقالت يا عباد المسيح خذوا بثار صاحبكم فلم يزالوا يبرزوا إليه واحداً بعد واحد وشركان يلعب فيهم بسيفه حتى قتل منهم خمسين بطريقاً والجارية تنظر إليهم وقد قذف ا الرعب في قلوب من بقي منهم وقد تأخروا عن البراز ولم يجسروا على البراز إليه بل حملوا عليه حملة واحدة بأجمعهم وحمل عليهم بقلب أقوى من الحجر إلى أن طحنهم طحن الدروس وسلب منهم العقول والنفوس فصاحت الجارية على جواريها وقالت لهن من بقي في الدير فقلن لها لم يبق أحد إلا البوابين ثم أن الملكة لاقته وأخذته بالأحضان وطلع شركان معها إلى القصر بعد فراغه من الحرب وكان قد بقي منهم قليل كامن له في زوايا الدير فلما نظرت الجارية إلى ذلك القليل قامت من عند شركان ثم رجعت إليه وعليها زردية ضيقة العيون ذلك معبرة في بلاد الروم ثم أنها تأملت البطارقة فوجدتهم قد قتل منهم ثمانون وانهزم منهم عشرون فلما نظرت إلى ما صنع بالقوم قالت له بمثلك تفتخر الفرسان فلله درك يا شركان ثم أنه قام بعد ذلك يمسح سيفه من دم القتلى وينشد هذه الأبيات:

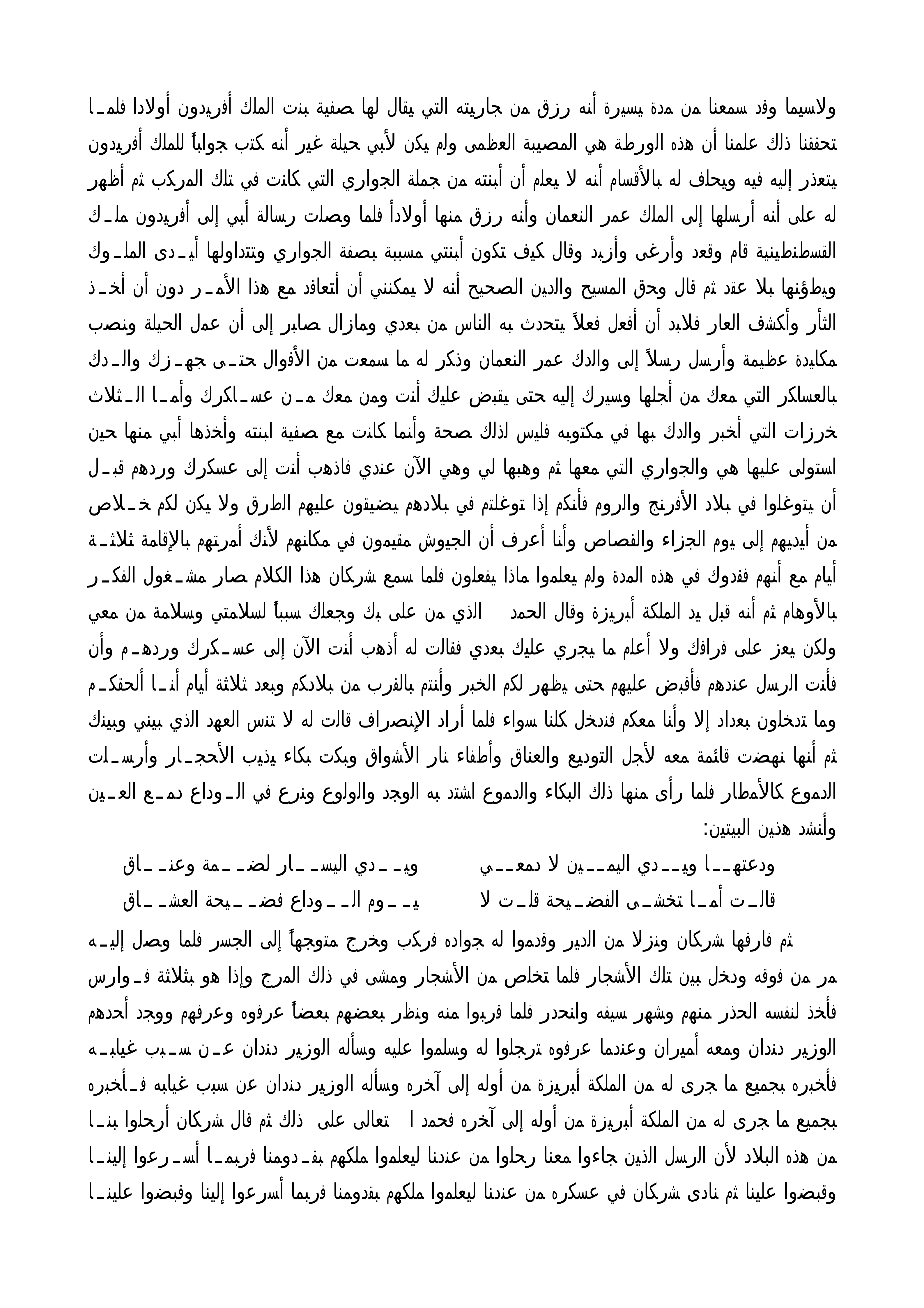
وكم من فرقة في الحرب جاءت ... تركت كماتهم طعم السباع

سلوا عني أن شئتم نزالي ... جميع الخلق في يوم القراع

تركت ليوثهم في الحرب صراعى ... على الرمضاء في تلك البقاع

فلما فرغ من شعره أقبلت عليه الجارية متبسمة وقبلت يده وقلعت الدرع الذي كان عليها فقال لها يا سيدتي لأي شيء لبست الدرع الزرد وشهرت حسامك قالت حرصاً عليك من هؤلاء اللئام ثم أن الجارية دعت البوابين وقالت لهم كيف تركتم أصحاب الملك يدخلون منزلي بغير أذني فقالوا لها أيتها الملكة ما جرى العادة أننا نحتاج إلى استئذان منك على رسل الملك خصوصاً البطريق الكبير فقالت لهم أظنكم ما أردتم إلا هتكي وقتل ضيفي ثم أمرت شركان أن يضرب رقابهم فضرب رقابهم وقالت لباقي خدامها أنهم يستحقون أكثر من ذلك ثم التفتت لشركان وقالت له الآن ظهر لك ما كان خافياً فها أنا أعلمك بقصتي أعلم أنني بنت ملك الروم حردوب وأسمي أبريزة والعجوز التي تسمى ذات الدواهي جدتي أم أبي وهي التي أعلمت أبي بك ولابد أنها تدبر حيلة في هلاكي خصوصاً وقد قتلت بطارقة أبي وشاع أبي قد تحزبت مع المسلمين فالرأي السديد أنني أترك الإقامة هنا مادامت ذات الدواهي خلفي ولكن أريد منك أن تفعل معي مثل ما فعلت معك من الجميل فإن العداوة قد وقعت بيني وبين أبي فلا تترك من كلامي شيئاً فإن هذا كله ما وقع إلا من أجلك

فلما سمع شركان هذا الكلام طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال وا لا يصل إليك أحداً مادامت روحي في جسدي ولكن هل لك صبر على فراق والدك وأهلك قالت نعم فحلفها شركان وتعاهدا علــى ذلــك فقالت الآن طاب قلبي ولكن بقي عليك شرط آخر فقال وما هو فقالت له أنك ترجع بعسكرك إلى بلادك فقال لها يا سيدتي أن أبي عمر النعمان أرسلني إلى قتال والدك بسبب المال الذي أخذه ومن جملته الثلاث خرزات الكثيرة البركات فقالت له طب نفساً وقر عيناً فها أنا أحــدثك بحــديثها وأخبــرك بســبب معاداتنــا الملــك القسطنطينية وذلك أن لنا عيداً يقال له عيد الدير كل سنة تجتمع فيه الملوك من جميع الأقطار وبنات الأكــابر والتجار ويقعدون فيه سبعة أيام وأنا من جملتهم فلما وقعت بيننا العداوة منعني أبي من حضور ذلك العيد مدة سبعة سنين فاتفق في سنة من السنين أن بنات الأكابر من سائر الجهات قد جاءت من أماكنها إلى الدير فــي ذلك العيد على العادة من جملة من جاء إليه بنت ملك القسطنطينية وكان يقال لها صفية فأقاموا فــي الــدير ستة أيام وفي اليوم السابع انصرفت الناس فقالت صفية أنا ما أرجع إلى القسطنطينية إلا في البحر فجهــزوا لها مركباً فنزلت فيها هي وخواصها فلما حلوا القلوع وساروا فبينما سائرون وإذا بريح قــد خــرج علــيهم فأخرج المركب عن طريقها وكان هناك بالقضاء والقدر مركب نصارى من جزيرة الكافور وفيها خمســمائة أفرنجي ومعهم العدة والسلاح وكان لهم مدة في البحر فلما لاح لهم قلع المركب التي فيها صفية ومن معهــا من البنات انقضوا عليها مسرعين فما كان غير ساعة حتى وصلوا إلى تلك المركب ووضعوا فيها الكلاليــب وجروها وحلوا قلوعهم وقصدوا جزيرتهم فما بعدوا غير قليل حتى انعكس عليهم الريح فجذبهم إلى شعب بعد أن مزق قلوع مركبهم وقربهم منا فخرجنا فرأينا غنيمة قد إنساقت إلينا فأخذناهم وقتلناهم واغتنمنا ما معهــم من الأموال والتحف وكان في مركبهم أربعون جارية ومن جملتهم صفية بنت الملك فأخذنا الجواري وقدمناها إلى أبي ونحن لا نعرف أن من جملتهن أبنة الملك أفريدون ملك القسطنطينية فاختار أبي منهن عشر جواري وفيهن ابنة الملك وفرق الباقي على حاشيته ثم عزل خمسة فيهن ابنة الملك من العشر جواري وأرسل تلــك الخمسة هدية إلى والدك عمر النعمان مع شيء من الجوخ ومن قماش الصوف ومن القماش الحرير الرومي فقبل الهدية أبوك واختار من الخمس الجواري صفية بنت الملك أفريدون فلما كان أول هذا العام أرسل أبوها إلى والدي مكتوباً فيه كلام لا ينبغي ذكره وصار يهدده في ذلك المكتوب ويوبخه ويقول له أنكم أخذتم مركبنا من منذ سنتين وكانت في يد جماعة لصوص من الأفرنج ومن جملة ما فيها بنتي صفية ومعها من الجواري نحو ستين جارية ولم ترسلوا على أحداً يخبرني بذلك وأنا لا أقدر أن أظهر خبرها خوفاً أن يكون في حقــي عاراً عند الملوك من أجل هتك ابنتي فكتمت أمري إلى هذا العام والذي بين لي ذلــك أنــي كاتبــت هــؤلاء اللصوص وسألتهم عن خبر ابنتي وأكدت عليهم أن يفتشوا عليها ويخبروني عند أي ملك هــي مــن ملــوك الجزائر فقالوا وا ما خرجنا بها من بلادك ثم قال في المكتوب الذي كتبه لوالدي أن لم يكن مرادكم معاداتي ولا فضيحتي ولا هتك ابنتي فساعة وصول كتابي إليكم ترسلوا إلى ابنتي من عنــدكم وأن أهملــتم كتــابي وعصيتم أمري فلابد أن أكافئكم على قبيح أفعالكم وسوء أعمالكم فلما وصلت هذه المكاتبة إلى أبي وقرأهــا وفهم ما فيها شق عليه ذلك وندم حيث لا يعرف أن صفية بنت الملك في تلك الجواري ليردها إلــى والــدها فصار متحيراً في أمره ولم يمكنه بعد هذه المدة المستطيلة أن يرسل إلى الملك عمر النعمان ويطلبهــا منــه



ولاسيما وقد سمعنا من مدة يسيرة أنه رزق من جاريته التي يقال لها صفية بنت الملك أفريدون أولادا فلما تحققنا ذلك علمنا أن هذه الورطة هي المصيبة العظمى ولم يكن لأبي حيلة غير أنه كتب جواباً للملك أفريدون يتعذر إليه فيه ويحلف له بالأقسام أنه لا يعلم أن أبنته من جملة الجواري التي كانت في تلك المركب ثم أظهر له على أنه أرسلها إلى الملك عمر النعمان وأنه رزق منها أولاداً فلما وصلت رسالة أبي إلى أفريدون ملك القسطنطينية قام وقعد وأرغى وأزبد وقال كيف تكون أبنتي مسبية بصفة الجواري وتتداولها أيدى الملوك ويطؤنها بلا عقد ثم قال وحق المسيح والدين الصحيح أنه لا يمكنني أن أتعاقد مع هذا الأمر دون أن آخذ الثأر وأكشف العار فلابد أن أفعل فعلاً يتحدث به الناس من بعدي ومازال صابر إلى أن عمل الحيلة ونصب مكايدة عظيمة وأرسل رسلاً إلى والدك عمر النعمان وذكر له ما سمعت من الأقوال حتى جهزك والدك بالعساكر التي معك من أجلها وسيرك إليه حتى يقبض عليك أنت ومن معك من عساكرك وأما الثلاث خرزات التي أخبر والدك بها في مكتوبه فليس لذلك صحة وأنما كانت مع صفية ابنته وأخذها أبي منها حين استولى عليها هي والجواري التي معها ثم وهبها لي وهي الآن عندي فاذهب أنت إلى عسكرك وردهم قبل أن يتوغلوا في بلاد الأفرنج والروم فأنكم إذا توغلتم في بلادهم يضيقون عليهم الطرق ولا يكن لكم خلاص من أيديهم إلى يوم الجزاء والقصاص وأنا أعرف أن الجيوش مقيمون في مكانهم لأنك أمرتهم بالإقامة ثلاثة أيام مع أنهم فقدوك في هذه المدة ولم يعلموا ماذا يفعلون فلما سمع شركان هذا الكلام صار مشغول الفكر بالأوهام ثم أنه قبل يد الملكة أبريزة وقال الحمد الذي من على بك وجعلك سبباً لسلامتي وسلامة من معي ولكن يعز على فراقك ولا أعلم ما يجري عليك بعدي فقالت له أذهب أنت الآن إلى عسكرك وردهم وأن فأنت الرسل عندهم فأقبض عليهم حتى يظهر لكم الخبر وأنتم بالقرب من بلادكم وبعد ثلاثة أيام أنا ألحقكم وما تدخلون بعداد إلا وأنا معكم فندخل كلنا سواء فلما أراد الإنصراف قالت له لا تنس العهد الذي بيني وبينك ثم أنها نهضت قائمة معه لأجل التوديع والعناق وأطفاء نار الأشواق وبكت بكاء يذيب الأحجار وأرسلت الدموع كالأمطار فلما رأى منها ذلك البكاء والدموع اشتد به الوجد والولوع ونزع في الوداع دمع العين وأنشد هذين البيتين:

ودعتها ويدي اليمين لا دمعي ... ويدي اليسار لضمة وعناق

قالت أما تخشى الفضيحة قلت لا ... يوم الوداع فضيحة العشاق

ثم فارقها شركان ونزلا من الدير وقدموا له جواده فركب وخرج متوجهاً إلى الجسر فلما وصل إليه مر من فوقه ودخل بين تلك الأشجار فلما تخلص من الأشجار ومشى في ذلك المرج وإذا هو بثلاثة فوارس فأخذ لنفسه الحذر منهم وشهر سيفه وانحدر فلما قربوا منه ونظر بعضهم بعضاً عرفوه وعرفهم ووجد أحدهم الوزير دندان ومعه أميران وعندما عرفوه ترجلوا له وسلموا عليه وسأله الوزير دندان عن سبب غيابه فأخبره بجميع ما جرى له من الملكة أبريزة من أوله إلى آخره وسأله الوزير دندان عن سبب غيابه فأخبره بجميع ما جرى له من الملكة أبريزة من أوله إلى آخره فحمد ا تعالى على ذلك ثم قال شركان أرحلوا بنا من هذه البلاد لأن الرسل الذين جاءوا معنا رحلوا من عندنا ليعلموا ملكهم بقدومنا فربما أسرعوا إلينا وقبضوا علينا ثم نادى شركان في عسكره من عندنا ليعلموا ملكهم بقدومنا فربما أسرعوا إلينا وقبضوا علينا

ثم نادى شركان في عسكره بالرحيل فرحلوا كلهم ولم يزالوا سائرين مجدين في السير حتى وصلوا إلى سطح الوادي وكانت الرسل قد توجهوا إلى ملكهم وأخبروه بقدوم شركان فجهز إليه عسكر ليقبضوا عليه وعلى من معه هذا ما كان من أمر الرسل وملكهم (وأما) ما كان من أمر شركان فإنه سـافر بعسـكره مـدة خمسـة وعشرين يوماً حتى أشرفوا على أوائل بلادهم فلما وصلوا هناك أمنوا على أنفسهم ونزلوا لأخذ الراحة فخرج إليهم أهل تلك البلاد بالضيافات وعليق إلبهائم ثم أقاموا يومين ورحلوا طالبين ديارهم وتأخر شركان بعـدهم مائة فارس وجعل الوزير دندان أميراً على من معه من الجيش فسار الوزير دندان بمن معه مسيرة يوم ثـم بعد ذلك ركب شركان هو والمائة فارس الذين معه وساروا مقدار فرسخين حتى وصلوا إلى محل مضيق بين جبلين وإذا أمامهم غبرة وعجاج فمنعوا خيولهم من السير مقدار ساعة حتى انكشف الغبار وبان مـن تحتـه مائة فارس ليوث عوابس وفي الحديد والزرد غواطس فلما أن قربوا من شركان ومن معه صـاحوا علـيهم وقالوا وحق يوحنا ومريم أننا قد بلغنا ما أملناه ونحن خلفكم مجدون السير ليلاً ونهاراً حتى سبقناكم إلى هـذا المكان فأنزلوا عن خيولكم وأعطونا أسلحتكم وسلموا لنا انفسكم حتى نجود عليكم بارواحكم فلما سمع شركان ذلك الكلام لاجت عيناه واحمرت وجنتاه وقال لهم يا كلاب النصارى كيف تجاسرتم علينـا وجئـتم بلادنـا ومشيتم في أرضنا وما كفاكم ذلك حتى تخاطبونا بهذا الخطاب أظننتم أنكم تخلصون من أيدينا وتعودون إلـى بلادكم ثم صاح على المائة فارس الذين معه وقال لهم دونكم وهؤلاء الكلاب فإنهم في عددكم ثم سـل سـيفه وحمل عليهم وحملت معه المائة فارس فأستقبلتهم الأفرنج بقلوب أقوى من الصـخر وأصـطدمت الرجـال بالرجال ووقعت الأبطال بالأبطال والتحم القتال واشتد النزال وعظمت الأهوال وقد بطل القيل والقـال ولـم يزالوا في الحرب ولكفاح والضرب بالصفاح إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فانفصلوا عن بعضـهم واجتمع شركان بأصحابه فلم يجد أحداً مهم مجروحاً غير أربعة أنفس حصل لهم جراحات سليمة فقـال لهـم شركان أنا عمري أخوض بحر الحرب العجاج المتلاطم من السيوف بالأمواج وأقاتل الرجال فو ا ما لقيت أصبر على الجلاد وملاقاة الرجال مثل هؤلاء الأبطال فقالوا له اعلم أيها الملك أن فيهم فارساً أفرنجياً وهـو المقدم عليهم له شجاعة وطعنات نافذات غيران كل من وقع منا بين يديه يتغافل عنه ولا يقتله فو ا لو أراد قتلنا لقتلنا بأجمعنا فتحير شركان لما سمع ذلك المقال وقال في غد نصطف ونبارزهم فها نحن مائة وهم مائة ونطلب النصر عليهم من رب السماء وباتوا تلك الليلة على ذلك الاتفاق وأما الأفرنج فـإنهم اجتمعـوا عنـد مقدمهم وقالوا له أننا ما بلغنا اليوم في هؤلاء إرباً فقال لهم في غد نصطف ونبارزهم واحداً بعد واحد فبـاتوا على ذلك الاتفاق أيضاً فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رءوس الروابي والبطاح وسلمت على محمد زين الملاح ركب الملك شركان وركب معه المائة فارس وأتوا إلى الميدان كلهم فوجـدوا الأفرنج قد اصطفوا للقتال فقال شركان لأصحابه أن أعداءنا قد اصطفوا فدونكم والمبادرة إليهم فنادى منـاد من الأفرنج لا يكون قتالنا في هذا اليوم إلا مناوبة بأن يبرز بطل منكم إلى بطل منا فعند ذلك برز فارس من أصحاب شركان وسار بين الصفين وقال هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز لي اليوم كسلان ولا عـاجز فلم يتم كلامه حتى برز إليه فارس من الأفرنج غريق في سلاحه وقماشه من ذهب وهو راكب علـى جـواد أشهب وذلك الأفرنجي لا نبات بعارضيه فسار جواده حتى وقف في وسـط الميـدان وصـادمه بالضـرب

والطعان فلم يكن غير ساعة حتى طعنه الأفرنجي بالرمح فنكسه عن جواده وأخذه أسيراً وقاده حقيراً ففرح به قومه ومنعوه أن يخرج إلى الميدان وأخرجوا غيره وقد خرج إليه من المسلمين آخر وهو أخو الأسير ووقف معه في الميدان وحمل الأثنان على بعضهما ساعة يسيرة ثم كر الأفرنجي على المسلم وغالطه وطعنه بعقب الرمح فنكسه عن جواده وأخذه أسيراً وما زال يخرج إليهم من المسلمين واحداً بعد واحد والأفرنج يأسرونهم إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد أسروا من المسلمين عشرون فارساً فلما عاين شـركان ذلـك عظم عليه الأمر فجمع أصحابه وقال لهم ما هذا الأمر الذي حل بنا أنا أخرج في غد إلى الميـدان وأطلـب براز الأفرنجي المقدم عليهم وأنظر ما الذي حمله على أن يدخل بلادنا وأحذره من قتالنا فإن أبى قاتلنـاه وأن صالحنا صالحناه وباتوا على هذا الحال إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنـوره ولاح ثـم ركـب الطائفتـان واصطف الفريقان فلما خرج شركان إلى الميدان رأى الأفرنج قد ترجل منهم أكثر من نصفهم قـدام فـارس منهم ومشوا قدامه إلى أن صاروا في وسط الميدان فتأمل شركان ذلك الفارس فرآه الفارس المقدم عليهم وهو لابس قباء من أطلس أزرق وجهه فيه كالبدر إذا أشرق ومن فوقه زردية ضيقة العيون وبيده بسـيف مهنـد وهو راكب على جواد أدهم في وجهه غرة كالدرهم وذلك الأفرنجي لإنبات بعارضيه ثم أنه لكز جواده حتى صار في وسط الميدان وأشار إلى المسلمين وهو يقول بلسان عربي فصيح يا شركان يا ابن عمـر النعمـان الذي ملك الحصون والبلدان دونك والحرب والطعان وأبرز إلى من قد ناصفك في الميدان فأنت سيد قومـك وأنا سيد قومي فمن غلب منا صاحبه أخذه هو وقومه تحت طاعته فما أستتم كلامه حتى برز له شركان وقلبه من الغيظ ملآن وساق جواده حتى دنا من الأفرنجي في الميدان فكر عليه الأفرنجي كالأسد الغضبان وصدمه صدمة الفرسان وأخذا في الطعن والضرب وصارا إلى حومة الميدان كأنهما جبلان يصـطدمان أو بحـران يلتطمان ولم يزالا في قتال وحرب ونزال من أول النهار إلى أن أقبل الليل بالاعتكار ثم أنفصل كل منهما من صاحبه وعاد إلى قومه فلما اجتمع شركان بأصحابه قال لهم ما رأيت مثل هذا الفارس قط إلا إني رأيت منه خصلة لم أرها من أحد غيره وهو أنه إذا لاح له في خصمه مضرب قاتل يقلب الرمح ويضرب بعقبه ولكـن ما أدري ماذا يكون مني ومنه ومرادي أن يكون في عسكرنا مثله ومثل أصحابه وبات شركان فلما أصـبح الصباح خرج له الأفرنجي ونزل في وسط الميدان وأقبل عليه شركان ثم أخذا في القتال وأوسعا في الحـرب والمجال وامتدت إليهما الاعناق ولم يزالا في حرب وكفاح وطعن بالرماح إلى أن ولى النهار وأقبـل الليـل بالاعتكار ثم افترقا ورجعا إلى قومهم وصار كل منهما يحكي لأصحابه مالاقاه من صاحبه ثم أن الأفرنجـي قال لأصحابه في غد يكون الانفصال وباتوا تلك الليلة إلى الصباح ثم ركب الأثنان وحملا على بعضهما ولم يزالا في الحرب إلى نصف النهار وبعد ذلك عمل الأفرنجي حيلة ولكن جواده ثم جذبه اللجام فعثر به فرماه فانكب عليه شركان وأراد أن يضربه بالسيف خوفاً أن يطول به المطال فصاح به بالأفرنجي وقال يا شركان ما هكذا تكون الفرسان أنما هو فعل المغلوب بالنسوان فلما سمع شركان من ذلك الفارس هذا الكـلام رفـع طرفه إليه وأمعن النظر فيه فوجده الملكة أبريزة التي وقع له معها ما وقع في الدير فلما عرفها رمى السيف من يده وقبل الأرض بين يديها وقال لها ما حملك على هذه الفعال فقالت له أردت أن أختبرك فـي الميـدان وأنظر ثباتك في الحرب والطعان وهؤلاء الذين معي كلهم جواري وكلهن بنات أبكار وقد قهرن فرسانك في

حومة الميدان ولولا أن جوادي قد عثر بي لكنت ترى قوتي وجلادي فتبسم شركان من قولها وقال الحمـد على السلامة وعلى اجتماعي بك يا ملكة الزمان ثم أن الملكة أبريزة صاحت على جواريها وأمرتهن بالرحيل بعد أن يطلقن العشرين أسير الذين كن أسرتهن من قوم شركان فامتثلت الجواري أمرها ثم قبلن الأرض بين يديها فقال لهن مثلكن من يكون عند الملوك مدخراً للشدائد ثم أنه أشار إلى أصحابه أن يسلموا عليها فترجلوا جميعاً وقبلوا الأرض بين يدي الملكة أبريزة ثم ركب المائتا فارس وساروا في الليل والنهار مدة سـتة أيـام وبعد ذلك أقبلوا على الديار فأمر شركان الملكة أبريزة وجواريها أن ينزعن ما عليهن مـن لبـاس الأفـرنج وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

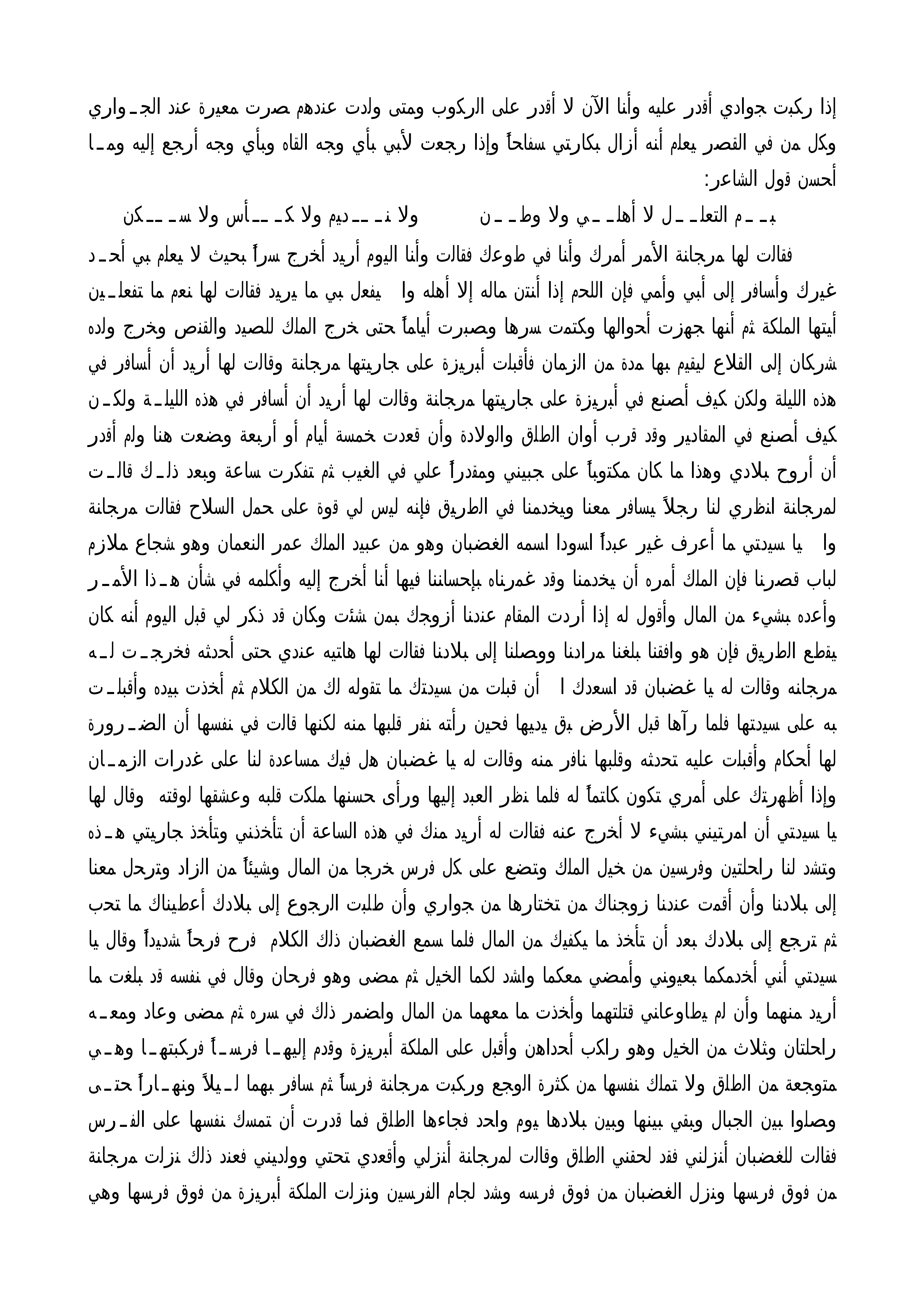
(وفي ليلة ٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شركان أمر الملكة أبريزة وجواريها أن ينزعن ما عليهن من الثيـاب وأن يلبسن لباس بنات الروم ففعلن ذلك ثم إنه أرسل جماعة من أصحابه إلى بغداد ليعلم والده عمر النعمـان بقدومه ويخبره أن الملكة أبريزة بنت ملك الروم جاءت صحبته لأجل أن يرسل موكباً لملاقاتهم ثم أنهم نزلوا من وقتهم وساعتهم في المكان الذي وصلوا إليه وباتوا فيه إلى الصباح فلما أصبح الصباح ركب شركان هو ومن معه وركبت أيضاً الملكة أبريزة هي ومن معها وأستقبلوا المدينة وإذا بالوزير دندان قد أقبل فـي ألـف فارس من أجل ملاقاة الملكة أبريزة هي وشركان وكان خروجه بإشارة الملك عمر النعمان كما أرسـل إليـه ولده شركان فلما قربوا منهما توجهوا إليهما وقبلوا الأرض بين أيديهما ثم ركبا وركبوا معهما وصاروا فـي خدمتهما حتى وصلا إلى المدينة وطلعا قصر الملك ودخل شركان على والده فقام إليه وأعتنقه وسـأله عـن الخبر فأخبره بما قالته الملكة أبريزة وما أتفق له معها وكيف فارقت مملكتها وفارقت أباها وقـال لـه أنهـا اختارت الرحيل معنا والقعود عندنا وأن ملك القسطنطينية أراد أن يعمل لنا حيلة من أجل صفية بنته لأن ملك الروم قد أخبره بحكايتها وبسبب أهدائها إليك وأن ملك الروم ما كان يعرف أنها ابنة الملك أفريـدون مـلـك القسطنطينية ولو كان يعرف ذلك ما كان أهداها إليك بل كان يردها إلى والدها ثم قال شركان لوالـده ومـا يخلصنا من هذه الحيل والمكايد إلا أبريزة بنت ملك القسطنطينية وما رأينا أشجع منها ثم أنه شـرع يحكـي لأبيه ما وقع له معها من أوله إلى آخره من أمر المصارعة والمبارزة فلما سمع الملك عمر النعمان من ولده شركان ذلك الكلام عظمت أبريزة عنده وصار يتمنى أنه يراها ثم أنه طلبها لأجل أن يسألها فعند ذلك ذهـب شركان إليها وقال لها أن الملك يدعوك فأجابت بالسمع والطاعة فأخذها شركان وأتى بها إلى والـده وكـان والده قاعداً على كرسيه وأخرج من كان عنده ولم يبق عنده غير الخدم فلما دخلت الملكة أبريزة على المـلك عمر النعمان قبلت الأرض بين يديه وتكلمت بأحسن الكلام فتعجب الملك من فصاحتها وشكرها على ما فعلت مع ولده شركان وأمرها بالجلوس فجلست وكشفت عن وجهها فلما رآها الملك خبل بينه وبين عقله ثـم أنـه قربها إليه وأدناها منه وأفرد لها قصراً مختصاً بها وبجواريها ورتب لها ولجواريها الرواتب ثم أخذ يسـألها عن تلك الخرزات الثلاث التي تقدم ذكرها سابقاً فقالت له أن تلك الخرزات معي يا ملك الزمان ثم أنها قامت ومضت إلى محلها وفتحت صندوقاً وأخرجت منه علبة وأخرجت منه علبة وأخرجت من العلبـة حقـاً مـن الذهب وفتحته وأخرجت منه تلك الخرزات الثلاث ثم قبلتها وناولتها للملك وانصرفت فأخذت قلبه معها وبعد



انصرافها أرسل إلى ولده شركان فحضر فأعطاه خرزة من الثلاث خرزات فسأله عن الأثنين الأخريين فقال يا ولدي قد أعطيت منهما واحدة لأخيك ضوء المكان والثانية لأختك نزهة الزمان فلما سمع شركان أن له أخاً يسمى ضوء المكان وما كان يعرف إلا أخته نزهة الزمان التفت إلى والده الملك النعمان وقال له يـا والـدي ألك ولد غيري قال نعم وعمره الآن ست سنين ثم أعلمه أن اسمه ضوء المكان وأخته نزهة الزمان وأنهمـا ولدا في بطن واحد فصعب عليه ذلك ولكنه كتم سره وقال لوالده على بركة ا تعالى ثم رمى الخرزة من يده ونفض ثوبه فقال له الملك مالي أراك قد تغيرت أحوالك لما سمعت هذا الخبر مع أنك صاحب المملكـة مـن بعدي وقد عاهدت أمراء الدولة على ذلك وهذه خرزة لك من الثلاث خرزات فأطرق شـركان برأسـه إلـى الأرض واستحى أن يكافح والده ثم قام وهو لا يعلم كيف يصبغا من شدة الغيظ ومازال ماشياً حتـى دخـل قصر الملكة أبريزة فلما أقبل عليها نهضت إليه قائمة وشكرته على فعاله ودعت له ولوالده وجلست وأجلسته في جانبها فلما استقر به الجلوس رأت في وجهه الغيظ فسألته عن حاله وما سبب غيظه فأخبرهـا أن والـده الملك عمر النعمان رزق من صفية ولدين ذكراً وأنثى وسمى الولد ضوء المكان والأنثى نزهة الرمان وقـال لها أنه أعطاهما خرزتين وأعطاني واحدة فتركتها وأنا إلى الآن لم أعلم بذلك إلا في هذا الوقت فخنقني الغيظ وقد أخبرتك بسبب غيظي ولم أجبت عنك شيئاً وأخشى عليك أن يتزوجك فأني رأيت منه علامة الطمع فـي أنه يتزوج بك فما تقولين أنت في ذلك فقالت أعلم يا شركان أن أباك ما له حكم على ولا يقـدر أن يأخـذني بغير رضاي وأن كان يأخذني غصباً قتلت روحي وأما الثلاث خرزات فما كان على بالي أنه ينعم على أحـد من أولاده بشيء منها وما ظننت إلا أنه يجعلها في خزائنه مع ذخائره ولكن اشتهي من إحسانك أن تهب لـي الخرزة التي أعطاها لك والدك أن قبلتها منه فقال سمعاً وطاعة ثم قالت له لا تخف وتحـدثت معـه سـاعة وقالت له أني أخاف أن يسمع أبي أني عندكم فيسعى في طلبي ويتفق هو والملك أفريدون مـن أجـل ابنتـه صفية فيأتيان إليكم بعساكر وتكون ضجة عظيمة فلما سمع شركان ذلك قال لها يا مولاتي إذا كنت راضـية بالإقامة عندنا لا تفكري فيهم فلو اجتمع علينا كل من في البر والبحر لغلبناهم فقالت ما يكون إلا الخير وهـا أنتم أن أحسنتم إلى قعدت عندكم وأن أسأتموني رحلت من عندكم ثم أنها أمرت الجواري بإحضار شيء مـن الأكل فقدمن المائدة فأكل شركان شيئاً يسيراً ومضى إلى داره مهموماً مغموماً هذا ما كان من أمر شـركان (وأما) ما كان من أمر أبيه عمر النعمان فإنه بعد انصراف ولده شركان من عنده قام ودخل علـى جاريتـه صفية ومعه تلك الخرزات فلما رأته نهضت قائمة على قدميها إلى أن جلس فأقبل عليه ولداه ضـوء المكـان ونزهة الزمان فلما رآهما قبلهما وعلق على كل واحد منهما خرزة ففرحا بالخرزتين وقبلا يديه وأقبلا علـى أمهما ففرحت بهما ودعت للملك بطول الدوام فقال لها الملك يا صفية حيث أنك ابنة الملـك أفريـدون ملـك القسطنطينية لأي شيء لم تعلميني لأجل أن أزيد في أكرامك ورفع منزلتك فلما سمعت صفية ذلك قالت أيهـا الملك وماذا أريد أكثر من هذا زيادة على هذه المنزلة التي أنا فيها فها أنا مغمورة بأنعامـك وخيـرك وقـد رزقني ا منك بولدين ذكراً وأنثى فأعجب الملك عمر النعمان كلامها واستظرف عذوبة الفاظها ودقة فهمها وظرف أدابها ومعرفتها ثم أنه مضى من عندها وأفرد لها ولأولادها قصراً عجيباً ورتب لهم الخدم والحشـيم والفقهاء والحكماء والفلكية والأطباء والجرائحية وأوصاهم بهم وزاد في رواتبهم وأحسن إليهم غاية الإحسان

ثم رجع على قصر المملكة والمحاكمة بين الناس هذا ما كان من أمره مع صفية وأولادها (وأما) ما كان من أمره مع الملكة أبريزة فإنه اشتغل بحبها وصار ليلاً ونهاراً مشغوفاً بها وفي كل ليلة يدخل إليهـا ويتحـدث عندها ويلوح لها بالكلام فلم ترد له جواباً بل تقول يا ملك الزمان أنا في هذا الوقت مالي غرض في الرجـال فلما رأى ثمنها منه اشتد به الغرام وزاد عليه الوجد والهيام فلما أعياه ذلك أحضر وزيره دندان وأطلعه على ما في قلبه من محبة الملكة أبريزة أبنة الملك حردوب وأخبره أنها لا تدخل في طاعته وقد قتله حبها ولم ينل منها شيئاً فلما سمع الوزير دندان ذلك قال للملك إذا جن الليل فخذ معك قطعة بنج مقدار مثقال وأدخل عليهـا وأشرب معها شيئاً من الخمر فإذا كان وقت الفراغ من الشرب والمنادمة فأعطها القدح الأخير واجعـل فيـه ذلك البنج وأسقها إياه فإنها ما تصل إلى مرقدها إلا وقد تحكم عليها البنج فتبلغ غرضك منها وهذا ما عنـدي من الرأي فقال له الملك نعم ما أشرت به على ثم أنه عمد إلى خزائنه وأخرج منها قطعة بنج مكرر لو شمه الفيل لرقد من السنة إلى السنة ثم أنه وضعها في جيبه وصبر إلى أن مضى قليل من الليل ودخل على الملكة أبريزة في قصرها فلما رأته نهضت إليه قائمة فأذن لها بالجلوس فجلست وجلس عندها وصار يتحدث معهـا في أمر الشراب فقدمت سفره الشراب وصفت له الأواني وأوقدت الشموع وأمرت بإحضار النقـل والفاكهـة وكل ما يحتاجان إليه وصار يشرب معها وينادمها إلى أن دب السكر في رأس الملكة أبريزة فلما علم الملـك عمر النعمان ذلك أخرج القطعة البنج من يده وجعلها بين أصابعه وملأ كأساً بيده وشربه وملأ ثانياً وأسـقط القطعة البنج من جيبه فيه وهي لا تشعر بذلك ثم قال لها خذي أشربي هذا فأخذته الملكة أبريزة وشربته فمـا كان إلا دون ساعة حتى تحكم البنج عليها وسلب أدراكها فقام إليها فوجدها ملقاة على ظهرها وقد كانت قلعت السراويل من رجليها ورفع الهواء ذيل قميصها عنها فلما دخل عليها الملك ورآها على تلك الحالة ووجد عند رأسها شمعة وعند رجليها شمعة تضيء على ما بين فخذيها خيل بينه وبين عقله ووسوس له الشـيطان فمـا تمالك نفسه حتى قلع سراويله ووقع عليها وأزال بكارتها وقام من فوقها ودخل إلى جارية من جواريها يقـال لها مرجانة وقال لها أدخلي على سيدتك وكلميها فدخلت الجارية على سيدتها فوجدت دمهـا يجـري علـى سيقانها وهي ملقاة على ظهرها فمدت يدها إلى منديل من مناديلها واصلحت به شأن سيدتها ومسحت عنهـا ذلك الدم فلما اصبح الصباح تقدمت الجارية مرجانة وغسلت وجه سيدتها ويديها ورجليها ثم جـاءت بمـاء الورد وغسلت وجهها وفمها فعند ذلك عطست الملكة أبريزة وتقايت ذلك البنج فنزلت القطعة البنج من باطنها كالقرص ثم أنها غسلت فمها ويديها وقالت لمرجانة أعلميني بما كان من أمري فأخبرتها أنها رأتها ملقاة على ظهرها ودمها سائل على فخذيها فعرفت أن الملك عمر النعمان قد وقع بها وواصلها وتمـت حيلتـه عليهـا فاغتمت لذلك غماً شديداً وحجبت نفسها وقالت لجواريها امنعوا كل من أراد أن يدخل على وقولوا لـه أنهـا ضعيفة حتى انظر ماذا يفعل ا بي فعند ذلك وصل الخبر إلى الملك عمر النعمان بأن الملكة أبريزة ضعيفة فصار يرسل إليها الأشربة والسكر والمعاجين وأقامت على ذلك شهوراً وهي محجوبة ثم أن الملك قد بردت ناره وانطفأ شوقه إليها وصبر عنها وكانت قد علقت منه فلما مرت عليها أشهر وظهر الحمل وكبرت بطنها ضاقت بها الدنيا فقالت لجاريتها مرجانة اعلمي أن القوم ما ظلموني وأنما أنا الجانية على نفسي حيث تركت أبي وأمي ومملكتي وأنا قد كرهت الحياة وضعفت همتي ولم يبق عندي من الهمة ولا من القوة شيء وكنـت



إذا ركبت جوادي أقدر عليه وأنا الآن لا أقدر على الركوب ومتى ولدت عندهم صرت معيرة عند الجواري وكل من في القصر يعلم أنه أزال بكارتي سفاحاً وإذا رجعت لأبي بأي وجه القاه وبأي وجه أرجع إليه وما أحسن قول الشاعر:

بم التعلل لا أهلي ولا وطن   ولا نديم ولا كأس ولا سكن

فقالت لها مرجانة الأمر أمرك وأنا في طوعك فقالت وأنا اليوم أريد أخرج سراً بحيث لا يعلم بي أحد غيرك وأسافر إلى أبي وأمي فإن اللحم إذا أنتن ماله إلا أهله وا يفعل بي ما يريد فقالت لها نعم ما تفعلين أيتها الملكة ثم أنها جهزت أحوالها وكتمت سرها وصبرت أياماً حتى خرج الملك للصيد والقنص وخرج ولده شركان إلى القلاع ليقيم بها مدة من الزمان فأقبلت أبريزة على جاريتها مرجانة وقالت لها أريد أن أسافر في هذه الليلة ولكن كيف أصنع في أبريزة على جاريتها مرجانة وقالت لها أريد أن أسافر في هذه الليلة ولكن كيف أصنع في المقادير وقد قرب أوان الطلق والولادة وأن قعدت خمسة أيام أو أربعة وضعت هنا ولم أقدر أن أروح بلادي وهذا ما كان مكتوباً على جبيني ومقدراً علي في الغيب ثم تفكرت ساعة وبعد ذلك قالت لمرجانة انظري لنا رجلاً يسافر معنا ويخدمنا في الطريق فإنه ليس لي قوة على حمل السلاح فقالت مرجانة وا يا سيدتي ما أعرف غير عبداً اسودا اسمه الغضبان وهو من عبيد الملك عمر النعمان وهو شجاع ملازم لباب قصرنا فإن الملك أمره أن يخدمنا وقد غمرناه بإحساننا فيها أنا أخرج إليه وأكلمه في شأن هذا الأمر وأعده بشيء من المال وأقول له إذا أردت المقام عندنا أزوجك بمن شئت وكان قد ذكر لي قبل اليوم أنه كان يقطع الطريق فإن هو وافقنا بلغنا مرادنا ووصلنا إلى بلادنا فقالت لها هاتيه عندي حتى أحدثه فخرجت له مرجانه وقالت له يا غضبان قد اسعدك ا أن قبلت من سيدتك ما تقوله لك من الكلام ثم أخذت بيده وأقبلت به على سيدتها فلما رآها قبل الأرض بق يديها فحين رأته نفر قلبها منه لكنها قالت في نفسها أن الضرورة لها أحكام وأقبلت عليه تحدثه وقلبها نافر منه وقالت له يا غضبان هل فيك مساعدة لنا على غدرات الزمان وإذا أظهرتك على أمري تكون كاتماً له فلما نظر العبد إليها ورأى حسنها ملكت قلبه وعشقها لوقته وقال لها يا سيدتي أن امرتيني بشيء لا أخرج عنه فقالت له أريد منك في هذه الساعة أن تأخذني وتأخذ جاريتي هذه وتشد لنا راحلتين وفرسين من خيل الملك وتضع على كل فرس خرجا من المال وشيئاً من الزاد وترحل معنا إلى بلادنا وأن أقمت عندنا زوجناك من تختارها من جواري وأن طلبت الرجوع إلى بلادك أعطيناك ما تحب ثم ترجع إلى بلادك بعد أن تأخذ ما يكفيك من المال فلما سمع الغضبان ذلك الكلام فرح فرحاً شديداً وقال يا سيدتي أني أخدمكما بعيوني وأمضي معكما واشد لكما الخيل ثم مضى وهو فرحان وقال في نفسه قد بلغت ما أريد منهما وأن لم يطاوعاني قتلتهما وأخذت ما معهما من المال واضمر ذلك في سره ثم مضى وعاد ومعه راحلتان وثلاث من الخيل وهو راكب أحداهن وأقبل على الملكة أبريزة وقدم إليها فرساً فركبتها وهي متوجعة من الطلق ولا تملك نفسها من كثرة الوجع وركبت مرجانة فرساً ثم سافر بهما ليلاً ونهاراً حتى وصلوا بين الجبال وبقي بينها وبين بلادها يوم واحد فجاءها الطلق فما قدرت أن تمسك نفسها على الفرس فقالت للغضبان أنزلني فقد لحقني الطلق وقالت لمرجانة أنزلي وأقعدي تحتي وولديني فعند ذلك نزلت مرجانة من فوق فرسها ونزل الغضبان من فوق فرسه وشد لجام الفرسين ونزلت الملكة أبريزة من فوق فرسها وهي

غائبة عن الدنيا من شدة الطلق وحين رآها الغضبان نزلت على الأرض وقف الشيطان فـي وجهـه فشـهر حسامه في وجهها وقال يا سيدتي أرحميني بوصلك فلما سمعت مقالته التفتت إليه وقالت له ما بقي إلا العبيد السود بعد ما كنت لا أرضى بالملوك الصناديد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة أبريزة لما قالت للعبد العبد هو الغضبان ما بقي إلا العبيد السود ثم صارت تبكته وأظهرت له الغيظ وقالت له ويلك ما هذا الكلام الذي تقوله لي فلا تتكلم بشيء من هذا فـي حضرتي واعلم أنني لا أرضى بشيء بما قلته ولو سقيت كأس الردى ولكن أصبر حتى أصلح الجنين وأصلح شأني وأرمي الخلاص ثم بعد ذلك أن قدرت على فافعل بي ما تريد وأن لم تترك فاحش الكلام في هذا الوقت فإني أقتل نفسي بيدي وأرتاح من هذا كله ثم أنشدت هذه الأبيات:

أيـــا غضـــبان دعنـــي قـــد كفـــاني ... مكايـــــدة الحـــــوادث والزمـــــان

عـــن الفحشـــاء ربـــي قـــد نهـــاني ... وقـــال النـــار مثـــوى مـــن عصـــاني

وأنـــي لا أميـــل بفعـــل ســـوء ... بعـــين الـــنقص دعنـــي لا تراني

ولـــم تتـــرك الفحشـــاء عنـــي ... وترعـــى حرمتـــي فـــيمن رعـــاني

لاصـــرح طـــاقتي لرجـــال قـــومي ... وأجلـــب كـــل قاصـــيها ودانـــي

ولـــو قطعـــت بالســـيف اليمـــاني ... لمـــا خليـــت فحاشـــا يراني

مـــن الأحـــراء والكبـــراء طـــرا ... فكيـــف العبـــد مـــن نســـل الزواني

فلما سمع الغضبان ذلك الشعر غضب غضباً شديداً واحمرت مقلته وأغبرت سحنته وأنتفخت منـاخره وامتدت مشافره وزادت به النفرات وأنشد هذه الأبيات:

أيـــا أبريـــزة لا تتركينـــي ... قتيـــل هـــواك يـــا للحـــظ اليمـــاني

فقلبـــي قـــد تقطـــع مـــن جفـــاكي ... وجســـمي ناحـــل والصـــبر فـــإني

ولفظـــك قـــد ســـبى الألبـــاب ســـحراً ... فعقلـــي نـــازح والشـــوق دانـــي

ولـــو أجلبـــت مـــلء الأرض جيشـــاً ... لا بلـــغ مـــا ربـــى فـــي ذا الزمـــان

فلما سمعت أبريزة كلامه بكت بكاء شديداً وقالت ويلك يا غضبان وهل بلغ من قدرك أن تخاطبني بهذا الخطاب يا ولد الزنا وتربية الخنا أتحسب أن الناس كلهم سواء فلما سمع ذلك العبد النحس هذا الكلام غضب منها غضباً شديداً وتقدم إليها وضربها بالسيف فقتلها وساق جوادهما قدامه بعد أن أخذ المال وفر بنفسه هارباً في الجبال هذا ما كان من أمر الغضبان (وأما) ما كان من أمر الملكة أبريزة فإنها صـارت طريحـة علـى الأرض وكان الولد الذي ولدته ذكراً فحملته مرجانة في حجرها وصرخت صرخة عظيمة وشـقت أثوابهـا وصارت تحثو التراب على رأسها وتلطم على خدها حتى طلعا الدم من وجهها وقالت واخيبتاه كيـف قتـل سيدتي عبد أسود لا قيمة له بعد فروسيتها فبينما هي تبكي وإذا هي بغبار قد ثار حتى سـد الأقطـار ولهـا انكشف ذلك الغبار بأن من تحته عسكر جرار وكانت العساكر عساكر ملك الروم والد الملكة أبريزة وسـبب ذلك أنه لما سمع أن ابنته هربت هي وجواريها إلى بغداد وأنها عند الملك عمر النعمان خرج بمن معه يتشمم

الأخبار من بعض المسافرين أن كانوا رأوها عند الملك عمر النعمان فخرج بمن معه ليسأل المسافرين من أين أتوا لعله يعلم بخبر ابنته وكان على بعد هؤلاء الثلاثة أبنته والعبد الغضبان وجاريتها مرجانه فقصدهم ليسألهم فلما قصدهم خاف العبد على نفسه سبب قتلها فنجا بنفسه فلما أقبلوا عليها رآها أبوها مرمية على الأرض وجاريتها تبكي عليها فرمي نفسه من فوق جواده ووقع في الأرض مغشياً عليه فترجل كل من كان معه من الفرسان والأمراء والوزراء وضربوا الخيام في الجبال ونصبوا قبة للملك حردوب ووقف أرباب الدولة خارج تلك القبة فلما رأت مرجانة سيدها عرفته وزادت في البكاء والنحيب فلما أفاق الملك من غشيته سألها عن الخبر فأخبرته بالقصة وقالت له أن الذي قتل أبنتك عبد أسود من عبيد الملك النعمان وأخبرته بما فعله الملك عمر النعمان بابنته فلما سمع الملك حردوب ذلك الكلام أسودت الدنيا في وجهه وبكي بكاء شديداً ثم أمر بإحضار محفة وحمل بنته فيها ومضى إلى قيسارية وأدخلوها القصر ثم أن الملك حردوب دخل على أمه ذات الدواهي وقال لها أهكذا يفعلون المسلمون ببنتي فإن الملك عمر النعمان أزال بكارتها قهراً وبعد ذلك قتلها عبداً أسود من عبيده فوحق المسيح لابد من أخذ ثار بنتي وكشف العار عن عرضي وإلا قتلت نفسي بيدي ثم بكى بكاء شديداً فقالت له أمه ذات الدواهي ما قتل ابنتك إلا مرجانة لأنها كانت تكرهها في الباطن ثم قالت لولدها لا تحزن من أخذ ثارها فوحق المسيح لا أرجع عن الملك عمر النعمان حتى أقتله وأقتل أولاده ولا عمان معه عملاً تعجز عنه الدهاة والأبطال ويتحدث عنه المتحدثون في جميع الأقطار ولكن ينبغي لك أن تتمثل أمري في كل ما أقوله وأنت تبلغ ما تريد فقال وحق المسيح لا أخالفك أبداً فيما تقولينه قالت له أئتني بجوار نهد أبكار وائتني بحكماء الزمان وأجزل لهم العطايا وأمرهم أن يعلموا الجواري الحكمة والأدب وخطاب الملوك ومنادمتهم والأشعار وأن يتعلموا بالحكمة والمواعظ ويكون الحكماء مسلمين لأجل أن يعلموهن أخبار العرب وتواريخ الخلفاء وأخبار من سلف من ملوك الأسلام ولو أقمنا على ذلك عشرة أعوام وطول روحك وأصبر فإن بعض الأعراب يقول أن أخذ الثار بعد أربعين عاماً مدته قليلة ونحن إذا علمنا تلك الجواري بلغنا من عدونا ما نختار لأنه ممتحن بحب الجواري وعنده ثلثمائة وست وستون جارية وأزددن مائة جارية من خواص جواريك التي كن مع المرحومة فإذا تعلم الجواري ما أخبرتك من العلوم فإنني آخذهم بعد ذلك ،أسافر بهم فلما سمع الملك حردوب كلام أمه ذات الدواهي فرح فرحاً شديداً وقبل رأسها ثم أرسل من وقته وساعته المسافرين والقصاد إلى أطراف البلاد ليأتوا إليه بالحكماء من المسلمين فامتثلوا أمره وسافروا أتي بلاد بعيدة وأتوا بما طلبه من الحكماء والعلماء فلما حضروا بين يديه أكرمهم غاية الأكرام وخلع عليهم الخلع ورتب لهم الرواتب والجرايات ووعدهم بالمال الجزيل إذا فعلوا ما أمرهم به ثم أحضر لهم الجواري وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العلماء والحكماء لما حضروا عند الملك حردوب أكرمهم إكراماً زائداً وأحضروا الجواري بين أيديهم وأوصاهم أن يعلموهن الحكمة والأدب فامتثلوا أمره هذا ما كان من أمر الملك حردوب وأما ما كان من أمر الملك عمر النعمان فإنه لما عاد من الصيد والقنص وطلع القصر طلب الملكة أبريزة فلم يجدها ولم يخبره أحد عنها فعظم عليه ذلك وقال كيف تخرج هذه الجارية من القصر ولم يعلم بها

أحد فإن كانت مملكتي على هذا الأمر فإنها ضائعة المصلحة ولا ضابط لها فما بقيت أخرج إلى الصيد والقنص حتى أرسل إلى الأبواب من يتوكل بها واشتد حزنه وضاق صدره لفراق الملكة أبريزة فبينما هو كذلك وإذا بولده شركان قد أتى من سفره فاعلمه والده بذلك وأخبره أنها هربت وهو في الصيد والقنص فاغتم شركان لذلك غماً شديداً ثم أن الملك صار يتفقد أولاده كل يوم ويكرمهم وكان قد أحضر العلماء والحكماء ليعلموهم العلم ورتب لهم الرواتب فلما رأى شركان ذلك الأمر غضب غضباً شديداً وحسد أخوته على ذلك إلى أن ظهر أثر الغيظ في وجهه ولم يزل متمرضاً حتى هذا الأمر فقال له والده يوماً من الأيام مالي أراك تزداد ضعفاً في جسمك واصفرار في لونك فقال له شركان يا والدي كلما رأيتك تقرب أخواتي وتحسن إليهم يحصل عندي حسد وأخاف أن يزيد بي الحسد فأقتلهم وتقتلني أنت بسببهم إذا أنا قتلتهم فمرض جسمي وتغير لوني بسبب ذلك ولكن أنا اشتهي من إحسانك أن تعطيني قلعة من القلاع حتى أقيم بها بقية عمري فإن صاحب المثل يقول بعدي عن حبيبي أجمل لي وأحسن عين لا تنظر وقلب لا يحزن ثم أطرق برأسه إلى الأرض فلما سمع الملك عمر النعمان كلامه عرف سبب ما هو فيه من التغير فأخذ بخاطره وقال له يا ولدي أني أجيبك إلى ما تريد وليس في ملكي أكبر من قلعة دمشق فقد ملكتها من هذا الوقت ثم أحضر الموقعين في الوقت والساعة وأمرهم بكتابة تقليد ولده شركان ولاية دمشق الشام فكتبوا له ذلك وجهزوه وأخذ الوزير دندان معه وأوصاه بالمملكة والسياسة وقلده أموره ثم ودعه والده وودعته الأمراء وأكابر الدولة وصار بالعسكر حتى وصل إلى دمشق فلما وصل إليها دق له أهلها الكاسات وصاحوا بالبوقات وزينوا المدينة وقابلوه بموكب عظيم سار فيه أهل الميمنة ميمنة وأهل الميسرة ميسرة هذا ما كان من أمر شركان (وأما) ما كان من أمر والده عمر النعمان فإنه بعد سفر ولده شركان أقبل عليه الحكماء وقالوا له يا مولانا أن أولادك تعلموا الحكمة والأدب فعند ذلك فرح الملك عمر النعمان فرحاً شديداً وأنعم على جميع الحكماء حيث رأى ضوء المكان كبر وترعرع وركب الخيل وصار له من العمر أربع عشر سنة وطلع مشتغلاً بالدين والعبادة محباً للفقراء وأهل العلم والقرآن وصار أهل بغداد يحبونه نساء ورجالاً إلى أن طاف ببغداد محمد العراق من أهل الحج وزيارة قبر النبي ﷺ فلما رأى ضوء المكان موكب المحمل اشتاق إلى الحج فدخل على والده وقال له أني أتيت إليك لاستأذنك في أن أحج فمنعه من ذلك وقال له أصبر إلى العام القابل وأنا أتوجه إلى الحج وآخذك معي فلما رأى الأمر يطول عليه دخل على أخته نزهة الزمان فوجدها قائمة تصلي فلما قضت الصلاة قال لها أني قد قتلني الشوق إلى حج بيت ا الحرام وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام واستأذنت والدي فمنعني من ذلك فالمقصود ان آخذ شيئاً من المال وأخرج إلى الحج سراً ولا أعلم أبي بذلك فقالت له أخته با عليك أن تأخذني معك ولا تحرمني من زيارة النبي ﷺ فقال لها إذا جن الظلام فأخرجي من هذا المكان ولا تعلمي أحداً بذلك فلما كان نصف الليل قامت نزهة الزمان وأخذت شيئاً من المال ولبست لباس الرجال وكانت قد بلغت من العمر مثل عمر ضوء المكان ومشت متوجهة إلى باب القصر فوجدت أخاها ضوء المكان قد جهز الجمال فركب وأركبها وسارا ليلاً واختلطا بالحجيج ومشيا إلى أن صارا في وسط الحجاج العراقيين ومازالا سائرين وكتب ا لهما السلامة حتى دخلا مكة المشرفة ووقفا بعرفات وقضيا مناسك الحج ثم توجها إلى زيارة النبي ﷺ فزاراه وبعد ذلك أراد الرجوع مع الحجاج إلى بلادهما فقال

ضوء المكان لأخته يا أختي أريد أن أزور بيت المقدس والخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقالت له وأنـا كذلك واتفقا على ذلك ثم خرجا وأكترى له ولها مع المقادسة وجهزا حالهما وتوجها مع الركب فحصل لأخته في تلك الليلة حمي باردة فتشوشت ثم شفيت وتشوش الآخر فصارت تلاطفه في ضعفه ولم يزالا سائرين إلى أن دخلا بيت المقدس واشتد المرض على ضوء المكان ثم انهما نزلا في خان هناك وأكتريا لهما فيه حجـرة وأستقرا فيها ولم يزل المرض يتزايد على ضوء المكان حتى أنحله وغاب عن الدنيا فاغتمت لذلك اخته نزهة الزمان وقالت لا حول ولا قوة إلا با هذا حكم ا ثم أنها قعدت هي وأخوها في ذلك المكان وقـد زاد بـه الضعف وهي تخدمه وتنفق عليه وعلى نفسها حتى فرغ ما معها من المال وأفتقرت ولم يبق معها دينـار ولا درهم فأرسلت صبي الخان إلى السوق بشيء من قماشها فباعه وأنفقته على أخيها ثم باعت شيئاً آخـر ولـم تزل تبيع من متاعها شيئاً فشيئاً حتى لم يبق لها غير حصتين مقطعة فبكت وقالت الأمر من قبل ومن بعد ثم قال لها أخوها يا أختي أني قد أحسست بالعافية وفي خاطري شيء من اللحم المشوي فقالت له أختـه وا يا أخي أني مالي وجه للسؤال ولكن غداً أدخل بيت أحد الأكابر وأخدم وأعمل بشيء نقتات به أنا وأنـت ثـم تفكرت ساعة وقالت أني لا يهون على فراقك وأنت في هذه الحالة ولكن لابد من طلب المعاش قهـراً عنـي فقال لها أخوها بعد العز تصبحين ذليلة فلا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم ثم بكى وبكت وقالت له يا أخي نحن غرباء وقد أقمنا هنا سنة كاملة ما دق علينا الباب أحد فهل نموت من الجوع فليس عندي من الـرأي إلا أني أخرج وأخدم وآتيك بشيء نقتات به إلى أن تبرأ من مرضك ثم نسافر إلى بلادنا ومكثت تبكي ساعة ثـم بعد ذلك قامت نزهة الزمان وغطت رأسها بقطعة عباءة من ثياب الجمالين كان صاحبها نسيها عندهما وقبلت رأس أخيها وغطته وخرجت من عنده وهي تبكي ولم تعلم أين تمضي ومازال أخوها ينتظرها إلى أن قـرب وقت العشاء ولم تأت فمكث بعد ذلك وهو ينتظرها إلى أن طلع النهار فلم تعد إليه ولم يزل على هذه الحالـة يومين فعظم ذلك عنده وارتجف قلبه عليها واشتد به الجوع فخرج من الحجرة وصاح على صبي الخان وقال له أريد أن تحملني إلى السوق فحمله والقاه في السوق فاجتمع عليه أهل القدس وبكوا عليه لما رأوه على تلك الحالة وأشار إليهم بطلب شيء يأكله فجاءوا له من التجار الذين في السوق ببعض دراهم واشتروا لـه شـيئاً وأطعموه أياه ثم حملوه ووضعوه على دكان وفرشوا له قطعة برش ووضعوا عند رأسه أبريقاً فلما أقبل الليل انصرف عنه كل الناس وهم حاملون همه فلما كان نصف الليل تذكر أخته فازداد به الضعف وامتنـع مـن الأكل والشرب وغاب عن الوجود فقام أهل السوق وأخذوا له من التجار ثلاثين درهماً وأكتـروا لـه جمـلاً وقالوا للجمال أحمل هذا وأوصله إلى دمشق وأدخله المارستان لعله أن يبرأ فقال لهم على الرأس ثم قال فـي نفسه كيف أمضي بهذا المريض وهو مشرف على الموت ثم خرج به إلى مكان واختفى به إلى الليل ثم القاه على مزبلة مستوقد حمام ثم مضى إلى حال سبيله فلما أصبح الصباح طلع وقاد الحمام إلى شغله فوجده ملقى على ظهره فقال في نفسه لأي شيء ما يرمون هذا الميت إلا هنا ورفسه برجله فتحرك فقال له الوقاد الواحد منكم يأكل قطعة حشيش ويرمي نفسه في أي موضع كان ثم نظر إلى وجهه فرآه لا بناف بعارضيه وهو ذو بهاء وجمال فأخذته الرأفة عليه وعرف أنه مريض وغريب فقال لا حول ولا قوة إلا با أني دخلـت فـي خطيئة هذا الصبي وقد أوصاني النبي ﷺ بإكرام الغريب لا سيما إذا كان الغريب مريضاً ثم حمله وأتي بـه

إلى منزله ودخل به على زوجته وأمرها أن تخدمه وتفرش له بساطاً ففرشت له وجعلت تحت رأسه وسـادة وسخنت له ماء وغسلت له يديه ورجليه ووجهه وخرج الوقاد إلى السوق وأتى له بشيء مـن مـاء الـورد والسكر ورش على وجهه وسقاه السكر وأخرج له قميصاً نظيفاً والبسه أياه فشم نسيم الصحة وتوجهت إليـه العافية وأتكأ على المخدة ففرح الوقاد بذلك وقال الحمد على عافية هذا الصبي اللهم إني أسـألك بسـرك المكنون أن تجعل سلامة هذا الشاب على يدي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد ومازال الوقاد يتعهده ثلاثة أيام وهو يسقيه السكر وماء الخـلاف ومـاء الورد ويتعطف عليه ويتلاطف به حتى عادت الصحة في جسمه وفتح عينه فاتفق أن الوقاد دخل عليـه فـرآه جالساً وعليه آثار العافية فقال له ما حالك يا ولدي في هذا الوقت فقال ضوء المكان بخير وعافية فحمد الوقاد ربه وشكره ثم نهض إلى السوق واشترى له عشر دجاجات وأتى إلى زوجته وقال لها أ١ذبحي له في كل يوم اثنتين واحدة في أول النهار وواحدة في آخر النهار فقامت وذبحت له دجاجة وسلقتها وأتت بها إليه وأطعمته أياها وسقته مرقتها فلما فرغ من الأكل قدمت له ماء مسخناً فغسل يديه واتكأ على الوسادة وغطته بملاءة فنام إلى العصر ثم قامت وسلقت دجاجة أخرى وأتته بها وفسختها وقالت له كل يا ولدي فبينما هو يأكـل وغـذا بزوجها قد دخل فوجدها تطعمه فجلس عند رأسه وقال له ما حالك يا ولدي في هذا الوقت فقال الحمد على العافية جزاك ا عني خير ففرح الوقاد بذلك ثم أنه خرج وأتى بشراب البنفسج وماء الورد وسقاه وكان ذلك الوقاد يعمل في الحمام كل يوم بخمسة دراهم فيشتري كل يوم بدرهم سـكراً ومـاء ورد وشـراب بنفسـج ويشتري له بدرهم فراريج ومازال يلاطفه إلى أن مضى عليه شهر من الزمان حتى زالت عنه آثار المرض وتوجهت إليه العافية ففرح الوقاد هو وزوجته بعافية ضوء المكان وقال يا ولدي هل لك أن تدخل معي الحمام قال نعم فمضى إلى السوق وأتى له بمكاري وأركبه حماراً وجعل يسنده إلى أن وصل إلى الحمام ثـم دخـل معه الحمام وأجلسه في داخله ومضى إلى السوق واشترى له سدراً ودقاقاً وقال لضوء المكان يا سيدي بسـم ا أغسل لك جسدك وأخذ الوقاد يحك لضوء المكان رجليه وسرع يغسل له جسده بالسدر والدقاق وإذا ببلان قد أرسله معلم الحمام إلى ضوء المكان فوجد الوقاد يحك رجليه فتقدم إليه البلان وقال له هذا نقص في حـق المعلم فقال الوقاد وا أن المعلم غمرنا بإحسانه فشرع البلان يحلق رأس ضوء المكان ثم اغتسل هو والوقاد وبعد ذلك رجع به الوقاد إلى منزله وألبسه قميصاً رفيعاً وثوباً من ثيابه وعمامة لطيفة وأعطاه جزاماً وكانت زوجة الوقاد قد ذبحت دجاجتين وطبختهما فلما طلع ضوء المكان وجلس على الفراش قام الوقـاد وأذاب لـه السكر في ماء الورد وسقاه ثم قدم له السفرة وصار الوقاد يفسخ له من ذلك الدجاج ويطعمـه ويسـقيه مـن المسلوقة إلى أن اكتفى وعسل يديه وحمد ا تعالى على العافية ثم قال للوقاد أنت الذي مـن ا علـي بـك وجعل سلامتي على يديك فقال الوقاد دع عنك هذا الكلام وقل لنا ما سبب مجيئك إلى هذه المدينة ومن أيـن أنت فإني أرى على وجهك أثار النعمة فقال له ضوء المكان قل لي أنت كيف وقعت بي حتى أخبرك بحديثي فقال الوقاد أما أنا فإني وجدتك مرمياً على القمامة في المستوقد حين لاح الفجر لما توجهت إلى اشغالي ولـم أعرف من رماك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوقاد قال لم أعرف من رماك فأخذتك عندي وهذه حكايتي فقال ضوء المكان سبحان من يحيي العظام وهي رميم أنك يا أخي ما فعلت الجميل إلا مع أهله وسوف تجني ثمرة ذلك ثم قال للوقاد وأنا الآن في أي البلاد فقال له الوقاد أنت في مدينة القدس فعند ذلك تذكر ضوء المكان غربته وفراق أخته وبكى حيث باح بسره إلى الوقاد وحكى له حكايته ثم أنشد هذه الأبيات:

لقد حملوني في الهوى غير طاقتي	ومن أجلهم قامت على قيامتي
ألا فارفقوا يا هاجرين بمهجتي	فقد رق لي من بعدكم كل شامت
ولا تمنعوا أن تسمحوا لي بنظرة	تخفف أحوالي وفرط صبابتي
سألت فؤادي الصبر عنكم فقال لي	إليك فإن الصبر من غير عادتي

ثم زاد بكائه فقال له الوقاد لاتبك واحمد الله على السلامة والعافية فقال ضوء المكان كم بيننا وبين دمشق فقال ستة أيام فقال ضوء المكان هل لك أن ترسلني إليها فقال له الوقاد يا سيدي كيف أدعك تروح وحدك وأنت شاب صغير فإن شئت السفر إلى دمشق فأنا الذي أروح معك وأن أطاعتني زوجتي وسافرت معي أقمت هناك فإنه لا يهون على فراقك ثم قال الوقاد لزوجته هل لك أن تسافري معي إلى دمشق الشام أو تكوني مقيمة هنا حتى أوصل سيدي هذا إلى دمشق الشام وأعود إليك فإنه يطلب السفر إليها فإنني والله لا يهون على فراقه وأخاف عليه من قطاع الطريق فقالت له زوجته أسافر معكما فقال الوقاد الحمد لله على الموافقة ثم أن الوقاد قام وباع أمتعته وأمتعة زوجته. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوقاد اتفق هو وزوجته على السفر مع ضوء المكان وعلى أنهما يمضيان معه إلى دمشق ثم أن الوقاد باع أمتعته وأمتعة زوجته ثم أكترى حماراً وأركب ضوء المكان أياه وسافروا ولم يزالوا مسافرين ستة أيام إلى أن دخلوا دمشق فنزلوا هناك في آخر النهار وذهب الوقاد واشترى شيئاً من الأكل والشرب على العادة ومازالوا على ذلك الحال خمسة أيام وبعد ذلك مرضت زوجة الوقاد أياماً قلائل وانتقلت إلى رحمة الله تعالى فعظم ذلك على ضوء المكان لأنه كان قد اعتاد عليها وكانت تخدمه وحزن عليها الوقاد حزناً شديداً فالتفت ضوء المكان إلى الوقاد فوجده حزيناً فقال له لا تحزن فأننا كلنا داخلون في هذا الباب فالتفت الوقاد إلى ضوء المكان وقال له جزاك الله خيراً يا ولدي فالله تعالى يعوض علينا بفضله ويزيل عنا الحزن فهل لك يا ولدي أن تخرج بنا ونتفرج في دمشق لينشرح خاطرك فقال له ضوء المكان الرأي رأيك فقام الوقاد ووضع يده في يد ضوء المكان وسار إلى أن أتيا تحت اصطبل وإلى دمشق فوجد أجمالاً محملة صناديق وفرشا وقماشاً من الديباج وغيره وجنائب مسرجة ونجاتي وعبيداً ومماليك والناس في هرج ومرج فقال ضوء المكان يا ترى لمن تكون هؤلاء المماليك والجمال والأقمشة وسأل بعض الخدم عن ذلك فقال له المسئول هذه هدية من أمير دمشق يريد إرسالها إلى الملك عمر النعمان مع خراج الشام فلما سمع ضوء المكان هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وأنشد يقول:

أن شكونا البعاد ماذا نقول	أو تلفنا شوقاً فكيف السبيل

أو رأينـا رسـولاً تتـرجم عنـا ... مـا بـودي شـكوى لمحـب رسـول
أو صـبرنا فمـا مـن الصـبر عنـدي ... بعـد فقـد الأحبـاب إلا قليـل

وقال أيضاً:

وحلـوا غـائبين عـن جفـن عينـي ... وهـم فـي الفـؤاد منـي حلـول
غـاب عنـي جمـالهم فحيـاني ... لـيس تحلـوا والاشـتياقي يحـول
أن قضـى ا باجتمـاعي علـيكم ... أذكـر الوجـد فـي حـديث يطـول

فلما فرغ من شعره بكى فقال له الوقاد يا ولدي نحن ما صدقنا أنك جاءتك العافية فطب نفساً ولا تبـك فإني أخاف عليك من النكسة ومازال يلاطفه ويمازحه وضوء المكان يتنهد ويتحسر على غربته وعلى فراقه لأخته ومملكته ويرسل العبرات ثم أنشد هذه الأبيات:

تـزود مـن الـدنيا فإنـك راحـل ... وأيقـن بـأن المـوت لاشـك نـازل
نعيمـك فـي الـدنيا غـرور وحسـرة ... وعيشـك فـي الـدنيا محـال وباطـل
إلا أنمـا الـدنيا كمنـزل راكـب ... أناخ عيشـاً وهـو فـي الصـبح راحـل

ثم أن ضوء المكان جعل يبكي وينتحب على غربته وكذلك الوقاد صار يبكي على فراق زوجته ولكنه مازال يتلاطف بضوء المكان إلى أن أصبح الصباح فلما طلعت الشمس قال له الوقاد كأنك تذكرت بلادك فقال له ضوء المكان نعم لا أستطيع أن أقيم هنا واستودعك ا فإني مسافر مع هؤلاء القوم وأمشي معهـم قليلاً قليلاً حتى أصل إلى بلادي فقال له الوقاد وأنا معك فأني لا أقدر أن أفارقك فإني عملت معك حسنة وأريد أن أتممها بخدمتي لك فقال له ضوء المكان جزاك ا عني خيراً وفرح ضوء المكان بسفر الوقاد معـه ثـم أن الوقاد خرج من ساعته واشترى حماراً وهيأ زاداً وقال لضوء المكان أركب هذا الحمار في السفر فإذا تعبـت من الركوب فأنزل وأمش فقال له ضوء المكان بارك ا فيك وأعانني على مكافأتك فإنك فعلت معـي مـن الخير مالا يفعله أحد مع أخيه ثم صبرا إلى أن جن الظلام فحملا زادهما وامتعتهما على ذلك الحمار وسافرا هذا ما كان من أمر ضوء المكان والوقاد (وأما) ما كان من أمر أخته نزهة الزمان فإنها لما فارقـت أخاهـا ضوء المكان خرجت من الخان الذي كانا فيه في القدس بعد أن التفت بالعباءة لأجل أن تخدم أحداً وتشـتري لأخيها ما اشتهاه من اللحم المشوي وصارت تبكي في الطريق وهي لا تعرف أين تتوجه وصـار خاطرهـا مشغولاً بأخيها وقلبها مفتكر في الأهل والأوطان فصارت تتضرع إلى ا تعالى في دفع هذه البليات وأنشدت هذه الأبيات:

جـن الظـلام وهـاج الوجـد بالسـقم ... والشوق حـرك مـا عنـدي مـن الألـم
ولوعة البين فـي الأحشـاء قـد سـكنت ... والوجـد صـيرني فـي حالـة العـدم
والحـزن أقلقنـي والشـوق أحرقنـي ... والـدمع بـاح بحـب أي مكتـتم
وليس لي حيلـة فـي الوصـل أعرفهـا ... حتى تزحـزح مـا عنـدي مـن الغمـم
فنـار قلبـي بالأشـواق موقـدة ... ومـن لظاهـا يظـل الصـب فـي نقـم
يا من يلوم على مـا حـل بـي وجـرى ... أنـي صـبرت علـى مـا خـط بـالقلم

أقســمت بالحــب مــالي ســلوة أبــداً يمــين أهــل الهــوى مبــرورة القســم
يا ليــل بلــغ رواة الحــب عــن خبــري وأشــهد بعلمــك أنــي فيــك لــم أنــم

ثم أن نزهة الزمان أخت ضوء المكان صارت تمشي وتلتفت يميناً ويساراً وإذا بشيخ مسافر من البــدو ومعه خمسة أنفار من العرب قد التفت إلى نزهة الزمان فرآها جميلة وعلى رأسها عباءة مقطعة فتعجب من حسنها وقال في نفسه أن هذه جميلة ولكنها ذات قشف فإن كانت من أهل هذه المدينة أو كانت غريبة فلابد لي منها ثم أنه تبعها قليلاً قليلاً حتى تعرض لها في الطريق في مكان ضيق وناداها ليسألها عن حالها وقال لهــا يابنية هل أنت حرة أم مملوكة فلما سمعت كلامه نظرت إليه وقالت له بحياتك لا تجدد علي الأحزان فقال لها أني رزقت ست بنات مات لي منهن خمسة وبقيت واحدة وهي أصغرهن وأتيت إليك لا سألك هل أنت مــن أهل هذه المدينة أو غريبة لأجل أن آخذك وأجعلك عندها لتؤانسيها فتشتغل بك عن الحزن على أخواتها فــإن لم يكن لك أحد جعلتك مثل واحدة منهن وتصيرين مثل أولادي فلما سمعت نزهة الزمان كلامه قالــت فــي سرها عسى أن آمن على نفسي عند هذا الشيخ ثم أطرقت برأسها من الحياء وقالت يا عم أنا بنت غريبة ولي أخ ضعيف فأنا أمضي معك إلى بيتك بشرط أن أكون عندها بالنهار وبالليل أمضي إلى أخي فإن قبلــت هــذا الشرط مضيت معك لأني غريبة وكنت عزيزة فأصبحت ذليلة حقيرة وجئت أنا وأخي مــن بــلاد الحجــاز وأخاف أن أخي لا يعرف لي مكاناً فلما سمع البدوي كلامها قال في نفسه وا أني فزت بمطلوبي ثم قال لها ما أريد إلا لتؤانسي بنتي نهاراً وتمضي إلى أخيك ليلاً وأن شئت فأنقليه إلى مكاننا ولم يزل البــدوي يطيــب قلبها ويلين لها الكلام إلى أن وافقته على الخدمة ومشى قدامها وتبعته ولم يزل سائر إلى جماعته وكــان قــد هيأوا الجمال ووضعوا عليها الأحمال ووضعوا فوقها الماء والزاد وكان البدوي فأطع الطريق وخائن الرفيق وصاحب مكر وحيل ولم يكن عنده بنت ولا ولد وأنما قال ذلك الكلام حيلة على هذه البنت المســكينة لامــر قدره ا ثم أن البدوي صار يحدثها في الطريق إلى أن خرج من مدينة القدس واجتمع برفقته فوجــدهم قــد رحلوا الجمال فركب البدوي جملاً وأردفها خلفه وساروا معظم الليل فعرفت نزهة الزمان أن كــلام البــدوي كان حيلة عليها وأنه مكر بها فصارت تبكي وتصرخ وهم في الطريق قاصدين الجبال خوفاً أن يراهم أحــد فلما صاروا قريب الفجر نزلوا عن الجمال وتقدم البدوي إلى نزهة الزمان وقال لها يا مدينة ما هــذا البكــاء وا إن لم تتركي البكاء ضربتك إلى أن تهلكي يا قطعة حضرية فلما سمعت نزهة الزمان كلامــه كرهــت الحياة وتمنت الموت فالتفتت إليه وقالت له يا شيخ السوء يا شيبة جهنم كيف استأمنك وأنت تخونني وتمكــر بي فلما سمع البدوي كلامها قال لها ياقاطعة حضرية لك لسان تجاوبينني به وقام إليها ومعه سوط فضــربها وقال أن لم تسكتي قتلتك فسكتت ساعة ثم تفكرت أخاها وما هو فيه من الأمراض فبكت سراً وفي ثاني يــوم التفتت إلى البدوي وقالت له كيف تعمل على هذه الحيلة حتى أتيت بي إلى هذه الجبال القفرة وما قصدك مني فلما سمع كلامها قسا قلبه وقال لها يا قطعة حضرية ألك لسان تجاوبينني به وأخذ السوط ونــزل بــه علــى ظهرها إلى أن غشي عليها فأنكبت على رجليه وقبلتهما فكف عنها الضرب وصار يشتمها ويقول لها وحــق طرطوري أن سمعتك تبكين قطعت لسانك ودسته في فرجك يا قطعة حضرية فعند ذلك سكتت ولم ترد جواباً وآلمها الضرب فقعدت على قرافيصها وجعلت رأسها في طوقها وصارت تتفكر في حالها وفي حــال أخيهــا

وفي ذلها بعد العز وفي مرض أخيها ووجدته وأغترابهما وأرسلت دموعها على الوجنـات وأنشـدت هـذه الأبيات:

مـــن عـــادة الـــدهر أدبـــار وأقبـــال	فمـــا يـــدوم لـــه بـــين الـــورى حـــال
كـــل شـــيء مـــن الـــدنيا لـــه أجـــل	وتنقضـــي لجميـــع النـــاس آجـــال
كم أحمل الضـيم والأهـوال يـا أسـفي	مـــن عيشـــة كلهـــا ضـــيم وأهـــوال
لا أسـعد ا أيامــاً عــززت بهــا	دهــراً وفــي طــي ذاك العــز أذلال
قد خاب قصدي وآمـالي بهـا انصـرمت	وقـــد تقطـــع بالتغريـــب أوصـــال
يـا مـن يمـر علـى دار فيهـا سـكني	بلغــــه عنــــي أن الــــدمع هطــــال

فلما سمع البدوي شعرها عطف عليها ورثى لها ورحمها وقام إليها ومسح دموعها وأعطاها قرصاً من شعير وقال لها لما لا أحب من يجاوبني في وقت الغيظ وأنت بعد ذلك لا تجاوبينني بشيء من هـذا الكـلام الفاحش وأنا أبيعك لرجل جيد مثلي يفعل معك الخير مثل ما فعلت معك قالت نعم ما تفعل ثم أنها لمـا طـال عليها الليل وأحرقها الجوع أكلت من ذلك القرص الشعير شيئاً يسيراً فلما انتصف الليل أمر البدوي جماعتـه أن يسافروا. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البدوي لما أعطى نزهة الزمان القرص الشعير ووعـدها أن يبيعهـا لرجل جيد مثله قالت له نعم ما تفعل فلما انتصف الليل وأحرقها الجوع أكلت من القرص الشعير شيئاً يسـيراً ثم أن البدوي أمر جماعته أن يسافروا فحملوا الجمال وركب البدوي جملاً وأردف نزهة الزمان خلفه وساروا ومازالوا سائرين مدة ثلاثة أيام ثم دخلوا مدينة دمشق ونزلوا في خان السلطان بجانب باب الملك وقد تغيـر لون نزهة الزمان من الحزن وتعب السفر فصارت تبكي من أجل ذلك فأقبل عليها البـدوي وقـال لهـا يـا حضرية وحق طرطوري أن لم تتركي هذا البكاء لا أبيعك إلا ليهودي ثم أنه قام وأخذ بيدها وأدخلها في مكان وتمشي إلى السوق ومر على التجار الذين يتجرون في الجواري وصار يكلمهم ثم قال لهم عندي جارية أتيت بها معي وأخوها ضعيف فأرسلته إلى أهلي في مدينة القدس لأجل أن يداووه حتى يبرأ وقصـدي أن أبيعهـا ومن يوم ضعف أخوها وهي تبكي وصعب عليها فراقه وأريد أن الذي يشتريها مني يلين لها الكلام ويقـول لها أن أخاك عندي في القدس ضعيف وأنا أرخص له ثمنها فنهض له رجل من التجار وقال له كـم عمرهـا فقال لها بكر بالغة ذات عقل وأدب وفطنة وحسن وجمال ومن حين أرسلت أخاها إلى القدس اشـتغل قلبهـا وتغيرت محاسنها وانهزل سمنها فلما سمع التاجر ذلك تمشى مع البدوي وقال له اعلم يا شيخ العـرب أنـي أروح معك وأشتري منك الجارية التي تمدحها وتشكر عقلها وأدبها وحسنها وجمالها وأعطيك ثمنها واشـرط عليك شروطاً أن قبلتها نقدت لك ثمنها وأن لم تقبلها رددت عليك فقال له البدوي إن شئت فـأطلع بهـا إلـى السلطان واشرط على ما شئت من الشروط فإنك إذا أوصلتها إلى الملك شركان بن الملـك عمـر النعمـان صاحب بغداد وخراسان ربما تليق بعقله فيعطيك ثمنها ويكثر لك الربح فيها فقال له التاجر وأنـا لـي عنـد السلطان حاجة وهو أن يكتب إلى والده عمر النعمان بالوصية على فإن قبل الجارية مني وزنت لـك ثمنهـا

فقال له البدوي قبلت منك هذا الشرط ثم مشي الاثنان إلى أن أقبلا على المكان الذي فيه نزهة الزمان ووقف البدوي على باب الحجرة وناداها يا ناحية وكان سماها بهذا الأسم فلما سمعته بكت ولم تجبه فألتفت البـدوي إلى التاجر وقال ها هي قاعدة دونك فأقبل عليها وأنظرها ولا طفها مثل ما أوصيتك فتقدم التاجر إليها فرآها بديعة في الحسن والجمال لا سيما وكانت تعرف بلسان العرب فقال التاجر أن كانت كما وصفت لي فإنني أبلغ بها عند السلطان ما أريد ثم أن التاجر قال لها السلام عليك يا بنية كيف حالك فالتفتت إليه وقالت كان ذلـك في الكتاب مسطوراً ونظرت إليه فإذا هو رجل ذو وقار ووجه حسن فقالت في نفسها أظـن أن هـذا جـاء يشتريني ثم قالت أن امتنعت عنه صرت عند هذا الظالم فيهلكني من الضرب فعلى كل حال هذا رجل وجهه حسن وهو أرجى للخير من هذا البدوي الجلف ولعله ما جاء إلا ليسمع منطقي فأنا أجاوبه جواباً حسـناً كـل ذلك وعينها في الأرض ثم رفعت بصرها إليه وقالت بكلام عذب وعليك السلام ورحمة ا وبركاته يا سيدي بهذا أمر النبي ﷺ وأما سؤالك عن حالي فإن شئت أن تعرفه فلا تتمنه إلا لأعدائك ثم سكتت فلما سمع التاجر كلامها طار عقله فرحا بها والتفت إلى البدوي وقال له كم ثمنها فإنها جليلة فاغتاظ البدوي وقال له أفسـدت على الجارية بهذا الكلام لأي شيء تقول أنها جليلة مع أنها من رعاع الناس فأنا لا أبيعها لـك فلمـا سـمع التاجر كلامه عرف أنه قليل العقل فقال له طب نفساً وقر عيناً فأنا اشتريها على هذا العيب الذي ذكرته فقال البدوي وحكم تدفع لي فيها فقال له التاجر ما يسمى الولد إلا أبوه فاطلب فيها مقصودك فقال له البـدوي مـا يتكلم إلا أنت فقال التاجر في نفسه أن هذا البدوي جلف يابس الرأس وأنا لا أعرف لها قيمة إلا أنها ملكـت قلبي بفصاحتها وحسن منظرها وأن كانت تكتب وتقرأ فهذا من تمام النعمة عليها وعلى من يشتريها لكن هذا البدوي لا يعرف لها قيمة ثم التفت إلى البدوي وقال له يا شيخ العرب ادفع لك فيها مائتي دينار سالمة ليـدك غير الضمان وقانون السلطان فلما سمع ذلك البدوي اغتاظ غيظاً شديداً وصرخ في ذلك التاجر وقال له قـم إلى حال سبيلك لو أعطيتني مائة دينار في هذه القطعة العباءة التي عليها ما بعتها لك فأنا لا أبيعها بل أخليها عندي ترعى الجمال وتطحن الطحين ثم صاح عليها وقال تعالى يا منتنه أنا لا أبيعك ثم التفت إلـى التـاجر وقال له كنت أحسبك أهل معرفة وحق طرطوري إن لم تذهب عني لاسمعتك مالا يرضيك فقال التاجر فـي نفسه أن هذا البدوي مجنون ولا يعرف قيمتها ولا أقول له شيئاً في ثمنها في هذا الوقت فأنه لو كان صـاحب عقل ما قال وحق طرطوري وا أنها تساوي خزنة من الجواهر وأنا ما معي ثمنها ولكن أن طلب مني مـا يريد أعطيته أياه ولو أخذ جميع مالي ثم التفت إلى البدوي وقال له يا شيخ العرب طول بالك وقل لي ما لهـا من القماش عندك فقال البدوي وما تعمل قطاعة الجواري هذه القماش وا أن هذه العباءة التي هي ملفوفـة فيها كثيرة عليها فقال له التاجر عن أذنك أكشف عن وجهها وأقلبها كما يقلب الناس الجواري لأجل الاشتراء فقال له البدوي دونك وما تريد ا يحفظ شبابك فقلبها ظاهراً وباطناً فأن شئت فعرها الثياب ثم انظرها وهي عريانة فقال التاجر معاذ ا أنا ما أنظر إلا وجهها ثم أن التاجر تقدم إليها وهو خجلان من حسنها وجمالهـا.
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٤)



قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر تقدم إلى نزهة الزمان وهو خجلان من حسنها وجلـس إلـى جانبها وقال لها يا سيدتي ما نسمك فقالت له تسألني عن اسمي في هذا الزمان أو عن اسمي القديم فقال لهـا هل لك اسم جديد واسم قديم قالت نعم اسمي القديم نزهة الزمان واسمي الجديد غصة الزمان فلما سمع التاجر منها هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وقال لها هل لك أخ ضعيف فقالت أي وا يا سـيدي ولكـن فـرق الزمان بيني وبينه وهو مريض في بيت المقدس فتحير عقل التاجر من عذوبة منطقها وقال في نفسـه لقـد صدق البدوي في مقالته ثم أن نزهة الزمان تذكرت أخاها ومرضه وغربته وفراقها عنه وهـو ضـعيف ولا تعلم ما وقع له وتذكرت ما جرى لها من هذا الأمر مع البدوي ومن بعدها عن أمها وأبيها ومملكتها فجـزت دموعها على خدها وأرسلت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

حينمـــا قـــد وفـــاك إلهـــي　　　أيهـــا الراحـــل المقـــيم بقلبـــي
ولـــك ا حيـــث أمســـيت جـــار　　　حـافظ مــن صــروف دهــر وخطــب
غبـــت فاستوحشـــت لقربـــك عينـــي　　　واســـتهلت مــــدامعي أي ســـكب
ليـــت شـــعري بـــاي ربـــع وأرض　　　أنـــت مســـتوطن بـــدار وشـــعب
أن يكـــن شـــارباً لمـــاء حيـــاة　　　حضـــر الـــورد فالمـــدامع شـــربى
أو شـــهدت الرقـــاد يومـــاً فجمـــر　　　مـــن ســـهاد بـــين الفـــراش وجنبـــي
كـــل شـــيء إلا فراقـــك ســـهل　　　عنـــد قلبـــي وغيـــره غيـــر صـــعب

فلما سمع التاجر ما قالته من الشعر بكى ومد يده ليمسح دموعها عن خدها فغطت وجهها وقالـت لـه حاشاك يا سيدي ثم أن البدوي قعد ينظر إليه وهي تغطي وجهها من التاجر حيث أراد أن يمسح دمعها عـن خدها فاعتقد أنها تمنعه من التقليب فقام إليها يجري وكان معه مقود جمل فرفعه في يده وضربها بـه علـى أكتافها فجاءت الضربة بقوة فأنكبت بوجهها على الأرض فجاءت حصاة من الأرض في حاجبها فشقته فسأل دمها على وجهها فصرخت صرخة عظيمة وغشي عليها وبكت وبكي التاجر معها فقـال التـاجر لابـد أن أشتري هذه الجارية ولو بثقلها ذهبا وأريحها من هذا الظالم وصار التاجر يشتم البدوي وهي في غشيتها فلما أفاقت مسحت الدموع والدم عن وجهها وعصبت رأسها ورفعت طرفها إلى السماء وطلبت من مولاها بقلـب حزين وأنشدت هذين البيتين:

وارحمـــــــــــة لعزيـــــــــزة　　　بالضـــم قـــد صـــارت ذليلـــة
تبكـــــــي بـــــــدمع هاطـــــل　　　وتقـــول مـــا فـــي الوعـــد حيلـــة

فلما فرغت من شعرها التفتت إلى التاجر وقالت له بصوت خفى با لا تدعني عند هذا الظالم الذي لا يعرف ا تعالى فإن بت هذه الليلة عنده قتلت نفسي بيدي فخلصني منه يخلصك ا مما تخاف فـي الـدنيا والآخرة فقام التاجر وقال للبدوي يا شيخ العرب هذه ليست غرضك بعنى أياها بما تريد فقال البدوي خـذها وأدفع ثمنها وروح بها إلى النجع وأتركها تلم البعر وترعى الجمال فقال التاجر أعطيك خمسين ألف دينـار فقال البدوي يفتح ا فقال التاجر سبعين ألف دينار فقال البدوي يفتح ا هذا ما هو رأس ما لها لأنها أكلـت عندي أقراصاً من الشعير بتسعين ألف دينار فقال التاجر أنت وأهلك وقبيلتك في طول عمركم ما أكلتم بـألف

دينار شعيراً ولكن أقول لك كلمة واحدة فإن لم ترض بها غمزت عليك والى دمشق فيأخذها منك قهراً فقـال البدوي تكلم فقال يا ألف دينار فقال البدوي بعتك أياها بهذا الثمن وأقدر أنني أشتريت بها ملحاً فلمـا سـمعه التاجر ضحك ومضى إلى منزله وأتى له بالمال وأقبضه أياه فأخذه البدوي وقال في نفسه لابد أن أذهب إلـى القدس لعلي أجد أخاها فأجيء به وابيعه ثم ركب وسافر إلى بيت المقدس فذهب إلى الخان وسأل عن أخيهـا فلم يجده هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر التاجر ونزهة الزمان فأنه لما أخذها ألقى عليها شيئاً من ثيابه ومضى بها إلى منزله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر لما تسلم الجارية من البدوي وضع عليها شيئاً من ثيابه ومضى بها إلى منزله وألبسها أفخر الملبوس ثم أخذها ونزل بها إلى السوق وأخذ لها مصاغاً ووضعه في بقجة مـن الأطلس ووضعها بين يديها وقال لها هذا كله من أجلك ولا أريد منك إلا إذا طلعت بك إلى السـلطان وإلـى دمشق أن تعلميه بالثمن الذي اشتريتك به وأن كان قليلاً في ظفرك وإذا اشتراك مني فاذكري له مـا فعلـت معك وأطلبي لهي منه مررقوماً سلطانياً بالوصية على لأذهب به إلى والده صاحب بغداد الملك عمر النعمان لأجل أن يمنع من يأخذ مني مسكاً على القماش أو غيره من جميع ما أتجر فيه فلما سـمعت كلامـه بكـت وانتحبت فقال لها التاجر يا سيدتي أني أراك كلما ذكرت لك بغداد تدمع عيناك ألك فيها أحد تحبينه فإن كـان تاجراً أو غيره فأخبريني فإني أعرف جميع ما فيها من التجار وغيرهم وأن أردت رسالة أنا أوصـلها إليـه فقالت وا مالي معرفة بتاجر ولا غيره وأنا مالي معرفة بالملك عمر النعمان صاحب بغداد فلما سمع التاجر كلامها ضحك وفرح فرحاً شديداً وقال في نفسه وا أني وصلت إلى ما أريد ثم قال لها أنت عرضت عليـه سابقاً فقالت لا لكن تربيت أنا وبنته فكنت عزيزة عنده ولى عنده حرمة كبيرة فإن كان غرضـك أن الملـك عمر النعمان يبلغك ما تريد فأئتني بدواة وقرطاس فأني أكتب لك كتاباً فإذا دخلت مدينة بغداد فسلم الكتاب من يدك إلى يد الملك عمر النعمان وقل له إن جاريتك نزهة الزمان قد طرقتها صروفه الليالي والأيام حتى بيعت من مكان إلى مكان وهي تقرئك السلام وإذا سألك عني فأخبره إني عنده غائب دمشق فتعجب التـاجر مـن فصاحتها وازدادت عنده محبتها وقال ما أظن إلا أن الرجال لعبوا بعقلك وباعوك بالمال فهل تحفظين القرآن قالت نعم وأعرف الحكمة والطب ومقدمة المعرفة وشرح فصول بقراط لجالينوس الحكـيم وشـرحته أيضـاً وقرأت التذكرة وشرحت البرهان وطالعت مفردات بن البيطار وتكلمت على القانون لابن سينا وجللت الرموز ووضعت الأشكال وتحدثت في الهندسة وأتقنت حكمة الأبدان وقرأت كتب الشافعية وقرأت الحـديث والنحـو وناظرت العلماء وتكلمت في سائر العلوم والفت في علم المنطق والبيان والحساب والجدل وأعرف الروحاني والميقات وفهمت هذه العلوم كلها ثم قالت أئتني بدواة وقرطاس حتى أكتب كتاباً يسليك في الأسفار ويغنيـك عن مجادات الأسفار فلما سمع التاجر منها هذا الكلام صاح بخ بخ فيا سعد من تكونين في قصره ثـم أتاهـا بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أحضر التاجر ذلك بين يديها وقبل الأرض تعظيماً فأخذت نزهة الزمـان الدرج وتناولت القلم وكتبت في الدرج هذه الأبيات:

ما بـال نـومي مـن عينـي قـد نفـرا ... أأنـت علمـت طرفـي بعـدك السـهرا

وما لـذكرك يـذكى النـار فـي كبـدي أهكـــذا كـــل صـــب للهـــوى ذكـــرا
ســـقا الأيـــام مـــا كـــان أطيبهـــا مضت ولـم أقـض مـن لـذاتها وطـرا
أســـتعطف الـــريح أن الـــريح حاملـــة إلـــى المتـــيم مـــن أكتـــافكم خبـــرا
يشـــكو غليـــك محـــب قـــل ناصـــره وللفـــراق خطـــوب تصـــدع الحجـــرا

ثم أنها لما فرغت من كتابة هذا الشعر كتبت بعده هذا الكلام وهي تقول ممن اسـتولى عليهـا الفكـر وأنحلها السهر فظلمتها لا تجد لها من أنوار ولا تعلم الليل من النهار وتتقلب على مراقد البين وتكتحل بموارد الأرق ولم تزل للنجوم رقيبة وللظلام نقيبة قد أذابه الفكر والنحول وشرح حالها يطول لا مساعد لهـا غيـر العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

مـــا غـــردت ســـحرا ورقـــاء فـــتن إلا تحـــرك عنـــدي قاتـــل الشـــجن
ولا تـــأثر مشـــتاق بـــه طـــرب إلـــى الأحبـــة إلا ازددت فـــي حزنـــي
أشكو الغرام إلـى مـن لـيس يرحمنـي كم فـرق الوجـد بـين الـروح والبـدن

ثم أفاضت دموع العين وكتبت أيضاً هذين البيتين:

أبلى الهـوى أسـفا يـوم النـوى بـدني وفـرق الهجـر بـين الجفـن والوسـن
كفـــى بجســـمي نحـــولا أننـــي دنـــف لـــولا مخـــاطبني إيـــاك لـــم ترنـــي

وبعد ذلك كتبت في أسفل الدرج هذا من عند البعيدة عن الأهل والأوطان الحزينة القلب والجنان نزهة الزمان ثم طوت الدرج وناولته للتاجر فأخذه وقبله وعرف ما فيه ففرح وقال سبحان مـن صـورك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان كتبت الكتاب وناولته للتاجر فأخذه وقرأه وعلم مـا فيـه فقال سبحان من صورك وزاد في أكرامها وصار يلاطفها نهاره كله فلما أقبل الليل خرج إلى السوق وأتـى بشيء فأطعمها أياه ثم أدخلها الحمام وأتى لها ببلانة وقال لها إذا فرغت من غسل رأسها فالبسيها ثيابها ثـم أرسلي أعلميني بذلك فقالت سمعاً وطاعة ثم أحضر لها طعاماً وفاكهة وشمعاً وجعل ذلك على مصطبة الحمام فلما فرغت البلانة من تنظيفها ألبستها ثيابها ولما خرجت من الحمام وجلست على مصطبة الحمام فلما فرغت البلانة من تنظيفها ألبستها ثيابها ولما خرجت من الحمام وجلست على مصطبة الحمام وجدت المائدة حاضرة فأكلت هي والبلانة من الطعام والفاكهة وتركت الباقي لحارسة الحمام ثم باتت إلى الصـباح وبـات التـاجر منعزلاً عنها في مكان آخر فلما استيقظ من نومه أيقظ نزهة الزمان وأحضر لها قميصاً رفيعاً وكوفية بـألف دينار وبدلة تركية مزركشة بالذهب وخفا مزركشاً بالذهب الأحمر مرصعاً بالدر والجوهر وجعل في أذنيهـا حلقاً من اللؤلؤ بألف دينار ووضع في رقبتها طوقاً من الذهب وقلادة من العنبر تضرب تحت نهديها وفـوق صرتها وتلك القلادة فيها عشر أكر وتسعة أهلة كل هلال في وسطه فص من الياقوت وكل أكرة فيها فـص البلخش وثمن تلك القلادة ثلاثة آلاف دينار فصارت الكسوة التي كساها أياها بجملة بليغة من المال ثم أمرهـا

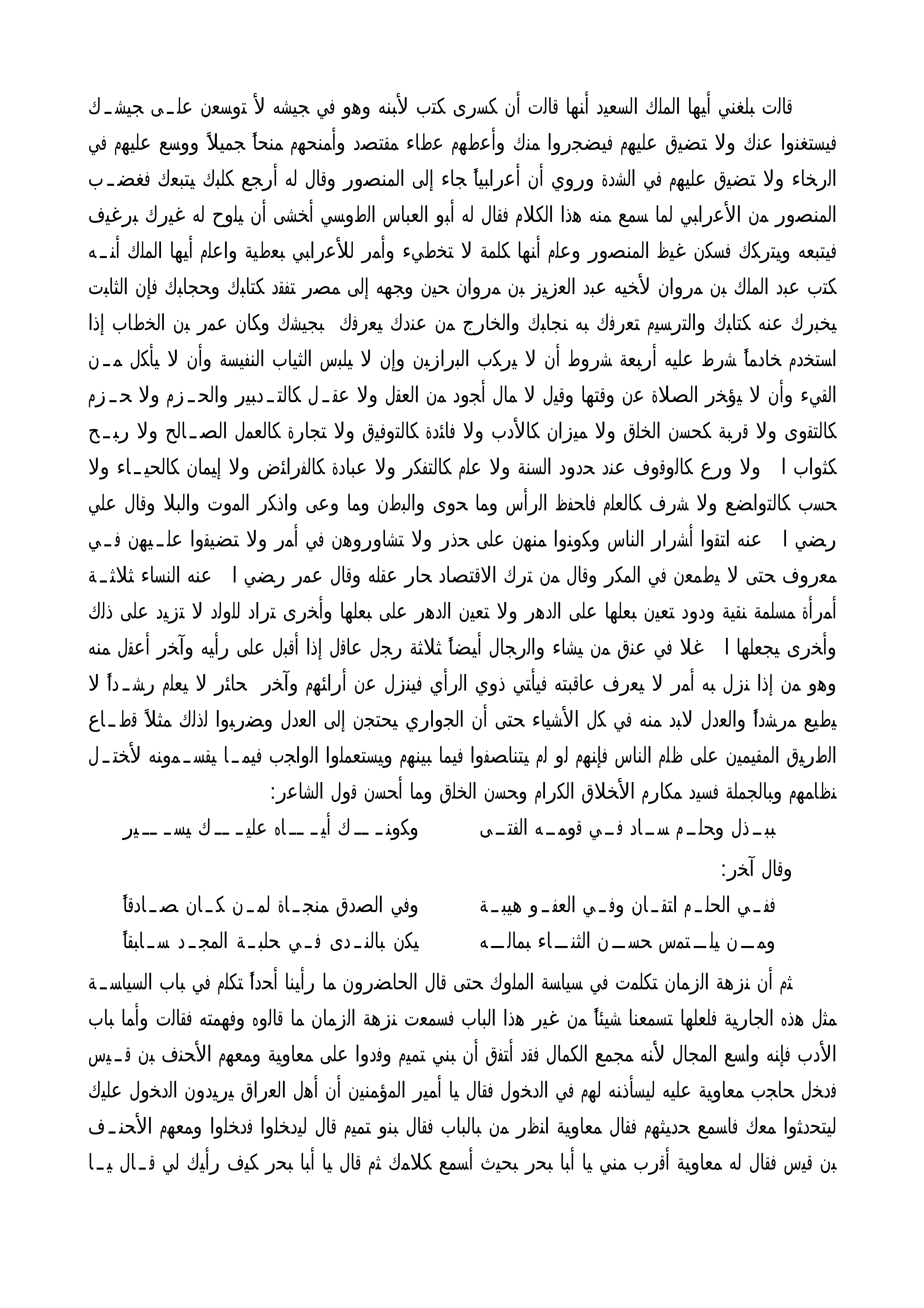
التاجر أن تتزين بأحسن الزينة ومشت ومشى التاجر قدامها فلما عاينها الناس بهتوا في حسنها وقالوا تبـارك ا أحسن الخالقين هنيئاً لمن كانت هذه عنده ومازال التاجر يمشي وهي تمشي خلفه حتى دخل على الملـك شركان فلما دخل على الملك قبل الأرض بين يديه وقال أيها الملك السعيد أتيت لك بهديـة غريبةالأوصـاف عديمة النظير في هذا الزمان قد جمعت بين الحسن والإحسان فقال له الملك قصدي أن أراها عيانـاً فخـرج التاجر وأتى بها حتى أوقفها قدامه فلما رآها الملك شركان حن الدم إلى الدم وكانت قد فارقته وهي صـغيرة ولم ينظرها لأنه بعد مضي مدة من ولادتها سمع أن له أختاً تسمى نزهة الزمان وأخاً يسمى ضـوء المكـان فاغتاظ من أبيه غيظاً شديداً غيره على المملكة كما تقدم ولما قدمها إليه التاجر قال له يا ملك الزمان أنها مع كونها بديعة الحسن والجمال بحيث لا نظير لها في عصرها تعرف جميع العلوم الدينية والدنيوية والسياسـية والرياضية فقال له الملك خذ ثمنها مثل ما اشتريتها ودعها وتوجه إلى حال سبيلك فقال لـه التـاجر سـمعاً وطاعة ولكن أكتب لي مرقوماً لأني لا أدفع عشراً أبداً على تجارتي فقال الملك أني أفعل لـك ذلـك ولكـن أخبرني كم وزنت ثمنها فقال وزنت ثمنها ألف دينار وكسوتها بمائة ألف دينار فلما سمع ذلك قال أنا أعطيك في ثمنها أكثر من ذلك ثم دعا بخازنداره وقال له أعط هذا التاجر ثلثمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ثـم أن شركان أحضر القضاة الأربعة وقال لهم أشهدكم أني أعتقت جاريتي هذه وأريد أن أتزوجها فكتب القضاة حجة باعتاقها ثم أكتبوا كتابي عليها ونثر المسك على رءوس الحاضرين ذهباً كثيراً وصار الغلمان والخـدم يلتقطون ما نثره عليهم الملك من الذهب ثم أن الملك أمر بكتابة منشور إلى التاجر على طبق مراده من أنه لا يدفع على تجارته عشراً ولا يتعرض له أحد بسوء في سائر مملكته وبعد ذلك أمر له بخلعـة سـنية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك صرف جميع من عنده غير القضاة والتاجر وقال للقضاة أريـد أن تسمعوا من ألفاظ هذه الجارية ما يدل على علمها وأدبها من كل ما ادعاه التاجر لنتحقق صـدق كلامـه فقالوا لا بأس من ذلك فأمر بارخاء ستارة بينه هو ومن معه وبين الجارية ومن معها وصار جميـع النـاس اللاتي مع الجارية خلف الستارة يقبلن يديها ورجليها لما علموا أنها صارت زوجة الملك ثم دون حولها وقمن يخدمنها وخففن ما عليها من الثياب وصرن ينظرن حسنها وجمالها وسمعت نساء الأمراء والوزراء أن الملك شركان اشتري جارية لا مثيل لها في أحمال العلم والأدب وأنها حوت جميع العلوم وقد وزن ثمنهـا ثلثمائـة ألف دينار وعشرين ألف دينار وأعتقها وكتب كتابه عليها وأحضر القضاة الأربعة لأجل امتحانها حتى ينظر كيف تجاوبهم عن أسئلتهم فطلب النساء الأذن من أزواجهن ومضين إلى القصر الذي فيه نزهة الرمان فلمـا دخلن عليها وجدن الخدم وقوفاً بين يديها وحين رأت نساء الأمراء والوزراء داخلـة عليهـا قامـت الـيهن وقابلتهن وقامت الجواري خلفها وتلقت النساء بالترحيب وصارت تتبسم فـي وجـوههن فأخـذت قلـوبهن وأنزلتهن في مراتبهن كأنها تربت معهن فتعجبن من حسنها وجمالها وعقلها وأدبها وقلن لبعضهن مـا هـذه جارية بل هي ملكة بنت ملك وصرن يعظمن قدرها وقلن لها يا سيدتنا أضاءت بك بلـدتنا وشـرفت بلادنـا ومملكتنا فالمملكة مملكتك والقصر قصرك وكلنا جواريك فبا لا تخلينا من أحسانك والنظـر إلـى حسـنك

فشكرتهن على ذلك هذا كله والستارة مرخاة بين نزهة الزمان ومن عندها من النساء وبين الملك شركان هو والقضاة الأربعة والتاجر ثم بعد ذلك ناداها الملك شركان وقال لها أيتها الجارية العزيزة في زمانها أن هـذا التاجر قد وصفك بالعلم والأدب وأدعى أنك تعرفين في جميع العلوم حتى علم النحو فاسمعينا من كـل بـاب طرفاً يسيراً فلما سمعت كلامه قالت سمعاً وطاعة أيها الملك الباب الأول في السياسات الملكية ومـا ينبغـي لولاة الأمور الشرعية وما يلزمهم من قبل الأخلاق المرضية اعلم أيها الملك أن مقاصد الخلق منتهيـة إلـى الدين والدنيا لأنه لا يتوصل أحد إلى الدين إلا بالدنيا فإن الدنيا نعم الطريق إلى الآخرة وليس ينتظم أمر الدنيا باعمال أهلها وأعمال الناس تنقسم إلى أربعة أقسام الأمارة والتجارة والزراعة والصناعة فالأمارة ينبغي لهـا السياسة التامة والفراسة الصادقة لأن الأمارة مدار عمارة الدنيا التي هي طريق إلى الآخـرة لأن ا تعـالى جعل الدنيا للعباد كزاد المسافر إلى تحصيل المراد فينبغي لكل إنسان أن يتناول منها بقدر ما يوصله إلـى ا ولا يتبع في ذلك نفسه وهواه ولو تتناولها الناس بالعدل لانقطعت الخصومات ولكـنهم يتناولونهـا بـالجور ومتابعة الهوى فتسبب عن أنهما كهم عليها الخصومات فاحتاجوا إلى سلطان لأجل أن ينصف بينهم ويضـبط أمورهم ولولا ردع الملك الناس عن بعضهم لغاب قويهم على ضعيفهم وقد قال أزد شيران الـدين والملـك توأمان فالدين كنز والملك حارس وقد دلت الشرائع والعقول على أنه يجب على الناس أن يتخذوا سلطاناً يدفع الظالم عن المظلوم وينصف الضعيف من القوى ويكف بأس العاتي والباغي واعلم أيها الملك أنه على قـدر حسن أخلاق السلطان يكون الرمان فإنه قد قال رسول ا ﷺ شيئآن في الناس أن صلحا صـلح النـاس وأن فسدا فسد الناس العلماء والأمراء وقد قال بعض الحكماء الملوك الثلاثة ملك وديـن وملـك محافظـة علـى الحرمات وملك هوي فأما ملك الدين فإنه يلزم رعيته باتباع دينهم وينبغي أن يكون أدينهم لأنـه هـو الـذي يقتدي به في أمور الدين ويلزم الناس طاعته فيما أمر به موافقاً للأحكام الشرعية ولكنه ينزل السخط منزلـة الراضي بسبب التسليم إلى الأقدار وأما ملك المحافظة على الحرمات فإنه يقوم بأمور الدين والـدنيا ويلـزم الناس باتباع الشرع والمحافظة على المروءة ويكون جامعاً بين العلم والسيف فمن زاغ عما سطر القلم زلت به القدم فيقوم أعوجاجه بحد الحسام وينشر العدل في جميع الأنام وأما ملك الهوى فلا دين له إلا اتباع هـواه ولم يخش سطوة مولاه الذي ولاه فمآل ملكه إلى الدمار ونهاية عتوه إلى دار البوار وقالت الحكمـاء الملـك يحتاج إلى كثير من الناس وهم محتاجون إلى واحد ولأجل ذلك وجب أن يكون عار فباختلافهم ليرد اختلافهم إلى أوقاتهم ويعمهم بعدله ويغترهم بفضله واعلم أيها الملك أن أزد شير وهو الثالث من ملوك الفرس قد ملك الأقاليم جميعاً وقسمها على أربعة أقسام وجعل له من أجل ذلك أربع خواتم لكل قسم خاتم الأول خاتم البحـر والشرطة والمحامات وكتب عليه بالنيابات الثاني خاتم الخراج وجباية الأموال وكتب عليه العمارة الثالث خاتم القوت وكتب عليه الرخاء الرابع خاتم المظالم وكتب عليه العدل واستمرت هذه الرسوم في الفـرس إلـى أن ظهر الإسلام وكتب كسرى لأبنه وهو في جيشه لا توسعن على جيشك فيسـتغنوا عنـك وأدرك شـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨)



قالت بلغني أيها الملك السعيد أنها قالت أن كسرى كتب لأبنه وهو في جيشه لا توسعن علـى جيشـك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك وأعطهم عطاء مقتصد وأمنحهم منحاً جميلاً ووسع عليهم في الرخاء ولا تضيق عليهم في الشدة وروي أن أعرابياً جاء إلى المنصور وقال له أرجع كلبك يتبعك فغضـب المنصور من الأعرابي لما سمع منه هذا الكلام فقال له أبو العباس الطوسي أخشى أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويتركك فسكن غيظ المنصور وعلم أنها كلمة لا تخطيء وأمر للأعرابي بعطية واعلم أيها الملك أنـه كتب عبد الملك بن مروان لأخيه عبد العزيز بن مروان حين وجهه إلى مصر تفقد كتابك وحجابك فإن الثابت يخبرك عنه كتابك والترسيم تعرفك به حجابك والخارج من عندك يعرفك بجيشك وكان عمر بن الخطاب إذا استخدم خادماً شرط عليه أربعة شروط أن لا يركب البرازبن وإن لا يلبس الثياب النفيسة وأن لا يأكل مـن الفيء وأن لا يؤخر الصلاة عن وقتها وقيل لا مال أجود من العقل ولا عقـل كالتـدبير والحـزم ولا حـزم كالتقوى ولا قربة كحسن الخلق ولا ميزان كالأدب ولا فائدة كالتوفيق ولا تجارة كالعمل الصـالح ولا ربـح كثواب ا ولا ورع كالوقوف عند حدود السنة ولا علم كالتفكر ولا عبادة كالفرائض ولا إيمان كالحيـاء ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم فاحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى واذكر الموت والبلا وقال علي رضي ا عنه اتقوا أشرار الناس وكونوا منهن على حذر ولا تشاوروهن في أمر ولا تضيقوا علـيهن فـي معروف حتى لا يطمعن في المكر وقال من ترك الاقتصاد حار عقله وقال عمر رضي ا عنه النساء ثلاثـة أمرأة مسلمة نقية ودود تعين بعلها على الدهر ولا تعين الدهر على بعلها وأخرى تراد للولد لا تزيد على ذلك وأخرى يجعلها ا غلا في عنق من يشاء والرجال أيضاً ثلاثة رجل عاقل إذا أقبل على رأيه وآخر أعقل منه وهو من إذا نزل به أمر لا يعرف عاقبته فيأتي ذوي الرأي فينزل عن أرائهم وآخر حائر لا يعلم رشـداً لا يطيع مرشداً والعدل لابد منه في كل الأشياء حتى أن الجواري يحتجن إلى العدل وضربوا لذلك مثلاً قطـاع الطريق المقيمين على ظلم الناس فإنهم لو لم يتناصفوا فيما بينهم ويستعملوا الواجب فيمـا يقسـمونه لأختـل نظامهم وبالجملة فسيد مكارم الأخلاق الكرام وحسن الخلق وما أحسن قول الشاعر:

ببـذل وحلـم سـاد فـي قومـه الفتـى وكونـــك أيـــاه عليـــك يســـير

وقال آخر:

ففـي الحلـم اتقـان وفـي العفـو هيبـة وفي الصدق منجـاة لمـن كـان صـادقاً
ومـن يلـتمس حسـن الثنـاء بمالـه يكن بالنـدى فـي حلبـة المجـد سـابقاً

ثم أن نزهة الزمان تكلمت في سياسة الملوك حتى قال الحاضرون ما رأينا أحداً تكلم في باب السياسـة مثل هذه الجارية فلعلها تسمعنا شيئاً من غير هذا الباب فسمعت نزهة الزمان ما قالوه وفهمته فقالت وأما باب الأدب فإنه واسع المجال لأنه مجمع الكمال فقد أتفق أن بني تميم وفدوا على معاوية ومعهم الأحنف بن قـيس فدخل حاجب معاوية عليه ليسأذنه لهم في الدخول فقال يا أمير المؤمنين أن أهل العراق يريدون الدخول عليك ليتحدثوا معك فاسمع حديثهم فقال معاوية انظر من بالباب فقال بنو تميم قال ليدخلوا فدخلوا ومعهم الأحنـف بن قيس فقال له معاوية أقرب مني يا أبا بحر بحيث أسمع كلامك ثم قال يا أبا بحر كيف رأيك لي قـال يـا

أمير المؤمنين فرق الشعر وقص الشارب وقلم الأظافر ونتف الأبط وحلق العانة وأدم السواك فإن فيه أثنـين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنها قالت أن الأحنف بن قيس قال لمعاوية لما سأله وأدم السواك فإن فيه اثنين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين قال له معاوية كيف رأيك لنفسك قـال أوطـيء قدمي على الأرض وأنقلهم على تمهل وأراعيها بعيني قال كيف رأيك إذا دخلت على نفر مـن قومـك دون الأمراء قال أطرق حياء وأبدأ بالسلام وادع مالا يعنيني وأقل الكلام قال كيف رأيك إذا دخلت على نظرائـك قال استمع لهم إذا قالوا ولا أجول عليهم إذا جالوا قال كيف رأيك إذا دخلت على امرائك قال اسلم من غيـر إشارة وانتظر الإجابة فإن قربوني قربت وأن بعدوني بعدت قال كيف رأيك مع زوجتك قال أعفني من هذا يا أمير المؤمنين قال أقسمت عليك أن تخبرني قال أحسن الخلق وأظهر العشرة وأوسع النفقة فإن المرأة خلقـت من ضلع أعوج قال فما رأيك إذا أردت أن تجامعها قال أكلمها حتى تطيب نفسها وألثمها حتى تطـرب فـإن كان الذي تعلم طرحتها على ظهرها وأن استقرت النطفة في قرارها قلت اللهم جعلها مباركة ولا تجعلها شقية وصورها أحسن تصوير ثم أقوم عنها إلى الوضوء فأقبض الماء على يدي ثم أصبه على جسدي ثم أحمد ا علي ما أعطاني من النعم فقال معاوية أحسنت في الجواب فقل حاجتك فقال حاجتي أن تتق ا فـي الرعيـة وتعدل بينهم بالسوية ثم نهض قائماً من مجلس معاوية فلما ولى قال معاوية لو لم يكن بالعراق إلا هذا لكفـى ثم أن نزهه الزمان قالت وهذه النبذة من جملة باب الأدب واعلم أيها الملك أنه كان معيقب عاملاً على بيـت المال في خلافة عمر بن الخطاب رضي ا تعالى عنه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت والعم أيها الملك أنه كان معيقب عاملاً على بيـت المال في خلافة عمر بن الخطاب فأتفق أنه رأى ابن عمر يوماً فأعطاه درهماً من بيت المال قال معيقب وبعد أن أعطيته الدرهم انصرفت إلى بيتي فبينما أنا جالس وإذا برسول عمر جاءني فذهبت معه وتوجهت إليه فإذا الدرهم في يده وقال لي ويحك يا معيقب أني قد وجدت في نفسك شيئاً قلت وما ذاك يا أمير المؤمنين قال أنك تخاصم أمة محمد ﷺ في هذا الدرهم يوم القيامة وكتب عمر إلى أبي موسى الأشـعري كتابـاً مضـمونة إذا جاءك كتابي هذا فاعط الناس الذي لهم واحمل ما بقي ففعل فلما ولى عثمان الخلافة كتب إلى موسـى ذلـك ففعل وجاء زياد معه فلما وضع الخراج بين يدي عثمان جاء ولده فأخذ منه درهما فبكى زياد فقال عثمان ما يبكيك قال أتيت عمر بن الخطاب بمثل ذلك فأخذ ابنه درهماً فأمر بنزعه من يده وابنك أخـذ فلـم أر أحـداً ينزعه منه أو يقول له شيئاً فقال عثمان وأين نلقى مثل عمر وزوى زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال خرجت مع عمر ذات ليلة حتى أشرفنا على نار تضرم فقال يا أسلم أني أحسب هؤلاء ركبا أضربهم البرد فـانطلق بنـا إليهم فخرجنا حتى أتينا إليهم فإذا امرأة توقد نار تحت قدر ومعها صبيان يتضاعون فقال عمر السلام علـيكم أصحاب الضوء وكره أن يقول أصحاب النار ما بالكم قالت أضربنا البرد والليل قال فما بال هؤلاء يضاغون قالت من الجوع قال فما هذه القدر قالت ماء أسكتهم به وأن عمر بن الخطاب ليسأله ا يوم القيامة قال ومـا

يدري عمر بحالهم قالت كيف يتولى أمور الناس ويغفل عنهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد قال اسلم فأقبل عمر على وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الصرف فأخرج عدلاً فيه دقيق وأناء فيه شحم ثم قال حملني هذا فقلت أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين فقال أتحمل عن وزري يوم القيامة فحملته أياه وخرجنا نهرول حتى القينا ذلك العدل عندها ثم أخرج من الدقيق شيئاً وجعل يقول للمرأة رددي إلى وكان ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ وأخذ مقدار من الشحم فرماه فيه ثم قال أطعميهم وأنا أبرد لهم ولم يزالوا كذلك حتى أكلوا وشبعوا وترك الباقي عندها ثم أقبل علي وقال أسلم أني رأيت الجوع أبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى يتبين لي سبب الضوء الذي رأيته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت قيل أن عمر مر براع مملوك فابتاعه شاة فقال له أنها ليست لي فقال أنت القصد فاشتراه ثم أعتقه وقال اللهم كما رزقتني العتق الأصغر أرزقني العتق الأكبر وقيل أن عمر بن الخطاب يطعم الحليب للخدم ويأكل اللبن ويكسوهم الغليظ ويلبس الخشن ويعطي الناس حقوقهم ويزيد في عطائهم وأعطى رجلاً أربعة آلاف درهم وزاده الفا فقيل أما تزيد ابنك كما زدت هذا قال أثبت والده يوم أحد وقال الحسن أتى عمر بمال كثير فأتته حفصة وقالت له يا أمير المؤمنين حق قرابتك فقال يا حفصة أنما أوصى ا بحق قرابتي من مالي وأما مال المسلمين فلا يا حفصة قد أرضيت قومك وأغضبت أباك فقامت تجر ذيلها وقال بن عمر تضرعت إلى ربي سنة من السنين أن يريني أبي حتى رأيته يمسح العرق عن جنبيه فقلت له ما حالك يا والدي فقال لولا رحمة ربي لهلك أبوك قالت نزهة الزمان أسمع أيها الملك السعيد الفصل الثاني من الباب الثاني وهو باب الأدب والفضائل وما ذكر فيه من أخبار التابعين والصالحين قال الحسن البصري لا تخرج نفس آدم عن الدنيا إلا وهو يتأسف على ثلاثة أشياء عدم تمتعه بما سمع وعدم إدراكه لما أمل وعدم استعداده بكثرة الزاد لما هو قادم عليه وقيل لسفيان هل يكون الرجل زاهد أوله مال قال نعم إذا كان متى ابتلى صبر ومتى أعطي شكر وقيل لما حضرت عبد ا بن شداد الوفاة أحضر ولده محمد فأوصاه وقال له يا بني أني لا أرى داعي الموت قد دعاني فأتق ربك في السر والعلانية وأشكر ا على ما أنعم وأصدق في الحديث فالشكر يؤذن بازدياد النعم والتقوى خير زاد في الميعاد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد ا بن شداد صار يوصي ولده بأن التقوى خير زاد في الميعاد كما قال بعضهم

ولست أرى السعادة جمع مال	ولكن التقى هو السعيد
وتقوى ا خير الزاد حقاً	وعند ا تلقى ما تريد

ثم قالت نزهة الزمان ليسمع الملك هذه النكت من الفصل الثاني من الباب الأول قيل لها وما هي قالت لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة جاء لأهل بيته فأخذ ما بأيديهم ووضعه في بيت المال ففزعت بنو أمية إلى عمته فاطمة بنت مروان فأرسلت إليه قائلة أنه لابد من لقائك ثم أتته ليلاً فأنزلها عن دابتها فلما أخـذت مجلسها قال لها يا عمة أنت أولى بالكلام لأن الحاجة لك فأخبريني عن مرادك فقالت يا أمير المؤمنين أنـت أولى بالكلام ورأيك يستكشف ما يخفى عن الأفهام فقال عمر بن عبد العزيز أن ا تعالى بعـث محمـداً ﷺ رحمة للعالمين وعذاباً لقوم آخرين ثم أختار له ما عنده فقبضه إليه . وأدرك شهرزاد الصباح فسـكتت عـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت فقال عمر بن عبد العزيز أن ا قد بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين وعذاباً لقوم آخرين ثم أختار له ما عنده فقبضه إليه وترك للناس نهراً يروى عطاشهم ثم قال أبو بكر خليفة بعده فأجرى النهر مجراه وعمل ما يرضى ا ثم قام عمر بعد أبي بكر فعمل خيـر أعمـال الأبرار واجتهد اجتهاداً ما يقدر أحد على مثله فلما قام عثمان اشتق من النهر نهراً ثم ولى معاوية فاشتق منه يزيد وبنو مروان كعبد الملك والوليد وسليمان حتى آل الأمر إلي فأحببت أن أرد النهر إلى مـا كـان عليـه فقالت قد أردت كلامك ومذكراتك فقط فإن كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيئاً ورجعت إلى بنـي أميـة فقالت لهم ذوقوا عاقبة أمركم بتزويجكم إلى عمر بن الخطاب وقيل لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفـاة جمع أولاده حوله فقال له مسلمة بن عبد الملك يا أمير المؤمنين كيف تترك أولادك فقراء وأنت راعيهم فمـا يمنحك أحد في حياتك من أن تعطيهم من بيت المال ما يغنيهم وهذا أولى من أن ترجعه إلى الـوالي بعـدك فنظر إلى مسلمة نظر مغضب متعجب ثم قال يا مسلمة منعتهم أيام حياتي فكيف أشقى بهم فـي ممـاتي أن أولادي ما بين رجلين أما مطيع تعالى فا يصلح شأنه وأما عاص فما كنت لاعينه على معصيته يا مسلمة أني حضرت وأياك حين دفن بعض بني مروان فحملتني عيني فرأيته في المنام أفضى إلى أمر من أمور ا عز وجل فهالني وراعني فعاهدت ا أن لا أعمل عمله أن وليت وقد اجتهدت في ذلك مدة حياتي وأرجو أن أفضى إلى عفو ربي قال مسلمة بقى رجل حضرت دفنه فلما فرغت من دفنه حملتني عيني فرأيته فيما يرى النائم في روضة فيها أنهار جارية وعليه ثياب بيض فأقبل علي وقال يا مسلمة لمثل هذا فليعمـل العـاملون ونحو هذا كثير وقال بعض الثقات كنت أحلب الغنم في خلافة عمر بن عبد العزيز فمررت براع فرأيت مـع غنمه ذئباً أو ذئاباً فظننت أنها كلابها ولم أكن رأيت الذئاب قبل ذلك فقلت ما تصنع بهذه الكلاب فقـال أنهـا ليست كلاباً بل هي ذئاب فقلت هل ذئاب في غنم لم تضرها فقال اصلح الرأس صلح الجسد وخطب عمر بن عبد العزيز على منبر من طين فحمد ا وأثنى عليه ثم تكلم بثلاث كلمات فقال أيها الناس أصلحوا أسراركم لتصلح علانيتكم لأخوانكم وتكفوا أمر دنياكم واعلموا أن الرجل ليس بينه وبين آدم رجل حي في الموتى مات عبد الملك ومن قبله ويموت عمر ومن بعده فقال له مسلمة يا أمير المؤمنين لو علمنا لك متكئاً لتعقـد عليـه قليلاً فقال أخاف أن يكون في عنقي منه أثم يوم القيامة ثم شهق شهقة فخر مغشياً فقالت فاطمة يا مـريم يـا مزاحم يا فلان أنظروا هذا الرجل فجاءت فاطمة تصب عليه الماء وتبكي حتى أفاق من غشيته فرآها تبكـي

فقال ما يبكيك يا فاطمة قالت يا أمير المؤمنين رأيت مصرعك بين أيدينا فتذكرت مصرعك بين يدي ا عز وجل للموت وتخليك عن الدنيا وفراقك لنا فذاك الذي أبكانا فقال حسبك يا فاطمة فلقد أبلغت ثـم أراد القيـام فنهض فسقط فضمته فاطمة إليها وقالت بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين ما نستطيع أن نكلمك كلنـا ثـم أن نزهة الزمان قالت لأخيها شركان وللقضاة الأربعة تتمة الفصل الثاني مـن البـاب الأول. وأدرك شـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت لأخيها شركان وهي لم تعرفـه بحضـر القضـاة الأربعة والتاجر تتمة الفصل الثاني من الباب الأول اتفق أنه كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الموسم أمـا بعد فإني أشهد ا في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الأكبر أني ابرأ في ظلمكم وعدوان من اعتـدى عليكم أن أكون أمرت بذلك أو تعمدته أو يكون أمر من أموره بلغني أو أحاط به علمي وأرجو أن يكون لذلك موضع من الغفران إلا أنه لا أذن مني بظلم أحد فأني مسئول عن كل مظلوم إلا وأي عامل من عمـالي زاغ عن الحق وعمل بلا كتاب ولا سنة فلا له طاعة عليكم حتى يرجع إلى الحق وقال رضي ا تعالى عنه مـا أحب أن يخفف عني الموت لأنه آخره يؤجر عليه المؤمن وقال بعض الثقات قدمت على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فرأيت بين يديه أثنى عشر درهماً فأمر بوضعها في بيت المال قلـت يـا أميـر المؤمنين أنك أفقرت أولادك وجعلتهم عيالاً ل شيء لهم فلو أوصيت غليهم بشيء وإلى من هو فقير من أهل بيتك فقال أدن مني فدنوت منه فقال أما قولك أفقرت أولادك فأوص إليهم أو إلى من هو فقير من أهل بيتـك فغير سديد لأن ا خليفتي على أولادي وعلى من هو فقير من أهل بيتي وهو وكيل عليهم وهم ما بين رجلين إما رجل يتقي ا فسيجعل ا له مخرجاً وأما رجل معتكف على المعاصي فإني لم أكن لأقويه على معصية ا ثم بعث إليهم وأحضرهم بين يديه وكانوا اثنى عشر ذكراً فلما نظر إليهم ذرفت عيناه بالدموع ثم قـال أن أباكم ما بين أمرين أما أن تستغنوا فيدخل أبوكم النار وأما أن تفتقروا فيدخل أبوكم الجنة ودخول أبيكم الجنـة أحب إليه من أن تستغنوا قدموا قد وكلت أمركم على ا وقال خالد بن صفوان صحبني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك فلما قدمت عليه وقد خرج بقرابته وخدمه فنزل في أرض وضرب له خياماً فلما أخـذت الناس مجالسهم خرجت من ناحية البساط فنظرت إليه فلما صارت عيني في عينه قلت له تمم ا نعمته عليك يا أمير المؤمنين وجعل ما قلدك من هذه الأمور رشداً ولا خالط سرورك أذى يا أمير المؤمنين أني أجد لـك نصيحة أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فاستوى جالساً وكان متكئاً وقال هات ما عنـدك يـا ابـن صفوان فقلت يا أمير المؤمنين أن ملكاً من الملوك خرج قبلك في عام قبل عامك هذا إلى هذه الأرض فقـال لجلسائه هل رأيتم مثل ما أنا فيه وهل أعطى أحد مثل ما أعطيته وكان عنده رجل من بقايـا حملـة الحجـة والمعينين على الحق السالكين في منهاجه فقال أيها الملك أنك سألت عن أمر عظيم أتأذن لي في الجواب عنه قال نعم قال رأيت الذي أنت فيه لم يزل زائلاً فقال هو شيء زائل قال فما لي أراك قد أعجبت بشيء تكـون فيه قليلاً وتسئل عنه طويلاً وتكون عند حسابه مرتهناً قال فأين المهرب وأين المطلب قال أن تقيم في ملكـك فتعمل بطاعة ا تعالى أو تلبس أطمارك وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك فإذا كان السحر فإني قادم عليك قـال

خالد بن صفوان ثم أن الرجل قرع عليه بابه عند السحر فرآه قد وضع تاجه وتهيأ للسياحة من عظم موعظته فبكى هشام بن عبد الملك بكاء كثيراً حتى بل لحيته وأمر بنزع ما عليه ولزم قصره فأتت الموالي والخدم إلى خالد بن صفوان وقالوا أهكذا فعلت بأمير المؤمنين أفسدت لذته ونغصت حياته ثم أن نزهـة الزمـان قالـت لشركان وكم في هذا الباب من النصائح وأني لأعجز عن الاتيان بجميع ما في هذا الباب في مجلس واحـد. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت لشركان وكم في هذا الباب مـن النصـائح وأنـي لأعجز عن الأتيان لك بجميع ما في هذا الباب في مجلس واحد ولكن على طول الأيام يا ملك الزمان يكـون خيراً فقالت القضاة أيها الملك أن هذه الجارية أعجوبة الزمان ويتيمة العصر والأوان فأننـا مـا رأينـاه ولا سمعنا بمثلها في زمن من الأزمان ثم أنهم دعوا للملك وانصرفوا فعند ذلك التفت شركان إلى خدمة وقال لهم أشرعوا في عمل العرس وهيئوا الطعام من جميع الألوان فامتثلوا أمره في الحال وهيئوا جميع الأطعمة وأمر نساء الأمراء والوزراء وأرباب الدولة لم يتصرفوا حتى يحضروا جلاء العروس فما جاء وقت العصر حتـى مدوا السفرة مما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأكل جميع الناس حتى أكتفوا وأمر الملك أن تحضر كل مغنيـة في دمشق فحضرن وكذلك جواري الملك اللائي يعرفن الغناء وطلع جميعهن إلى القصر فلما أتـى المسـاء وأظلم الظلام وأوقد الشموع من باب القلعة إلى باب القصر يميناً وشمالاً ومشى الأمراء والوزراء والكبـراء بين يدي الملك شركان وأخذت المواشط الصبية ليزينها ويلبسنها فرأينها لا تحتاج إلى زينـة وكـان الملـك شركان قد دخل الحمام فلما خرج جلس على المنصة وجليت عليه العروس ثم خففوا عنها ثيابها وأوصـوها بما توصي به البنات ليلة الزفاف ودخل عليها شركان وأخذ وجهها وعلقت منه في تلك الليلة وأعلمته بـذلك ففرح فرحاً شديداً وأمر الحكماء أن يكتبوا تاريخ الحمل فلما أصبح جلس على الكرسي وطلع له أرباب دولته وهنؤه وأحضر كاتب سره وأمره أن يكتب كتاباً لوالده عمر النعمان بأنه اشـترى جاريـة ذات علـم وأدب فحوت فنون الحكمة وأنه لابد من إرسالها إلى بغداد لتزور أخاه ضوء المكان وأخته نزهـة الزمـان وأنـه أعتقها وكتب كتابه عليها ودخل بها وحملت منه ثم ختم الكتاب وأرسله إلى أبيه صحبة بريد فغاب ذلك البريد شهراً كاملاً ثم رجع إليه بالجواب وناوله فأخذه وقرأه فإذا فيه البسملة هذا من عند الحائر الولهان الذي فقـد الولدان وهجر الأوطان الملك عمر النعمان إلى ولده شركان اعلم أنه بعد مسيرك من عنـدي ضـاق علـى المكان حتى لا أستطيع صبراً ولا أقدر أن أكتم سراً وسبب ذلك أنني ذهبت إلى الصيد والقنص وكان ضوءاً لكان قد طلب مني الذهاب إلى الحجاز فخفت عليه من نوائب الزمان ومنعته من السفر إلى العـام الثـاني أو الثالث فلما ذهبت إلى الصيد والقنص غبت شهر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك عمر النعمان قال في مكتوبه فلما ذهبت إلى الصـيد والقـنص غبت شهراً فلما أتيت وجدت أخاك واختك أخذا شيئاً من المال وسافرا مع الحجاج خفية فلما علمـت بـذلك

ضاق بي الفضاء وقد انتظرت مجيء الحجاج لعلهما يجيآن فلما جاء الحجاج سألت عنهما فلم يخبرني أحـد بخبرهما فلبست لأجلهما ثياب الحزن وأنا مرهون الفؤاد عديم الرقاد غريق دمع العين ثم أنشد هذين البيتين:

خيالهمـا عنـدي لـيس بغائـب جعلـت لـه القلـب أشـرف موضـع

ولولا رجـاء لعـود مـا عشـت سـاعة ولـولا خيـال الطيـف لـم أتهجـع

ثم كتب من جملة المكتوب وبعد السلام عليك وعلى من عندك أعرفك أنك لا تتهاون في كشف الأخبار فإن هذا علينا عار فلما قرأ الكتاب حزن على حزن أبيه وفرح لفقد أخته وأخيه وأخذ الكتاب ودخل به علـى زوجته نزهة الزمان ولم يعلم أنها أخته وهي لا تعلم أنه أخوها مع أنه يتردد عليها ليلاً ونهاراً إلى أن كملت شهرها وجلست على كرسي الطلق فسهل ا عليها الولادة فولدت بنتاً فأرسلت تطلب شركان فلما رأته قالت له هذه بنتك فسمها ما تريد فإن عادة الناس أن يسموا أولادهم في سابع يوم ولادتهم ثم أنحنى شركان علـى ابنته وقبلها فوجد في عنقها خرزة معلقة من الثلاث خرزات التي جاءت بها الملكة أبريزة من بلاد الروم فلما عين الخرزة معلقة في عنق ابنته غاب عقله واشتد به الغيظ وحملق عينيه في الخرزة حتـى عرفهـا حـق المعرفة ثم نظر إلى نزهة الزمان وقال لها من أين جاءتك هذه الخرزة يا جارية فلما سمعت من شركان ذلك الكلام قالت له أنا سيدتك وسيدة كل من في قصرك أما تستحي وأنت تقول يا جارية ،أنا ملكة بنت ملك والآن زال الكتمان واشتهر الأمر وبان أنا نزهة الزمان بنت الملك عمر النعمان فلما سمع منها هذا الكـلام لحقـه الأرتعاش وأطرق برأسه إلى الأرض. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شركان لما سمع هذا الكلام أرتجف قلبه وأصفر لونه ولحقه الأرتعاش وأطرق برأسه إلى الأرض وعرف أنها أخته من أبيه فغاب عن الدنيا فلما أفاق صار يتعجب ولكنه لم يعرفها بنفسه وقال لها يا سيدتي هل أنت بنت الملك عمر النعمان قالت نعم فقال لها وما سبب فراقك لأبيك وبيعـك فحكت له جميع ما وقع لها من الأول إلى الآخر وأخبرته أنها تركت أخاها مريضاً في بيت المقدس وأخبرته باختطاف البدوي لها وبيعه أياها للتاجر فلما سمع شركان ذلك الكلام تحقق أنها أخته من أبيه وقال في نفسـه كيف أتزوج بأختي لكن أنما أزوجها لواحد من حجابي وإذا ظهر أمر أدعى أنني طلقتها قبل الدخول وزوجتها بالحاجب الكبير ثم رفع رأسه وتأسف وقال يا نزهة الزمان أنت أختي حقيقة وأستغفر ا من هذا الذنب الذي وقعنا فيه فأنني أنا شركان ابن الملك عمر النعمان فنظرت إليه وتأملته فعرفته فلما عرفته غابت عن صوابها وبكت ولطمت وجهها وقالت قد وقعنا في ذنب عظيم ماذا يكون العمل وما قول لأبي وأمي إذا قالا لي مـن أين جاءتك هذه البنت فقال شركان الرأي عندي أن أزوجك بالحاجب وأدعك تربي بنتي في بيته بحيث لا يعلم أحد بأنك أختي وهذا الذي قدره ا علينا لأمر إراده فلم يسترنا إلا زواجك بهذا الحاجب قبل أن يدري أحد ثم صار يأخذ بخاطرها ويقبل رأسها فقالت له وما تسمى البنت قال اسميها قضى فكان ثم زوجها للحاجب الكبير ونقلها إلى بيته هي وبنتها فربوها على أكتاف الجواري وواظبوا عليها بالأشربة وأنواع السفوف هـذا كلـه وأخوها ضوء المكان مع الوقاد بدمشق فاتفق أنه أقبل بريد يوماً من الأيام من عند الملك عمر النعمان إلـى الملك شركان ومعه كتاب فأخذه وقرأه فرأى فيه بعد البسملة اعلم أيها الملك العزيز أني حزين حزناً شـديداً

على فراق الأولاد وعدمت الرقاد ولازمني السهاد وقد أرسلت هذا الكتاب إليك فحال حصوله بين يديك ترسل إلينا الخراج وترسل صحبته الجارية التي اشتريتها وتزوجت بها فأني أحببت أن أراها وأسمع كلامهـا لأنـه جاءنا من بلاد الروم عجوز من الصالحات وصحبتها خمس جوار نهدأ بكار وقد حازوا مـن العلـم والأدب وفنون الحكمة ما يجب على الإنسان معرفته ويعجز عن وصف هذه العجوز ومن معها اللسان فأنهن حـزن أنواع العلم والفضيلة والحكمة فلما رأيتهن أحببتهن وقد اشتهيت أن يكن في قصري وفي ملك يـدي لأنـه لا يوجد لهن نظير عند سائر الملوك فسألت المرأة العجوز عن ثمنهن فقالت لا أبيعهن إلا بخراج دمشـق وأنـا وا أرى خراج دمشق قليلاً في ثمنهن فإن الواحدة منهن تساوي أكثر من هذا المبلغ فأجبتها إلى ذلك ودخلت بهن قصري وبقين في حوزتي فعجل لبابا لخراج لأجل أن تسافر المرأة بلادها وارسل لنا الجارية لأجـل أن تناظرهن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك عمر النعمان قال في مكتوبه وأرسل لنـا الجاريـة لأجـل أن تناظرهن بين العلماء فإذا غلبتهن أرسلتها إليك وصحبتها خراج بغداد فلما علم ذلك شركان أقبل على صهره وقال له هات الجارية التي زوجتك إياها فلما حضرت أوقفها على الكتاب وقال لها يا أختي ما عنـدك مـن الرأي في رد الجواب قالت له الرأي رأيك ثم قالت له وقد أشتاقت إلى أهلها ووطنها أرسلني صحبة زوجـي الحاجب لأجل أن أحكي لأبي حكايتي وأخبره بما وقع لي مع البدوي الذي باعني للتاجر وأخبره بأن التـاجر باعني لك وزوجتني للحاجب بعد عتقي فقال لها شركان وهو كذلك ثم أخذ ابنتـه قضـني فكـان وسـلمها للمراضع والخدم وشرع في تجهيز الخراج وأمر الحاجب أن يأخذ الخراج والجارية صحبته ويتوجـه إلـى بغداد فأجابه الحاجب بالسمع والطاعة فأمر بمحفة يجلس فيها وللجارية بمحفة أيضاً ثم كتـب كتابـاً وسـلمه للحاجب وودع نزهة الزمان وكان قد أخذ منها الخرزة وجعلها في عنق ابنته في سلسلة من خاص الذهب ثم سافر الحاجب في تلك الليلة فاتفق أنه خرج ضوء المكان هو والوقاد في تلك الليلة يتفرجـان فرأيـا جمـالاً وبغالاً ومشاعل وفوانيس مضيئة فسأل ضوء المكان عن هذه الأحمال وعن صاحبها فقيل لـه هـذا خـراج دمشق مسافر إلى الملك عمر النعمان صاحب مدينة بغداد فقال ومن رئيس هذه المحامل قيل هـو الحاجـب الكبير الذي تزوج الجارية التي تعلمت العلم والحكمة فعند ذلك بكى بكاء شديداً وتذكر أمه وأباه وأخته ووطنه وقال للوقاد ما بقي لي قعود هنا بل أسافر مع هذه القافلة وأمشي قليلاً قليلاً حتى أصل إلى بلادي فقـال لـه الوقاد أياماً آمنت عليك في القدس إلى دمشق فكيف آمن عليك إلى بغداد وأنا أكون معك حتـى تصـل إلـى مقصدك فقال ضوء المكان حباً وكرامة فشرع الوقاد في تجهيز حاله ثم شد الحمار وجعـل خرجـه عليـه ووضع فيه شيئاً من الزاد وشد وسطه ومازال على أهبة حتى جازت عليه الأحمال والحاجب راكـب علـى هجين والمشاة حوله وركب ضوء المكان حمار الوقاد وقال للوقاد أركب معي فقال لا أركب ولكن أكون في خدمتك فقال ضوء المكان لابد أن تركب ساعة فقال إذا تعبت أركب ساعة ثم أن ضوء المكان قال للوقاد يـا ألأخي سوف تنظر ما أفعل بك إذا وصلت إلى أهلي ومازالوا مسافرين إلى أن طلعت الشمس فلما اشتد عليهم

الحر أمرهم الحاجب بالنزول فنزلوا واستراحوا وسقوا جمالهم ثم أمرهم بالمسير وبعد خمسة أيام وصلوا إلى مدينة حماة ونزلوا بها وأقاموا بها ثلاثة أيام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهم أقاموا في مدينة حماة ثلاثة أيام ثم سافروا ومازالوا مسافرين حتـى وصلوا مدينة أخرى فأقاموا بها ثلاثة أيام ثم سافروا حتى وصلوا إلى ديار بكر وهب عليهم نسيم بغداد فتذكر ضوء المكان أخته نزهة الزمان وأباه وأمه ووطنه وكيف يرجع إلى أبيه بغير أختـه فبكـى وأن واشـتكى واشتدت به الحسرات فانشد هذه الأبيات:

خليلــي كــم هــذا التــأني وأصــبر ... ولــم يــأتني مــنكم رســول يخبــر

إلا أن أيــام الوصــال قصــيرة ... فياليــت أيــام التفــرق تقصــر

خـذوا بيـدي ثـم ارخـوا لصـبابتي ... تلاشي بهـا جسـمي وأن كنـت أصـبر

فـإن تطلبـوا منـي سـلوا أقـل لكـم ... فـوا مـا أسـلوا لـي حـين أحشـر

فقال له الوقاد أترك هذا البكاء والأنين فأننا قريب من خيمة الحاجب فقال ضوء المكان لابد من أنشادي شيئاً من الشعر لعل نار قلبي تنطفي فقال له الوقاد با عليك أن تترك الحزن حتى تصل إلى بلادك وافعـل بعد ذلك ما شئت وأنا معك حينما كنت فقال ضوء المكان وا لا أفتر عن ذلك ثم التفت بوجهه إلـى ناحيـة بغداد وكان القمر مضيئاً وكانت نزهة الزمان لم تنم تلك الليلة لأنها تذكرت أخاهـا ضـوء المكـان فقلقـت وصارت تبكي فبينما هي تبكي إذ سمعت أخاها ضوء المكان يبكي وينشد هذه الأبيات:

لمــع البــرق اليمــاني ... فشــجاني مــا شــجاني

مــن حبيــب كــان عنــدي ... ســاقياً كــأس التهــاني

ومــيض البــرق هــل تــر ... جــع أيــام التــداني

يــا عــذولي لا تلمنــي ... أن ربــي قــد بلانــي

بحبيــب غــاب عنــي ... وزمــان قــد دهــاني

قــد نــأت نزهــة قلبــي ... عنــدما ولــى زمــاني

وحــوى لــي الهــم صــرفا ... وبكــأس قــد ســقاني

وأرانــي يــا خليلــي ... مــت مــن قبــل التــداني

يــا زمانــاً للتصــابي ... عــد قريبــاً بالأمــاني

"فــي ســرور مــع أمــان ... مــن زمــان قــد رمــاني

مــن لمســكين غريــب ... بــات مرعــوب الجنــان

صــار فــي الحــزن فريــداً ... بعــد نزهــات الزمــان

حكمــت فينــا بــرغم ... كــف أولاد الزوانــي

فلما فرغ من شعره صاح وخر مغشياً عليه هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر نزهة الزمـان فإنها كانت ساهرة في تلك الليلة لأنها تذكرت أخاها في ذلك المكان فلما سمعت ذلك الصوت بالليـل أرتـاح

فؤادها وقامت وتنحنحت ودعت الخادم فقام لها ما حاجتك فقالت له قم وائتني بالذي ينشـد الأشـعار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان لما سمعت من أخيها الشعر دعت الخادم الكبير وقالت له أذهب وائتني بمن ينشد هذه الأشعار فقال لها أني لم أسمعه ولم أعرف والناس كلهم نائمون فقالت له كل من رأيته مستيقظاً فهو الذي ينشد الأشعار ففتش فلم ير مستيقظاً سوى الرجل الوقاد وأما ضوء المكان فإنه كـان في غشيته أفلما رأى الوقاد الخادم واقفاً على رأسه خاف منه فقال له الخادم هل أنت الذي كنت تنشد الشـعر وقد سمعتك سيدتنا فأعتقد الوقاد أن السيدة أغتاظت من الإنشاد فخاف وقال وا ما هو أنا فقال له الخادم ومن الذي كان ينشد الشعر فدلني عليه فأنك تعرفه لأنك يقظان فخاف الوقاد على ضوء المكان وقال في نفسه ربما يضره الخادم بشيء فقال له لم أعرفه فقال له الخادم وا أنك تكذب فإنه ما هنا قاعد إلا أنت فأنـت تعرفـه فقال له الوقاد أنا أقول لك الحق أن الذي كان ينشد الأشعار رجل عابر طريق وهو الذي أزعجنـي وأقلقنـي فا يجازيه فقال له الخادم فإذا كنت تعرفه فدلني عليه وأنا أمسكه وآخذه إلى باب المحفة التي فيهـا سـيدتنا وأمسكه أنت بيدك فقال له أذهب أنت حتى آتيك به فتركه الخادم وانصرف ودخل وأعلم سيدته بذلك وقال ما أحد يعرفه لأنه عابر سبيل فسكتت ثم أن ضوء المكان لما أفاق من غشيته رأى القمر وصل إلى وسط السماء وهب عليه نسيم الأسحار فهيج في قلبه البلابل والأشجار فحسن صوته واراد أن ينشد فقال له الوقاد ماذا تريد أن تصنع فقال أريد أن أنشد شيئاً من الشعر لأطفيء به لهيب قلبي قال له أما علمت بما جرى لي وما سلمت من القتل إلا بأخذ خاطر الخادم فقال له ضوء المكان وماذا جرى فأخبرني بما وقع فقال يا سيدي قـد أتـاني الخادم وأنت مغشي عليك ومعه عصا طويلة من اللوز وجعل يتطلع في وجوه الناس وهم نائمون ويسأل على من كان ينشد الأشعار فلم يجد من هو مستيقظ غيري فسألني فقلت له أنه عابر سبيل فانصرف وسـلمني ا منه وإلا كان قتلني فقال له إذا سمعته ثانياً فائت به عندنا فلما سمع ضوء المكان ذلك بكى وقال من يمنعنـي من الإنشاد فأنا أنشد ويجري على ما يجري فإني قريب من بلادي ولا أبالي بأحد فقال له الوقـاد أنـت مـا مرادك إلا هلاك نفسك فقال له ضوء المكان لابد من إنشاد فقال له الوقاد قد وقع الفراق بيني وبينك من هنـا وكان مرادي أن لا أفارقك حتى تدخل مدينتك وتجتمع بأبيك وأمك وقد مضى لك عندي سنة ونصـف ومـا حصل لك مني ما يضرك فما سبب إنشادك الشعر ونحن في غاية التعب من المشي والسهر والناس قد هجعوا يستريحون من التعب ومحتاجون إلى النوم فقال ضوء المكان لا أرجع عما أنا فيه ثم هزته الأشـجان فبـاح بالكتمان وجعل ينشد هذه الأبيات:

قـف بالـديار وحـي الأربـع الدرسـا ... ونادهـا فعسـاها أن تجيـب عسـى

فـإن أجنـك ليـل مـن توحشـها ... أوقد مـن الشـوق فـي ظلماتهـا قبسـا

أن صـل صـل عذاريـه فـلا عجـب ... أن يجـن لسـعا وأن أجتنـي لعمـا

يـا جنـة فارقتهـا الـنفس مكرهـة ... لولا التأسـي بـدار الخلـد مـت أسـى

وأنشد أيضاً هذين البيتين:

كنـــا وكانـــت لنـــا الأيـــام خادمـــة	والشـــمل مجتمـــع فـــي أبهـــج الـــوطن
مـــن لـــي بـــدار أحبـــابي وكـــان بهـــا	ضـــوء المكـــان وفيهـــا نزهـــة الـــزمن

فلما فرغ من شعره صاح ثلاث صيحات ثم وقع مغشياً عليه فقام الوقاد وغطاه فلمـا سـمعت نزهـة الزمان ما أنشده من الأشعار المتضمنة لذكر أسمها واسم أخيها ومعاهدهما بكت وصاحت على الخادم وقالت ويلك أن الذي أنشد أولاً أنشد ثانياً وسمعته قريباً مني وا أن لم تأتيني به لانبهن عليك الحاجـب فيضـربك ويطردك ولكن خذ هذه الألف دينار وأعطيه أياها وائتني به برفق فإن أبي فادفع له هذا الكيس الذي فيه ألف دينار فإن أبي فأتركه وأعرف مكانه وصنعته ومن أي البلاد هو وأرجع إلى بسرعة ولا تغب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان أرسلت الخادم يفتش عليه وقالت له إذا وجدته فلاطفـه وأئتني به برفق ولا تغب فخرج الخادم يتأمل في الناس ويدوس بينهم وهم نائمون فلم يجد أحداً مستيقظاً فجاء إلى الوقاد فوجده قاعداً مكشوف الرأس فدنا منه وقبض على يده وقال له أنت الذي كنت تنشد الشعر فخـاف على نفسه وقال لا وا يا مقدم القوم ما هو أنا فقال الخادم لا أتركك حتى تدلني على من كان ينشد الشـعر لأني لا أقدر على الرجوع إلى سيدتي من غيره فلما سمع الوقاد كلام الخادم خاف على ضوء المكان وبكـى بكاء شديداً وقال للخادم وا ما هو أنا وأنما سمعت أنساناً عابر سبيل ينشد فلا تدخل في خطيئتي فأني غريب وجئت من بلاد القدس فقال الخادم للوقاد قم أنت معي إلى سيدتي وأخبرها بفمك فأني ما رأيت أحدٍا مستيقظاً غيرك فقال الوقاد أما جئت ورأيتني في الموضع الذي أنا قاعد فيه وعرفت مكاني وما أحد يقدر أن ينقك عن موضعه إلا أمسكته الحرس فأمض أنت إلى مكانك فأن بقيت تسمع أحداً في هذه الساعة ينشد شيئاً من الشعر سواء كان بعيداً أو قريباً لا تعرفه إلا مني ثم باس رأس الخادم وأخذ بخاطره فتركه الخادم ودار دورة وخاف أن يرجع إلى سيدته بلا فائدة فأستتر في مكان قريب من الوقاد فقام الوقاد إلى ضوء المكان ونبهه وقال له قم أقعد حتى أحكي لك ما جرى وحكى له ما وقع فقال له دعني فأني لا أبالي بأحد فإن بلادي قريبة فقال الوقاد لضوء المكان لأي شيء وأنت مطاوع نفسك وهواك ولا تخاف من أحد وأنا خائف على ورحي وروحك با عليك أنك لا تتكلم بشيء من الشعر حتى تدخل بلدك وأنا ماكنت أظنك على هذه الحالة أما علمت أن زوجـة الحاجب تريد زجرك لأنك أقلقتها وكأنها ضعيفة أو تعبانه من السفر وكم مرة وهي ترسل الخادم يفتش عليك فلم يلتفت ضوء المكان إلى كلام الوقاد بل صاح ثالثاً وأنشد هذه الأبيات:

تركـــــــت كـــــــل لائـــــــم	ملامـــــــــــه أقلقنـــــــــي
يعـــــــــذلني ومـــــــــا درى	بأنـــــــــه حرضـــــــــني
قـــــال الوشـــــاة قـــــد ســـلا	قلـــــــت لحـــــــب الـــــــوطن
قـــــالوا فمـــــا أحســـــنه	قلـــــــت فمـــــــا أعشـــــقني
قـــــالوا فمـــــا أعـــــزه	قلـــــــت فمـــــــا أذلنـــــــي
هيهـــــــات أن أتركـــــــه	لـــــو ذقـــــت كـــــأس الشـــجن

وما أطعت لائماً لي في الهوى يعذلني

وكان الخادم يسمعه وهو مستخف فما فرغ من شعره إلا والخادم على رأسه فلما رآه الوقاد قام ووقف بعيداً ينظر ما يقع بينهما فقال الخادم السلام عليكم يا سيدي فقال ضوء المكان عليكم السلام ورحمة ا وبركاته فقال الخادم يا سيدي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

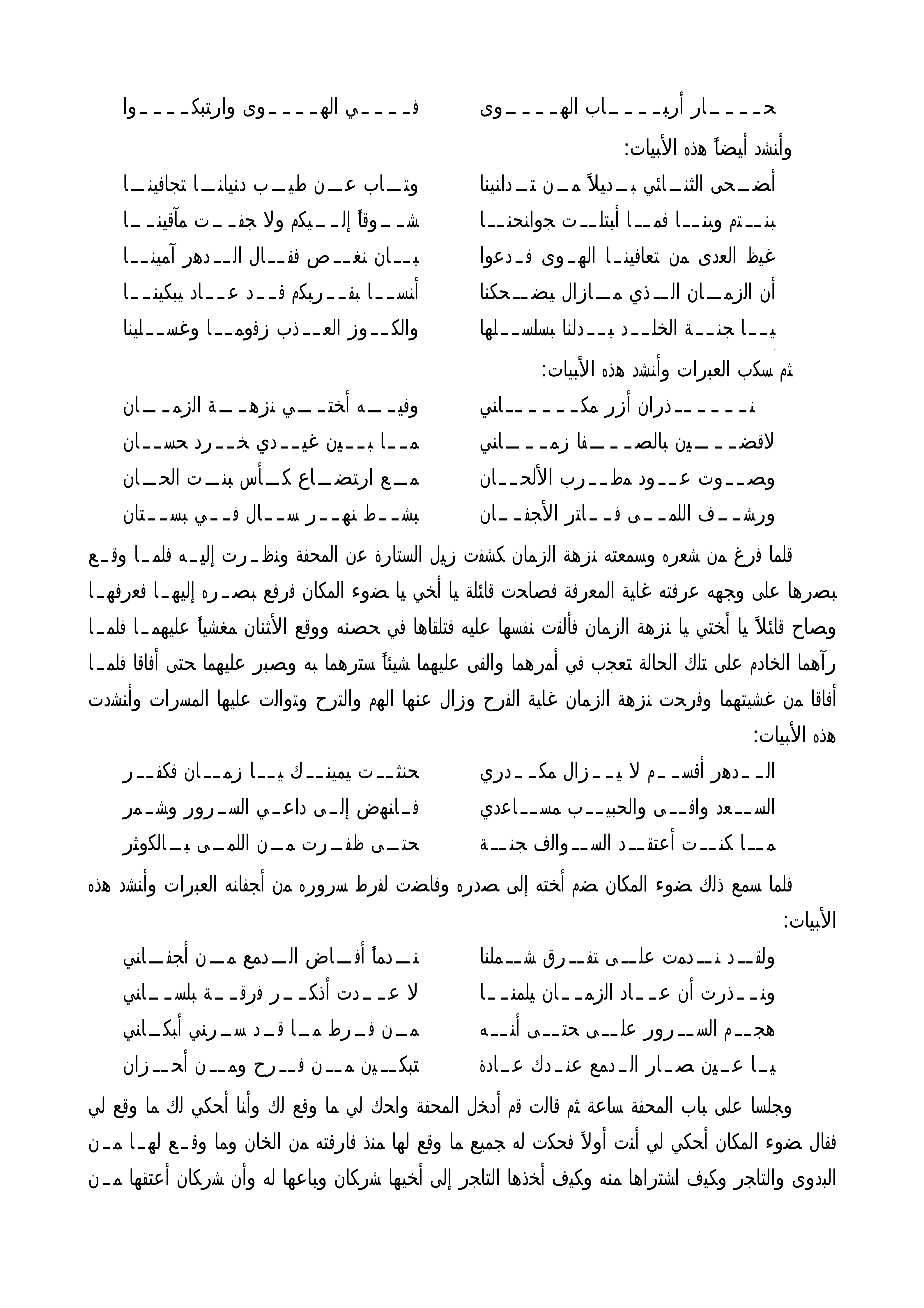
(وفي ليلة ٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخادم قال لضوء المكان يا سيدي أني أتيت إليك في هذه الليلة ثلاث مرات لأن سيدتي تطلبك عندها قال ومن أين هذه الكلبة حتى تطلبني مقتها ا ومقت زوجها معها ونزل في الخادم شتما فما قدر الخادم أن يرد عليه جواباً لأن سيدته أوصته أنه لا يأتي به إلا بمراده هو فإن لم يأت معه يعطيه الألف دينار فجعل الخادم يلين له الكلام ويقول له يا ولد أنا ما أخطأت معك ولا جرنا عليك فالقصد أن تصل بخطواتك الكريمة إلى سيدتنا وترجع في خير ولا سمة ولك عندنا بشارة فلما سمع ذلك الكلام قام ومشى بين الناس والوقاد ماشي خلفه وناظر إليه ويقول في نفسه يا خسارة شبابه في غد يشنقونه ومازال الوقاد ماشياً حتى قرب من مكانهم وقال ما أخسه أن كان يقول على هو الذي قال لي أنشد الأشعار هذا ما كان من أمر الوقاد (وأما) ما كان من أمر ضوء المكان فإنه ما زال ماشياً مع الخادم حتى وصل إلى المكان ودخل الخادم على نزهة الزمان وقال لها قد جئت بما تطلبينه وهو شاب حسن الصورة وعليه أثر النعمة فلما سمعت ذلك خفق قلبها وقالت له أؤمره أن ينشد شيئاً من الشعر حتى أسمعه من قرب وبعد ذلك فاسأله عن اسمه ومن أي البلاد هو فخرج الخادم إليه شيئاً من الشعر حتى أسمعه من قرب وبعد ذلك فأسأله عن اسمه ومن أي البلاد هو فخرج الخادم إليه وقال له انشد شيئاً من الشعر حتى تسمعه سيدتي فإنها حاضرة بالقرب منك وأخبرني عن اسمك وبلدك وحالك فقال حباً وكرامة ولكن حيث سألتني عن اسمي فإنه محي ورسمي فني وجسمي بلى ولي حكاية تكتب بالأبر على آماق البصر وها أنا في منزلة السكران الذي أكثر من الشراب وحلت به الأوصاب فتاه عن نفسه وأحتار في أمره وغرق في بحر الأفكار فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام بكت وزادت في البكاء والأنين وقالت للخادم قل له هل فارقت أحداً ممن تحب مثل أمك وأبيك فسأله الخادم كما أمرته نزهة الزمان فقال ضوء المكان نعم فارقت الجميع وأعزهم عندي أختي التي فرق الدهر بيني وبينها فلما سمعت نزهة الزمان منه هذا الكلام قالت ا يجمع شمله بمن يحب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان لما سمعت كلامه قالت ا يجمع شمله بمن يحب ثم قالت للخادم قل له اسمعنا شيئاً من الأشعار المتضمنة لشكوى الفراق فقال له الخادم كما أمرته سيدتي فصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

ليت شعري لو دروا	أي قلب ملكوا
وفؤادي لو درى	أي شعب سلكوا
أتراهم سلموا	أم تراهم هلكوا



حـــــار أربـــــاب الهـــــوى   فـــــي الهـــــوى وارتبكـــــوا

وأنشد أيضاً هذه الأبيات:

أضـحى التنـائي بـديلاً مـن تـدانينا   وتـاب عـن طيـب دنيانـا تجافينـا

بنـتم وبنـا فمـا أبتلـت جوانحنـا   شـوقاً إلـيكم ولا جفـت مآقينـا

غيظ العدى من تعافينـا الهـوى فـدعوا   بـأن نغـص فقـال الـدهر آمينـا

أن الزمـان الـذي مـازال يضـحكنا   أنسـا بقـربكم قـد عـاد يبكينـا

يـا جنـة الخلـد بـدلنا بسلسـلها   والكـوز العـذب زقومـا وغسـلينا

ثم سكب العبرات وأنشد هذه الأبيات:

نـــذران أزر مكـــاني   وفيـه أختـي نزهـة الزمـان

لاقضـين بالصـفا زمـاني   مـا بـين غيـدي خـرد حسـان

وصـوت عـود مطـرب الألحـان   مـع ارتضـاع كـأس بنـت الحـان

ورشـف اللمـى فـاتر الأجفـان   بشـط نهـر سـال فـي بسـتان

فلما فرغ من شعره وسمعته نزهة الزمان كشفت زيل الستارة عن المحفة ونظـرت إليـه فلمـا وقـع بصرها على وجهه عرفته غاية المعرفة فصاحت قائلة يا أخي يا ضوء المكان فرفع بصـره إليهـا فعرفهـا وصاح قائلاً يا أختي يا نزهة الزمان فألقت نفسها عليه فتلقاها في حصنه ووقع الأثنان مغشياً عليهمـا فلمـا رآهما الخادم على تلك الحالة تعجب في أمرهما والقى عليهما شيئاً سترهما به وصبر عليهما حتى أفاقا فلمـا أفاقا من غشيتهما وفرحت نزهة الزمان غاية الفرح وزال عنها الهم والترح وتوالت عليها المسرات وأنشدت هذه الأبيات:

الـدهر أقسـم لا يـزال مكـدري   حنثـت يمينـك يـا زمـان فكفـر

السـعد وافـى والحبيـب مسـاعدي   فـانهض إلـى داعـي السـرور وشـمر

مـا كنـت أعتقـد السـوالف جنـة   حتـى ظفـرت مـن اللمـى بـالكوثر

فلما سمع ذلك ضوء المكان ضم أخته إلى صدره وفاضت لفرط سروره من أجفانه العبرات وأنشد هذه الأبيات:

ولقـد نـدمت علـى تفـرق شـملنا   نـدماً أفـاض الـدمع مـن أجفـاني

ونـذرت أن عـاد الزمـان يلمنـا   لا عـدت أذكـر فرقـة بلسـاني

هجـم السـرور علـى حتـى أنـه   مـن فـرط مـا قـد سـرني أبكـاني

يـا عـين صـار الـدمع عنـدك عـادة   تبكـين مـن فـرح ومـن أحـزان

وجلسا على باب المحفة ساعة ثم قالت قم أدخل المحفة واحك لي ما وقع لك وأنا أحكي لك ما وقع لي فقال ضوء المكان أحكي لي أنت أولاً فحكت له جميع ما وقع لها منذ فارقته من الخان وما وقـع لهـا مـن البدوى والتاجر وكيف اشتراها منه وكيف أخذها التاجر إلى أخيها شركان وباعها له وأن شركان أعتقها مـن

حين اشتراها وكتب كتابه عليها ودخل بها وأن الملك أباها سمع بخبرها فأرسل إلى شركان يطلبها منـه ثـم قالت له الحمد الذي من على بك ومثل ما خرجنا من عند والدنا سواء نرجع إليه سواء ثم قالت له أن أخي شركان زوجني بهذا الحاجب لأجل أن يوصلني إلى والدي وهذا ما وقع لي من الأول إلى الآخر فأحك لـي أنت ما وقع لك بعد ذهابي من عندك فحكى لها جميع ما وقع له من الأول إلى الآخر وكيف مـن ا عليـه بالوقاد وكيف سافر معه وأنفق عليه ماله وأنه كان يخدمه في الليل والنهار فشكرته على ذلك ثم قال لهـا يـا أختي أن هذا الوقاد فعل معي من الأحسان فعلاً لا يفعله أحد في أحد من أحبابه ولا الوالد مع ولده حتى كان يجوع ويطعمني ويمشي ويركبني وكانت حياتي على يديه فقالت نزهة الزمان أن شاء ا تعالى نكافئه بمـا نقدر عليه ثم أن نزهة الزمان صاحت على الخادم فحضر وقبل يد ضوء المكان فقالت له نزهة الزمان خـذ بشارتك يا وجه الخير لأنه جمع شملي بأخي على يديك فالكيس الذي معك وما فيه لك فأذهب وائتني بسـيدك عاجلاً ففرح الخادم وتوجه إلى الحاجب ودخل عليه ودعاه إلى سيدته فأتى به ودخل علـى زوجتـه نزهـة الزمان فوجد عندها أخاها فسأل عنه فحكت له ما وقع لهما من أوله إلى آخره ثم قالت أعلم أيها الحاجب أنك ما أخذت جارية وأنما أخذت بنت الملك عمر النعمان فأنا نزهة الزمان وهذا أخي ضوء المكان فلمـا سـمع الحاجب القصة منها تحقق ما قالته وبان له الحق الصريح وتيقن أنه صار صهر الملك عمر النعمان فقال في نفسه مصيري أن آخذ نيابة على قطر من الأقطار ثم أقبل على ضوء المكان وهنأه بسلامته وجمـع شـمله بأخته ثم أمر خدمه في الحال أن يهيئوا الضوء المكان خيمة ركوبه من أحسن الخيول فقالت له زوجته أنا قد قربنا من بلادنا فأنا أختلى بأخي ونستريح مع بعضنا ونشبع من بعضنا قبل أن نصل إلى بلادنا فإن لنا زمنـاً طويلاً ونحن متفرقون فقال الحاجب الأمر كما تريد أن ثم أرسل إليهما الشموع وأنواع الحلاوة وخرج مـن عندهما وأرسل إلى ضوء المكان ثلاث بدلات من أفخر الثياب وتمشي إلى أن جاء إلى المحفة وعرف مقدار نفسه فقالت له نزهة الزمان أرسل على الخادم وأمره أن يأتي بالوقاد ويهيء له حصاناً يركبـه ويرتـب لـه سفرة طعام في الغداة والعشى ويأمره أن لا يفارقنا فعند ذلك أرسل الحاجب إلى الخادم وأمره أن يفعل ذلـك فقال سمعاً وطاعة ثم أن الخادم أخذ غلمانه وذهب يفتش على الوقاد إلى أن وجده في آخر الركب وهو يشـد حماره ويريد أن يهرب ودموعه تجري على خده من الخوف على نفسه ومن حزنه على فراق ضوء المكان وصار يقول نصحته في سبيل ا فلم يسمع مني يا ترى كيف حاله فلم يتم كلامه إلا والخادم واقـف علـى رأسه ودارت حول الغلمان فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفاً فوق رأسه ورأى الغلمان حولـه فاصـفر لونـه وخاف. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوقاد لما أراد أن يشد حماره ويهرب وصار يكلم نفسه ويقول يا ترى كيف حاله فما تم كلامه ألا والخادم واقف على رأسه والغلمان حوله فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفـاً علـى رأسه فارتعدت فرائصه وخاف وقال وقد رفع صوته بالكلام أنه ما عرف مقدار ما عملته معه من المعروف فأظن أنه غمز الخادم وهؤلاء الغلمان على وأنه أشركني معه في الذنب وإذا بالخادم صاح عليه وقال له مـن الذي كان ينشد الأشعار يا كذاب كيف تقول لي أنا مما أنشد الأشعار ولا أعرف من أنشدها وهو رفيقك فأنـا



لا أفارقك من هنا إلى بغداد والذي يجري على رفيقك يجري عليك فلما سمع الوقاد كلامه قال في نفسه ما خفت منه وقعت فيه ثم أنشد هذا البيت:

كان الذي خفت أن يكونا أنا إلى ا راجعونا

ثم أن الخادم صاح على الغلمان وقال لهم أنزلوه على الحمار فأنزلوا الوقاد عن حماره وأتوا له بحصان فركبه ومشى صحبه الركب والغلمان حوله محدقون به وقال لهم الخادم أن عدم منه شعرة كانت بواحد منكم ولكن أكرموه ولا تهينوه فلما رأى الوقاد الغلمان حوله يئس من الحياة والتفت إلى الخادم وقال له يا مقدم أنا مالي أخوة ولا أقارب وهذا الشاب لا يقرب لي ولا أنا أقرب له وأنما أنا رجل وقاد في حمام ووجدته ملقى على المزبلة مريضاً وصار الوقاد يبكي ويحسب في نفسه ألف حساب والخادم ماش بجانبه ولم يعرفه بشيء بل يقول له قد أقلقت سيدتنا بانشادك الشعر أنت وهذا الصبي ولا تخف على نفسك وصار الخادم يضحك عليه سراً وإذا نزلوا أتاهم الطعام فيأكل هو والوقاد في آنية واحدة فإذا أكلوا أمر الخادم الغلمان أن يأتوا بقلة سكر فيشرب منها ويعطيها للوقاد فيشرب لكنه لا تنشف له دمعة من الخوف على نفسه والحزن على فراق ضوء المكان وعلى ما وقع لهما في غربتهما وهما سائران والحاجب تارة يكون على باب المحفة لأجل خدمة ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان ونزهة الزمان وتارة يلاحظ الوقاد وصارت نزهة الزمان وأخوها ضوء المكان في حديث وشكوى ولم يزالا على تلك الحالة وهم سائرون حتى قربوا من البلاد ولم يبق بينهم وبين البلاد إلا ثلاثة أيام فنزلوا وقت المساء واستراحوا ولم يزالوا نازلين إلى أن لاح الفجر فاستيقظوا وأرادوا أن يحملوا وإذا بغبار عظيم قد لاح لهم وأظلم الجو منه حتى صار كالليل الداجي فصاح الحاجب قائلاً امهلوا ولا تحملوا وركب هو ومماليكه واروا نحو ذلك الغبار فلما قربوا منه بان من تحته عسكر جرار كالبحر الزخار وفيه رايات وأعلام وطبول فرسان وأبطال فتعجب الحاجب من أمرهم فلما رآهم العسكر افترقت منه فرقة قدر خمسمائة فارس وأتوا إلى الحاجب هو ومن معه وأحاطوا بهم وأحاطت كل خمسة من العسكر بمملوك من مماليك الحاجب فقال لهم الحاجب أي شيء الخبر ومن أين هذه العساكر حتى تفعل معنا هذه الأفعال فقالوا له من أنت ومن أين أتيت وإلى أين تتوجه فقال لهم أنا حاجب أمير دمشق الملك شركان ابن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وأرض خراسان أتيت من عنده بالخراج والهدية متوجهاً إلى والده ببغداد فلما سمعوا كلامه أرخوا مناديلهم على وجوههم وبكوا وقالوا له أن عمر النعمان قد مات وما مات إلا مسموماً فتوجه وما عليك بأس حتى تجتمع بوزيره الأكبر الوزير دندان فلما سمع الحاجب ذلك الكلام بكى بكاء شديداً وقال واخيبتاه في هذه السفرة وصار يبكي هو ومن معه إلى أن اختلطوا بالعسكر فاستأذنوا له الوزير دندان فأذن له وأمر الوزير بضرب خيامه وجلس على سرير في وسط الخيمة وأمر الحاجب بالجلوس فلما جلس سأله عن خبره فأعلمه أنه حاجب أمير دمشق وقد جاء بالهدايا وخراج دمشق فلما سمع الوزير دندان ذلك بكى عند ذكر الملك عمر النعمان ثم قال له الوزير دندان أن الملك عمر النعمان قد مات مسموماً وبسبب موته اختاف الناس فيمن يولونه بعده حتى أوقعوا القتل في بعضهم ولكن منعهم عن بعضهم الأكابر والإشراف والقضاة الأربعة وأتفق جميع الناس على أن ما أشار به القضاة الأربعة لا يخالفهم فيه أحد فوقع الأتفاق على أن نسير إلى دمشق ونقصد ولده الملك شركان ونأتي به ونسلطنه على مملكة أبيه وفيهم

جماعة من ولده الثاني وقالوا أنه يسمى ضوء المكان وله أخت تسمى نزهة الزمان وكانا قد توجها إلى أرض الحجاز ومضى لهما خمس سنين ولم يقع لهما أحد على خبر فلما سمع الحاجب ذلك علم أن القضـية التـي وقعت لزوجته صحيحة فاغتم لموت الملك غماً عظيماً ولكنه فرح فرحاً شديداً وخصوصـاً بمجـيء ضـوء المكان لأنه يصير سلطاناً ببغداد في مكان أبيه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حاجب شركان لما سمع من الوزير دندان ما ذكره من خبـر الملـك عمر النعمان تأسف إلى الوزير دندان وقال أن قصتكم من أعجب العجائب أعلم أيها الوزير الكبير أنكم حيث صادفتموني الآن أراحكم ا من التعب وقد جاء الأمر كما تشتهون على أهون سبب لأن ا رد إليكم ضـوء المكان هو وأخته نزهة الزمان وانصلح الأمر وهان فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح فرحاً شديداً ثم قال لـه أيها الحاجب أخبرني بقصتهما وبما جرى لهما وبسبب غيابهما فحدثه بحديث نزهة الزمان وأنهـا صـارت زوجته وأخبره بحديث ضوء المكان وبسبب غيابهما وأخبره بحديث ضوء المكان من أوله إلى آخـره فلمـا فرغ الحاجب من حديثه أرسل الوزير دندان إلى الأمراء والوزراء وأكابر الدولة واطلعهـم علـى القصـة ففرحوا بذلك فرحاً شديداً وتعجبوا من هذا الإتفاق ثم اجتمعوا كلهم وجاءوا عند الحاجب ووقفوا فـي خدمتـه وقبلوا الأرض بين يديه وأقبل الوزير من ذلك الوقت على الحاجب ووقف بين يديه ثم أن الحاجب عمل فـي ذلك اليوم ديواناً عظيماً وجلس هو والوزير دندان على التخت وبين أيديهما جميع الأمراء والكبراء وأربـاب المناصب على حسب مراتبهم ثم بلوا السكر في ماء الورد وشربوا ثم قعد الأمراء للمشورة وأعطـوا بقيـة الجيش إذناً في أن يركبوا مع بعضهم ويتقدموا قليلاً قليلاً حتى يتموا المشورة ويلحقوهم فقبلوا الأرض بـين يدي الحاجب وركبوا وقدامهم رايات الحرب فلما فرغ الكبراء من مشورتهم ركبوا ولحقوا العساكر ثم أرسل الحاجب إلى الوزير دندان وقال له الرأي عندي أن أتقدم وأسبقكم لأجل أن أهيء للسـلطان مكـان يناسـبه وأعلمه بقدومكم وأنكم اخترتموه على أخيه شركان سلطاناً عليكم فقال الوزير نعم الرأي الذي رأيته ثم نهض ونهض الوزير دندان تعظيماً له وقدم له التقارير وأقسم عليه أن يقبلها وكـذلك الأمـراء الكبـار وأربـاب المناصب قدموا له التقاديم ودعوا له وقالوا له لعلك تحدث السلطان ضوء المكان في أمرنا ليبقينا مسـتمرين في مناصبنا فأجابهم لما سألوه ثم أمر غلمانه بالسير فأرسل الوزير دندان الخيام مع الحاجب وأمر الفراشـين أن ينصبوها خارج المدينة بمسافة يوم فامتثلوا امره وركب الحاجب وهو في غاية الفرح وقال في نفسه مـا أبرك هذه السفرة وعظمت زوجته في عينه وكذلك ضوء المكان ثم جد في السفر إلى أن وصل إلى مكان بينه وبين المدينة مسافة يوم ثم أمر بالنزول فيه لأجل الراحة وتهيئة مكان لجلوس السلطان ضوء المكـان ابـن الملك عمر النعمان ثم نزل من بعيد هو ومماليكه وأمر الخدام أن يستأذنوا السيدة نزهة الزمان في أن يـدخل عليها فاستأذنوها في شأن ذلك فأذنت له فدخل عليها واجتمع بها وبأخيها وأخبرهما بموت أبيهما وأن ضـوء المكان جعله الرؤساء ملكاً عليهم عوضاً عن أبيه عمر النعمان وهنأهما بالملك فبكيا على فقد أبيهمـا وسـألا

عن سبب قتله فقال لهما الخبر مع الوزير دندان وفي غد يكون هو والجيش كله في هذا المكان وما بقي في الأمر أيها الملك إلا أن تفعل ما أشاروا به لأنهم كلهم اختاروك سلطاناً وإن لم تفعل سلطنوا غيرك وأنت لا تأمن على نفسك من الذي يتسلطن غيرك فربما يقتلك أو يقع الفشل بينكما ويخرج الملك من أيديكما فأطرق برأسه ساعة من الزمان ثم قال قبلت هذا الأمر لأنه لا يمكن التخلي عنه وتحقق أن الحاجب تكلم بما فيه الرشاد ثم قال للحاجب يا عم وكيف أعمل مع أخي شركان فقال يا ولدي أخوك يكون سلطان دمشق وأنت سلطان بغداد فشد عزمك وجهز أمرك فقبل منه ضوء المكان ذلك ثم أن الحاجب قدم إليه البدلة التي كانت مع الوزير دندان من ملابس الملوك وناوله النمشة وخرج من عنده وأمر الفراشين أن يختاروا موضعاً عالياً وينصبوا فيه خيمة واسعة عظيمة للسلطان ليجلس فيها إذا قدم عليه الأمراء ثم أمر الطباخين أن يطبخوا طعاماً فأخروا يحضروه وأمر السقايين أن ينصبوا حياض الماء وبعد ساعة طار الغبار حتى سد الأقطار ثم انكشف ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار مثل البحر الزخار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحاجب لما أمر الفراشين أن ينصبوا خيمة واسعة لاجتماع الناس عند الملك نصبوا خيمة عظيمة على عادة الملوك فلما فرغوا من أشغالهم وغذا بغبار قد طار ثم محق الهواء ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار وتبين أن ذلك العسكر عسكر بغداد وخراسان ومقدمة الوزير دندان وكلهم فرحوا بسلطنة ضوء المكان وقابلهم لابساً خلعة الملك متقلداً بسيف الموكب فقدم له الحاجب الفرس فركب وسار هو ومماليكه وجميع من في الخيام مشي في خدمته حتى دخل القبة الكبيرة وجلس ووضع النمشة على فخذيه ووقف الحاجب في خدمته بين يديه ووقفت مماليكه في دهليز الخيمة وشهروا في أيديهم السيوف ثم أقبلت العساكر والجيوش وطلبوا الأذن فدخل الحاجب واستأذن لهم السلطان ضوء المكان فأمر أن يدخلوا عليه عشرة عشرة فاعلمهم الحاجب بذلك فأجابوه بالسمع والطاعة ووقف الجميع على باب الدهليز فدخلت عشرة منهم فشق بهم الحاجب في الدهليز ودخل بهم على السلطان ضوء المكان فلمارأوه هابوه فتلقاهم أحسن ملتقى ووعدهم بكل خير فهنؤوه بالسلامة ودعوا له وحلفوا له الإيمان الصادقة أنهم لا يخالفوا له أمراً ثم قبلوا الأرض بين يديه وانصرفوا ودخلت عشرة أخرى ففعل بهم مثل ما فعل بغيرهم ولم يزالوا يدخلون عشرة بعد عشرة حتى لم يبق غير الوزير دندان فدخل عليه وقبل الأرض بين يديه فقام إليه ضوء المكان وأقبل عليه وقال له مرحباً بالوزير والوالد الكبيران فعالك فعل المشير العزيز والتدبير بيد اللطيف الخبير ثم أن الحاجب خرج في تلك الساعة وأمر بمد السماط وأمر بإحضار العسكر جميعاً فحضروا وأكلوا وشربوا ثم أن الملك ضوء المكان قال للوزير دندان أؤمر العسكر بالإقامة عشرة أيام حتى اختلى بك وتخبرني بسبب قتل أبي فأمتثل الوزير قول السلطان وقال لابد من ذلك ثم خرج إلى وسط الخيام وأمر العسكر بالإقامة عشرة أيام فامتثلوا أمره ثم أن الوزير أعطاهم أذناً أنهم يتفجون ولا يدخل أحد من أرباب الخدمة عند الملك مدة ثلاثة أيام فتضرع جميع الناس ودعوا لضوء المكان بدوام العز ثم أقبل عليه الوزير وأعلمه بالذي كان فصبر إلى الليل ودخل على أخته نزهة الزمان وقال لهما أعلمت بسبب قتل أبي ولم نعلم بسببه كيف كان فقالت له اعلم

سبب قتله ثم أنها ضربت لها ستارة من حرير وجلس ضوء المكان خارج الستارة وأمر بإحضـار الـوزير دندان فحضر بين يديه فقال له أريد أن تخبرني تفصيلاً بسبب قتل أبي الملك عمر النعمان فقال الوزير دندان اعلم أيها الملك أن الملك عمر النعمان لما أتى من الصيد والقنص وجاء إلى المدينة سأل عنكما فلم يجـدكما فعلم أنكما قد قصدتما الحج فاغتم لذلك وازداد به الغيظ وضاق صدره وأقام نصف سنة وهو يستخبر عنكمـا كل شارد ووارد فلم يخبره أحد عنكما فبينما نحن بين يديه يوماً من الأيام بعد ما مضى لكما سنة كاملة مـن تاريخ فقدكما وإذا بعجوز عليها آثار العبادة قد وردت علينا ومعها خمس جوار نهد أبكـار كـأنهن الأقمـار وحوين من الحسن والجمال ما يعجز عن وصفه اللسان ومع كمال حسنهن يقرأن القرآن ويعـرفن الحكمـة وأخبار المتقدمين فأستأذنت تلك العجوز في الدخول على الملك فأذن لها فدخلت عليه وقبلت الأرض بين يديه وكنت أنا جالساً بجانب الملك فلما دخلت عليه قربها إليه لما رأى عليها آثار الزهد والعبادة فلمـا اسـتقرت العجوز عنده أقبلت عليه وقالت له اعلم أيها الملك أن معي خمسة جوار ما ملك أحد من الملوك مثلهن لأنهن ذوات عقل وجمال وحسن وكمال يقرأن القرآن بالروايات ويعرفن العلوم وأخبار الأمم السالفة وهن بين يديك وواقفات في خدمتك يا ملك الزمان وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان فنظر المرحوم والدك إلى الجـواري فسرته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيئاً مما تعرفه من أخبار الناس الماضيين والأمم السابقين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال للملك ضوء المكان فتقدمت واحدة مـنهن وقبلـت الأرض بين يديه وقالت اعلم أيها الملك أنه ينبغي لذي الأدب أن يجتنب الفضول ويتحلى بالفضائل وأن يؤدي الفرائض ويجتنب الكبائر ويلازم ذلك ملازمة من لو أفرد عنه لهلك وأساس الأدب مكارم الأخلاق واعلم أن معظم أسباب المعيشة طلب الحياة والقصد من الحياة عبادة ا فينبغي أن تحسن خلقك مع الناس وأن لا تعدل عن تلك السنة فإن أعظم الناس خطر أحوجهم إلى التدبير والملوك أحوج إليه من السـوق لأن السـوقة قـد تفيض في الأمور من غير نظر في العاقبة وأن تبذل في سبيل ا نفسك ومالـك واعلـم أن العـدو خصـم تخصيمه بالحجة وتحرز منه وأما الصديق فليس بينك وبينه قاض يحكم غير حسن الخلـق فـاختر صـديقك لنفسك بعد اختياره فإن كان من الأخوان الآخرة فليكن محافظاً على اتباع الظاهر من الشرع عارفـاً بباطنـه على حسن الأمكان وإن كان من أخوان الدنيا فليكن حراً صادقاً ليس بجاهل ولا شرير فإن الجاهل أهـل لأن يهرب منه أبواه والكاذب لا يكون صديقاً لأن الصديق مأخوذ من الصدق الذي يكون ناشئاً عن صميم القلـب فكيف به إذا أظهر الكذب على اللسان واعلم أن اتباع الشرع ينفع صاحبه فأحبب أخاك إذا كان بهذه الصـفة ولا تقطعه وأن ظهر لك منه ما تكره فإنه ليس كالمرأة يمكن طلاقها ومراجعتها بل قلبه كالرجاج إذا تصـدع لا ينجبر و در القائل:

احرص على صـون القلـب مـن الأذى	فرجوعهـا بعـد التنـافر يعسـر
أن القلــوب إذا تنـــافر ودهـــا	مثـــل الزجاجـــة كســرها لا يجبـــر

وقالت الجارية في آخر كلامها وهي تشير إلينا أن أصحاب العقول قالوا خير الأخوان أشدهم في النصيحة وخير الأعمال أجملها عاقبة وخير الثناء ما كان على أفواه الرجال وقد قيل لا ينبغي للعبد أن يغفل عن شكر الله خصوصاً على نعمتين العافية والعقل وقيل من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهرته ومن عظم صغائر المصائب ابتلاه الله بكبارها ومن أطاع الهوى ضيع الحقوق ومن أطاع الواشي ضيع الصديق ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه بك ومن بالغ في الخصومة أثم ومن لم يحذر الحيف لم يأمن السيف وها أنا أذكر لك شيئاً من آداب القضاة اعلم أيها الملك أنه لا ينفع حكم بحق إلا بعد التثبيت وينبغي للقاضي أن يجعل الناس في منزلة واحدة حتى لا يطمع شريف في الجور ولا ييأس ضعيف من العدل وينبغي أيضاً أن يجعل البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً وما شككت فيه اليوم فراجع فيه عقلك وتبين به رشدك لترجع فيه ألى الحق فالحق فرع والرجوع إلى الحق خير من التمادي على الباطن ثم أعرف الأمثال وافقه المقاس وسو بين الأخصام في الوقوف وليكن نظرك على الحق موقوفاً وفوض أمرك إلى الله عز وجل واجعل البينة على من ادعى فإن حضرت بينته أخذت بحقه وإلا فخاف المدعي عليه وهذا حكم الله واقبل شهادة عدو المسلمين بعضهم على بعض فإن الله تعالى أمر الحكام أن تحكم بالظاهر وهو يتولى السرائر ويجب على القاضي أن يجتنب الألم والجوع وأن يقصد بقضائه بين الناس وجه الله تعالى فإن من خلصت نيته وأصلح ما بينه وبين نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس وقال الزهري ثلاث إذا كن في قاض كان منعزلاً إذا أكرم اللئام وأحب المحامد وكره العزل وقد عزل عمر بن عبد العزيز قاضياً فقال له لم عزلتني فقال عمر قد بلغني عنك أن مقالك أكبر من مقامك وحكى أن الاسكندر قال لقاضيه أني وليتك منزلة واستودعتك فيها روحي وعرضي ومروءتي فاحفظ هذه المنزلة لنفسك وعقلك وقال لطباخه أنك مسلط في جسمي فارفق بنفسك فيه وقال لكاتبه أنك متصرف في عقلي فاحفظني فيما تكتبه عني ثم تأخرت الجارية الأولى وتقدمت الثانية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ثم تأخرت الجارية الأولى وتقدمت الثانية وقبلت الأرض بين يدي الملك والدك سبع مرات ثم قالت قال لقمان لأبنه ثلاثة لا تعرف إلا في ثلاثة مواطن لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا أخوك إلا عند حاجتك إليه وقيل أن الظالم نادم وأن مدحه الناس والمظلوم سليم وأن ذمه الناس وقال الله تعالى ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم وقال عليه الصلاة والسلام أنما الأعمال بالنيات وأنما لكل أمريء ما نوى واعلم أيها الملك أن أعجب ما في الإنسان قلبه لأن به زمام أمره فإن هاج به الطمع أهلكه الحرص وإن ملكه الأسى قتله الأسف وإن عظم عنده الغضب اشتد به العطب وأن سعد بالرضا آمن من السخط وأن ناله الخوف شغله الحزن وأن أصابته مصيبة ضمنه الجزع وأن استفاد مالا ربما اشتغل به عن ذكر ربه وأن أغصته فاقة أشغله الهم وأن أجهده الجزع أقعده الضعف فعلى كل حالة لإصلاح له إلا بذكر الله واشتغاله بما فيه تحصيل معاشه وصلاح معاده وقيل لبعض العلماء من أشر الناس

حالاً قال من غلبت شهوته مروءته وبعدت في المعالي همته فاتسعت معرفته وضاقت معذرته وما أحسن ما قاله قيس:

وأني لأغني الناس عن متكلف ... يرى الناس ضلالاً وما هو مهتدي
وما المال والأخلاق إلا معارة ... فكل بما يخفيه في الصدر مرتدى
إذا ما أتيت الأمر من غير بابه ... ضللت وأن تدخل من الباب تهتدي

ثم أن الجارية قالت وأما أخبار الزهد فقد قال هشام بن بشر قلت لعمر بن عبيد ما حقيقة الزهد فقال لي قد بينه رسول ا ﷺ في قوله الزاهد من لم ينس القبر والبلا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غداً من أيامه وعد نفسه في الموتى وقيل أن أبا ذر كان يقول الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلي من الصحة فقال بعض السامعين رحم ا أبا ذر أما أنا فأقول من اتكل على حسن الاختيار من ا تعالى رضي بالحالة التي اختارها ا له وقال بعض الثقات صل بنا ابن أبي أو في صلاة الصبح فقرأ يا أيها المدثر حتى بلغ قوله تعالى فإذا نقر في الناقور فخر ميتاً ويروي أن ثابتاً البناني بكى حتى كادت أن تذهب عيناه فجاءوا برجلي يعالجه قال أعالجه بشرط أن يطاوعني قال ثابت في أي شيء قال الطبيب في أن لا تبكي قال ثابت فما فضل عيني أن لم تبكيا وقال رجل لمحمد بن عبد ا أوصني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الثانية لوالدك المرحوم عمر النعمان وقال رجل لمحمد بن عبد ا أوصني فقال أوصيك أن تكون في الدنيا مالكاً زاهداً وفي الآخرة مملوكاً طامعاً قال وكيف ذلك قال الزاهد في الدنيا يملك الدنيا والآخرة وقال غوث بن عبد ا كان أخوان في بني إسرائيل قال أحدهما للآخر ما أخوف عمل عملته قال له أني مررت ببيت فراخ فأخذت منهم واحدة ورميتها في ذلك البيت ولكن بيت الفراخ التي أخذها منه فهذا أخوف عمل عملته فما أخوف ما عملته أنت قال أما أنا فأخوف عمل أعمله أني إذا قمت إلى الصلاة أخاف أن أكون لا أعمل ذلك إلا للجزاء وكان أبوهما يسمع كلامهما فقال اللهم أن كانا صادقين فأقبضهما إليك فقال بعض العقلاء فإن هذين من أفضل الأولاد وقال سعيد بن جبير صحبت فضالة بن عبيد فقلت له أوصني فقال احفظ عني هاتين الخصلتين أن لا تشرك با شيئاً وأن لا تؤذي من خلق ا أحداً وأنشد هذين البيتين:

كن كيف شئت فإن ا ذو كرم ... وأنف الهموم فما في الأمر من بأس
إلا أثنتين فما تقربهما أبدا ... الشرك با والإضرار بالناس

وما أحسن قول الشاعر:

إذا أنت لم يصحبك زاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

ثم قدمت الجارية الثالثة بعد أن تأخرت الثانية وقالت أن باب الزهد واسع جداً ولكن كر بعض ما يحضرني فيه عن السلف الصالح قال بعض العارفين أنا أستبشر بالموت ولا أتيقن فيه راحة فيراني علمت

أن الموت يحول بين المرء وبين الأعمال فأرجو مضاعفة العمل الصالح وانقطاع العمل السيء وكان عطـاء السلمي إذا فرغ من وصيته انتفض وارتعد وبكى بكاء شديداً فقيل له لم ذلك فقال أني أريد أن أقبل على أمر عظيم وهو الانتصاب بين يدي ا تعالى للعمل بمقتضى الوصية ولذلك كان زين العابدين بن الحسين يرتعـد إذا قام للصلاة فسئل عن ذلك فقال أتدرون لمن أقوم ولمن أخاطب وقيل كان بجانب سفيان الثـوري رجـل ضرير فإذا كان شهر رمضان يخرج ويصلي بالناس فيسكت ويبطيء وقال سفيان إذا كان يوم القيامـة أتـى بأهل القرآن فيميزون بعلامة مزيد الكرامة عمن سواهم وقال سفيان لو أن النفس استقرت فـي القلـب كمـا ينبغي لطار فرحاً وشوقاً إلى الجنة وحزناً وخوفاً من النار وعن سفيان الثوري أنه قال النظر إلى وجه الظالم خطيئة ثم تأخرت الجارية الثالثة وتقدمت الجارية الرابعة وقالت وها أنا أتكلم ببعض ما يحضرني من أخبـار الصالحين روى أن بشر الحافي قال سمعت خالداً يقول أياكم وسرائر الشرك فقلت له وما سرائر الشرك قال أن يصلي أحدكم فيطيل ركوعه وسجوده حتى يلحقه الحدث وقال بعض العارفين فعل الحسنات يكفر السيئات وقال بعض العارفين المس من بشر الحافي شيئاً من سرائر الحقائق فقال يا بني هذا العام لا ينبغي أن نعلمـه كل أحد فمن كل مائة خمسة مثل زكاة الدرهم قال إبراهيم بن أدهم فاستحليت كلامه واستحسنته فبينمـا أنـا أصلي وإذا ببشر يصلي فقمت وراءه أركع إلى أن يؤذن المؤذن فقام رجل رث الحالة وقال يا قوم أحـذروا الصدق الضار ولا بأس بالكذب النافع وليس مع الاضطرار اختيار ولا ينفع الكلام عند العدم كمـا لا يضـر السكوت عند وجود الوجود وقال إبراهيم رأيت بشر سقط منه دانق فقمت إليه وأعطيته درهماً فقال لا آخـذه فقلت أنه من خالص الحلال فقال لي أنا لست استبدل نعم الدنيا بنعم الآخرة ويروي أن أخت بشـر الحـافي قصدت أحمد بن حنبل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان أن الجارية قالت لوالدك أن أخت بشر الحافي قصدت أحمد بن حنبل فقالت له يا إمام الدين أنا أقوم فاغزل بالليل ونشتغل بمعاشنا في النهار وربمـا تمر بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح نغزل في ضوئها فهل يحرم علينا ذلك قال لها من أنت قالـت أخت بشر الحافي فقال يا أهل بشر لا أزال استنشق الورع من قلوبكم وقال بعض العارفين إذا أراد ا بعبـد خيراً فتح عليه باب العمل وكان ملك بن دينار إذا مر في السوق ورأى ما يشتهيه يقول يا نفس أصبري فـلا أوافقك على ما تريدين وقال رضي ا تعالى عنه سلامة النفس في مخالفتها وبلاؤها فـي متابعتهـا وقـال منصور بن عمار حججت حجة فقصدت مكة من طريق الكوفة وكانت ليلة مظلمة وإذا بصارخ يصرخ فـي جوف الليل ويقول الهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتك مخالفتك وما أنا جاهل بك ولكن خطيئة قضيتها على في قديم أزلك فأغفر لي ما فرط مني فإني قد عصيتك بجهلي فلما فرغ من دعائه تلا هذه الآية يا أيهـا الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة وسمعت سقطة لم أعرف لها حقيقة فمضيت فلما كان الغد مشينا إلى مدرجنا وإذا بجنازة خرجت ووراءها عجوز ذهبت قوتها فسألتها عن الميت فقالت هـذه جنازة رجل كان مر بنا البارحة وولدي قائم يصلي فتلا آية من كتاب ا تعالى فانفطرت مرارة ذلك الرجـل فوقع ميتاً ثم تأخرت الجارية الرابعة وتقدمت الجارية الخامسة وقالت وها أنا أذكر بعض ما يحضرني مـن

أخبار السلف الصالح كان مسلمة بن دينار يقول عند تصحيح الضمائر تغفر الصغائر والكبائر وإذا عزم العبد على ترك الآثام أتاه الفتوح وقال كل نعمة لا تقرب إلى ا فهي بلية وقليل الدنيا يشغل عـن كثيـر الآخـرة وكثيرها ينسيك قليلها وسئل أبو حازم من أيسر الناس فقال رجل أذهب عمره في طاعة ا قال فمن أحمـق الناس قال رجل باع آخرته بدنيا غيره وروى أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين قال رب أنـي لمـا أنزلت لي من خير فقير فسأل موسى ربه ولم يسأل الناس وجاءت الجاريتان فسقي لهما ولم تصدر الرعـاء فلما رجعتا اخبرتا أباهما شعيباً فقال لهما لعله جائع ثم قال لأحداهما ارجعي إليه وادعيه فلمـا أتتـه غطـت وجهها وقالت أن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فكره موسى ذلك وأراد أن لا يتبعها وكانـت امـرأة ذات عجز فكانت الريح تضرب ثوبها فيظهر لموسى عجزها فيغض بصره ثم قال لها كوني خلفـي فمشـت خلفه حتى دخل على شعيب والعشاء مهيأ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الخامسة لوالدك فدخل موسى على شعيب عليهما السلام والعشاء مهيأ فقال شعيب لموسى يا موسى أني أريد أن أعطيك أجـر مـا سقيت لهما فقال موسى أنا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بما على الأرض من ذهب وفضة فقال شعي يا شاب ولكن أنت ضيفي وأكرام الضيف عادتي وعادة آبائي بإطعام الطعام فجلس موسى فأكل ثـم أن شعيباً استأجر موسى ثماني حجج أي سنتين وجعل أجرته على ذلك تزويجه إحدى ابنتيه وكان عمل موسـى لشعيب صداقاً لها كما قال تعالى حكاية عنه أني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تـأجرني ثمـاني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك وقال رجل لبعض أصحابه وكان له مدة لم يـره أنك أوحشتني لأنني ما رأيتك منذ زمان قال اشتغلت عنك بابن شهاب اتعرفه قال نعم هو جاري مـن منـذ ثلاثين سنة إلا أنني لم أكلمه قال له أنك نسيت ا فنسيت جارك ولو أحببت ا لاحببت جارك أما علمت أن للجار علي حقاً كحق القرابة وقال حذيفة دخلنا مكة مع إبراهيم بن أدهم وكان شقيق البلخي قد حج في تلـك السنة فاجتمعنا في الطواف فقال إبراهيم لشقيق ما شأنكم في بلادكم فقال شقيق أننا إذا رزقنا أكلنا وإذا جعنـا صبرنا فقال كذا تفعل كلاب بلخ ولكننا إذا رزقنا آثرنا وإذا جعنا شكرنا فجلس شقيق بين يدي إبراهيم قال له أنت أستاذي وقال محمد بن عمران سأل رجل حاتماً الأصم فقال له ما أمرك في التوكل على ا تعالى قـال على خصلتين علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي به وعلمت أني لم أخلق مـن غيـر علـم ا فاستحييت منه ثم تأخرت الجارية الخامسة وتقدمت العجوز وقبلت الأرض بين يدي والدك تسع مرات وقالت قد سمعت أيها الملك ما تكلم به الجميع في باب الزهد وأنا تابعة لهن فأذكر بعض مـا بلغنـي عـن أكـابر المتقدمين قيل كان الإمام الشافعي رضي ا عنه يقسم الليل ثلاثة أقسام الثلث الأول للعلـم والثـاني للنـوم والثالث للتهجد وكان الإمام أبو حنيفة يحيي نصف الليل فأشار إليه إنسان وهو يمشي وقال الآخـر أن هـذا يحيي الليل كله فلما سمع ذلك قال أني استحي من ا أن أوصف بما ليس في فصار بعد ذلك يحيي الليل كله وقال الربيع كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان سبعين مرة كل ذلك في الصلاة وقال الشافعي رضي ا عنه ما شبعت من خبز الشعير عشر سنين لأن الشبع يقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضـعف

صاحبه عن القيام وروي عن عبد ا ومحمد السكري أنه قال كنت أنا وعمرة نتحدث فقال لي ما رأيت أروع ولا أفصح من محمد بن أدريس الشافعي وأتفق أنني خرجت أنا والحرث بن لبيب الصفار وكان الحرث تلميذ المزني وكان صوته حسناً فقرأ قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الإمام الشافعي تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطراباً شديداً وخر مغشياً عليه فلما أفاق قال أعـوذ بـا مـن مقـام الكذابين وأعراض الغافلين اللهم لك خشعت قلوب العارفين اللهم هب لي غفران ذنوبي من جودك وجملنـي يسترك واعف عني تقصيري مكرم وجهك ثم قمت وانصرفت وقال بعض الثقات لما دخلـت بغـداد كـان الشافعي بها فجلست على الشاطيء لأتوضأ للصلاة أذ مر بي إنسان فقال لي يا غلام أحسن وضوءك يحسـن ا إليك في الدنيا والآخرة فالتفت وإذا برجل يتبعه جماعة فأسرعت في وضوئي وجعلت أقفوا أثره فالتفـت إلي وقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك ا تعالى فقال اعلم أن من صدق ا نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه غدا أفلا أزيدك قلت بلى قال كن في الـدنيا زاهـداً وفي الآخرة راغباً وأصدق في جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت عنه فقيـل لـي هـذا الإمـام الشافعي وكان الإمام الشافعي رضي ا تعالى عنه يقول وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم على أن لا ينسب إلى منه شيء. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان قالت العجوز لوالـدك كـان الإمـام الشافعي يقول وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم على أن لا ينسب إلى منه شيء وقال ما ناظرت أحـداً إلا أحببت أن يوفقه ا تعالى للحق ويعينه على إظهاره وما ناظرت أحداً قط إلا لأجل إظهار الحق وما أبالي أن يبين ا الحق على لساني أو على لسانه وقال رضي ا تعالى عنه إذا خفت على علمك العجب فاذكر رضا من تطلب وفي أي نعيم ترغب ومن أي عقاب ترهب وقيل لأبي حنيفة إن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور قد جعلك قاضياً ورسم لك بعشرة آلاف درهم فما رضي فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتي إليه فيـه بالمـال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم ثم جاء رسول أمير المؤمنين بالمال فلما دخل عليه وخاطبه لم يكلمـه فقال له رسول الخليفة أن هذا المال حلال فقال اعلم أنه حلال لي ولكني أكره أن يقع في قلبي مودة الجبابرة فقال له لو دخلت إليهم وتحفظت من ودهم قال هل آمن أن ألج البحر ولا تبتل ثيابي ومـن كـلام الشـافعي رضي ا تعالى عنه:

إلا يـا نفـس أن ترضـى بقـولي	فأنـت عزيـزة أبـداً غنيـه
دعـي عنـك المطـامع والأمـاني	فكـم أمنيـة جلبـت غنيـه

ومن كلام سفيان الثوري فيما أوصى به علي بن الحسن السلمي عليك بالصدق وأياك والكذب والخيانة والرياء والعجب فإن العمل الصالح يحيطه ا بخصلة من هذه الخصال ولا تأخذ دينك إلا عمن هـو مشـفق على دينه وليكن جليسك من يزهدك في الدنيا وأكثر ذكر الموت وأكثر الاستغفار واسأل ا السلامة فيما بقي من عمرك وانصح كل مؤمن إذا سألك عن أمر دينه وأياك أن تخون مؤمناً فإن من خان مؤمناً فقد خـان ا ورسوله وأياك والجدال والخصام ودع ما يريبك إلى مالا يريبك تكن سليماً وأمر بـالمعروف وأنهـي عـن

المنكر تكن حبيب ا وأحسن سريرتك يحسن ا علانيتك وأقبل المعذرة ممن اعتذر إليك ولا تبغض أحـداً من المسلمين وصل من قطعك وأعفي عمن ظلمك تكن رفيق الأنبياء وليكن أمرك مفوضاً إلى ا في السـر والعلانية وأخش ا من خشية من قد علم أنه ميت ومبعوث وسائر إلى الحشر والوقوف بين يـدي الجبـار وأذكر مصيرك إلى إحدى الدارين أما إلى جنة عالية وأما إلى نار حامية ثم أن العجوز جلست إلـى جانـب الجواري فلما سمع والدك المرحوم كلامهن علم أنهن أفضل أهل زمانهن ورأى حسنهن وجمـالهن وزيـادة أدبهن فآواهن إليه وأقبل على العجوز فأكرمها وأخلى لها هي وجواريها القصر الذي كانت فيه الملكة أبريزة بنت ملك الروم ونقل اليهن ما يحتجن إليه من الخيرات فأقامت عنده عشرة أيام وكلما دخـل عليهـا يجـدها معتكفة على صلاتها وقيامها في ليلها وصيامها في نهار فوقع في قلبه محبتها وقال لي يـا وزيـر أن هـذه العجوز من الصالحات وقد عظمت في قلبي مهابتها فلما سمع والدك كلامها تعجب وقال أيتها السـيدة ومـا ثمنهن قالت ما أبيعهن لك إلا بصيام شهر كامل تصوم نهاره وتقوم ليله لوجه ا تعالى فإن فعلت ذلك فهـن ملك لك في قصرك تصنع بهن ما شئت فتعجب الملك من كمال صلاحها وزهدها وورعها وعظمت في عينه وقال نفعنا ا بهذه المرأة الصالحة ثم أتفق معها على أن يصوم الشهر كما اشترطته عليه فقالـت لـه وأنـا أعينك بدعوات أدعو بهن لك فائتني بكوز ماء فأخذته وقرأت عليه وهممت وقعدت ساعة تتكلم بكلام لا نفهمه ولا نعرف منه شيئاً ثم غطته بخرقة وختمته وناولته لوالدك وقالت له إذا صمت العشرة الأولى فـأفطر فـي الليلة الحادية عشرة على ما في هذا الكوز فإنه ينزع حب الدنيا من قلبك ويملؤه نوراً وأيماناً وفي غد إخـرج إلى أخواني وهم رجال الغيب فأني أشتقت إليهم ثم أجيء إليك إذا مضت العشرة الأولى فأخذ والدك الكوز ثم نهض وأفرد له خلوة في القصر ووضع الكوز فيها وأخذ مفتاح الخلوة في جيبه فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز إلى حال سبيلها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان فلما كان النهـار صـام السـلطان وخرجت العجوز إلى حال سبيلها وأتم الملك صوم العشرة أيام وفي اليوم الحادي عشر فتح الكـوز وشـربه فوجد له في فؤاده فعلاً جميلاً وفي العشرة أيام الثانية من الشهر جاءت العجوز ومعهـا حـلاوة فـي ورق أخضر يشبه ورق الشجر فدخلت على والدك وسلمت عليه فلما رآها قام لها وقال لها مرحبا بالسيدة الصالحة فقالت له أيها الملك أن رجال الغيب يسلمون عليك لأني أخبرتهم عنك ففرحوا بك وأرسلوا معي هذه الحلاوة وهي من حلاوة الآخرة فأفطر عليها في آخر النهار ففرح والدك فرحاً زائداً وقال الحمد الذي جعـل لـي إخواناً من رجال الغيب ثم شكر العجوز وقبل يديها وأكرمها وأكرم الجواري غاية الأكرام ثم مضـت مـدة عشرين يوماً وأبوك صائم وعند رأس العشرين يوماً أقبلت عليه العجوز وقالت له أيها الملك أعلم أني أخبرت رجال الغيب بما بيني وبينك من المحبة وأعلمتهم بأني تركت الجواري عندك ففرحوا حيث كانت الجـواري عند ملك مثلك لأنهم كانوا إذا رأوهن يبالغون لهن في الدعاء المستجاب فأريد أن اذهب بهن إلى رجال الغيب لتحصيل نفحاتهم لهن وربما أنهن لا يرجعن إليك إلا ومعهن كنز من كنوز الأرض حتى أنـك بعـد تمـام صومك تشتغل بكسوتهن وتستعين بالمال الذي يأتينك به على إعراضك فلما سمع والدك كلامها شكرها على

ذلك وقال لها لولا إنني أخشى مخالفتي لك ما رضيت بالكنز ولا غيره ولكن متى تخرجين بهن فقلت له فـي الليلة السابعة والعشرين فأرجع بهن إليك في رأس الشهر وتكون أنت قد أوفيت الصوم وحصل اسـتبرأوهن وصرن لك وتحت أمرك وا أن كل جارية منهن ثمنها أعظم من ملكك مرات فقال لها وأنا أعرف ذلك أيتها السيدة الصالحة فقالت له بعد ذلك ولابد أن ترسل معهن من يعز عليك من قصرك حتى يجد الأنس ويلـتمس البركة من رجال الغيب فقال لها عندي جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين أنثى وذكر ولكنهمـا فقدا من منذ سنتين فخذيها معهن لأجل أن تحصل لها البركة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عـن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان لعل رجال الغيب يدعون ا لها بـأن يرد عليها ولديها ويجمع شملنا بهما فقالت العجوز نعم ما قلت وكان ذلك أعظم غرضها ثم أن والدك أخذ في تمام صيامه فقالت له يا ولدي أني متوجهة إلى رجال الغيب فأحضر لي صفية فدعا بها فحضرت في ساعتها فسلمها إلى العجوز فخلطتها بالجواري ثم دخلت العجوز مخدعها وخرجت للسلطان بكأس مختوم وناولته لـه وقالت إذا كان يوم الثلاثين فأدخل الحمام ثم أخرج منه وأدخل خلوة من الخلاوي التي في قصرك وأشـرب هذا الكاس ونم فقد نلت ما تطلب والسلام مني عليك فعند ذلك فرح الملك وشكرها وقبل يـدها فقالـت لـه استودعتك ا فقال لها ومتى أراك أيتها السيدة الصالحة فأني أود أن لا أفارقك فدعت له وتوجهـت ومعهـا الجواري والملكة صفية وقعد الملك بعدها ثلاثة أيام ثم هل الشهر فقال الملك ودخل الحمام وخرج من الحمام إلى الخلوة التي في القصر وأمر أن لا يدخل عليه أحد ورد الباب عليه ثم شرب الكاس ونام ونحن عدول في انتظاره إلى آخر النهار فلم يخرج من الخلوة فقلنا لعله تعبان من الحمام ومن سهر الليل وصيام النهار فبسبب ذلك نام فانتظرنا ثاني يوم فلم يخرج فوقفنا بباب الخلوة وأعلنا برفع الصوت لعله ينتبه ويسأل عن الخبر فلم يحصل منه فخلعنا الباب ودخلنا عليه فوجدناه قد تمزق لحمه وتفتت عظمه فلما رأيناه على هذه الحالة عظـم علينا ذلك وأخذنا الكاس فوجدنا في غطائه قطعة ورق مكتوباً فيها من أساء لا يستوحش منه وهذا جزاء مـن يتحيل على بنات الملوك ويفسدهن والذي تعلم به كل من وقف على هذه الورقة أن شركان لما جـاء بلادنـا أفسد علينا الملكة أبريزة وما كفاه ذلك حتى أخذها من عندنا وجاء بها إليكم ثم أرسلها مع عبد أسـود فقتلهـا ووجدناها مقتولة في الخلاء مطروحة على الأرض فهذا ما هو فعل الملوك وما جزاء من يفعل هذا الفعل إلا ما حل به وأنتم لا تتهموا أحد بقتله ما قتله إلا العاهرة الشاطرة التي اسمها ذات الدواهي وها أنا أخذت زوجة الملك صفية ومضيت بها إلى والدها أفريدون ملك القسطنطينية ولابد نغزوكم ونقتلكم ونأخـذ مـنكم الـديار فتهلكون عن آخركم ولا يبقى منكم ديار ولا من ينفخ النار إلا من يعبد الصليب والزنار فلما قرأنا هذه الورقة علمنا أن العجوز خدعتنا وتمت حيلتها علينا فعند ذلك صرخنا ولطمنا على وجوهنا وبكينا فلم يفدنا البكـاء شيئاً واختلفت العساكر فيمن يجعلونه سلطاناً عليهم فمنهم من يريدك ومنهم من يريد أخاك شركان ولم تـزل في هذا الاختلاف مدة شهر ثم جمعنا بعضنا وأردنا أن نمضي إلى أخيك شركان فسافرنا إلـى أن وجـدناك وهذا سبب موت الملك عمر النعمان فلما فرغ الوزير من كلامه بكى ضوء المكان هو وأخته نزهة الزمـان

وبكى الحاجب أيضاً ثم قال الحاجب لضوء المكان أيها الملك أن البكاء لا يفيدك شيئاً ولا يفيدك إلا أنك تشـد قلبك وتقوى عزمك وتؤيد مملكتك ومن خلف مثلك فعند ذلك سكت عن بكائه وأمر بنصب السـرير خـارج الدهليز ثم أمر أن يعرضوا عليه العساكر ووقف الحاجب بجانبه والسلحدراية من ورائه ووقف الوزير دندان قدامه ووقف كل واحد من الأمراء وأرباب الدولة في مرتبته ثم أن الملك ضوء المكان قال للـوزير دنـدان
قدامه ووقف كل واحد من الأمراء وأرباب الدولة في مرتبته ثم أن الملك ضوء المكان قال للـوزير دنـدان
أخبرني بخزائن أبي فقال سمعاً وطاعة وأخبره بخزائن الأموال وبما فيها من الذخائر والجـواهر وعـرض عليه ما في خزانته من الأموال فأنفق على العساكر وخلع على الوزير دندان خلعة سنية وقال له أنـت فـي مكانك فقبل الأرض بين يديه ودعا له بالبقاء ثم خلع على الأمراء ثم أنه قال للحاجب أعرض علي الذي معك من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فأخذها وفرقها على العساكر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ضوء المكان أمر الحاجب أن يعرض عليه ما أتى بـه مـن خـراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فأخذها وفرقها على العساكر ولم يبق منها شـيئاً أبـداً فقبل الأمراء الأرض بين يديه ودعوا له بطول البقاء وقالوا ما رأينا ملكاً يعطي مثل هذه العطايا ثـم أنهـم مضوا إلى خيامهم فلما أصبحوا أمرهم بالسفر فسافروا ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أشرفوا على بغداد فدخلوا المدينة فوجدوها قد تزينت وطلع السلطان ضوء المكان قصر أبيه وجلس على السرير ووقف أمراء العسـكر والوزير دندان وحاجب دمشق بين يديه فعند ذلك أمر كاتب السران يكتب كتاباً إلى أخيه شركان ويذكر فيـه ما جرى من الأول إلى الآخر ويذكر في آخره وساعة وقوفك على هذا المكتوب تجهـز أمـرك وتحضـر بعسكرك حتى نتوجه إلى غزو الكفار ونأخذ منهم الثأر ونكشف العار ثم طوى الكتاب وختمه وقال للـوزير دندان ما يتوجه بهذا الكتاب إلا أنت ولكن ينبغي أن تتلطف به في الكلام وتقول له أن أردت ملك أبيك فهـو لك وأخوك يكون نائباً عنك في دمشق كما أخبرنا بذلك فنزل الوزير دندان من عنده وتجهز للسـفر ثـم أن ضوء المكان أمران يجعلوا للوقاد مكاناً فاخراً ويفرشوه بأحسن الفرش وذلك الوقاد له حديث طويـل ثـم أن ضوء المكان خرج يوماً إلى الصيد والقنص وعاد إلى بغداد فقدم له بعض الأمراء من الخيول الجياد ومـن الجواري الحسان ما يعجز عن وصفه اللسان فأعجبته جارية منهن فاستخلى بها ودخل عليها في تلك الليلـة فعلقت منه من ساعتها وبعد مدة رجع الوزير دندان من سفره وأخبره بخبر أخيه شركان وأنه قادم عليه وقال له ينبغي أن تخرج وتلاقيه فقال له ضوء المكان سمعاً وطاعة فخرج إليه من خواص دولته من بغداد مسيرة يوم ثم نصب خيامه هناك لانتظار أخيه وعند الصباح أقبل الملك شركان في عساكر الشام ما بـين فـارس مقدام وأسد درغام وبطل مصدام فلما أشرقت الكتائب وقدمت النجائب وأقبلـت العصـائب وخفقـت أعـلام المراكب توجه ضوء المكان هو ومن معه لملاقاتهم فلما عاين ضوء المكان أراد أن يترجل إليه فأقسـم عليـه شركان أن لا يفعل ذلك وترجل شركان ومشى خطوات فلما صار بين يدي ضوء المكان رمى ضوء المكان نفسه عليه فاحتضنه شركان إلى صدره وبكيا بكاء شديداً وعزي بعضهما بعضاً ثم ركب الأثنان وسارا وسار

العسكر معهما إلى أن أشرفوا على بغداد ونزلوا ثم طلع ضوء المكان هو وأخوه شركان على قصـر المـلك وباتا تلك الليلة وعند الصباح خرج ضوء المكان وأمر أن يجمعوا العساكر من كل جانب وينـادون بـالغزو والجهاد ثم أقاموا ينتظرون مجيء الجيوش من سائر البلدان وكل من حضر يكرمونه ويعدونه بالجميل إلـى أن مضى على ذلك الحال مدة شهر كامل والقوم يأتون أفوجا متتابعة ثم قال شركان لأخيه يا أخـي أعلمنـي بقضيتك فاعلمه بجميع ما وقع له من الأول إلا الآخر وبما صنعه معه الوقاد من المعروف فقال له شـركان أما كافأته على معروفه فقال له يا أخي ما كافأته إلى الآن ولكن أكافئه إن شاء ا تعالى لما أرجع من الغزوة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شركان قال لأخيه ضوء المكان لما كافأت الوقاد على معروفة فقال له يا أخي ما كافأته إلى الآن ولكن أن شاء ا تعالى لما أرجع من الغزوة وأتفرغ له فعند ذلك عرف شركان أن أخته الملكة نزهة الزمان صادقة في جميع ما أخبرته به ثم كتم أمره وأمرها وأرسل إليها السلام مع الحاجب زوجها فبعثت له أيضاً معه السلام ودعت له وسألت عن أبنتها قضى فأخبرها أنها بعافية وأنها في غاية مـا يكون من الصحة والسلامة فحمدت ا تعالى وشكرته ورجع شركان إلى أخيه يشاور في أمر الرحيل فقال له يا أخي لما تتكامل العساكر وتأتي العربان من كل مكان ثم أمر بتجهيز الميرة وأحضار الذخيرة ودخل ضوء المكان إلى زوجته وكان مضى لها خمسة أشهر وجعل أرباب الأقلام وأهل الحساب تحت طاعتها ورتب لها الجرايات والجوامك وسافر في ثالث شهر من حين نزول عسكر الشام بعد أن قدمت العربان وجميع العساكر من كل مكان وسارت الجيوش والعساكر وتتابعت الجحافل وكان اسم رئيس عسكر الديلم رستم واسم رئـيس عسكر الترك بهرمان وسار ضوء المكان في وسط الجيوش وعن يمينه أخوه شركان وعن يسـاره الحاجـب صهره ولم يزالوا سائرين مدة شهر وكل جمعة ينزلون في مكان يستريحون فيه ثلاثة أيام لأن الخلق كثيـرة ولم يزالوا سائرين على هذه الحالة حتى وصلوا إلى بلاد الروم فنفرت أهل القـرى والضـياع والصـعاليك وفروا إلى القسطنطينية فلما سمع أفريدون ملكهم بخبرهم قام وتوجه إلى ذات الدواهي فإنها هي التي دبـرت الحيل وسافرت إلى بغداد حتى قتلت الملك عمر النعمان ثم أخذت جواريها والملكة صفية ورجعت بـالجميع إلى بلادها فلما رجعت إلى ولدها ملك الروم وأمنت على نفسها قالت لأبنها قر عيناً فقد أخذت لك بثار ابنتك أبريزة وقتلت الملك عمر النعمان وجئت بصفية فقم الآن وارحل إلى ملك القسطنطينية وأظن أن المسلمين لا يثبتو صلى قتالنا فقال أمهلي إلى أن يقربوا من بلادنا حتى نجهز أحوالنا ثم أخذوا في جمع رجالهم وتجهـز أحوالهم فلما جاءهم الخبر كانوا قد جهزوا حالهم و جمعوا الجيوش وسارت في أوائلهم ذات الـدواهي فلمـا وصلوا إلى القسطنطينية سمع الملك الأكبر ملكها أفريدون بقدوم حردوب ملك الروم فخرج لما أقاتـه فلمـا اجتمع أفريدون بملك الروم سأله عن حاله وعن سبب قدومه فأخبره بما عملته أمه ذات الدواهي من الحيـل وأنها قتلت ملك المسلمين وأخذت من عنده الملكة صفية وقالوا أن المسلمين جمعوا عساكرهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أفريدون قال لملك الروم أن المسلمين جمعوا عساكرهم وجاءوا ونريد أن نكون جميعاً يداً واحدة ونلقاهم ففرح الملك فريدون بقدوم ابنته وقتل عمر النعمان وارسل إلى سائر الأقاليم يطلب منهم النجدة ويذكر لهم سبب قتل الملك عمر النعمان فهرعت إليه جيوش النصارى فما مر ثلاثة شهور حتى تكاملت جيوش الروم ثم أقبلت الأفرنج من سائر أطرافها كالفرنسيس والنيمسا ودوبره وجورنه وبندق وجنوير وسائر عساكر بني الأصفر فلما تكاملت العساكر وضاقت بهم الأرض من كثرتهم أمرهم الملك الأكبر أفريدون أن يرحلوا من القسطنطينية فرحلوا واستمر تتابع عساكرهم في الرحيل عشرة أيام وساروا حتى نزلوا بواد واسع الأطراف وكان ذلك الوادي قريباً من البحر المالح فأقاموا ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أرادوا أن يرحلوا فاتتهم الأخبار بقدوم عساكر الإسلام وحماة ملة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام فقاموا فيه ثلاثة أيام أخرى وفي اليوم الرابع رأوا غبار طار حتى سد الأقطار فلم تمض ساعة من النهار حتى انجلى ذلك الغبار وتمزق إلى الجو وطارت ومحت ظلمته كواكب الأسنة والرماح وبريق بيض الصفاح وبان من تحته رايات إسلامية وأعلام محمدية وأقبلت الفرسان كاندفاع البحار في دروع تحسبها سحباً مزورة على أقمار فعند ذلك تقابل الجيشان والتطم البحران ووقعت العين في العين فأول من برز للقتال الوزير دندان هو وعساكر الشام وكانوا ثلاثين ألف عنان وكان مع الوزير مقدم الترك ومقدم الديلم رستم وبهرام في عشرين ألف فارس وطلع من ورائهم رجال من صوب البحر المالح وهم لابسون زرود الحديد وقد صاروا فيهاكالبدور السافرة في الليالي العاكرة وصارت عساكر النصارى ينادون عيسى ومريم والصليب المسخم ثم انطبقوا على الوزير دندان ومن معه من عساكر الشام وكان هذا كله تدبير العجوز ذات الدواهي لأن الملك أقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وأنت السبب في هذا الأمر العسير فقالت اعلم أيها الملك الكبير والكاهن الخطير أني أشير عليك بأمر يعجز عن تدبيره أبليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن هذا كله كان تدبير العجوز لأن الملك كان أقبل عليها قبل خروجها وقال لها كيف العمل والتدبير وأنت السبب في هذا الأمر العسير فقالت اعلم أيها الملك الكبير والكاهن الخطير أني أشير عليك بأمر يعجز عن تدبيره أبليس وهو أن ترسل خمسين ألفاً من الرجال ينزلون في المراكب ويتوجهون في البحر إلى أن يصلوا إلى جبل الدخان فيقيمون هناك ولا يرحلون من ذلك المكان حتى تأتيكم أعلام الإسلام فدونكم وإياهم ثم تخرج إليهم العساكر من البحر ويكونون خلفهم ونحن نقابلهم من البر فلا ينجوا منهم أحد وقد زال عنا العناء ودام لنا الهناء فاستصوب الملك أفر يدون كلام العجوز وقال نعم الرأي رأيك يا سيدة العجائز الماكرة ومرجع الكهان في الفتن الثائرة وحين هجم عليهم عسكر الإسلام في ذلك الوادي لم يشعروا إلا والنار تلتهب في الخيام والسيوف تعمل في الأجسام ثم أقبلت جيوش بغداد وخراسان وهم في مائة وعشرين ألف فارس وفي أوائلهم ضوء المكان فلما رأهم عسكر الكفار الذين كانوا في البحر طلعوا إليهم من البحر وتبعوا أثرهم فلما رآهم ضوء المكان قال ارجعوا إلى الكفار يا حرب النبي المختار وقاتلوا أهل الكفر والعدوان في طاعة الرحيم الرحمن وأقبل شركان بطائفة أخرى من عساكر المسلمين نحو

مائة ألف وعشرين ألفاً وكانت عساكر الكفار نحو ألف ألف وستمائة ألف فلما اختلط المسلمون بعضهم ببعض قويت قلوبهم ونادوا قائلين أن ا وعدنا بالنصر وأوعد الكفار بالخذلان ثم تصادموا بالسيف والسنان واخترق شركان الصفوف وهاج في الألوف وقاتل قتالاً تشيب منه الأطفال ولم يزل يجول في الكفـار ويعمـل فـيهم بالصارم البتار وينادي ا أكبر حتى رد القوم إلى ساحل البحر وكلت منهم الأجسام ونصـر ديـن الإسـلام والناس يقاتلون وهم سكارى بغير مدام وقد قتل من القوم في ذلك الوقت خمسة وأربعون الفـا وقتـل مـن المسلمون ثلاثة آلاف وخمسائة ثم أن أسد الدين الملك شركان لم ينم في تلك الليلة لا هو ولا أخـوه ضـوء المكان بل كانا يباشران الناس ويتفقدان الجرحى ويهنئانهم بالنصر والسلامة والثواب في القيامة هذا ما كـان من أمر المسلمين وأما ما كان من أمر الملك أفريدون ملك القسطنطينية وملك الـروم وأمـه العجـوز ذات الدواهي فإنهم جمعوا أمراء العسكر وقالوا لبعضهم أنا كنا بلغنا المراد وشفينا الفؤاد ولكن أعجابنا بكثرتنا هو الذي خذلنا فقالت لهم العجوز ذات الدواهي أنه لا ينفعكم إلا أنكم تتقربـون المسـيح وتتمسـكون بالاعتقـاد الصحيح فوحق المسيح ما قوى عسكر المسلمين إلا هذا الشيطان الملك شركان فقال الملك أفريدون أني قـد عولت في غد على أن أصف لهم الصفوف وأخرج لهم الفارس المعروف لوقا بن شملوط فإنه إذا برز إلـى الملك شركان قتله وقتل غيره من الأبطال حتى لم يبق منهم أحداً وقد عولت في هذه الليلـة علـى تقديسـكم بالبخور الاكبر فلما سمعوا كلامه قبلوا الأرض وكان البخور الذي أراده خره البطريق الكبيـر ذي الأنكـار والبكير فإنهم كانوا يتنافسون فيه ويستحسنون مساوية حتى كانت أكابر بطارقة الروم يبعثونه إلى سائر أقاليم بلادهم في خرق من الحرير ويمزجونه بالمسك والعنبر فإذا وصل خراؤه إلى المبدأ اخذوا منه كـل درهـم بألف دينار حتى كان الملوك يرسلون في طلبه من أجل بخور العرائس وكانت البطارقة يخلطونـه بخـرائهم فإن خره البطريق الكبير لا يكفي عشرة أقاليم وكان خواص ملوكهم يجعلون قليلاً منه فـي كحـل العيـون ويداوون به المريض والمبطون فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان إلى حمل الرمـاح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه لما أصبح الصباح عاد الملك أفريدون بخواص بطارقته وأرباب دولته وخلع عليهم ونقش الصليب في وجوههم وبخرهم بالبخور المتقدم ذكره الذي هـو خـره البطريـق الأكبـر والكاهن الأمكر فلما بخرهم دعا بحضور لوقا بن شملوط الذي يسمونه سيف المسيح وبخره بالرجيع وحنكـه به بعد التبخير ونشقه ولطخ به عوارضه ومسح بالفضلة شوار به وكان ذلك الملعون لوقا ما في بلاد الـروم أعظم منه ولا أرمي بالنبال ولا أضرب بالسيف ولا أطعن بالرمح والنزال وكان بشع المنظر كان وجهه وجه حمار وصورته صورة قرد وطلعته طلعة الرقيب وقربه أصعب من فراق الحبيب له من الليل ظلمته ومـن الابخر نكهته ومن القوس قامته ومن الكفر سميته وبعد ذلك أقبل على الملك أفريدون وقبل قدميه ثم وقف بين يديه فقال الملك أفريدون إني أريد أن تبرز إلى شركان ملك دمشق إبن عمر النعمان وقد إنجلي عنا هذا الشر والهوان فقال سمعاً وطاعة ثم إن الملك نقش في وجهه الصليب وزعم أن النصر يحصل له عن قريـب ثـم أنصرفه لوقا من عند الملك أفريدون وركب الملعون لوقا جواداً أشقر وعليه ثوب أحمر وزردية من الـذهب

المرصع بالجواهر وحمل رمحا له ثلاث حراب كأنه أبليس الليل يوم الأحزاب وتوجه هـو وحزبـه الكفـار كأنهم يساقون إلى النار وبينهم مناد ينادي بالعربي ويقول يا أمة محمد ﷺ لا يخرج منكم إلا فأرسكم سـيف الإسلام شركان صاحب دمشق الشام فما أستم كلامه إلا وضجة في الفلا سمع صوتها جميع الملا وركضات فرقت الصفين وأذكرت يوم حنين ففزع اللئام منها ولفتوا الأعناق نحوها وإذا هو الملك شركان ابـن الملـك عمر النعمان وكان أخوه ضوء المكان لما رأى ذلك الملعون في الميدان وسمع المنادي التفت لأخيه شـركان وقال له أنهم يريدونك فقال أن كان الأمر كذلك فهو أحب إلى فلما تحققوا الأمر وسمعوا هذا المنـادي وهـو يقول في الميدان لا يبرز الا شركان علموا أن هذا الملعون فارس بلاد الروم وكان قد حلف أن يخلي الأرض من المسلمين وإلا فهو من أخسر الخاسرين لأنه هو الذي حرق الأكباد وفزعت من سره الأجناد من التـرك والديلم والأكراد الخاسرين لأنه هو الذي حرق الأكباد وفزعت من سره الأجناد من الترك والديلم والأكـراد فعند ذلك برز إليه شركان كأنه أسد غضبان وكان راكباً على ظهر جواد يشبه شارد الغزلان فساقه نحو لوقا حتى صار عنده وهز الرمح في يده كأنه أفعى من الحيات وأنشد هذه الأبيات:

لـي أشـقر سـمح العنـان مغـاير	يعطيـك مـا يرضـيك مـن مجهـوده
ومثقـف لـدى السـنان كأنمـا	أم المنايـا ركبـت فـي عـوده
ومهنـد عضـب إذا جردتـه	خلـت البـروق تمـوج فـي تجريـده

فلم يفهم لوقا معنى هذا الكلام ولا حماسة هذا النظام بل لطم وجهه بيده تعظيماً للصليب المنقوش عليه ثم قبلها وأشرع الرمح نحو شركان وكر عليه ثم طوح الحربة بإحدى يديه حتى خفيت عن أعـين النـاظرين وتلقاها باليد الأخرى كفعل الساحرين ثم رمي بها شركان فخرجت من يديه كأنها شهاب ثاقب فضجت الناس وخافوا على شركان فلما قربت الحربة منه اختطفها من الهواء فتحيرت عقول الورى ثم أن شـركان هزهـا بيده التي أخذها بها من النصراني حتى كاد ان يقصفها ورماها في الجو حتى خفيت عن النظر وتلقاها بيـده الثانية في أقرب من لمح البصر وصاح صيحة من صميم قلبه وقال وحق من خلق السبع الطباق لأجعلن هذا اللعين شهرة في الآفاق ثم رماه بالحربة فأراد لوقا أن يفعل بالحربة كما فعل شركان ومد يده إلـى الحربـة ليختطفها من الهواء فعاجله شركان بحربة ثانية فضربه بها فوقعت في وسط الصليب الذي في وجهه وعجل ا بروحه إلى النار وبئس القرار فلما رأى الكفار لوقا بن شملوط وقع مقتولاً لطموا على وجـوههم ونـادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الكفار لما رأوا لوقا بن شملوط وقع مقتولاً لطمـوا علـى وجـوههم واستغاثوا ببطارقة الديور وقالوا أين الصلبان وتزهد الرهبان ثم اجتمعوا جميعاً عليـه وأعملـوا الصـوارم والرماح وهجموا للحرب والكفاح والتقت العساكر بالعساكر وصارت الصدور تحت وقع الحوافر وتحكمـت الرماح والصوارم وضعفت السواعد والمعاصم وكأن الخيل خلقت بلا قوائم ولازال مناد الحرب ينادي إلـى أن كلت الأيادي وذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وافترق الجيشان وبها وكل شجاع كالسكران مـن شـدة الضرب والطعان وقد امتلأت الأرض بالقتلى وعظمت الجراحات وصار لا يعرف الجريح ممن مات ثـم أن

شركان اجتمع بأخيه ضوء المكان والحاجب والوزير دندان فقال شركان لأخيه ضوء المكان والحاجب أن ا قد فتح باباً لهلاك الكافرين والحمد رب العالمين فقال ضوء المكان لأخيه لم نزل نحمد ا لكشف الحـرب عن العرب والعجم وسوف تتحدث الناس جيلاً بعد جيل بما صنعت باللعين لوقا محـرف الأنجيـل وأخـذك الحربة من الهواء وضربك لعدو ا بين الورى ويبقى حديثك إلى آخر الزمان ثم قال شركان أيها الحاجـب الكبير والمقدام الخطير فأجابه التلبية فقال له خذ معك الوزير دندان وعشرين ألف فارس وسر بهم إلى ناحية البحر مقدار سبعة فراسخ وأسرعوا في السير حتى تكونوا قريباً من الساحل بحيث يبقى بينكم وبين القوم قدر فرسخين واختفوا في وهدات الأرض حتى تسمعوا ضجة الكفار إذا طلعوا من المراكب وتسمعوا الصياح من كل جانب وقد عملت بيننا وبينهم القواضب فإذا رأيتم عسكرنا تقهقروا إلى الوراء كأنهم منهزمون وجـاءت الكفار زاحفة خلفهم من جميع الجهات حتى من جانب الساحل فكونوا لهم بالمرصاد وإذا رأيت أنت علماً عليه لا إله إلا ا محمد رسول ا ﷺ فأرفع العلم الأخضر وصح قائلاً ا أكبر وأحمل عليهم من ورائهم واجتهد في أن لا يحول الكفار بين المنهزمين وبين البحر فقال السمع والطاعة واتفقوا على ذلك الأمر في تلك الساعة ثم تجهزوا وساروا وقد أخذ الحاجب معه الوزير دندان وعشرين ألفا كما أمر الملك شـركان فلمـا أصـبح الصباح ركب القوم وهم مجردون الصفاح ومعتقلون بالرماح وحاملون السلاح وانتشرت الخلائق في الربـا والبطاح وصاحت القسوس وكشفت الرؤوس ورفعت الصلبان على قلوع المراكب وقصدوا الساحل من كـل جانب وأنزلوا الخيل في البر وعزموا على الكر والفر ولمعت السيوف وتوجهت الجمـوع وبرقـت شـهب الرماح على الدروع ودارت طاحون المنايا على الرجال والفرسان وطارت الرؤوس عن الأبدان وخرسـت الألسان وتغشت الأعين وانفطرت المرائر وعملت البواتر وطارت الجماجم وقطعت المعاصم وخاضت الخيل في الدما وتقابضوا باللحي وصاحت عساكر الإسلام بالصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنـام والثنـاء على الرحمن بما أولى من الإحسان وصاحت عساكر الكفر بالثناء على الصليب والزنار والعصير والعصار والقسوس والرهبان والشعانين والمطران وتأخر ضوء المكان هو شركان إلى ورائهما وتقهقـرت الجيـوش وأظهروا الأنهزام للأعداء وزحفت عليهم عساكر الكفر لولهم الهزيمة وتهيئوا للطعن والضرب فاستهل أهـل الإسلام قراءة أول سورة البقرة وصارت القتلى تحت أرجل الخيل مندثرة وصار منادي الروم يقول يا عبـدة المسيح وذوي الدين الصحيح يا خدام الجاثلين قد لاح لكم التوفيق أن عساكر الإسلام قد جنحوا إلى الفرار فلا تولوا عنهم الأدبار فمكثوا السيوف من أقفائهم ولا ترجعوا من ورائهم وإلا برئتم من المسيح بن مريم الـذي في المهد تكلم وظن أفر يدون ملك القسطنطينية أن عساكر الكفار منصورة ولم يعلـم أن ذلـك مـن تـدبير المسلمين صورة فأرسل إلى ملك الروم يبشره بالظفر ويقول له ما نفعنا إلا غائط البطريق الأكبر لما فاحـت رائحته من اللحى والشوارب بين عباد الصليب حاضر وغائب وأقسم بالمعجزات النصرانية المريمية والمياه المعمودية أني لا أترك على الأرض مجاهداً بالكلية وأني مصر على سوء هذه النية وتوجه الرسـول بهـذا الخطاب ثم صاح على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الكفار صاحوا على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا وصار ملك الـروم ينادي بالأخذ بثار إبريزة فعند ذلك صاح الملك ضوء المكان وقال يا عباد الملك الديان اضربوا أهـل الكفـر والطغيان ببيض الصفاح وسمر الرماح فرجع المسلمون على الكفار وأعملوا فيهم الصارم البتار وصار ينادي منادي المسلمين ويقول عليكم بأعداء الدين يا محب النبي المختار هذا وقت إرضاء الكريم الغفار يـا راجـي النجاة في اليوم المخيف أن الجنة تحت ظلال السيوف وإذا بشركان قد حمل هو ومعه على الكفـار وقطعـوا عليهم طريق الفرار وجال بين الصفوف وطاف وإذا بفارس مليح الأنعطاف قد فتح بين عسكر الكفر ميـداناً وجال في الكفرة حرباً وطعاماً وملأ الأرض رؤوساً وأبدانا وقد خافت الكفار من حربه ومالت أعناقهم لطعنه وضربه قد تقلد بسيفين لحظ وحسام واعتقل برمحين قناة وقوام بوفرة تغني عن وافر عدد العساكر كما قـال فيه الشاعر:

لا تحسـ ـ ـن الـ ـ ـوفرة إلا وهـ ـ ـي	منشـ ـورة الفـ ـرعين يـ ـوم النـ ـزال
علـ ـى فتـ ـى معتقـ ـل صـ ـعده	يعلهـ ـا مـ ـن كـ ـل وافـ ـي السـ ـبال

فلما رآه شركان قال أعيذك بالقرآن وآيات الرحمن من أنت أيها الفارس من الفرسان فلقـد أرضـيت بفعالك الملك الديان الذي لا يشغله شأن عن شأن حيث هزمت أهل الكفر والطغيان فناداه الفارس قـائلاً أنـت الذي بالأمس عاهدتني فما أسرع ما نسيتني ثم كشف اللثام عن وجهه حتى ظهر ما خفي من حسنه فإذا هـو ضوء المكان ففرح به شركان إلا أنه خاف عليه من ازدحام الأقران وانطباق الشجعان وذلك لأمرين أحدهما صغر سنه وصيانته عن العين والثاني أن بقاءه للمملكة أعظم الجناحين فقال له يا ملك أنـك لقـد خـاطرت بنفسك فألصق جوادك بجوادي فأني لا آمن عليك من الأعادي والمصلحة في أن لا تخرج من تلك العصائب لأجل أن ترمي الأعداء بسهمك الصائب فقال ضوء المكان أني أردت أن أساويك في النزال ولا أبخل بنفسي بين يديك في القتال ثم انطبقت عساكر الإسلام على الكفار وأحاطوا بهم من جميع الأقطار وجاهـدوهم حـق الجهاد وكسروا شوكة الكفر والعناد والفساد فتأسف الملك أفر يدون لما رأى ما حل بالروم من الأمر المذموم وقد ولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار يقصدون المراكب وإذ بالعساكر قد خرجت عليهم من ساحل البحر وفـي أوائلهم الوزير دندان مجندل الشجعان وضرب فيهم بالسيف والسنان وكذا الأمير بهرام صاحب دوائر الشـام وهو في عشرين ألف ضرغام وأحاطت بهم عساكر الإسلام من خلف ومن أمام ومالت فرقة من المسـلمين على من كان في المراكب وأوقعوا فيهم المعاطب فرموا أنفسهم في البحر وقتلوا منهم جمعاً عظيماً يزيد على مائة ألف خنزير ولم ينج من أبطالهم صغير ولا كبير وأخذوا مراكبهم بما فيها من الأموال والذخائر والأثقال إلا عشرين مركباً وغم المسلمون في ذلك اليوم غنيمة ما غنم أحد مثلها في سالف الزمـان ولا سـمعت أذن بمثل هذا الحرب والطعان ومن جملة ما غنموه خمسون ألفاً من الخيل غير الذخائر والأسلاب مما لا يحيط به حصر ولا حساب وفرحوا فرحاً ما عليه من مزيد بما من ا عليهم من النصر والتأييد هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر المنهزمين فإنهم وصلوا إلى القسطنطينية وكان الخبر قد وصل إلى أهلهـا أولاً بـأن الملك أفر يدون هو الظافر بالمسلمين فقالت العجوز ذات الدواهي أنا أعلم أن ولدي ملك الروم لا يكون مـن المنهزمين ولا يخاف من الجيوش الإسلامية ويرد أهل الأرض إلى ملة النصرانية ثم أن العجوز كانت أمرت

الملك الأكبر أفريدون أن يزين البلد فأظهروا السرور وشربوا الخمور وما علموا بالمقدور فبينما هم في وسط الأفراح إذ نعق عليهم غراب الحزن والأتراح وأقبلت عليهم العشرون مركباً الهاربة وفيها ملك الروم فقابلهم أفريدون ملك القسطنطينية على الساحل وأخبروه بما جرى لهم من المسلمين فزاد بكـاؤهم وعـلا نحيـبهم وأنقلبت بشارات الخير بالغم والضير وأخبروه أن لوقا بن شملوط حلت به النوائب وتمكن منه سـهم المنيـة الصائب فقامت على الملك أفر يدون القيامة وعلم أن أعوجاجهم ليس له استقامة وقامت بينهم المآتم وانحلـت منهم العزائم وندبت النوادب وعلا النحيب والبكاء من كل جانب ولما دخل ملك الروم أفـر يـدون وأخبـره بحقيقة الحال وأن هزيمة المسلمين كانت على وجه الخداع والمحال قال له لا تنتظر أن يصل من العسكر إلا من وصل إليك فلما سمع الملك أفر يدون ذلك الكلام وقع مغشياً عليه وصار أنفه تحت قدميه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك أفر يدون لما آفاق من غشيته نفض الخوف جراب معدته فشكا إلى العجوز ذات الدواهي وكانت تلك اللعينة كاهنة من الكهان ومتقنة للسحر والبهتان عاهرة مكـارة فـاجرة غدارة ولها فم أبخر وجفن أحمر وخد أصفر بوجه أغبش وطرف أعمش وجسم أجرب وشعر أشهب وظهـر أحدب ولون حائل ومخاط سائل لكنها قرأت كتب الإسلام وسافرت إلى بيت ا الحرام كل ذلك لتطلع علـى الأدبار وتعرف آيات القرآن ومكثت في بيت المقدس سنتين لتحوز مكر الثقلين فهي آفة من الأفات وبلية من البليات فاسدة الأعتقاد ليست لدين تنقاد وكانت أكثر أقامتها عند ولدها حر دوب ملك الروم لأجل الجـواري الأبكار لأنها كانت تحب السحاق وأن تأخر عنها تكون في أنمحاق وكل جاريـة أعجبتهـا تعلمهـا الحكمـة وتسحق عليها الزعفران فيغشى عليها من فرط اللاذة مدة من الزمان فمن طاوعتها أحسنت إليها ورعيت ولدها فيها ومن لا تطاوعها تتحايل على هلاكها وبسبب ذلك علمت مرجانة وريحانة وأترجة جواري أبريزة وكانت الملكة أبريزة تكره العجوز وتكره أن ترقد معها لأن صنانها يخرج من تحت أبطيها ورائحة فسائها أنتن من الجيفة وجسدها أخشن من الليفة وكانت ترغب من يساحقها بالجواهر والتعليم وكانت ابريزه تبرأ منهـا إلـى الحكيم العليم و در القائل.

يـا مـن تسـفل للغنـى مذلـة	وعلـى الفقيـر لقـد عـلا تباهـا
ويـزين شـنعته بجمـع دراهـم	عطـر القبيحـة لا يبقـى بفسـاها

ولنرجع إلى حديث مكرها ودواهي أمرها ثم أنها سارت وسار معها عظماء النصـارى وعسـاكرهم وتوجهوا إلى عسكر الإسلام وبعدها دخل الملك أفر يدون على ملك الروم وقال له أيها الملك لنا حاجة بـأمر الطريق الكبير ولا بدعائه بل نعمل برأي أمي ذات الدواهي وننظر ما تعمل بخداعها غير المتناهي مع عسكر المسلمين فإنهم بقوتهم واصلون إلينا وعن قريب يكونون لدينا ويحيطون بنا فلما سمع الملك أفر يـدون ذلـك الكلام عظم في قلبه فكتب من وقته وساعته إلى سائر أقاليم النصارى يقول لهم ينبغي أن لا يتخلف أحد مـن أهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية خصوصاً أهل الحصون والقلاع بل يأتون إلينا جميعاً رجالاً وركباناً ونساء وصبياناً فإن عسكر المسلمين قد وطئوا أرضنا فالعجل العجل قبل حلول الوجل هذا ما كان من أمـر

هؤلاء (وأما) ما كان من أمر العجوز ذات الدواهي فإنها طلعت خارج البلد مع أصحابها والبستهم زي تجار المسلمين وكانت قد أخذت معها مائة بغل محملة من القماش الأنطاكي ما بين أطلس معدني وديبـاج ملكـي وغير ذلك وأخذت من الملك أفر يدون كتاباً مضمونه أن هؤلاء التجار من أرض الشام وكانوا في ديارنا فلا ينبغي أن يتعرض لهم أحد بسوء عشراً أو غيره حتى يصلوا إلى بلادهم و محل أمنهم لأن التجار بهم عمار البلاد وليسوا من أهل الحرب والفساد ثم أن الملعونة ذات الدواهي قالت لمن معها أنني أريد أن أدبـر حيلـة على هلاك المسلمين فقالوا لها أيتها الملكة أؤمرينا بما شئت فنحن تحت طاعتك فلا أحـبط المسـيح عملـك فلبست ثياباً من الصوف الأبيض الناعم وحكت جبينها حتى صار له وسم ودهنته بدهان دبرته حتى صار له ضوء عظيم وكانت الملعونة نحيلة الجسم غائرة العينين فقيدت رجليها من فوق قدميها وسارت حتى وصـلت إلى عسكر المسلمين ثم حلت القيد من رجليها وقد أثر القيد في ساقيها ثم دهنتهما بدم الأخوين وأمـرت مـن معها أن يضربوها ضرباً عنيفاً وأن يضعوها في صندوق فقالوا لها كيف نضربك وأنت سيدتنا ذات الدواهي أم الملك الباهي فقالت لا لوم ولا تعنيف على من يأتي الكنيف ولا جل الضرورات تباح المحظورات وبعد أن تضعوني في الصندوق خذوه في جملة الأموال وأحملوه على البغال ومروا بذلك بين عسـكر الإسـلام ولا تخشوا شيئاً من الملام وأن تعرض لكم أحد من المسلمين فسلموا له البغال وما عليها من الأموال وأنصـرفوا إلى ملكهم ضوء المكان واستغيثوا به وقولوا له نحن كنا في بلاد الكفرة ولم يأخذوا منا شيئاً بل كتبـوا لنـا توقيعاً أنه لا يتعرض لنا أخذ فكيف تأخذون أنتم أموالنا وهذا كتاب ملك الروم الذي مضمونه أن لا يتعـرض لنا أحد بمكروه فإذا قال وما الذي ربحتموه من بلاد الروم في تجارتكم فقولوا له ربحنا خلاص رجل زاهـد وقد كان في سرداب تحت الأرض له فيه نحو خمسة عشر عاماً وهو يستغيث فلا يغاث بل يعذبه الكفار ليلاً ونهاراً ولم يكن عندنا علم بذلك مع أننا أقمنا في القسطنطينية مدة من الزمان وبعنا بضائعنا وأشترينا خلافها وجهزنا حالنا وعزمنا على الرحيل إلى بلادنا وبتنا تلك الليلة نتحدث في أمر السفر فلما أصبحنا رأينا صورة مصورة في الحائط فلما قربنا منها تأملناها فإذا هي تحركت وقالت يا مسلمين هـل فـيكم مـن يعامـل رب العالمين فقلنا وكيف ذلك فقالت تلك الصورة أن الله أنطقني لكم ليقوي يقينكم ويلهمكم دينكم وتخرجوا من بلاد الكافرين وتقصدوا عسكر المسلمين فإن فيهم سيف الرحمن وبطل الزمان الملك شركان وهـو الـذي يفـتح القسطنطينية ويهلك أهل الملة النصرانية فإذا قطعتم سفر ثلاثة أيام تجدو ديراً يعرف بدير مطر وحنـا وفيـه صومعة فأقصدوا بصدق نيتكم وتحيلوا على الوصول إليها بقوة عزيمتكم لأن فيها رجلاً عابـداً مـن بيـت المقدس أسمه عبد الله وهو من أدين الناس وله كرامات تزيح الشك والألباس قد خدعته بعض الرهبان وسجنه في سرداب له فيه مدة مديدة من الزمان وفي إنقاذه وضارب العباد لأن فكاكه من أفضل الجهاد ثم أن العجوز لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام من تلك الصورة علمنا أن ذلك العابد. وأدركنـا شـهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما اتفقت مع من معها على الكلام قالت فإذا ألقى إليكم الملك شركان سمعه فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا أن ذلك العابد من أكابر الصالحين وعباد

المخلصين فسافرنا مدة ثلاثة أيام ثم رأينا ذلك الدير فعرجنا عليه وملنا إليه وأقمنا هناك يوماً في البيع والشراء على عادة التجار فلما ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار قصدنا تلك الصومعة التي فيها السعر داب فسمعناه بعد تلاوة الآيات ينشد هذه الأبيات:

كيدا كايده وصدري ضيق	وجرى بقلبي بحرهم مغرق
إن لم يكن فرج فموت عاجل	أن الحمام من الزرايا أرفق
يا برق أن جئت الديار وأهلها	وعلا عليك من البشائر رونق
كيف السبيل إلى اللقاء وبيننا	تلك الحروب وباب رهن مغلق
بلغ أحبتنا السلام وقل لهم	أني بدير الروم قاص موثق

ثم قالت إذا وصلتم بي إلى عسكر المسلمين وصرت عندهم أعرف أدير حيلة في خديعتهم وقتلهم عن آخرهم فلما سمع النصارى كلام العجوز قبلوا يديها ووضعوها في الصندوق بعد أن ضربوها أشد الضربات الموجعات تعظيماً لها لأنهم يرون طاعتها من الواجبات ثم قصدوا بها عسكر المسلمين كما ذكرنا هذا أما كان من أمر اللعينة ذات الدواهي ومن معها (وأما) ما كان من أمر عسكر المسلمين فإنهم لما نصرهم الله على أعدائهم وغنموا ما كان في المراكب من الأموال والذخائر قعدوا يتحدثون مع بعضهم فقال ضوء المكان لأخيه أن الله عز وجل قد نصرنا بسبب عدلنا وأنقيادنا لبعضنا فكن ياشركان متمثلاً أمري في طاعة الله فقال شركان حباً وكرامة ومد يده إلى أخيه وقال أن بناءك ولد أعطيته أبنتي قضى فكان ففرح بذلك وصار يهني بعضهم بعضاً بالنصر على الأعداء وهنأ الوزير دندان شركان وأخاه وقال لهما أعلما أيها الملكان أن الله عز وجل نصرنا حيث وهبنا أنفسنا وهجرنا الأهل والأوطان والرأي عندي أن ترحل ورائهم ويحاصرهم ونقاتلهم لعل الله أن يبلغنا مرادنا ونستأصل أعدائنا وأن شئتم فأنزلوا في هذه المراكب وسيروا في البحر ونحن نسير في البر ونصبر على القتال والطعن والنزل ثم أن الوزير دندان مازال يحرضهم على القتال وأنشد قول من قال:

أطيب الطيبات قتل الأعادي	واحتمالي على ظهور الجياد
ورسول يأتي بوعد حبيب	وحبيب يأتي بلا ميعاد

وقال آخر:

وأن عمرت جعلت الحرب والدة	والمشرفي أخا والسمهري أبا
بكل أشعث يلقى الموت مبتسماً	حتى كان له في قتله إربا

لما فرغ الوزير دندان من شعره قال سبحان من أيدنا بنصره العزيز وأظفرنا بغنيمة الفضة والأبريز ثم أمر ضوء المكان العسكر بالرحيل فسافروا طالبين القسطنطينية وجدوا في سيرهم حتى أشرفوا على مرج فسيح وفيه كل شيء مليح ما بين وحوش تمرح وغزلان تسنح وكانوا قد قطعوا مفاوز كثيرة وانقطع عنهم الماء ستة أيام فلما أشرفوا على ذلك المرج نظروا تلك العيون التابعة والأثمار اليانعة وتلك الأرض كأنها جنة أخذت زخرفها وأزينت وسكرت أغصانها من رحيق الظل فتمايلت وجمعت بين عذوبة التنسيم فتدهش العقل والناظر كما قال الشاعر:

انظـر إلـى الـروض النضـير كأنمـا نشـرت عليـه مـلاءة خضـراء
أن مـا سـنحت بلحـظ عينـك لا تـري إلا غـديراً جـال فيـه المـاء
وتـرى بنفسـك عـزة فـي دوحـة أذ فـوق رأسـك حيـث سـرت لـواء

وما أحسن قول الآخر:

النهـر خـد بالشـعاع مـورد قـد دب فيـه عـذار ظـل البـان
والمـاء فـي سـوق الغصـون خلاخـل مـن فضـة والزهـر كالتيجـان

فلما نظر ضوء المكان إلى ذلك المرج الذي التفت أشجاره وزهت أزهاره وترنمت أطياره نادى أخـاه شركان وقال له يا أخي أن دمشق ما فيها مثل هذا المكان فلا نرحل منه إلا بعد ثلاثة أيام حتى نأخذ راحـة لأجل أن تنشط عساكر الإسلام ونقوي نفوسهم على لقاء الكفرة اللئام فأقاموا فيه فبينما هم كـذلك إذ سـمعوا أصواتاً من بعيد فسأل عنهم ضوء المكان فقيل أنها قافلة تجار من بلاد الشام كانوا نازلين في هـذا المكـان للراحة ولعل العساكر صادفوهم وربما أخذوا شيئاً من بضائعهم التي معهم حيث كانوا في بلاد الكفار وبعـد ساعة جاء التجار وهم صارخون يستغيثون يا لئك فلما رأى ضوء المكان ذلك أمر بإحضارهم فحضروا بين يديه وقالوا أيها الملك أنا كنا في بلاد الكفار ولم ينهبوا منها شيئاً فكيف تنهب أموالنا أخواننا المسلمون ونحن في بلادهم فإننا لما رأينا عساكركم أقبلنا عليهم فأخذوا ما كان معنا وقد أخبرناك بما حصل لنا ثم أخر جواله كتاب ملك القسطنطينية فأخذ شركاه وقرأه ثم قال لهم سوف نرد عليكم ما أخذ منكم ولكن كان الواجب أن لا تحملوا تجارة إلى بلاد الكفار فقالوا يا مولانا أن ا سيرنا إلى بلادهم لنظفر بما لم يظفر به أحد من الغـزاة ولا أنتم في غزوتكم فقال له شركان وما الذي ظفرتم به فقالوا ما نذكر لك ذلك إلا في خلوة لأن هذا الأمر إذا شاع بين الناس ربما اطلع عليه أحد فيكون ذلك سبباً لهلاكنا وهلاك كل من توجه علـى بـلاد الـروم مـن المسلمين وكانوا قد خبئوا الصندوق الذي فيه اللعينة ذات الدواهي فأخذهم ضوء المكان وأخوه واختليـا بهـم فشرحوا لهما حديث الزاهد وصاروا يبكون حتى أبكوهما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن النصارى الذين في هيئة التجار لما اختلى بهم ضوء المكـان وأخـوه شركان شرحوا لهما حديث الزاهد وبكوا حتى أبكوهما وأخبروهما كما أعلمتهم الكاهنة ذات الـدواهي فـرق قلب شركان للزاهد وأخذته الرأفة عليه وقامت به الحمية تعالى وقال لهم هل خلصتم هذا الزاهد أم هو في الدير إلى الآن فقالوا بل خلصناه وقتلنا صاحب الدير من خوفنا على أنفسنا ثم أسرعنا في الهرب خوفاً مـن العطب وقد أخبرنا بعض الثقات أن في هذا الدير قناطير من الذهب والفضة والجواهر ثم بعـد ذلـك أتـوا بالصندوق وأخرجوا منه تلك الملعونة كأنها قرن خيار شنبر من شدة السواد والنحول وهـي مكبلـة بتلـك السلاسل والقيود فلما نظرها ضوء المكان هو والحاضرون فظنوا أنه رجل من خيار العبـاد ومـن أفضـل الزهاد خصوصاً وجبينها يضيء من الدهان الذي دهنت به وجهها فبكى ضوء المكان وأخوه بكاء شديداً ثـم قاموا إليها وقبلا يديها ورجليها وصار ينتحبان فأشارت إليهما وقالت كفا عن هذا البكاء وأسمعا كلامي فتركا البكاء امتثالاً لأمرها فقالت أعلما أني قد رضيت بما صنعه بي مولاي لأني أرى أن البلاء الـذي نـزل بـه


امتحان منه عز وجل ومن لم يصبر على البلاء والمحن فليس له وصول إلى جنات النعيم وكنت أتمنى أنـي أعوذ إلى بلادي لا جزعاً من البلاء الذي حل بي بل لأجل أن أموت تحت حوافر خيل المجاهدين الذين هـم بعد القتل أحياء غير أموات ثم أنشدت هذه الأبيات:

الحصـن طـور ونـار الحـرب موقـدة   وأنـت موسـى وهـذا الوقـت ميقـات

الق العصـا تتلقـف كـل مـا صـنعوا   ولا تخـف مـا حبـال القـوم حيـات

فأقرأ سطور العدا يـوم الـوغي سـورا   فـإن سـيفك فـي الأعنـاق أيـات

فلما فرغت العجوز من شعرها تناثرت من عينيها المدامع وجبينها بالدهان كالضوء اللامع فقام إليهـا شركان وقبل يدها وأحضر لها الطعام فامتنعت وقالت أن لم أفطر من مدة خمسة عشر عاماً فكيف أفطر فـي هذه الساعة وقد جاد على المولى بالخلاص من أسر الكفار ودفع عني ما هو أشق من عذاب النار فأنا أصبر إلى الغروب فلما جاء وقت العشاء أقبل شركان هو وضوء المكان وقدما إليها الأكل وقالا لها كل أيها الزاهد فقالت ما هذا وقت الأكل وأنما هذا وقت عبادة الملك الديان ثم انتصبت في المحراب تصلي إلـى أن ذهـب الليل ولم تزل على هذه الحالة ثلاثة أيام بلياليها وهي لا تقعد إلا وقت التحية فلما رآها ضوء المكان على تلك الحالة ملك قلبه حسن الآعتقاد فيها وقال لشركان أضرب خيمة من الأديم لذلك العابد ووكل فراشـاً بخدمتـه وفي اليوم الرابع دعت بالطعام فقدموا لها من الألوان ما تشتهي إلا نفس وتلذ الأعين فلم تأكل من ذلك كله إلا رغيفاً واحداً بملح ثم نوت الصوم ولما جاء الليل قامت إلى الصلاة فقال شركان لضوء المكان أما هذا الرجل فقد زهد الدنيا غاية الزهد ولولا هذا الجهاد لكنت لازمته وأعبد ا بخدمته حتى ألقاه وقد اشتهيت أن أدخـل معه الخيمة وأتحدث معه ساعة فقال له ضوء المكان وأنا كذلك ولكن نحن فـي غـد ذاهبـون إلـى غـزو القسطنطينية ولم نجد لنا ساعة مثل هذه الساعة فقال الوزير دندان وأنا الآخر اشتهي أن أرى هذا الزاهد لعله يدعو لي بقضاء نحبي في الجهاد ولقاء ربي فإني زهدت الدنيا فلما جن عليهم الليل دخلوا على تلك الكاهنـة ذات الدواهي في خيمتها فرأوها قائمة تصلي فدنوا منها وصاروا يبكون رحمة لها وهي لا تلتفت إليهم إلى أن انتصف الليل فسلمت من صلاتها ثم أقبلت عليهم وحيتهم وقالت لهم لماذا جئتم فقالوا لها أيهـا العابـدة أمـا سمعت بكاءنا حولك فقالت أن الذي يقف بين يدي ا لا يكون له وجود في الكون حتى يسمع صوت أحداً أو يراه ثم قالوا أننا نشتهي أن تحدثنا بسبب أسرك وتدعو لنا في هذه الليلة فإنها خير لنا من ملك القسـطنطينية فلما سمعت كلامهم قالت وا لولا أنكم أمراء المسلمين ما أحدثكم بشيء من ذلك أبداً فإني لا أشكو إلا إلـى ا وهما أنا أخبركم بسبب أسري اعلموا أنني كنت في القدس مع بعض الأبدال وأرباب الأحوال وكنـت لا أتكبر عليهم لأن ا سبحانه وتعالى أنعم علي بالتواضع والزهد فاتفق أنني توجهت إلى البحر ليلة ومشـيت على الماء فداخلني العجب من حيث لا أدري وقلت في نفسي من مثلي يمشي على الماء فقسا قلبي من ذلـك الوقت وابتلاني ا تعالى بحب السفر فسافرت إلى بلاد الروم وجلت في أقطارها سنة كاملة حتى لـم أتـرك موضعاً إلا عبدت ا فيه فلما وصلت إلى هذا المكان صعدت إلى هذا الجبل وفيه ديـر راهـب يقـال لـه مطروحنا فلما رآني خرج إلي وقبل يدي ورجلي وقال إني رأيتك منذ دخلت بلاد الروم وقد شوقتني إلى بلاد الإسلام ثم أخذ بيدي وأدخلني في ذلك الدير ثم دخل بي إلى بيت مظلم فلما دخلت فيه غافلني وأغلـق علـي

الباب وتركني فيه أربعين يوماً من غير طعام ولا شراب وكان قصده بذلك قتلي صبراً فاتفق في بعض الأيام أنه دخل ذلك الدير بطريق يقال له دقيانوس ومعه عشرة من الغلمان ومعه ابنة يقال لها تماثيل ولكنهـا فـي الحسن ليس لها مثيل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز ذات الدواهي قالت أن البطريق دخل علي ومعه عشرة مـن الغلمان ومعه ابنة في غاية الجمال ليس لها مثيل فلما دخلوا الدير أخبرهم الراهب مطروحنا بخبـري فقـال البطريق أخرجوه لأنه لم يبق من لحمه ما يأكله الطير ففتحوا باب ذلك البيت المظلم فوجدوني منتصـباً فـي المحراب أصلي وأقرأ وأسبح وأتضرع إلى الله تعالى فلما رأوني على تلك الحالة قال مطروحنا أن هذا ساحر من السحرة فلما سمعوا كلامه قاموا جميعاً ودخلوا علي وأقبل علي دقيانوس هو وجماعته وضربوني ضـرباً عنيفاً فعند ذلك تمنيت الموت ولمت نفسي وقلت هذا جزاء من يتكبر ويعجب بما أنعم عليه ربه مما ليس في طاقته وأنت يا نفسي قد داخلك العجب والكبر أما علمت أن الكبر يغضب الرب ويقسي القلب ويدخل الإنسان في النار ثم بعد ذلك قيدوني وردوني إلى مكاني وكان سرداباً في ذلك البيت تحت الأرض وكل ثلاثـة أيـام يرمون إلى قرصة من الشعير وشربة من ماء وكل شهر أو شهرين يأتي البطريق ويدخل ذلك الـدير وقـد كبرت أبنته تماثيل لأنها كانت بنت تسع سنين حين رأيتها ومضى لي في الأسر خمس عشرة سـنة فجملـة عمرها أربعة وعشرون عاماً وليس في بلادنا ولا في بلاد الروم أحسن منها وكان أبوها يخاف عليهـا مـن الملك أن يأخذها منه لأنها وهبت نفسها للمسيح غير أنها تركب مع أبيها في زي الرجال الفرسان وليس لهـا مثيل في الحسن ولم يعلم من رآها أنها جارية وقد خزن أبوها أمواله في هذا الدير لان كل من كـان عنـده شيء من نفائس الدخائر يضعه في ذلك الدير وقد رأيت فيه من أنواع الذهب والفضـة والجـواهر وسـائر الألوان والتحف مالا يحصى عدده إلا الله فأنتم أولى به من هؤلاء الكفرة فخذوا ما في هذا الدير وأنفقوه على المسلمين وخصوصاً المجاهدين ولما وصل هؤلاء التجار إلى القسطنطينية وباعوا بضـاعتهم كلمـتهم تلـك الصورة التي في الحائط كرامة أكرمني الله بها فجاءوا إلى ذلك الدير وقتلوا البطريـق مطروحنـا بعـد أن عاقبوه أشد العقاب وجروه من لحيته فدلهم على موضعي فأخذوني ولم يكن لهم سبيل إلا الهرب خوفـاً مـن العطب وفي ليلة غد تأتي تماثيل إلى ذلك الدير على عادتها ويلحقها أبوها مع غلمانه لأنه يخاف عليها فـإن شئتم أن تشاهدوا هذا الأمر فخذوني بين أيديكم وأنا أسلم إليكم الأموال وخزانة البطريق دقيانوس التـي فـي ذلك الجبل وقد رأيتهم يخرجون أواني الذهب والفضة يشربون فيها ورأيت عندهم جارية تغني لهم بـالعربي فواحسرتاه لو كان الصوت الحسن في قراءة القرآن وأن شئتم فأدخلوا ذلك الدير وأكمنوا فيه إلـى أن يصـل دقيانوس وتماثيل معه فخذوها فإنها لا تصلح إلا لملك الزمان شركان وللملك ضوء المكان ففرحوا بذلك حين سمعوا كلامها إلا الوزير دندان فإنه ما دخل كلامها في عقله وأنما كان يتحدث معها لأجـل خـاطر الملـك وصار باهتاً في كلامها ويلوح على وجهه علامة الأنكار عليها فقالت العجوز ذات الدواهي إنـي أخـاف أن يقبل البطريق وينظر هذه العساكر في المرج فما يجسر أن يدخل الدير فأمر السلطان العسكر أن يرحلوا إلى صوب القسطنطينية وقال ضوء المكان إن قصدي أن نأخذ معنا مائة فارس وبغالاً كثيرة ونتوجه إلـى ذلـك

الجبل ونحملهم المال الذي في الدير ثم أرسل من وقته وساعته إلى الحاجب الكبير فأحضره بين يديه وأحضر المقدمين والأتراك والديلم وقال إذا كان وقت الصباح فأرحلوا إلى القسطنطينية وأنت أيهـا الحاجـب تكـون عوضاً عني في الرأي والتدبير وأنت يا رستم تكون نائباً عن أخي في القتال ولا تعلموا أحداً أننا لسنا معكـم وبعد ثلاثة أيام نلحقكم ثم أنتخب مائة فارس من الأبطال وأنحاز هو وأخوه شركان والوزير دنـدان والمائـة فارس وأخذوا معهم البغال والصناديق لأجل حمل المال. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه لما أصبح الصباح نادى الحاجب بين العسكر بالرحيل فرحلـوا وهـم يظنون أن شركان وضوء المكان والوزير دندان معهم ولم يعلموا أنهم ذهبوا إلى الدير هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر شركان وأخيه ضوء المكان والوزير دندان فإنهم أقاموا إلى آخر النهار وكانت الكفار أصحاب ذات الدواهي رحلوا خفية بعد أن دخلوا عليها وقبلوا يديها ورجليها واستأذنوها في الرحيل فأذنـت لهم وأمرتهم بما شاءت من المكر فلما جن الظلام قالت العجوز لضوء المكان هو وأصحابه قوموا معي إلـى الجبل وخذوا معكم قليلاً من العسكر فأطاعوها وتركوها في سفح الجبل مع خمسة فوارس بـين يـدي ذات الدواهي وصارت عندها قوة من شدة فرحها وصار ضوء المكان يقول سبحان من قوى هذا الزاهد الذي مـا رأينا مثله وكانت الكاهنة قد أرسلت كتاباً على أجنحة الطير إلى ملك القسطنطينية تخبره بما جرى وقالت في آخر الكتاب أريد أن تنفذ لي عشرة آلاف فارس من شجعان الروم يكون سيرهم في سفح الجبل خفية لأجـل أن لا يراهم عسكر الإسلام ويأتون إلى الدير ويكمنون فيه حتى أحضر إليهم ومعي ملك المسـلمين وأخـوه فأني خدعتهما وجئت بهما ومعهما الوزير ومائة فارس لاغير وسوف أسلم إليهم الصلبان التي في الدير وقـد عزمت على قتل الراهب مطروحنا لأن الحيلة لا تتم إلا بقتله فإن تمت الحيلة فلا يصل من المسـلمين إلـى بلادهم لا ديار ولا من ينفخ النار ويكون مطروحنا فداء لأهل الملة النصرانية والعصابة الصـليبية والشـكر للمسيح أولاً وآخراً فلما وصل الكتاب إلى القسطنطينية جاء براج الحمام إلى الملك أفريدون بالورقـة فلمـا قرأها أنفذ من الجيش وقته وجهز كل واحد بفرس وهجين وبغل وزاد وأمرهم أن يصلوا إلى ذلك الدير هـذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر الملك ضوء المكان وأخيه شركان والوزير دنـدان والعسـكر فإنهم لما وصلوا إلى الدير دخلوه فرأوا الراهب مطروحنا قد أقبل لينظر حالهم فقال الزاهد اقتلوا هذا اللعـين فضربوه بالسيوف وأسقوه كأس الحتوف ثم مضت بهم الملعونة إلى موضع النذور فـأخرجوا منـه التحـف والذخائر أكثر مما وصفته لهم وبعد أن جمعوا ذلك وضعوه في الصناديق وحملوه على البغال وأمـا تماثيـل فإنها لم تحضر هي ولا أبوها خوفاً من المسلمين فأقام ضوء المكان في انتظارها ذلك النهار وثاني يوم وثالث يوم فقال شركان وا أن قلبي مشغول بعسكر الإسلام ولا أدري ما حالهم فقال أخوه أنا قد أخذنا هذا المـال العظيم وما أظن أن تماثيل ولا غيرها يأتي إلى هذا الدير بعد أن جري لعسكر الروم ما جرى فينبغـي أننـا نقنع بما يسره ا لنا ونتوجه لعل ا يعيننا على فتح القسطنطينية ثم نزلوا من الجبل فما أمكن ذات الدواهي أن تتعرض لهم خوفاً من التفطن لخداعها ثم أنهم ساروا إلى أن وصلوا إلى باب الشعب وإذا بـالعجوز قـد أكمنت لهم عشرة آلاف فارس فلما رأوهم اشتاطوا بهم من كل جانب وأسرعوا نحو الرماح وجردوا علـيهم



بيض الصفاح ونادى الكفار بكلمة كفرهم وفرقعوا سهام شرهم فنظر ضوء المكان وأخوه شركان والوزير دندان إلى هذا الجيش فرأوه جيشاً عظيماً وقالوا من أعلم هذه العساكر بنا فقال شركان يا أخي ما هذا وقت كلام بل هذا وقت الضرب بالسيف والرمي بالسهام فشدوا عزمكم وقووا نفوسكم فإن هذا الشعب مثل الدرب له بابان وحق سيد العرب والعجم لولا أن هذا المكان ضيق لكنت أفنيتهم ولو كانوا مائة ألف فارس فقال ضوء المكان لو علمنا ذلك لأخذنا معنا خمسة آلاف فارس فقال الوزير دندان لو كان معنا عشرة آلاف فارس في هذا المكان الضيق لا تفيدنا شيئاً ولكن ا يعيننا عليهم وأنا أعرف هذا الشعب وضيقه وأعرف أن فيها مفاوز كثيرة لأني قد غزوت فيه مع الملك عمر النعمان حين حاصرنا القسطنطينية وكنا نقيم فيه وفيه ماء أبرد من الثلج فانهضوا بنا لنخرج من هذا الشعب قبل أن يكثر علينا عساكر الكفار ويسبقونا إلى رأس الجبل فيرموا علينا الحجارة ولا نملك فيهم أرباً فأخذوا في الأسراع بالخروج من ذلك الشعب فنظر إليهم الزاهد وقال لهم ما هذا الخوف وأنتم قد بعتم انفسكم تعالى في سبيله وا أني مكثت مسجوناً تحت الأرض خمسة عشر عاماً ولم أعترض على ا فيما فعل بي فقاتلوا في سبيل ا فمن قتل منكم فالجنة مأواه ومن قتل فإلى الشرف مسعاه فلما سمعوا من الزاهد هذا الكلام زال عنهم الهم والغم وثبتوا حتى هجمت عليهم الكفار من كل مكان ولعبت في أعناقهم السيوف ودارت بينهم كأس الحتوف وقاتل المسلمون في طاعة ا أشد قتال واعملوا في أعدائهم إلا سنة والنصال وصار ضوء المكان يضرب الرجال ويجندل الأبطال ويرمي رءوسهم خمسة خمسة وعشرة عشرة حتى أفنى منهم عدداً لا يحصى ورجالاً لا يستقصي فبينما هو كذلك إذ نظر الملعونة وهي تشير بالسيف إليهم وتقويهم جانب وكل من خاف يهرب إليها وصارت تومىء غليهم بقتل شركان فيملون إلى قتله فرقة بعد فرقة وكل فرقة حملت عليه يحمل عليها ويهزمها وتأتي بعدها فرقة أخرى حاملة عليه فيردها بالسيف على أعقابها فظن أن نصره عليهم ببركة العابد وقال في نفسه أن هذا العابد قد نظر ا إليه بعين عنايته وقوي عزمي على الكفار بخالص نيته فأراهم يخافونني ولا يستطيعون الأقدام على بل كلما حملوا علي يولون الأدبار ويركنون إلى الفرار ثم قاتلوا بقية يومهم إلى آخر النهار ولما أقبل الليل نزلوا في مغارة من ذلك الشعب من كثرة ما حصل لهم من الوبال ورمى الحجارة وقتل منهم في ذلك اليوم خمسة وأربعون رجلاً ولما اجتمعوا مع بعضهم فتشوا على ذلك الزاهد فلم يروا له أثر فعظم عليهم ذلك وقالوا لعله استشهد فقال شركان أنا رأيته يقوي الفرسان بالإشارة الرباتيه ويعيذهم بالآيات الرحمانية فبينما هم في الكلام وإذا يا لملعونة ذات الدواهي قد أقبلت وفي يدها رأس البطريق الكبير الرئيس على العشرين الفاً وكمان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً وقد قتله رجل من الأتراك بسهم فعجل ا بروحه إلى النار فلما رأى الكفار ما فعل ذلك المسلم بصاحبهم مالوا بكليتهم عليه وأوصلوا الأذية إليه وقطعوه بالسيوف فعجل ا به إلى الجنة ثم أن المعونة قطعت رأس ذلك البطريق وأتت بها والقتها بين يدي شركان والملك ضوء المكان والوزير دندان فلما رآها شركان وثب قائماً على قدميه وقال الحمد على رؤيتك أيها العابد المجاهد الزاهد فقالت ولدي أني قد طلبت الشهادة في هذا اليوم فصرت أرمي روحي بين عسكر الكفار وهم يهابونني فلما أنفصلتم أخذتني الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير رئيسهم وكأنه بعد بألف فارس فضربته حتى أطحت رأسه عن بدنه ولم يقدر أحد من الكفار أن يدنو مني وأتيت برأسه إليكم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن اللعينة ذات الدواهي قالت أتيت برأسه إليكم لتقوي نفوسكم على الجهاد وترضوا بسيوفكم رب العبد وأريد أن أشغلكم في الجهاد واذهب إلى عسكركم ولو كانوا على باب القسطنطينية وآتيكم من عندهم بعشرين ألف فارس يهلكون هؤلاء الكفرة فقال شركان وكيف تمضي عليهم أيها الزاهد والوادي مسدود بالكفار من كل جانب فقالت الملعونة ا يسترني عن أعينهم فلا يرونني ومن رآني لا يجسر أن يقبل على فأني في ذلك الوقت أكون فانياً في ا وهو يقاتل عني أعداءه فقال شركان صدقت أيها الزاهد لأني شاهدت ذلك وإذا كنت تقدر أن تمضي أول الليل يكون أجود لنا فقال أنا أمضي في هذه الساعة وأن كنت تريد أن تجيء معي ولا يراك أحد فقم وأن كنت أخوك يذهب معنا أخذناه دون غيره فإن ظل الولي لا يستر غير أثنين فقال شركان أما أنا فلا أترك أصحابي ولكن إذا كان أخي يرضى بذلك فلا بأس حيث ذهب معك وخاص من هذا الضيق فإنه هو حصن المسلمين وسيف رب العالمين وأن شاء فليأخذ معه الوزير دندان أو من يختار ثم يرسل إلينا عشرة آلاف فارس أعانة على هؤلاء اللئام واتفقوا على هذا الحال ثم أن العجوز قالت أمهلوني حتى اذهب قبلكم وانظر حال الكفرة هل هم نيام أو يقظانون فقالوا ما نخرج إلا معك ونسلم أمرنا فقالت إذا طاوعتكم لا تلومونى ولوموا أنفسكم فالرأي عندي أن تمهلوني حتى اكشف خبرهم فقال شركان أمض إليهم ولا تبطيء علينا لاننا ننتظرك فعند ذلك خرجت ذات الدواهي وكان شركان حدث أخاه بعد خروجهما وقال لولا أن هذا الزاهد صاحب كرامات ما قتيل هذا البطريق الجبار وفي هذا القدر كفاية في كرامة هذا الزاهد وقد انكسرت شوكة الكفار بقتل هذا البطريق لأنه كان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً فبينما هم يتحدثون في كرامات الزاهد وإذا باللعينة ذات الدواهي قد دخلت عليهم ووعدتهم بالنصر على الكفرة فشكروا الزاهد على ذلك ولم يعلموا أن هذا حيلة وخداع ثم قالت اللعينة أين ملك الزمان ضوء المكان فأجابها بالتلبية فقالت له خذ معك وزيرك وسر خلفي حتى نذهب إلى القسطنطينية وكانت ذات الدواهي قد اعلمت الكفار بالحيلة التي عملتها ففرحوا بذلك غاية الفرح وقالوا ما يجبر خاطرنا إلا قتل ملكهم في نظير قتل البطريق لأنه لم يكن عندنا أفرس منه وقالوا لعجوز النحس ذات الدواهي حين أخبرتهم بأنها تذهب إليهم بملك المسلمين إذا أتيت به نأخذه إلى الملك أفريدون ثم أن العجوز ذات الدواهي توجهت وتوجه معها ضوء المكان والوزير دندان وهي سابقة عليهما تقول لهما سيروا على بركة ا تعالى فأجاباها إلى قولها ونفذ فيهما سهم القضاء والقدر ولم تزل سائرة بهما حتى توسطت بهما بين عسكر الروم وصلوا إلى الشعب المذكور الضيق وعساكر الكفار ينظرون إليهم ولا يتعرضوا لهم بسوء لأن الملعونة أوصتهم بذلك فلما نظر ضوء المكان والوزير دندان إلى عساكر الكفار وعرفوا أن الكفار عاينوهم ولم يتعرضوا لهم قال الوزير دندان إلى وا أن هذه كرامة من الزاهد ولاشك أنه من الخواص فقال ضوء المكان وا ما أظن الكفار إلا عمياناً لأننا نراهم وهم لا يرونا فبينما هما في الثناء على الزاهد وتعداد كراماته وزهده عبادته وإذا بالكفار قد هجموا عليهما واحتاطوا بهما وقبضوا عليهما وقالوا هل معكما أحد غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان أما ترون هذا الرجل الآخر الذي بين أيدينا فقال لهم الكفار وحق المسيح والرهبان والجاثليق

والمطران أننا لم نر أحداً غيركما فقال ضوء المكان وا أن الذي حل بنا عقوبة لنا مـن ا تعـالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الكفار وضعوا القيود في أرجلهما وكلوا بهما من يحرسهما في المبيت فصارا يتأسفان ويقولان لبعضهماأن الاعتراض على الصالحين يؤدي إلى أكثر من ذلك وجزاؤنا ما حل بنـأ من الضيق الذي نحن فيه هذا ما كان من أمر ضوء المكان والوزير دندان (وأما) ما كان مـن أمـر الملـك شركان فإنه بات تلك الليلة فلما أصبح الصباح قام وصلى صلاة الصبح ثم نهض هو ومن معه من العسـاكر وتأهبوا إلى قتال الكفار وقوي قلوبهم شركان ووعدهم بكل خير ثم ساروا إلى أن وصلوا إلى الكفـار فلمـا رآهم الكفار من بعيد قالوا لهم يا مسلمين أنا أسرنا سلطانكم ووزيره الذي به انتظام أمركم وأن لـم ترجعـوا عن قتالنا قتلناكم عن آخركم وإذا سلمتم لنا أنفسكم فأننا نروح بكم إلى ملكنا فيصالحكم على أن تخرجوا مـن بلادنا وتذهبوا إلى بلادكم ولا تضرونا بشيء ولا نضركم بشيء فإن طاب خاطركم كان الحظ لكم وأن أبيـتم فما يكون إلا قتلكم وقد عرفناكم وهذا آخر كلامنا فلما سمع شركان كلامهم وتحقق أسر أخيه والوزير دنـدان عظم عليه وبكى وضعفت قوته وأيقن بالهلاك وقال في نفسه يا ترى ما سبب أسرهما هل حصل منهما أساءة أدب في حق الزاهد أو اعتراض عليه وما شأنهما ثم نهضوا إلى قتال الكفار فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وتبين في ذلك اليوم الشجاع من الجبان واختضب السيف والسنان وتهافتت عليهم الكفار تهافت الذباب على الشراب من كل مكان وما زال شركان ومن معه يقاتلون قتال من لا يخاف الموت ولا يعتريه في طلب الفرصـة فـوت حتى سال الوادي بالدماء وامتلأت الأرض بالقتلى فلما أقبل الليل تفرقت الجيوش وكل من الفريقين ذهب إلى مكانه وعاد المسلمون إلى تلك المغارة ولم يبق منهم إلا القليل ولم يكن منهم إلا على ا والسيف تعويل وقد قتل منهم في هذا النهار خمسة وثلاثون فارساً من الأمراء والأعيان وأن من قتل بسيفهم من الكفار آلاف من الرجال والركبان فلما عاين شركان ذلك ضاق عليه الأمر وقال لأصحابه كيف العمل فقال لـه أصـحابه لا يكون إلا ما يريده ا تعالى فلما كان ثاني يوم قال شركان لبقية العسكران خرجتم للقتال ما بقي مـنكم أحـد لأنه لم يبق عندنا إلا قليل من الماء والزاد والرأي الذي عندي فيه الرشاد ان تجردوا سيوفكم وتخرجوا وتقفوا على باب تلك المغارة لأجل أن تدفعوا عن أنفسكم كل من يدخل عليكم فلعل الزاهد أن يكـون وصـل إلـى عسكر المسلمين ويأتينا بعشرة آلاف فارس فيعينون على قتال الكفرة ولعل الكفار لم ينظروه هو ومن معـه فقال له أصحابه أن هذا الرأي هو الصواب وما في سداده أرتياب ثم أن العسكر خرجوا وملكوا باب المغارة ووقفوا في طرفيه وكل من أراد أن يدخل عليهم من الكفار يقتلوه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وصبروا على قتال الكفار إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار. وأدرك شهرزاد الصباح فسـكتت عـن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ١١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه عندما أقبل الليل لم يبق عند الملك شركان إلا خمسة وعشرون رجلاً لا غير فقال الكفار لبعضهم متى تنقضي هذه الأيام فأننا قد تعبنا من قتال المسلمين فقال بعضهم لبعض قوموا

نهجم عليهم فإنه لم يبق منهم إلا خمسة وعشرون رجلاً فإن لم نقدر عليهم نضرم عليهم النار فـإن إنقـادوا وسلموا أنفسهم إلينا أخذناهم أسارى وأن أبوا تركناهم حطباً للنار حتى يسيروا عبرة لأولي الأبصار فلا رحم المسيح أباهم ولا جعل مستقر النصارى مثواهم ثم أنهم حطوا الحطب إلى باب المغارة وأضرموا فيه النـار فأيقن شركان ومن معه بالبوار فبينما هم كذلك وإذا بالبطريق الرئيس عليهم التفت إلى المشير بقتلهم وقال له لا يكون قتلهم إلا عند الملك أفريدون لأجل أن يشفى غليله فينبغي أننا نبقيهم عندنا أسارى وفي غد نسافر بهم إلى القسطنطينية ونسلمهم إلى الملك أفريدون فيفعل بهم ما يريد فقالوا هذا هو الرأي الصـواب ثـم أمـروا بتكتيفهم وجعلوا عليهم حرساً فلما جن الظلام اشتغل الكفار باللهو والطعام ودعوا بالشراب فشربوا حتى انقلب كل منهم على قفاه وكان شركان وضوء المكان مقيدين وكذلك من معهم من الأبطال فعند ذلك نظر شـركان إلى أخيه وقال له يا أخي كيف الخلاص فقال ضوء المكان وا لا أدري وقد صرنا كالطير فـي الأقفـاص فاغتاظ شركان وتنهد من شدة غيظه فانقطع الكتاف فلما خلص من الوثاق قام إلى رئـيس الحـراس وأخـذ مفاتيح القيود من جيبه وفك ضوء المكان وفك الوزير دندان وفك بقية العسكر ثم التفت إلـى أخيـه ضـوء المكان والوزير دندان وقال أني أريد أن أقتل من الحراس ثلاثة ونأخذ ثيابهم ونلبسها نحن الثلاثة حتى نصير في زي الروم ونصير بينهم حتى لا يعرفوا أحداً منا ثم نتوجه إلى عسكرنا فقال ضوء المكان أن هذا الـرأي غير صواب لاننا إذا قتلناهم نخاف أن يسمع أحد شخيرهم فتنتبه إلينا الكفار فيقتلوننا والرأي السديد أن نسير إلى خارج الشعب فأجابوه إلى ذلك فلما صاروا بعيداً عن الشعب بقليل رأوا خيلاً مربوطة وأصحابها نائمون فقال شركان لأخيه ينبغي أن يأخذ كل واحد منا جواداً من هذه الخيول وكانوا خمسة وعشرين رجلاً فأخـذوا خمسة وعشرين جواداً وقد ألقى ا النوم على الكفار لحكمة يعلمها ا ثم أن شركان جعل يختلس من الكفار السلاح من السيوف والرماح حتى اكتفوا ثم ركبوا الخيل التي أخذوها وساروا وكان في ظن الكفـار أنـه لا يقدر أحد على فسكاك ضوء المكان وأخيه ومن معهما من العساكر وأنهم لا يقدرون علـى الهـروب فلمـا خلصوا جميعاً من الأسر وصاروا في إمن من الكفار التفت إليهم شركان وقال لهم لا تخافوا حيث سـترنا ا ولكن عندي رأي ولعله صواب فقالوا وما هو قال أريد أن تطلعوا فوق الجبل وتكبروا كلكم تكبيـرة واحـدة وتقولوا لقد جاءتكم العساكر الإسلامية ونصيح كلنا صيحة واحدة ونقول ا أكبر فيفترق الجمع من ذلـك ولا يجدون لهم في هذا الوقت حيلة فإنهم سكارى ويظنون أن عسكر المسلمين أحاطوهم من كل جانب واختلطوا بهم فيقعون ضرباً بالسيف في بعضهم من دهشة السكر والنوم فنقطعهم بسيوفهم ويدور السـيف فـيهم إلـى الصباح فقال ضوء المكان أن هذا الرأي غير صواب أن نسير إلى عسكرنا ولا ننطق بكلمة لأننا أن كبرنـا تنبهوا لنا ولحقوانا فلم يسلم منا أحد فقال شركان وا لو انتبهوا لنا ما علينا بأس واشتهى أن توافقوني علـى هذا الرأي وهو لا يكون إلا خيراً فأجابوه إلى ذلك وطلعوا إلى فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبـرت معهـم الجبال والأشجار والأحجار من خشية ا تعالى فسمع الكبار ذلك التكبير فصاح الكفار صيحة مزعجة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٠)



قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه عندما صاح الكفار على بعضهم ولبسوا السلاح وقالوا قد هجمت علينا الأعداء وحق المسيح ثم قتلوا من بعضهم مالا يعلم عدده إلا ا تعالى فلما كان الصباح فتشوا على الأسارى فلم يجدوا لهم أثراً فقال رؤساؤهم أن الذي فعل بكم هذه الفعال هم الأسارى الذين كانوا عندنا فدونكم والسعي خلفهم حتى تلحقوهم فتسقوهم كأس الوبال ولا يحصل لكم خوف ولا أنذهال ثم أنهم ركبوا خيـولهم وسـعوا خلفهم فما كان إلا لحظة حتى لحقوهم وأحاطوا بهم فلما رأى ضوء المكان ذلك أزداد به الفزع وقال لأخيه أن الذي خفت من حصوله قد حصل وما بق لنا حيلة إلا الجهاد فلازم شركان السكوت عن المقال ثم انحدر ضوء المكان من أعلى الجبل وكبرت معه الرجال وعولوا على الجهاد وبيع أنفسهم في طاعة رب العباد فبينما هـم كذلك وإذا بأصوات يصيحون التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فالتفتوا إلى جهة الصـوت فـرأوا جيوش المسلمين وعساكر الموحدين مقبلين فلما رأوهم قويت قلوبهم وحمل شركان على الكافرين وهلل وكبر هو ومن معه من الموحدين فارتجت الأرض كالزلال وتفرقت عساكر الكفار في عـرض الجبـال فتبعـتهم المسلمين بالضرب والطعان وأطاحوا منهم الرؤوس عن الأبدان ولم يزل ضوء المكان هو ومن معـه مـن المسلمين يضربون في أعناق الكافرين إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ثم انحـاز المسـلمون إلـى بعضهم وباتوا مستبشرين طول ليلهم فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح رأوا بهرام مقدم الديلم ورسـتم مقدم الأتراك ومعهما عشر بن ألف فارس مقبلين عليهم كالليوث العوابس فلما رأوا ضـوء المكـان ترجـل الفرسان وسلموا عليه وقبلوا الأرض بين يديه فقال لهم ضوء المكان أبشروا بنصر المسلمين وهلاك الكافرين ثم هنوا بعضهم بالسلامة وعظيم الأجر في القيامة وكان السبب في مجيئهم إلى هذا المكان أن الأمير بهـرام والأمير رستم والحاجب الكبير لما ساروا بجيوش المسلمين والرايات على رؤوسهم منشورة حتى وصلوا إلى القسطنطينية رأوا الكفار قد طلعوا على الأسوار وملكوا الأبراج والقلاع واستعدوا في كل حصن مناع حـين علموا بقدوم العساكر الإسلامية والأعلام المحمدية وقد سمعوا قعقعة السلاح وضجة الصياح ونظروا فـرأوا المسلمين وسمعوا حوافر خيولهم من تحت الغبار فإذا هم كالجراد المنتشر والسحاب المنهمر وسمعوا أصوات المسلمين بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وكان السبب في أعلام الكفار بذلك ما دبرته العجوز ذات الـدواهي من زورها وعهرها وبهتانها ومكرها حتى قربت العساكر كالبحر الزاخر من كثرة الرجال والفرسان والنساء والصبيان فقال أمير للترك لأمير الديلم يا أمير أننا بقينا على خطر من الأعداء الذين فوق الأسوار فانظر إلى تلك الأبراج وإلى هذا العالم الذي كالبحر العجاج المتلاطم بالأمواج أن هؤلاء الكفار قدرنا مائة مرة ولا نأمن من جاسوس شر فيخبرهم أننا على خطر من الأعداء الذين لا يحصني عددهم ولا ينقطع مددهم خصوصاً مع غيبة الملك ضوء المكان وأخيه والوزير الأجل دندان فعند ذلك يطمعون فينا لغيبتهم عنا فيمحقوننا بالسـيف عن آخرنا ولا ينجو منا ناج ومن الرأي أن نأخذ عشرة آلاف فارس م المواصلة والأتراك ونذهب بهم إلـى الدير مطروحنا ومرج ملوخنا في طلب أخواننا وأصحابنا فإن أطعتموني كنتم سبباً في الفرج عنهم أن كـان الكفار قد ضيقوا عليهم وإن لم تطيعوني فلا لوم على وإذا توجهتم ينبغي أن ترجعوا إلينا مسرعين فإن مـن الجزم سوء الظن فعندها قبل الأمير المذكور كلامه وأنتخب عشرين ألف فارس وساروا يقطعون الطرقـات طالبين المرج المذكور والدير المشهور هذا ما كان سبب مجيئهم (وأما) ما كان من أمر العجوز ذات الدواهي



فإنها لما أوقعت السلطان ضوء المكان وأخاه شركان والوزير دندان في أيدي الكفار أخذت تلك العاهرة جواداً وركبته وقالت للكفار أنني أريد أن الحق عسكر المسلمين وأتحيل على هلاكهم لأنهم في القسطنطينية فأعلمهم أن أصحابهم هلكوا فإذا سمعوا ذلك مني تشتت شملهم وانصرم حبلهم وتفرق جمعهم ثم أدخل أنا إلى الملـك أفريدون ملك القسطنطينية وولدي الملك حردوب ملك الروم وأخبرهما بهذا الخبر فيخرجان بعساكرهما إلـى المسلمين ويهلكونهم ولا يتركون أحداً منهم ثم سارت تقطع الأرض على ذلك الجواد طول الليل فلما أصـبح الصباح لاح لها عسكر بهرام ورستم فدخلت بعض الغابات وأخفت جوادها هناك ثم خرجت وتمشـت قلـيلاً وهيتقول في نفسها لعل عساكر المسلمين قد رجعوا منهزمين من حرب القسطنطينية فلما قربت منهم نظـرت إليهم وتحققت أعلامهم فرأتها غير منكسة فعلمت أنهم أتوا غير منهزمين ولا خائفين على ملكهم وأصـحابهم فلما عاينت ذلك أسرعت نحوهم بالجري الشديد مثل الشيطان المريد إلى أن وصلت إليهم وقالت لهم العجـل العجل يا جند الرحمن إلى جهاد حزب الشيطان فلما رآها بهرام أقبل عليها وترجل وقبل الأرض بين يـديها وقال لها يا ولي ا   ما وراءك فقالت لا تسأل عن سوء الحال وشديد الأهوال فإن أصحابنا لما أخذوا المـال من دير مطر وحنا أرادوا أن يتوجهوا إلى القسطنطينية فعند ذلك خرج عليهم عسكر جـرار ذو بـأس مـن الكفار ثم أن الملعونة أعادت عليهم أرجافاً ووجلاً وقالت أن أكثرهم هلك ولم يبق إلا خمسة وعشرون رجـلاً فقال بهرام أيها الزاهد متى فارقتهم فقال في ليلتي هذه فقال بهرام سبحان الذي طـوى لـك الأرض البعيـدة وأنت ماشي على قدميك متكئاً على جريدة لكنك من الأولياء الطيارة المهمين وحي الإشارة ثم ركـب علـى ظهر جواده وهو مدهوش وحيران بما سمعه من ذات الأفك والبهتان وقال لا حول ولا قوة إلا بـا   العلـي العظيم لقد ضاع تعبنا وضاقت صدورنا وأسر سلطاننا ومن معه ثم جعلوا يقطعون الأرض طولاً وعرضـاً ليلاً ونهاراً فلما كان وقت السحر أقبلوا على رأس الشعب فرأوا ضوء المكان وأخاه شركان يناديان بالتهليـل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فحمل هو وأصحابه وأحاطوا بالكفار أحاطـة السـيل بالقفـار وصاحوا عليهم صياحاً ضجت منه الأبطال وتصدعت منه الجبال فلما أصبح الصباح وأشـرق بنـوره ولاح فاح لهم من ضوء المكان طيبة ونشره وتعارفوا ببعضهم كما تقدم ذكره فقبلوا الأرض بين يدي ضوء المكان وأخيه شركان وأخبروهم بما جرى لهم في المغارة فتعجبوا من ذلك ثم قلوا لبعضـهم أسـرعوا بنـا إلـى القسطنطينية لأننا تركنا أصحابنا هناك وقلوبنا عندهم فعند ذلك أسرعوا في المسير وتوكلوا علـى اللطيـف الخبير وكان ضوء المكان يقوي المسلمين على الثبات وينشد هذه الأبيات:

لك الحمـد مسـتوجب الحمـد والشـكر … فمازلت لي بـالعون يـارب فـي أمـري

ربيت غريبـاً فـي الـبلاد وكنـت لـي … كفـيلاً وقـد قـدرت يارب ـا نصـري

وأعطيتنـي مـالاً وملكـا ونعمـة … وقلـدتني سـيف الشـجاعة والنصـر

وخـولتني ظـل المليـك معمـرا … وقد وجدت لي من فيض جـودك بـالغمر

وسـلمتني مـن كـل خطـب حذرتـه … بمشورة الصـدر الـوزير فتـى الـدهر

بفضلك قد صـلنا علـى الـروم صـولة … وقـد رجعـوا بالضـرب فـي خـور

وأظهـرت أنـي قـد هزمـت هزيمـة … وعدت علـيهم عـودة الضـيغم الغمـر

تـركتهم فـي القـاع صـرعى كـأنهم نشاوي بكـأس المـوت لا قهـوة الخمـر
وصــارت بأيــدينا المراكــب كلهــا وصار لنا السـلطان فـي البـر والبحـر
وجــاء إلينــا الزاهــد العابــد الــذي كرامته شـاعت لـذي البـدو والحضـر
أتينــا لأخــذ النــار مــن كــل كــافر وقد شاع عند الناس ما كان مـن أمـري
وقــد قتلــوا منــا رجــالاً فأصــبحوا لهم غرف في الخلـد تعلـو علـى نهـر

فلما فرغ ضوء المكان من شعره هنأه أخوه شركان بالسلامة وشكره على أفعاله ثم أنهم توجهوا مجدين المسير. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شركان هنأ أخاه ضوء المكان بالسلامة وشكره على أفعاله ثـم أنهـم توجهوا مجدين المسير طالبين عساكرهم هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر العجوز ذات الـدواهي فإنها لما لاقت عسكر بهرام ورستم عادت إلى الغابة وأخذت جوادها وركبته وأسرعت فـي سـيرها حتـى أشرفت على عسكر المسلمين والمحاصرين للقسطنطينية ثم أنها نزلت وأخذت جوادها وأتت به إلى السرادق الذي فيه الحاجب فلما رآها نهض لها قائماً وأشار إليها بالإيماء وقال مرحباً بالعابد الزاهد ثم سألها عما جرى فأخبرته بخبرها المرجف وبهتانها المتلف وقالت له أني أخاف على الأمير رستم والأمير بهرام لأني قـد لا قيتهما مع عسكرهما في الطريق وأرسلتهما إلى الملك ومن معه وكان في عشرين ألف فارس والكفار أكثـر منهم وأني أردت في هذه الساعة أن ترسل جملة عن عسكرك حتى يلحقوهم بسرعة لئلا يهلكوا عن آخـرهم وقالت لهم العجل العجل فلما سمع الحاجب والمسلمون منها ذلك الكلام انحلت عزائمهم وبكوا وقالت لهم ذات الدواهي استعينوا با واصبروا على هذه الرزية فلكم أسوة بمن سلف من الأمة المحمدية فالجنة ذات القصور أعدها لمن يموت شهيداً ولابد من الموت لكل أحد ولكنه في الجهاد أحمد فلما سمع الحاجب كلام اللعينة ذات الدواهي دعا بأخي الأمير بهرام وكان فارساً يقال له تركاش وانتخب له عشرة آلاف فارس أبطال عـوابس وأمره بالسير فسار في ذلك اليوم وطول الليل حتى قرب من المسلمين فلما أصبح الصباح رأى شركان ذلك الغبار فخاف على المسلمين وقال أن هذه عساكر مقبلة علينا فأما أن يكونوا من عسكر المسلمين فهـذا هـو النصر المبين وأما أن يكونوا من عسكر الكفار فلا أعتراض على الأقدار ثم أنه أتى إلى أخيه ضوء المكـان وقال له لا تخف أبداً فإني أفديك بروحي من الرد فإن كان هؤلاء من عسكر الإسلام فهذا مزيد الأنعـام وأن كان هؤلاء أعداءنا فلابد من قتالهم لكن أشتهي أن أقابل العابد قبل موتي لأسأله أن يدعوا لي أن لا أموت إلا شهيداً فبينما هم كذلك وإذا بالرايات قد لاحت مكتوباً عليها لا إله إلا ا محمد رسول ا فصاح شركان كيف حال المسلمين قالوا بعافية وسلامة وما أتينا إلا خوفاً عليكم ثم ترجل رئيس العسكر عن جواده وقبل الأرض بين يديه وقال يا مولانا كيف السلطان والوزير دندان ورستم وأخي بهرام أما هم الجميع سالمون فقال بخيـر ثم قال له ومن الذي أخبركم بخبرنا قال الزاهد وقد ذكر أنه لقي أخي بهرام ورستم وأرسلهما إليكم وقال لنـا أن الكفار قد أحاطوا بهم وهم كثيرون وما أرى الأمر إلا بخلاف ذلك وأنتم منصورون فقـال لهـم وكيـف وصول الزاهد إليكم فقالوا له كان سائر على قدميه وقطع في يوم وليلة مسيرة عشرة أيام للفارس المجد فقال

شركان لا شك أنه ولي ا وأين هو قالوا له تركناه عند عسكرنا أهل الإيمان يحرضهم على قتال أهل الكفـر والطغيان ففرح شركان بذلك وحمد ا على سلامتهم وسلامة الزاهد وترحموا على من قتل منهم وقالوا كان ذلك في الكتاب مسطوراً ثم ساروا مجدين في سيرهم فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد سار حتى سـد الأقطـار وأظلم منه النهار فنظر إليه شركان وقال أني أخاف أن يكون الكفار قد كسروا عسكر الإسلام لأن هذا الغبار سد المشرقين وملأ الخافقين ثم لاح من تحت ذلك عمود من الظلام أشد سواداً من حالك الأيام ومـا زالـت تقرب منهم تلك الدعامة وهي أشد من هول يوم القيامة فتسارعت إليها الخيل والرجال لينظروا ما سبب سوء هذا الحال فرأوا الزاهد المشار إليه فازدحموا على تقبيل يديه وهو ينادي يا أمة خير الأنام ومصباح الظـلام أن الكفار غدروا بالمسلمين فأدركوا عساكر الموحدين وانقذوهم من أيدي الكفرة اللئام فإنهم هجموا عليهم في الخيام ونزل بهم العذاب المهين وكانوا في مكانهم آمنين فلما سمع شركان ذلك الكلام طار قلبـه مـن شـدة الخفقان وترجل عن جواده وهو حيران ثم قبل يد الزاهد ورجليه وكذلك أخوه ضوء المكان وبقية العسكر من الرجال والركبان إلا الوزير دندان فإنه لم يترجل عن جواده وقال وا أن قلبي نافر من هذا الزاهد لأني مـا عرفت للمتنطعين في الدين غير المفاسد فاتركوه وأدركوا أصحابكم المسلمين فإن هذا من المطـرودين عـن باب رحمة رب العالمين فكم غزوت مع الملك عما النعمان ودست أراضي هذا المكان فقال لـه شـركان دع هذا الظن الفاسد أما نظرت إلى هذا العابد وهو يحرض المؤمنين على القتال ولا يبالي بالسيوف والنبال فـلا تغتبيه لأن الغيبة مذمومة ولحوم الصالحين مسمومة وأنظر إلى تحريضه لنا على قتال أعدائنا ولـولا أن ا تعالى يحبه ما طوى له البعيد بعد أن أوقعه سابقاً في العذاب الشديد ثم إن شركان أمر أن يقدموا بغلة نوبيـة إلى الزاهد ليركبها وقال له إركب أيها الزاهد الناسك العابد فلم يقبل ذلك وإمتنع عن الركوب وأظهر الزهـد لينال المطلوب وما دروا إن هذا الزاهد الطاهر هو الذي قال في مثله الشاعر:

صـلى وصـام لأمـر كـان يطلبـه لما قضـى الأمـر لا صـلى ولا صـاما

ثم أن ذلك الزاهد ما زال ماشياً بين الخيل والرجال كأنه الثعلب المحتال للاغتيال وسار رافعاً صـوته بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن ومازالوا سائرين حتى أشرفوا على عسكر الإسلام فوجدهم شركان في حالـة الإنكسار والحاجب قد أشرف على الهزيمة والفرار والسيف يعمل بين الأبـرار والفجـار وأدرك شـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السبب في خزل المسلمين أن اللعينة ذات الدواهي عدوة الـذين لمـا رأت بهرام ورستم قد سارا بعسكرهما نحو شركان وأخيه ضوء المكان سارت هي نحو عسـكر المسـلمين وأنفذت لأمير تركاش كما تقدم ذكره وقصدها بذلك أن تفرق بين عسكر المسلمين لأجـل أن يضـعفوا ثـم تركتهم وقصدت القسطنطينية ونادت بطارقة الروم بأعلى صوتها وقالت أدلوا حبلاً لاربط فيه هـذ الكتـاب وأوصلوه إلى ملككم أفر يدون ليقرأه هو وولادي ملك الروم ويعملان بما فيه من أوامره ونواهيه فـأدلوا لهـا حبلاً فربطت فيه الكتاب وكان مضمونه من عند الداهية العظمى والطامة الكبرى ذات الدواهي إلى الملك أفر يدون أما بعد فإني دبرت لكم حيلة على هلاك المسلمين فكونوا مطمئنين وقد أسـرتهم وأسـرت سـلطانهم

ووزيرهم ثم توجهت إلى عسكرهم وأخبرتهم بذلك فانكسرت شوكتهم وضعفت قوتهم وقد خـدعت العسـكر المحاصرين للقسطنطينية حتى أرسلت منهم أثنى عشر ألف فارس مع الأمير تركاش خلاف المأسورين ومـا بقي منهم إلا القليل فالمراد منكم أنكم تخرجون إليهم بجميع عسكركم في بقية هذا النهار وتهجمون عليهم في خيامهم ولكنكم لا تخرجون الأسواء واقتلوهم عن آخرهم فإن المسيح قد نظر إليكم والعذراء تعطفت علـيكم وأرجو من المسيح أن لا ينسى فعلى الذي قد فعلته فلما وصل كتابها إلى الملك أفر يدون فرح فرحاً شـديدا وأرسل في الحال إلى ملك الروم أبن ذات الدواهي وأحضره وقرأ الكتاب عليه ففرح وقال أنظر مكـر أمـي فإنه يغني عن السيوف وطلعتها تنوب عن هول اليوم المخوف فقال الملك أفر يدون لا أعدم المسـيح طلعـة أمك ولا أخلاك من مكرك ولؤمك ثم أنه أمر البطارقة أن ينادوا بالرحيل إلى خارج المدينة وشارع الخبر في القسطنطينية وخرجت عساكر النصرانية والعصابة الصليبية وجردوا السيوف الحداد وأعلنوا بكلمـة الكفـر والإلحاد وكفروا برب العباد فلما نظر الحاجب إلى ذلك قال أن الروم قد وصلوا إلينا وقد علموا أن سـلطاننا غائب فربما هجموا علينا وأكثر عساكرنا قد توجه إلى الملك ضوء المكان واغتاظ الحاجب ونادى يا عسـكر المسلمين وحماة الدين المتين أن هربتم هلكتم وأن صبرتم نصرتم فاعلموا أن الشجاعة صبر ساعة وما ضاق أمر إلا أوجد ا اتساعه بارك ا فيكم ونظر إليكم بعين الرحمة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحاجب قال لجيش المسلمين بارك ا عليكم ونظر إليكم بعين الرحمة فعند ذلك كبر المسلمون وصاحب الموحدون ودارت رحى الحرب بالطعن والضـرب وعملـت الصـوارم والرماح وملأ الدم الأودية والبطاح وقسست القسوس والرهبان وشدوا الزنانير ورفعـوا الصـلبان وأعلـن المسلمون بالتكبير للملك الديان وصاحوا بتلاوة القرآن واصطدم حزب الرحمن بحزب الشـيطان وطـارت الرءوس عن الأبدان وطافت الملائكة الأخيار على أمة النبي المختار ولم يزل السيف يعمـل إلـى أن ولـى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد أحاطت الكفار بالمسلمين وحسبوا أن ينجوا مـن العـذاب المبـين وطمـع المشركون في أهل الإيمان إلى أن الكفار بالمسلمين وحسبوا أن ينجوا من العذاب المبين وطمع المشركون في أهل الإيمان إلى أن طلع الفجر وبان فركب الحاجب هو وعسكره ورجا أن ا ينصره واختلطت الأمم بالأمم وقامت الحرب على ساق وقدم وطارت القمم وثبت الشجاع وتقدم وولى الجبان وانهزم وقضى قاضي الموت وحكم حتى تطاوحت الأبطال عن السروج وامتلأت بالأمواج المروج وتأخرت المسلمون عن أماكنها وملكت الروم بعض خيامها ومساكنها وعزم المسلمون على الانكسار والهزيمة والفرار فبينما هم كـذلك وإذا بقـدوم شركان بعساكر المسلمين ورايات الموحدين فلما أقبل عليهم شركان حمل على الكفار وتبعه ضـوء المكـان وحمل بعدهما الوزير دندان وكذلك أمير الديلم بهرام ورستم وأخوه تركاش فإنهم لما رأوا ذلك طارت عقولهم وغاب معقولهم وثار الغبار حتى ملأ الأقطار واجتمعت المسلمون الأخيار بأصحابهم الأبرار واجتمع شركان بالحاجب فشكره على صبره وهنأه بتأييده ونصره وفرحت المسلمون وقويت قلوبهم وحملوا علـى أعـدائهم وأخلصوا ا في جهادهم فلما نظر الكفار إلى الرايات المحمدية وعليها كلمة الإخلاص الإسـلامية صـاحوا

بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الدير ونادوا يوحنا ومريم والصليب المسخم وانقبضت أيديهم عن القتال وقد أقبل الملك أفريدون على ملك الروم وصار أحدهما إلى الميمنة والآخر في الميسرة وعندهم فارس مشـهور يسمى لا ويا فوقف وسطاً واصطفوا للنزال وأن كانوا في فزع وزلزال ثم صفت المسلمون عساكرهم فعنـد ذلك أقبل شركان على أخيه ضوء المكان وقال له يا ملك الزمان لا شك أنهم يردون البراز وهذا غاية مرادنا ولكن أحب أن أقدم من العسكر من له عزم ثابت فإن التدبير نصف المعيشة فقال السلطان مـاذا تريـد يـا صاحب الرأي السديد فقال شركان أريد أن أكون في قلب عسكر الكفار وأن يكون الوزير دندان في الميسـرة وأنت في الميمنة وإلا مسهرام في الجناح الأيمن والأمير رستم في الجناح الأيسر وأنت أيها الملـك العظـيم تكون تحت الإعلاء والرايات لأنك عمادنا وعليك بعد ا اعتمادنا ونحن كلنا نفديك من كل أمر يؤذيك فشكره ضوء المكان على ذلك وارتفع الصياح وجردت الصفاح فبينما هم كذلك وإذا بفارس قد ظهـر مـن عسـكر الروم فلما قرب رأوه راكباً على بغلة قطوف تفر بصاحبها من وقع السيوف وبردعتها من أبـيض الحريـر وعليها سجادة من شغل كشمير وعلى ظهرها شيخ مليح الشيبة ظاهر الهيبة عليـه مدرعـة مـن الصـوف الأبيض ولم يزل يسرع بها وينهض حتى قرب من عسكر المسلمين وقال أني رسول إليكم أجمعين وما على الرسول إلا البلاغ فأعطوني الأمان والأقالة حتى أبلغكم الرسالة فقال له شركان لك الأمان فلا تخش حـرب سيف ولا طن سنان فعند ذلك ترجل الشيخ وقلع الصليب من عنقه بين يدي السلطان وخضـع لـه خضـوع راجي الإحسان فقال له المسلمون ما معك من الأخبار فقال أني رسول من عند الملك أفريدون فأني نصـحته ليمتنع عن تلف هذه الصور الإنسانية والهياكل الرحمانية وبينت له أن الصواب حقن الدماء والاقتصار علـى فارسين في الهيجاء فأجابني إلى ذلك وهو يقول لكم أني فديت عسكري بروحي فليفعل ملك المسلمين مثلـي ويفدي عسكره بروحه فإن قتلني فلا يبقى لعسكر الكفار ثبات وأن قتلته فلا يبقى لعسـكر المسـلمين ثبـات وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن رسول الملك أفر يدون لما قال للمسلمين أن قتل ملك المسـلمين فـلا يبقى لعسكره ثبات فلما سمع شركان هذا الكلام قال يا راهب أنا أجبناه إلى ذلك فإن هذا هو الإنصـاف فـلا يكون منه خلاف وها أنا أبرز إليه وأحمل عليه فإني فارس المسلمين وهو فارس الكافرين فإن قتلنـي فـاز بالظفر ولا يبقى لعسكر المسلمين غير المفر فارجع إليه أيها الراهب وقل له أن البراز يكون في غـد لا نبـأ أتينا من سفرنا على تعب في هذا اليوم وبعد الراحة لا عتب ولا لوم فرجع الراهب وهو مسرور حتى وصل إلى الملك أفر يدون وملك الروم وأخبرهما بذلك ففرح الملك أفريدون غاية الفرح وزال عنه الهـم والتـرح وقال في نفسه لا شك أن شركان هذا هو أضر بهم بالسيف وأطعنهم بالسنان فـإذا قتلتـه انكسـرت همـتهم وضعفت قوتهم وقد كانت ذات الدواهي كاتبت الملك أفريدون بذلك وقالت له أن شركان هو فارس الشـجعان وشجاع الفرسان وحذرت افريدون من شركان وكان أفريدون فارساً عظيماً لأنه كان يقاتـل بـأنواع القتـال ويرمي بالحجارة والنبال ويضرب بالعمود الحديد ولا يخشى من البأس الشديد فلما سمع قول الراهب من أن شركان أجاب إلى البراز كاد أن يطير من شدة الفرح لأنه واثق بنفسه ويعلم أنه لا طاقة لأحد به ثـم بـات

الكفار تلك الليلة في فرح وسرور وشرب خمور فلما كان الصباح أقبلت الفوارس بسمر الرماح وبيض الصفاح وإذا هم بفارس قد برز في الميدان وهو راكب على جواد من الخيل الجياد معد للحرب والجلاد وله قوائم شداد وعلى ذلك الفارس درع من الحديد معد للبأس الشديد وفي صدره مرآة من الجوهر وفي يده صارم أبتر وقنطارية خلنجية من غريب عمل الأفرنج ثم أن الفارس كشف عن وجهه وقال من عرفني فقد أكتفاني ومن لم يعرفني فسوف يراني أنا أفريدون المغمور ببركة شواهي ذات الدواهي فما تم كلامه حتى خرج في وجهه فارس المسلمين شركان وهو راكب على جواد أشقر يساوي ألفاً من الذهب الأحمر وعليه عدة مزركشة بالدر والجواهر وهو متقلد بسيف هندي مجوهر يقد الرقاب ويهون الأمور الصعاب ثم ساق جواده بين الصفين والفرسان تنظره بالعين ثم نادى أفريدون وقال له ويلك يا ملعون اتظنني كمن لا قيت من الفرسان ولا يثبت معك في حومة الميدان ثم حمل كل منهما على صاحبه فصار الأثنان كأنهما جبلان يصطدمان أو بحران يلتطمان ثم تقاربا وتباعدا والتصقا وافترقا ولم يزالا في كر وفر وهزل وجد وضرب وضعن والجيشان ينظران إليهما وبعضهم يقول أن شركان غالب والبعض يقول أن افريدون غالب ولم يزل الفارسان على هذا الحال حتى بطل القيل والقال وعلا الغبار وولى النهار ومالت الشمس إلى الإصفرار وصاح الملك أفريدون على شركان وقال وحق المسيح والاعتقاد الصحيح ما أنت إلا فارس كرار وبطل مغوار غير أنك غدار وطبعك ما هو إلا طبع الأخيار لأني أرى فعلك غير حميدة وقتالك قتال الصناديد وقومك ينسبونك إلى العبيد وها هم أخرجوا لك غير جوادك وتعود إلى القتال وأني وحق ديني قد أعياني قتالك وأتعبني ضربك وطعانك فإن كنت تريد قتالي في هذه الليلة فلا تغير شيئاً من عدتك ولا جوادك حتى يظهر للفرسان كرمك وقتالك فلما سمع شركان هذا الكلام اغتاظ من قول أصحابه في حقه حيث ينسبونه إلى العبيد فالتفت إليهم شركان وأراد أن يسير غليهم ويأمرهم أن لا يغير واله جواداً ولا عدة وإذا بافريدون هز حربته وأرسلها إلى شركان فالتفت وراءه فلم يجد أحداً فعلم أنها حيلة من الملعون فرد وجهه بسرعة وإذا بالحربة قد أدركته فمال عنها حتى ساوى برأسه قربوس سرجه فجرت الحربة على صدره وكان شركان عالي الصدر فكشطت الحربة جلدة صدره فصاح صيحة واحدة وغاب عن الدنيا ففرح الملعون أفريدون بذلك وعرف أنه قد قتل فصاح على الكفار ونادى بالفرح فهاجت أهل الطغيان وبكت أهل الإيمان فلما رأى ضوء المكان أخاه مائلاً على الجواد حتى كاد أن يقع أرسل نحوه الفرسان فتسابقت إليه الأبطال وأتوا به إليه وحملت الكفار على المسلمين والتقي الجيشان واختلط الصفان وعمل اليماني وكان أسبق الناس على شركان الوزير دندان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما رأى اللعين قد ضرب أخاه شـركان بالحربـة ظن أنه مات فأرسل إليه الفرسان وكان أسبق الناس إليه الوزير دندان وأمير الترك بهرام وأمير الديلم فلحقوه وقد مال عن جواده فأسندوه ورجعوا به إلى أخيه ضوء المكان ثم أوصوا به الغلمان وعادوا إلـى الحـرب والطعان واشتد النزال وتقصفت النصال وبطل القيل والقال فلا يرى الأدم سائل وعنق مائل ولم يزل السيف يعمل في الأعناق وأشتد الشقاق إلى أن ذهب أكثر الليل وكلت الطائفتان عن القتال فنادوا بالانفصال ورجعت كل طائفة إلى خيامها وتوجه جميع الكفار إلى ملكهم أفريدون وقبلوا الأرض بـين يديـه وهنـأه القسـوس والرهبان بظفره بشركان ثم أن الملك أفريدون دخل القسطنطينية وجلس على كرسي مملكته وأقبل عليه ملك الروم وقال له قوي المسيح ساعدك واستجاب من الأم الصالحة ذات الدواهي ما تدعو بـه لـك واعلـم أن المسلمين ما بقي لهم إقامة بعد شركان فقال أفريدون في غد يكون الانفصال إذا خرجت إلى النزال وطلبـت ضوء المكان وقتلته فإن عسكرهم يولون الأدبار ويركنون إلى الفرار هذا ما كان من أمر الكفار وأما ما كان من أمر عساكر الإسلام فإن ضوء المكان لما رجع إلى الخيام لم يكن له شغل الإباحية فلما دخل عليه وجـده في أسوأ الأحوال واشد الأهوال فدعا بالوزير دندان ورستم وبهرام للمشورة فلما دخلوا عليه اقتضى رأيهـم إحضار الحكماء لعلاج شركان ثم بكوا وقالوا لم يسمح بمثله الزمان وسهروا عنده تلك الليلة وفي آخر الليـل أقبل عليهم الزاهد وهو يبكي فلما رآه ضوء المكان قام إليه فملس بيده على أخيه وتلى شيئاً من القرآن وعوذه بآيات الرحمن ومازال سهراناً عنده إلى الصباح فعند ذلك استفاق شركان وفتح عينيه وأدار لسانه فـي فمـه وتكلم ففرح السلطان ضوء المكان وقال قد حصلت له بركة الزاهد فقال شركان الحمد   على العافية فـإنني بخير في هذه الساعة وقد عمل على هذا الملعون حيلة ولولا أني زغت أسرع من البرق لكانت الحربة نفذت من صدري فالحمد   الذي نجاني وكيف حال المسلمين فقال ضوء المكان هم في بكاء من أجلك فقـال أنـي بخير وعافية وأين الزاهد وهو عند رأسه قاعد فقال له عند رأسك فالتفت إليه وقبل يديه فقال الزاهد يا ولدي عليك بجميل الصبر يعظم ا لك الأجر فإن الأجر على قدر المشقة فقال شركان أدع له فدعا له فلما أصـبح الصباح وبان الفجر ولاح برزت المسلمون إلى ميدان الحرب وتهيأ الكفار للطعن والضرب وتقدمت عسـاكر المسلمين فطلبوا الحرب والكفاح وجردوا السلاح وأراد الملك ضوء المكان وأفريدون أن يحملا على بعضهما وإذا بضوء المكان خرج إلى الميدان وخرج معه الوزير دندان والحاجب وبهرام وقالوا الضوء المكان نحـن فداك فقال لهم وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا أقعد عن الخروج إلى هؤلاء العلوج فلما صار في الميدان لعب بالصيف والسنان حتى أذهل الفرسان وتعجب الفريقان وحمل في الميمنة فقتل منهـا بطـريقين وفـي الميسرة فقتل منها بطريقين ونادى في وسط الميدان أين أفريدون حتى أذيقه عذاب الهوان فأراد الملعـون أن يولي وهو مغبون فأقسم عليه ضوء المكان أن لا يبرح من الميدان وقال له يا ملك بالأمس كان قتـال أخـي واليوم قتالي وأنا بشجاعتك لا أبالي ثم خرج وبيده صارم وتحته حصان كأنه عنتر في حومة الميدان وذلـك الحصان أدهم مغاير كما قال فيه الشاعر:

قـد سـابق الطـرف بطـرف سـابق   كأنـ ـ ـه يريـ ـ ـد أدراك القـ ـ ـدر

دهمتـــه تبـــدي ســـواداً حالكـــاً كأنهـــا ليـــل إذا الليـــل عكـــر
صـــهيله يـــزعج مـــن يســـمعه كأنـــه الرعـــد إذا الرعـــد زجـــر
لـو سـابق الـريح جـرى مـن قبلهـا والبـــرق لا يســـبقه إذا ظهـــر

ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترس من مضاربه وأظهر ما في بطنه من عجائبه وأخذاً في الكـر والفر حتى ضاقت الصدور وقل الصبر للمقدور وصاح ضوء المكان وهجم على ملك القسطنطينية أفريـدون وضربه ضربة أطاح به رأسه وقطع أنفاسه فلما نظرت الكفار إلى ذلك حملوا جميعاً عليه وتوجهوا بكليـتهم إليه فقابلهم في حومة المبدأ واستمر الضرب والطعان حتى سال الدم بالجريان وضـج المسـلمون بـالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير وقاتلوا قتالاً شديداً وأنزل ا النصر علـى المـؤمنين والخـزي علـى الكافرين وصاح الوزير دندان خذوا بثار الملك عمر النعمان وثار ولده شركان وكشف برأسه وصاح بـالأتراك وكان بجانبه أكثر من عشرين ألف فارس فحملوا معه حملة واحدة فلم يجد الكفار لأنفسهم غير الفـرار وتولى الأدبار وعمل فيهم الصارم البتار فقتل منهم نحو خمسين ألف فارس وأسروا ما يزيد على ذلك وقتـل عند دخول الباب خلق كثير من شدة الزحام ثم أغلقوا الباب وطلعوا فوق الأسوار وخـافوا خـوف العـذاب وعادت طوائف المسلمين مؤيدين منصورين وأتوا خيامهم ودخل ضوء المكان على أخيه فوجده فـي أسـر الأحوال فسجد وشكر الكريم المتعال ثم أقبل عليه وهنأه بالسلامة فقال له شركان إننا كلنا في بركه هذا الزاهد الأواب وما انتصرنا إلا بدعائه المستجاب فإنه لم يزل اليوم قاعداً يدعو للمسلمين بالنصـر وأدرك شـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما دخل على أخيه شركان وجده جالساً والعابـد عنده ففرح وأقبل عليه وهنأه بالسلامة فقال أن شركان قال أننا كلنا في بركة هذه الزاهد ومـا انتصـرتم إلا بدعائه لكم فإنه ما برح اليوم يدعو للمسلمين وكنت وجدت في نفسي قوة حين سمعت تكبيركم فعلمـت أنكـم منصورون على أعدائكم فاحك لي يا أخي ما وقع اك فحكى له جميع ما وقع له مع الملعون أفريدون وأخبره أنه قتله وراح إلى لعنة ا فأثنى عليه وشكر مبعاه فلما سمعت ذات الدواهي وهي صفة الزاهد بقتل ولـدها أفريدون أنقلب لونها بالإصفرار وتغرغرت عيناها بالدموع الغزار ولكنها أخفت ذلك وأظهرت للمسلمين أنها فرحت وأنها تبكي من شدة الفرح ثم أنها قالت في نفسها وحق المسيح ما بقي في حياتي فائدة أن لم أحـرق قلبه على أخيه شركان كما أحرق قلبي على عماد الملة النصرانية والعبادة الصليبية الملك أفريـدون ولكنهـا كتمت ما بها ثم أن الوزير دندان والملك شركان والحاجب استمروا جالسين عند شركان حتى عملوا له اللـزق والأدهان وأعطوه الدواء فتوجهت إليه العافية وفرحوا بذلك فرحاً شديداً وأعلموا به العساكر فتباشر المسلمون وقالوا في غد يركب معنا ويباشر الحصار ثم أن شركان قال لهم أنكم قاتلتم اليوم وتعبتم من القتال فينبغي أن تتوجهوا إلى أماكنكم وتناموا ولا تسهروا فأجابوه إلى ذلك وتوجه كل منهم إلى سرادقه وما بقى عند شركان سوى قليل من الغلمان والعجوز ذات الدواهي فتحدث معها قليلاً من الليل ثم اضطجع لينام وكـذلك الغلمـان فلما غاب عليهم النوم صاروا مثل الأموات هذا ما كان من أمر شركان وغلمانه (وأما) ما كـان مـن أمـر

العجوز ذات الدواهي فإنها بعد نومهم صارت يقظانة وحدها في الخيمة ونظرت إلى شركان فوجدته مستغرقاً في النوم فوثبت على قدميها كأنها دبة معطاء أو آفة غطاء وأخرجت من وسطها خنجراً مسموماً لو وضع على صخرة لأذابها ثم جردته من غمده وأتت عند رأس شركان وجردته على رقبته فذبحته وأزالت رأسه عن جسده ثم وثبت على قدميها وأتت إلى الغلمان النيام وقطعت رؤوسهم لئلا ينتبهوا ثم خرجت من الخيمة وأتت إلى خيام السلطان فوجدت الحراس غير نائمين فمالت إلى خيمة الوزير دندان فوجدته يقرأ القرآن فوقعت عينه عليها فقال مرحباً بالزاهد العابد فلما سمعت ذلك من الوزير ارتجف قلبها وقالت له أن سبب مجيئي إلى هنا في هذا الوقت أني سمعت صوت ولى من أولياء ا وأنا ذاهب إليه ثم ولت فقال الوزير دندان في نفسه وا لاتبع هذا الزاهد في هذه الليلة فقام ومشى خلفها فلما أحست الملعونة بمشيه عرفت أنه وراءها فخشيت أن تفتضح وقالت في نفسها إن لم أخدعه بحيلة فإني أفتضح فأقبلت إليه وقالت أيها الوزير أني سائر خلف هذا الولي لاعرفه وبعد أن أعرفه استأذنه في مجيئك إليه وأقبل عليك وأخبرك لأني أخاف أن تذهب معي بغير استئذان الولي فيحصل له نفرة مني إذا رآك معي فلما سمع الوزير كلامها استحى أن يرد عليها جواباً فتركها ورجع إلى خيمته وأراد أن ينام فما طاب له منام وكادت الدنيا أن تنطبق عليه فقام وخرج من خيمته وقال في نفسه أنا أمضي إلى شركان وأتحدث معه إلى الصباح فسار إلى أن دخل خيمة شركان فوجد الدم سائلاً منه كالقناة ونظر الغلمان مذبوحين فصاح صيحة أزعجت كل من كان ناعسا فتسارعت الخلق إليه فرأوا الدم سائلاً فضجوا بالبكاء والنحيب فعند ذلك استيقظ السلطان ضوء المكان وسأل عن الخبر فقيل له أن شركان أخاك والغلمان مقتولون فقام مسرعاً إلى أن دخل الخيمة فوجد الوزير دندان يصيح ووجد جثة أخيه بلا رأس فغاب عن الدنيا وصاحت كل العساكر وبكوا وداروا حول ضوء المكان ساعة حتى استفاق ثم نظر إلى شركان وبكى بكاء شديداً وفعل مثله الوزير ورستم وبهرام وأما الحاجب فإنه صاح وأكثر من النواح ثم طلب الارتحال لما به من الأوحال فقال الملك أما علمتم بالذي فعل بأخي هذه الفعال ومالي لا أرى الزاهد الذي عن متاع الدنيا متباعد فقال الوزير ومن جلب هذه الأحزان إلا هذا الزاهد الشيطان فو ا أن قلبي نفر منه في الأول والآخر لأنني أعرف أن كل متنطع في الدين خبيث ماكر ثم أن الناس ضجوا بالبكاء والنحيب وتضرعوا إلى القريب المجيب أن يوقع في أيديهم ذلك الزاهد الذي هو لآيات ا جاحد ثم جهزوا شركان ودفنوه في الجبل المذكور وحزنوا على فضله المشهور وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملعونة لما فرغت من الداهية التي عملتها والمخازى التي لنفسها أبدتها أخذت دواة وقرطاساً وكتبت فيه من عند شواهي ذات الدواهي إلى حضرة المسلمين اعلموا أني دخلت بلادكم وغششت بلؤمي كرامكم وقتلت سابقاً منكم عمر النعمان في وسط قصره وقتلت أيضاً في واقعة الشعب والمغارة رجالاً كثيرة وآخر من قتلته بمكري ودهائي وغدري شركان وغلمانه ولو ساعدني الزمان وطاوعني الشيطان كنت قتلت السلطان والوزير دندان وأنا الذي أتيت إليكم في زي الزاهد وانطلت عليكم مني الحيل والمكايد فإن شئتم سلامتكم بعد ذلك فأرحلوا وأن شئتم هلاك أنفسكم فعن الإقامة لا تعدلوا فلو

أقمتم سنين وأعواماً لا تبلغون منا مراماً وبعد أن كتبت الكتاب أقامت في حزنها على الملك أفريـدون ثلاثـة أيام وفي اليوم الرابع دعت بطريقاً وأمرته أن يأخذ الورقة ويضعها في سهم ويرميها إلى المسلمين ثم دخلت الكنيسة صارت تندب وتبكي على فقد أفريدون وقالت لمن تسلطن بعده لابد أن أقتل ضوء المكـان وجميـع أمراء الإسلام هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر المسلمين فإنهم أقاموا ثلاثة أيام في هم واغتمـام وفي اليوم الرابع نظروا إلى ناحية السور وإذا ببطريق معه سهم نشاب وفي طرفه كتاب فصبروا عليه حتى رماه إليهم فأمر السلطان الوزير دندان أن يقرأه فلما قرأه وسمع ما فيه وعرف معناه همات بالـدموع عينـاه وصاح وتضجر من مكرهاً وقال الوزير وا لقد كان قلبي نافراً منها فقال السلطان وهذه العاهرة كيف عملت علينا الحيلة مرتين ولكن وا لا أحول من هنا حتى املأ فرجها بمسبح الرصاص وأصحنها سجن الطير في الأقفاص وبعد ذلك أصلبها من شعرها على باقي القسطنطينية ثم تذكر أخاه فبكى بكاء شديداً ثم أن الكفار لما توجهت لهم ذات الدواهي وأخبرتهم بما حصل فرحوا بقتل شركان وسلامة ذات الدواهي ثـم أن المسـلمين رجعوا على باب القسطنطينية ووعدهم السلطان أنه أن فتح المدينة فرق أموالها عليهم بالسوية هذا والسلطان لم تخف دموعه حزناً على أخيه واعترى جسمه الهزال حتى صار كالخلال فدخل عليه الوزير دندان وقال له طب نفساً وقر عيناً فإن أخاك ما مات إلا بأجله وليس في هذا الحزن فائدة وما أحسن قول الشاعر:

مـالا يكـون فـلا يكـون بحيلـة	أبـدا ومـا هـو كـائن سـيكون
سـيكون مـا هـو كـائن فـي وقتـه	وأخـو الجهالـة دائمـاً مغبـون

فدع البكاء والنوح وقو قلبك لحمل السلاح فقال يا وزير إن قلبي مهموم من أجل موت أبي وأخي ومن أجل غيابنا عن بلادنا فإن خاطري مشغول برعيتي فبكى الوزير هو والحاضرون ومـازالوا مقيمـين علـى حصار القسطنطينية مدة من الزمان فبينما هم كذلك وإذا بالأخبار وردت عليهم من بغداد صحبة أميـر مـن أمرائه مضمونها أن زوجة الملك ضوء المكان رزقت ولداً وسمته نزهة الزمان أخت الملك كان ما كان ولكن هذا الغلام سيكون له شأن بسبب ما رأوه من العجائب والغرائب وقد أمرت العلماء والخطباء أن يدعوا لكـم على المنابر ودبر كل صلاة وأننا طيبون بخير والأمطار كثيرة وأن صاحبك الوقاد في غاية النعمة الجزيلـة وعنده الخدم والغلمان ولكنه إلى الآن لم يعلم بما جرى لك والسلام فقال له ضوء المكان اشتد ظهري حيـث رزقت ولداً اسمه كنتان ما كان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قال للوزير دندان أني أريد أن أترك هذا الحزن وأعمل لأخـي ختمات وأموراً من الخيرات فقال الوزير نعم ما أردت ثم أمر بنصب الخيام على قبر أخيه فنصبوها وجمعوا من العسكر من يقرأ القرآن فصار بعضهم يقرأ وبعضهم يذكر ا إلى الصباح ثم أنهم انصرفوا إلى الخيـام وأقبل السلطان على الوزير دندان وأخذا يتشاوران في أمر القتال واستمرا على ذلك أيامـاً وليـالي وضـوء المكان يتضجر من الهم والأحزان ثم قال أني اشتهي سماع أخبار الناس وأحاديث الملوك وحكايات المتيمـين لعل ا يفرج ما بقلبي من الهم الشديد ويذهب عني البكاء والعديد فقال الوزير أن كان ما يفرج همك الأسماع قصص الملوك من نوادر الأخبار وحكايات المتقدمين من المتيمين وغيرهم فإن هذا أمر سهل لأنني لم يكـن

لي شغل في حياة المرحوم والدك إلا بالحكايات والأشعار وفي هذه الليلة أحدثك بخبر العاشـق والمعشـوق لأجل أن ينشرح صدرك فلما سمع ضوء المكان كلام الوزير دندان تعلق قلبه بما وعده به ولم يبق له اشتغال إلا انتظار مجيء الليل لأجل أن يسمع ما يحكيه الوزير دندان من أخبار المتقدمين من الملوك والمتيمين فمـا صدق أن الليل أقبل حتى أمر بإيقاد الشموع والقناديل وإحضار ما يحتاجون إليه من الأكل والشـرب وآلات البخور فأحضروا له جميع ذلك ثم أرسل إلى الوزير دندان فحضر وأرسل إلـى بهـرام رسـتم وتركـاس والحاجب الكبير فحضروا فلما حضروا جميعهم بين يديه التفت إلى الوزير دندان وقال له اعلم أيها الـوزير أن الليل قد أقبل وأسدل جلابيبه علينا وأسبل ونريد أن تحكي لنا ما وعدتنا من الحكايات فقال الـوزير حبـاً وكرامة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما حضر الوزير والحاجب ورستم وبهرام التفت إلى الوزير دندان وقال إعلم أيها الوزير أن الليل قد أقبل وسدل جلابيبه علينا وأسبل ونريد أن تحكي لنا مـا وعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة.

(حكاية العاشق والمعشوق)

إعلم أيها الملك السعيد إنه كان في سالف الزمان مدينة وراء جبال أصبهان يقال لها المدينة الخضـراء وكان بها ملك يقال له الملك سليمان وكان صاحب جود وإحسان وعدل وأمان وفل وإمتنـان وسـارت إليـه الركبان من كل مكان وشاع ذكره في سائر الأقطار والبلدان وأقام في المملكة مدة مديدة من الزمان وهو فـي عز وأمان إلا أنه كان خالياً من الأولاد والزوجات وكان له وزير يقاربه في الصفات من الجـود والهبـات فاتفق أنه أرسل إلى وزيره يوماً من الأيام وأحضره بين يديه وقال له يا وزير أنه ضـاق صـدري وعيـل صبري وضعف مني الجلد لكوني بلا زوجة ولا ولد وما هذا سبيل الملوك الحكام على كل أمير وصـعلوك فإنهم يفرحون بخلفة الأولاد وتتضاعف لهم بهم العدد والأعداد وقد قال النبي ﷺ تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة فما عندك من الرأي يا وزير فأشر على بما فيه النصح من التدبير فلما سمع الـوزير ذلـك الكلام فاضت الدموع من عينيه بالأنسجام وقال هيهات يا ملك الزمان أن أتكلم فيما هو من خصائص الرحمن أتريد أن أدخل النار بسخط الملك الجبار فقال له الملك اعلم أيها الوزير أن الملك إذا اشترى جارية لا يعلـم حسبها ولا يعرف نسبها فهو لا يدري خساسة أصلها حتى يجتنبها ولا شرف عنصرها حتـى يتسـرى بهـا أفضى إليها ربما حملت منه فيجيء الولد منافقاً ظالماً سفاكاً للدماء ويكون مثلها مثل الأرض السخبة إذا زرع فيها زرع فإنه يخبث نباته ولا يحسن ثباته وقد يكون ذلك الولد متعرضاً لسخط مولاه ولا يفعل ما أمره بـه ولا يجتنب ما عنه نهاه فأنا لا أسبب في هذا بشراء جارية أبداً وأنما مرادي أن تخطب لي بنتـاً مـن بنـات الملوك يكون نسبها معروفاً وجمالها موصوفاً فإن دلتني على ذات النسب والدين من بنات ملـوك المسـلمين فإني أخطبها وأتزوج بها على رؤوس الأشهاد ليحصل لي بذلك رضا رب العباد فقال له الوزير أن ا قضى حاجتك وبلغك أمنيتك فقال له وكيف ذلك فقال له اعلم أيها الملك أنه بلغني أن الملك زهـر شـاه صـاحب الأرض البيضاء له بنت بارعة في الجمال يعجز عن وصفها القيل والقال ولم يوجد لها في هذا الزمان مثيـل

لأنها في غاية الكمال قويمة الاعتدال ذات طرف كحيل وشعر طويل وخصر بحيل وردف ثقيـل إن أقبلـت فتنت وأن أدبرت قتلت تأخذ القلب والناظر كما قال فيها الشاعر:

هيفـاء تخجـل غصـن البـان قامتهـا	لـم يحـك طلعتهـا شـمس ولا قمـر
كأنمــا ريقهــا شــهد وقــد مزجــت	بـه المدامـة لكـن ثغرهـا درر
ممشوقة القـد مـن حـور الجنـان لهـا	وجـه جميـل وي ألحاظهـا حـور
وكم لهـا مـن قتيـل مـات مـن كمـد	وفي طريـق هواهـا الخـوف والخطـر
إن عشت فهي المنى مـا شـئت أذكرهـا	أو مت مـن دونهـا لـم يجـدني العمـر

فلما فرغ الوزير من وصف تلك الجارية قال للملك سليمان شاه الرأي عندي أيها الملك أن يرسل إلـى أبيها رسولاً فطناً خبيراً بالأمور مجرباً لتصاريف الدهور ليتلاطف في خطبتها لك من أبيها ظنها لا نظير لهـا في قاصي الأرض ودانيها ونحظي منها بالوجه الجميل ويرضى فيك الرب الجليل فقد ورد عن النبي ﷺ أنـه قال لا رهبانية في الإسلام فعند ذلك توجه إلى الملك كمال الفرح وأتسع صدره وانشرح وزال عنه الهم والغم ثم أقبل على الوزير وقال اعلم أيها الوزير انه لا يتوجه لهذا الأمر إلا أنت لكمال عقلك وأدبك فقم إلى منزلك وأقض أشغالك وتجهز في غد واخطب لي هذه البنت التي أشغلت بها خاطري ولا تعد لي إلا بها فقال سـمعاً وطاعة ثم إن الوزير توجه إلى منزله واستدعي الهدايا التي تصلح للملوك من ثمين الجواهر ونفيس الـذخائر وغير ذلك مما هو خفيف في الحمل وثقيل في الثمن ومن الخيل العربية والدروع الداودية وصناديق المـال التي يعجز عن وصفها المقال ثم حملوها على البغال والجمال وتوجه الوزير ومعه مائة مملوك ومائة جارية وانتشرت على رأسه الرايات والأعلام وأوصاه الملك أن يأتي إليه في مدة قليلة من الأيام وبعد توجهه صار الملك سليمان شاه على مقالي البار مشغولاً بحبها في الليل والنهار وسار الوزير لـيلاً ونهـاراً يطـوى برار وأقفار حتى بقي بينه وبين المدينة التي هو متوجه إليها يوم واحد ثم نزل على شاطيء نهر وأحضر بعـض خواصه وأمره أن يتوجه إلى الملك زهرشاه بسرعة ويخبره بقدومه عليه فقال سمعاً وطاعة ثم توجه بسرعة إلى تلك المدينة فلما قدم عليها وافق قدومه أن الملك زهر شاه كان جالساً في بعض المنتزهـات قـدام بـاب المدينة فرآه وهو داخل وعرف أنه غريب فأمر بإحضاره بين يديه فلما حضر الرسول أخبره بقـدوم وزيـر الملك الأعظم سليمان شاه صاحب الأرض الخضراء وجبال أصفهان ففرح الملك زهر شاه ورحب بالرسول وأخذه وتوجه إلى قصره وقال أين فارقت الوزير فقال فارقته على شاطيء النهر الفلاني وفـي غـد يكـون واصلاً إليك وقادماً عليك أدام ا نعمته عليك ورحم والديك فأمر زهر شاه بعض وزرائه أن يأخـذ معظـم خواصه وحجابه ونوابه وأرباب دولته ويخرج بهم إلى مقابلته تعظيماً للملك سليمان شاه لأن حكمه نافذ فـي الأرض هذا ما كان من أمر الملك زهر شاه (وأما) ما كان من أمر الوزير فإنه استقر في مكانه إلى نصـف الليل ثم رحل متوجهاً إلى المدينة فلما لاح الصباح وأشرقت الشمس على الروابي والبطـاح لـم يشـعر إلا ووزير الملك زهر شاه وحجابه وأرباب دولته وخواص مملكته قدموا عليه واجتمعوا به على فراسـخ مـن المدينة فأيقن الوزير بقضاء حاجته وسلم على الذين قابلوه ولم يزالوا سائرين قدامه حتى وصلوا إلى قصـر الملك ودخلوا بين يديه في باب القصر إلى سابع دهليز وهو المكان الذي لا يدخله الراكب لأنه قريـب مـن

الملك فترجل الوزير وسعي على قدميه حتى وصل إلى إيوان عال وفي صدر ذلك الأيوان سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وله أربعة قوائم من أنياب الفيل وعلى ذلك السرير مرتبة من الأطلس الأخضر مطرزة بالذهب الأحمر ومن فوقها سرادق بالدر والجوهر والملك زهر شاه جالس على ذلك السرير وأرباب دولته وأقفون في خدمته فلما دخل الوزير عليه وصار بين يديه ثبت جنانه وأطلق لسانه وأبدى فصاحة الوزراء وتكلم بكلام البلغاء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن وزير الملك سليمان شاه لما دخل على الملك زهر شاه قربه الملك زهر شاه وأكرمه غاية الأكرام وأجلسه بجانبه وتبسم في وجهه وشرفه بلطيف الكلام ولم يزالا على ذلك إلى وقت الصباح ثم قدموا السماط في ذلك الأيوان فأكلوا جميعاً حتى اكتفوا ثم رفع السماط وخرج كل من في المجلس ولم يبق إلا الخواص فلما رأى الوزير خلو المكان نهض قائماً على قدميه وأثنى على الملك وقبل الأرض بين يديه ثم قال أيها الملك الكبير والسيد الخطير إني سعيت إليك وقدمت عليك في أمر لك فيه الصلاح والخير والفلاح وهو أني قد أتيتك رسولاً خاطباً وفي بنتك الحسيبة النسيبة راغباً من عند الملك سليمان شاه صاحب العدل والأمان والفضل والإحسان ملك الأرض الخضراء وجبال أصفهان وقد أرسل إليك الهدايا الكثيرة والتحف الغزيرة وهو في مصاهرتك راغب فهل أنت له كذلك طالب ثم أنه سكت ينتظر الجواب فلما سمع الملك زهر شاه ذلك الكلام نهض قائماً على الإقدام ولثم الأرض باحتشام فتعجب الحاضرون من خضوع الملك للرسول واندهشت منهم العقول ثم أن الملك أثنى على ذي الجلال والإكرام وقال وهو في حالة القيام أيها الوزير المعظم والسيد المكرم أسمع ما أقول أننا للملك سليمان شاه من جملة رعاياه ونتشرف بنسبه ونتنافس فيه وأبنتي جارية من جملة جواريه وهذا أجل مرادي ليكون ذخري واعتمادي ثم أنه أحضر القضاء والشهود وشهدوا أن الملك سليمان شاه وكل وزيره في الزواج وتولى الملك زهر شاه عقد ابنته بابتهاج ثم أن القضاء أحكموا عقد النكاح ودعوا لهما بالفوز والنجاح فعند ذلك قام الوزير وأحضر ما جاء به من الهدايا ونفائس التحف والعظايا وقدم الجميع للملك زهر شاه ثم أن الملك أخذ في تجهيز ابنته وأكرام الوزير وعم بولائمه العظيم والحقير واستمر في إقامة الفرح مدة شهرين ولم يترك فيه شيئاً مما يسر القلب والعين ولما تم ما تحتاج غليه العروس أمر الملك بإخراج الخيام فضربت بظاهر المدينة وعبوا القماش في الصناديق وهيئوا الجواري الروميات والوصائف التركيات وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد ثم أنهم أحضروا الوصائف التركيات وأصحب العروسة بنفيس الذخائر وثمين الجواهر ثم صنع محفة من الذهب الأحمر مرصعة بالدر والجوهر وأفرد لها عشر بغال للمسير وصارت تلك المحفة كأنها مقصورة من المقاصير وصاحبتها كأنها حوراء من الحور الحسان وخدرها كقصر من قصور الجنان ثم حزموا الذخائر والأموال وحملوها على البغال والجمال وتوجه الملك زهر شاه معهم

قدر ثلاثة فراسخ ثم ودع ابنته وودع الوزير ومن معه ورجع إلى الأوطان في فرح وأمان وتوجـه الـوزير بأبنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير توجه بأبنة الملك وسار ولم يزل يطوى لمراحل والقفار ويجد السير في الليل والنهار حتى بقي بينه وبين بلاده ثلاثة أيام ثم أرسل إلى الملك سليمان شاه من يخبره بقـدوم العروسة فأسرع الرسول بالسير حتى وصل إلى الملك وأخبره بقدوم العروسة ففرح الملك سليمان شاه وخلع على الرسول وأمر عساكره أن يخرجوا في موكب عظيم إلى ملاقاة العروسة ومن معها بالتكريم وأن يكونوا في أحسن البهجات وأن ينشروا على رؤوسهم الرايات فامتثلوا أمره ونادى المنادي أنه لا تبقى بنت مخـدرة ولا حرة موقرة ولا عجوز مكسرة إلا وتخرج إلى لقاء العروسة فخرجوا جميعاً إلى لقاءها وسعت كبـراؤهم في خدمتها وأتفقوا على أن يتوجهوا بها في الليل إلى قصر الملك وأتفق أرباب الدولة على أن يزينوا الطريق وأن يقفوا حتى تمر بهم العروسة والخدم قدامها والجواري بين يديها وعليها الخلعة التي أعطاها لهـا أبوهـا فلما أقبلت أحاط بها العسكر ذات اليمين وذات الشمال ولم تزل المحفة سائرة بها إلى أن قربت مـن القصـر ولم يبق أحد إلا وقد خرج ليتفرج عليها وصارت الطبول ضاربة والرماح لاعبة والبوقات صائحة وروائـح الطيب فائحة والرايات خافقة والخيل متسابقة حتى وصلوا إلى باب القصر وتقدمت الغلمان بالمحفة إلى بـاب السر فأضاء المكان ببهجتها وأشرقت جهاته بحلي زينتها فلما أقبل الليل فتح الخدم أبواب السـرادق ووقفـوا وهم محيطون بالباب ثم جاءت العروسة وهي بين الجواري كالقمر بين النجوم أو الدرة الفريدة بـين اللؤلـؤ المنظوم ثم دخلت المقصورة وقد نصبوا لها سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر فجلست عليه ودخـل عليها الملك وأوقع ا محبتها في قلبه فأزال بكارتها وزال ما كان عنده من القلق والسهر وأقام عندها نحـو شهر فعلقت منه في أول ليلة وبعد تمام الشهر خرج وجلس على سرير مملكته وعدل في رعيته إلى أن وفت أشهرها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣٣)

قالت بلغني أن الملك عندما جلس على سرير مملكته إلى أن وقت أشهرها وفي آخر ليلة الشهر التاسع جاءها المخاض عند السحر فجلست على كرسي الطلق وهون ا عليها الولادة فوضعت غلاماً ذكراً تلـوح عليه علامات السعادة فلما سمع الملك بالولد فرح فرحاً جليلاً وأعطى المبشر مالاً جزيلاً ومن فرحته توجـه إلى الغلام وقبله بين عينيه وتعجب من جماله الباهر وتحقق فيه قول الشاعر:

ا خـــول منـــه آجـــام العـــلا	أســـداً وأفـــاق الرياســـة كوكبـــاً
هشـــت لمطلعـــه الأســـنة والأســـره	والمحافـــل والجحافـــل والظبـــى
لا تركبـــوه علـــى النهـــود فإنـــه	ليـــرى ظهـــور الخيـــل أوطـــأ مركبـــا
ولتفطمـــوه عـــن الرضـــاع فإنـــه	ليـــرى دم الأعـــداء أحلـــى مشـــربا

ثم أن الدايات أخذن ذلك المولود وقطعن سرته وكحلن مثلته ثم سموه تاج الملوك خازان وأرتضع ثدي الدلال وتربى في حجر الأقبال ولازالت الأيام تجري والأعوام تمضي حتى صار له من العمر سـبع سـنين

فمنذ ذلك أحضر الملك سليمان شاه العلماء والحكماء وأمرهم أن يعلموا ولده الخط والحكمة والأدب فمكثـوا على ذلك مدة سنين حتى تعلم ما يحتاج إليه الأمر فلما عرف جميع ما طلبه منه الملك أحضـره مـن عنـد الفقهاء والمعلمين وأحضر له أستاذاً يعلمه الفروسية فلم يزل يعلمه حتى صار له من العمر أربعة عشر سـنة وكان إذا خرج لبعض أشغاله يفتتن به كل من رآه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن تاج الملوك خاران بن الملك سليمان شاه لما مهر في الفروسية وفـاق أهل زمانه صار من فرط جماله إذا خرج إلى بعض أشغاله يفتتن به كل من رآه حتى نظموا فيـه الأشـعار وتهتكت في محبته الأحرار لما حوى من الجمال الباهر كما قال فيه الشاعر:

عانقتـه فسـكرت مـن طيـب الشـذا	غصـناً طيبـاً بالنسـيم قـد اغتـذى
سـكران مـا شـرب المـدام وإنمـا	أمسـى بخمـر رضـا بـه متنبـذا
أضـحى الجمـال بأسـره فـي أسـره	فلاجـل ذلـك علـى القلـوب اسـتحوذا
وا مـا خطـر السـلو بخـاطري	مادمـت فـي قيـد الحيـاة ولا إذا
أن عشت عشت علـى هـواه وأن مـت	وجـدا بـه وصـبابة يـا حبـذا

فلما بلغ من العمر ثمانية عشر عاماً وبلغ مبلغ الرجال زاد به الجمال ثم صار لتاج الملـوك خـاران أصحاب وأحباب وكل من تقرب إليه يرجوا إنه يصير سلطاناً بعد موت أبيه وأن يكون عنده أميراً ثـم أنـه تعلق بالصيد والقنص وصار لم يفتر عنه ساعة واحدة وكان والده الملك سليمان شاه ينهاه عن ذلـك مخافـة عليه من آفات البر والوحوش فلم يقبل منه ذلك أتفق أنه قال لخدامه خذوا معكم عليق عشرة أيام فامتثلوا مـا أمرهم به فلما خرج بإتباعه للصيد والقنص وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن تاج الملوك لما أمر خدامه بالخروج وساروا في البـر ولـم يزالـوا سائرين أربعة أيام حتى أشرفوا على أرض خضراء فرأوا فيها وحوشاً راتعة وأشجاراً يانعة وعيونـاً نابعـة فقال تاج الملوك لاتباعه انصبوا الحبائل هنا وأوسعوا دائرة حلقتها ويكون اجتماعنا عنـد رأس الحلقـة فـي المكان الفلاني فامتثلوا أمره ونصبوا الحبائل وأوسعوا دائرة حلقتها فاجتمع فيها شيء كثيـر مـن أصـناف الوحوش والغزلان إلى أن ضجت منهم الوحوش وتنافرت في وجوه الخيل فأغرى عليها الكـلاب والفهـود والصقور ثم ضربوا الوحوش بالنشاب فأصابوا مقاتل الوحوش وما وصلوا إلى آخر الحلقة إلا وقد أخذوا من الوحوش شيئاً كثيراً وهرب الباقي وبعد ذلك نزل تاج الملوك على الماء وأحضر الصيد وقسمه وأفرد لأبيـه سليمان شاه خاص الوحوش وأرسله إليه وفرق البعض على أرباب دولته وبات تلك الليلة في ذلك المكان فلما أصبح الصباح أقبلت عليهم قافلة كبيرة مشتملة على عبيد وغلمان وتجار فنزلت تلـك القافلـة علـى المـاء والخضرة فلما رآهم تاج الملوك قال لبعض أصحابه ائتني بخبر هؤلاء وأسألهم لأي شيء نزلـوا فـي هـذا المكان فلما توجه إليهم الرسول قال لهم أخبرونا من أنتم وأسرعوا في رد الجواب فقالوا له نحن تجار ونزلنا هنا لأجل الراحة لأن المنزل يعيد علينا وقد نزلنا في هذا المكان لأننا مطمئنون بالملك سليمان شـاه وولـده

ونعلم أن كل من نزل عنده صار في أمان واطمئنان ومعنا قماش نفيس جئنا به من أجل ولده تـاج الملـوك فرجع الرسول إلى ابن الملك وأعلمه بحقيقة الحال وأخبره بما سمعه من التجار فقال ابن الملك إذا كان معهم شيء جاءوا به من أجلي فما أدخل المدينة ولا أرحل من هذا المكان حتى استعرضه ثم ركب جواده وسـار وسارت مماليكه خلفه إلى أن أشرف على القافلة فقام له التجار ودعوا لـه بالنصـر والأقبـال ودوام العـز والأفضال وقد ضربت له خيمة من الأطلس الأحمر مزركشة من الدر والجوهر وفرشوا له مقعـداً سـلطانياً فوق بساط من الحرير وصدره مزركش بالزمرد فجلس تاج الملوك ووقفت المماليك في خدمته وأرسل إلـى التجار وأمرهم أن يحضروا بجميع ما معهم فأقبلت عليه التجار ببضائعهم فاستعرض جميع بضائعهم وأخـذ منها ما يصلح له ووفى لهم بالثمن ثم ركب وأراد أن يسير فلاحت منه التفاته إلى القافلة فرأى شـاباً جميـل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني بجبين أزهر ووجه أقمر إلا أن ذلك الشاب قد تغيرت محاسـنه وعـلاه الأصفرار من فرقة الأحباب. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن تاج الملوك لاحت منه التفاته إلى القافلة فرأى شاباً جميـل الشـباب نظيف الثياب ظريف المعاني إلا أن ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الأصفرار من فرقة الأحبـاب وزاد به الانتحاب وسالت من جفنيه العبرات وهو ينشد هذه الأبيات:

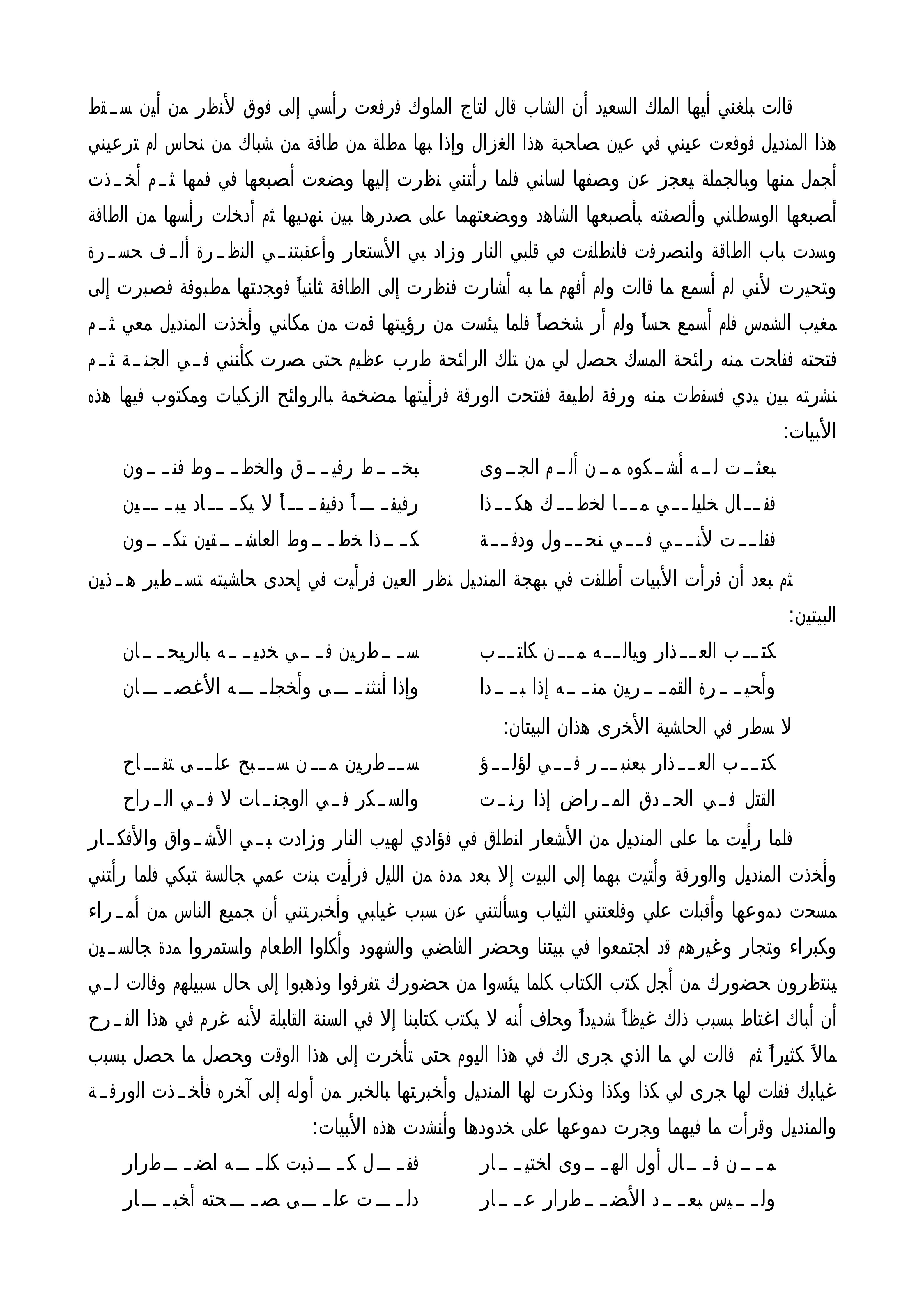
طـال الفـراق ودام الهـم والوجـل والدمع فـي مقلتـي يـا صـاح منهمـل
والقلـب ودعتـه يـوم الفـراق وقـد بقيـت فـرداً فـلا قلـب ولا أمـل
يا صاحبي قـف معـي حتـى أودع مـن مـن نطقهـا تشـفى الأمـراض والعلـل

ثم إن الشاب بعد ما فرغ من الشعر بكى ساعة وغشي عليه فلما رآه تاج الملوك على هذه الحالة تحير في أمره وتمشى إليه فلما أفاق من غشيته نظر ابن الملك واقفاً على رأسه فنهض قائماً علـى قدميـه وقبـل الأرض بين يديه فقال له تاج الملوك لأي شيء لم تعرض بضاعتك علينا فقال يا مولاي أن بضاعتي لـيس فيها شيء يصلح لسعادتك فقال لابد أن تعرض على ما معك وتخبرني بحالك فإني أراك باكي العين حـزين القلب فإن كنت مظلوماً أزلنا ظلامتك وأن كنت مديوناً قضينا دينك فإن قلبي قد أحترق من أجلك حين رأيتك ثم إن تاج الملوك أمر بنصب كرسي فنصبوا له كرسياً من العاج والأبنوس مشبكاً بالذهب والحرير وبسـطوا له بساطاً من الحرير فجلس تاج الملوك على الكرسي وأمر الشاب أن يجلس على البساط وقال لـه أعـرض على بضاعتك فقال له الشاب يا مولاي لا تذكر لي ذلك فإن بضاعتي ليست بمناسبة لك فقال له تاج الملـوك لابد من ذلك ثم أمر بعض غلمانه بإحضارها فأحضروها قهراً عنه فلما رآها الشاب جرت دموعه وبكى وأن واشتكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

بمـا بجفنيـك عـن غـنج ومـن كحـل ومـا بقـدك مـن لـين ومـن ميـل

النسيم ورؤيته ألطف من شفاء السقيم فمسكته بيدي ورفعت رأسي إلى فوق لأنظر من أين سقط هـذا المنديل فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣٨)



قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فرفعت رأسي إلى فوق لأنظر من أين سـقط هذا المنديل فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال وإذا بها مطلة من طاقة من شباك من نحاس لم ترعيني أجمل منها وبالجملة يعجز عن وصفها لساني فلما رأتني نظرت إليها وضعت أصبعها في فمها ثـم أخـذت أصبعها الوسطاني وألصقته بأصبعها الشاهد ووضعتهما على صدرها بين نهديها ثم أدخلت رأسها من الطاقة وسدت باب الطاقة وانصرفت فانطلقت في قلبي النار وزاد بي الأستعار وأعقبتنـي النظـرة ألـف حسـرة وتحيرت لأني لم أسمع ما قالت ولم أفهم ما به أشارت فنظرت إلى الطاقة ثانياً فوجدتها مطبوقة فصبرت إلى مغيب الشمس فلم أسمع حساً ولم أر شخصاً فلما يئست من رؤيتها قمت من مكاني وأخذت المنديل معي ثـم فتحته ففاحت منه رائحة المسك حصل لي من تلك الرائحة طرب عظيم حتى صرت كأنني فـي الجنـة ثـم نشرته بين يدي فسقطت منه ورقة لطيفة ففتحت الورقة فرأيتها مضخمة بالروائح الزكيات ومكتوب فيها هذه الأبيات:

بعثـت لـه أشـكوه مـن ألـم الجـوى ... بخـط رقيـق والخطـوط فنـون

فقـال خليلـي مـا لخطـك هكـذا ... رقيقـاً دقيقـاً لا يكـاد يبـين

فقالـت لأنـي فـي نحـول ودقـة ... كـذا خطـوط العاشـقين تكـون

ثم بعد أن قرأت الأبيات أطلقت في بهجة المنديل نظر العين فرأيت في إحدى حاشيته تسـطير هـذين البيتين:

كتـب العـذار وياله مـن كاتـب ... سـطرين فـي خديـه بالريحـان

وأحيـرة القمـرين منـه إذا بـدا ... وإذا أنثنـى وأخجلـه الأغصـان

لا سطر في الحاشية الأخرى هذان البيتان:

كتـب العـذار بعنبـر فـي لؤلـؤ ... سـطرين مـن سـبج علـى تفـاح

القتل فـي الحـدق المـراض إذا رنـت ... والسـكر فـي الوجنـات لا فـي الـراح

فلما رأيت ما على المنديل من الأشعار انطلق في فؤادي لهيب النار وزادت بـي الأشـواق والأفكـار وأخذت المنديل والورقة وأتيت بهما إلى البيت إلا بعد مدة من الليل فرأيت بنت عمي جالسة تبكي فلما رأتني مسحت دموعها وأقبلت علي وقلعتني الثياب وسألتني عن سبب غيابي وأخبرتني أن جميع الناس من أمـراء وكبراء وتجار وغيرهم قد اجتمعوا في بيتنا وحضر القاضي والشهود وأكلوا الطعام واستمروا مدة جالسـين ينتظرون حضورك من أجل كتب الكتاب كلما يئسوا من حضورك تفرقوا وذهبوا إلى حال سبيلهم وقالت لـي أن أباك اغتاظ بسبب ذلك غيظاً شديداً وحلف أنه لا يكتب كتابنا إلا في السنة القابلة لأنه غرم في هذا الفـرح مالاً كثيراً ثم قالت لي ما الذي جرى لك في هذا اليوم حتى تأخرت إلى هذا الوقت وحصل ما حصل بسبب غيابك فقلت لها جرى لي كذا وكذا وذكرت لها المنديل وأخبرتها بالخبر من أوله إلى آخره فأخـذت الورقـة والمنديل وقرأت ما فيهما وجرت دموعها على خدودها وأنشدت هذه الأبيات:

مـن قـال أول الهـوى اختيـار ... فقـل كـذبت كلـه اضطـرار

ولـيس بعـد الأضـطرار عـار ... دلـت علـى صحتـه أخبـار

ما زيفت على صحيح النقد

فـــإن تشـــأ فقـــل عـــذاب يعـــذب	أو ضـــربان فـــي الحشـــى أو ضـــرب
نعمـــــــــة أو نقمـــــــــة أو أرب	تـــأتنس الـــنفس بـــه أو تعطـــب

قد حرت بين عكسه والطرد

ومـــــــع ذا أيامـــــــه مواســـــــم	وثغرهـــا علـــى الـــدوام باســـم
ونفحـــــــات طيبهـــــــا نواســـــــم	وهـــو لكـــل مـــا يشـــين حاســـم

ما حل قط قلب بدل وغد

ثم أنها قالت لك وما أشارت به إليك فقلت لها ما نطقت بشيء غير أنها وضعت أصبعها في فمها ثـم قرنتها بالأصبع الوسطى وجعلت الأصبعين على صدرها وأشارت إلى الأرض ثم أدخلت رأسـها وأغلقـت الطاقة ولم أرها بعد ذلك فأخذت قلبي معها فقعدت إلى غياب الشمس أنها تطل من الطاقة ثانياً فلم تفعل فلمـا يئست منها قمت من ذلك المكون وهذه قصتي واشتهي منك أن تعينني على ما بليت فرفعت رأسها إلى وقالت يا ابن عمي لو طلبت عيني لأخرجتها لك من جفون ولابد أن أساعدك على حاجتك وأساعدها على حاجتهـا فإنها مغرمة بك كما إنك مغرم بها فقلت لها وما تفسير ما أشارت به قالت أما موضع أصبعها في فمها فإنـه إشارة إلى أنك عندها بمنزلة روحها من جسدها وأنما تعض على وصالك بالنواجذ وأما المنديل فإنه إشـارة إلى سلام المحبين على المحبوبين وأما الورقة فإنها إشارة إلى أن روحها متعلقة بك وأما موضـع أصـبعيها على صدرها بين نهديها فتفسيره أنها تقول لك بعد يومين تعال هنا ليزول عني بطلعتك العنا اعلم يا ابن عمي إنها لك عاشقة وبك واثقة وهذا ما عندي من التفسير لأشارتها ولو كنت أدخل وأخرج لجمعت بينك وبينها في أسرع وقت وأستركما بذيلي قال الغلام فلما سمعت ذلك منها شكرتها على قولها وقلت في نفسي أنـا أصـبر يومين ثم قعدت في البيت يومين لا أدخل ولا أخرج ولا آكل ولا أشرب ووضعت رأسي في حجر ابنة عمي وهي تسليني وتقول قوى عزمك وهمتك وطيب قلبك وخاطرك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ١٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما انقضى اليومان قالت لي ابنة عمي طـب نفساً وقر عيناً وألبس ثيابك وتوجه إليها على الميعاد ثم أنها قامت وغيرت أثوابي وبخرتني ثم شددت حيلـي وقويت قلبي وخرجت وتمشيت إلى أن دخلت الزقاق وجلست على المصطبة ساعة وإذا بالطاقة قد انفتحـت فنظرت بعيني إليها فلما رأيتها وقعت مغشياً على ثم أفقت فشددت عزمي وقويت قلبي ونظرت إليهـا ثانيـاً فغبت عن الوجود ثم استفقت فرأيت معها مرآة ومنديلاً أحمر وحين رأتني شمرت عن ساعد يهـا وفتحـت أصابعها الخمس ودقت بها على صدرها بالكف والخمس أصابع ثم رفعت يديها وأبرزت الماء مـن الطاقـة وأخذت المنديل الأحمر ودخلت وعادت وأدلته من الطاقة إلى صوب الزقاق ثلاث مرات وهي تدليه وترفعـه ثم عصرته ولفته بيدها وطأطأت رأسها ثم جذبتها من الطاقة وأغلقت الطاقة وأنصرفت ولم تكلمنـي كلمـة

واحدة بل تركتني حيران لا أعلم ما أشارت به واستمريت جالساً إلى وقت العشاء ثم جئت إلى البيت قـرب نصف الليل فوجدت ابنة عمي واضعة يدها على خدها وأجفانها تسكب العبرات وهي تنشد هذه الأبيات:

مـالي وللاحـي عليـك يعنـف	كيـف السـلو وأنـت غصـن أهيـف
يـا طلعـة سـلبت فـؤادي وأنثنـت	مـا للهـوى العـذري عنهـا مصـرف
تركيـة الألحـاظ تفعـل بالحشـا	مـا لـيس يفعلـه الصـقيل المرهـف
حملتنـي نقـل الغـرام ولـيس لـي	جلـد علـى حمـل القمـيص وأضـعف
ولقـد بكيـت دمـاً لقـول عـوازلي	من جفن مـن تهـوى بروعـك مرهـف
يـا ليـت قلبـي مثـل قلبـك أنمـا	جسـمي كخصـرك بالنحافـة متلـف
لـك يـا أميـري فـي الملاحـة نـاظر	صـعب علـى وحاجـب لا ينصـف
كـذب الـذي قـال الملاحـة كلهـا	في يوسـف كـم فـي جمالـك يوسـف
أتكلـف الأعـراض عنـك مخافـة	مـن أعـين الرقبـاء كـم أتكلـف

فلما سمعت شعرها زاد ما بي من الهموم وتكاثرت على الغموم ووقعت في زوايا البيت فنهضت إلـى وحملتني وقلعتني أثوابي ومسحت وجهي بكمها ثم سألتني عما جرى لي فحكيت لها جميع ما حصـل منهـا فقالت يا ابن عمي أما أشارتها بالكف والخمسة أصابع فإن تفسيره تعال بعد خمسة أيام وأما اشارتها بـالمرآة وأبراز رأسها من الطاقة فإن تفسيره أقعد على دكان الصباغ حتى يأتيك رسولي فلما سمعت كلامها اشـتعلت النار في قلبي وقلت با يا بنت عمي أنك تصدقيني في هذا التفسير لأني رأيت في الزقاق صباغاً يهودياً ثـم بكيت فقالت ابنة عمي قوي عزمك وثبت قلبك فإن غيرك يشتغل بالعشق مدة سنين ويتجلد على حر الغـرام وأنت لك جمعة فكيف يحصل لك هذا الجزع ثم أخذت تسليني بالكلام وأتت لي بالطعام فأخذت لقمـة وأردت أن آكلها فما قدرت فامتنعت من الشراب والطعام وهجرت لذيذ المنام وأصفر لوني وتغيرت محاسني لأني ما عشقت قبل ذلك ولا ذقت حرارة العشق إلا في هذه المرة فضعفت وضعفت بنت عمي من أجلـي وصـارت تذكر لي أحوال العشاق والمحبين على سبيل التسلي في كل ليلة إلى أن أنام وكنت أستيقظ فأجدها سهرانة من أجلي ودمعها يجري على خدها ولم أزل كذلك إلى أن مضت الخمسة أيام فقامت أبنة عمي وسخنت لي مـاء وحمتني وألبستني ثيابي وقالت لي توجه إليها قضى ا حاجتك وبلغك مقصودك من محبوبتك فمضيت ولـم أزل ماشياً إلى أن أتيت إلى رأس الزقاق وكان ذلك في يوم السبت فرأيت دكان الصباغ مقفلة فجلست عليهـا حتى أذن العصر وأصفرت الشمس وأذن المغرب ودخل الليل وأنا لا أدري لها أثراً ولم أسمع حساً ولا خبراً فخشيت على نفسي وأنا جالس وحدي فقمت وتمشيت وأنا كالسكران إلى أن دخلت البيت فلما دخلـت رأيـت ابنة عمي عزيزة وإحدى يديها قابضة على وتد مدقوق في الحائط ويدها الأخرى على صدرها وهي تصـعد الزفرات وتنشد هذه الأبيات:

ومـا وجـد أعرابيـة بـأن أهلهـا	فحنـت إلـى بـان الحجـاز ورنـده
إذا آنسـت ركبـاً تكفـل شـوقها	بنـار قـراه والـدموع بـوارده
يـا عظـم عـن وجـدي بحبـي وأنمـا	يـرى أننـي أذنبـت ذنبـاً بـوده

فلما فرغت من شعرها التفتت إلى فرأتني أبكي فمسحت دموعها ودموعي بكمها وتبسمت في وجهـي وقالت لي يا ابن عمي هناك ا بما أعطاك فلأي شيء لم تبت الليلة عند محبوبتك ولم تقض منها أربك فلما سمعت كلامها رفستها برجلي في صدرها فأنقلبت على الأيوان فجاءت جبهتها على طرف الأيـوان وكـان هناك وتد فجاء في جبهتها فعاملتها فرأيت جبهتها قد انفتح وسال دمها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عـن الكلام المباح.

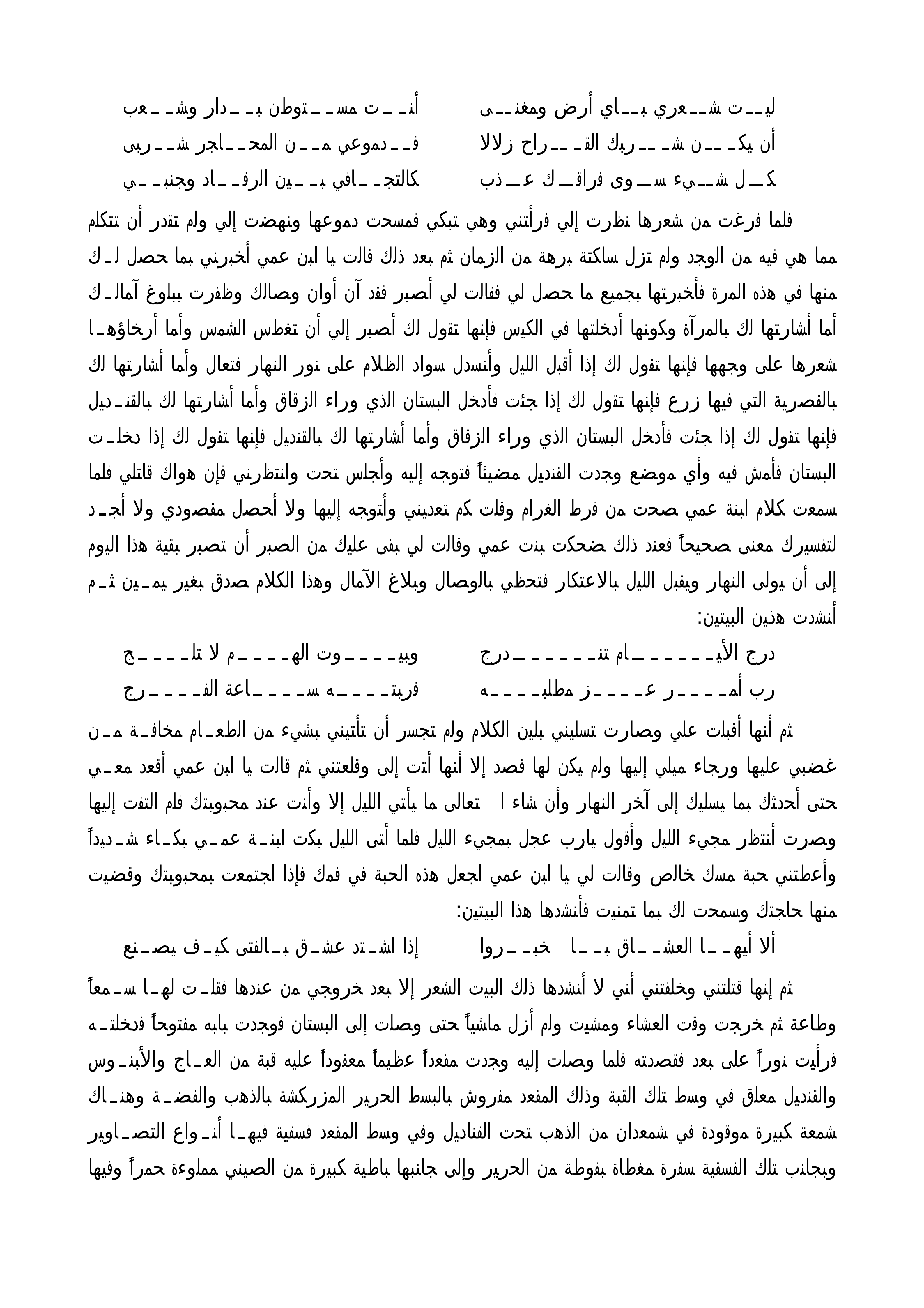
(وفي ليلة ١٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما رفست ابنة عمي في صدرها انقلبت على طرف الأيوان فجاء الوتد في جبينها فانفتح جبينها وسال دمها فسكتت ولم تنطق بحرف واحد ثم أنها قامـت في الحال وأحرقت حراقاً وحشت به ذلك الجرح وتعصبت بعصابة ومسحت الدم الذي سال على البساط وكأن ذلك شيء ما كان ثم أنها أتتنى وتبسمت في وجهي وقالت لي بلين الكلام وا يا ابن عمي ما قلت هذا الكلام استهزاء بك ولا بها وقد كنت مشغولة بوجع رأسي ومسح الدم وفي هذه الساعة قد خفت رأسي وخفت جبهتي فأخبرني بما كان من أمرك في هذا اليوم فحكيت لها جميع ما وقع لي منها في ذلك اليوم وبعد كلامي بكيـت فقالت يا ابن عمي أبشر بنجاح قصدك وبلوغ أملك أن هذه علامة القبول هو ذلك أنها غابت عنك لأنها تريـد أن تختبرك وتعرف هل أنت صابر أو لا وهل أنت صادق في محبتها أو لا وفي غد توجه إليها في مكانـك الأول وانظر ماذا تشير به إليك فقد قربت أفراحك وزالت أتراحك وصارت تسليني على ما بي وأنا لـم أزل متزايد الهموم والغموم ثم قدمت لي الطعام فرفسته فإنكبت كل زبدية في ناحية وقلت كل من كان عاشقاً فهو مجنون لا يميل إلى طعام ولا يلتذ بمنام فقالت له ابنة عمي عزيزة وا يا ابن عمي أن هذه علامـة المحبـة وسالت دموعها ولمت شقافة الزبادي ومسحت الطعام وجلست تسايرني وأنا أدعو ا أن يصبح الصباح فلما أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح توجهت إليها ودخلت ذلك الزقاق بسرعة وجلست على تلك المصطبة وإذا بالطاقة قد انفتحت وأبرزت رأسها منها وهي تضحك ثم غابت ورجعت وهي معها مرآة وكـيس وقصـرية ممتلئة زرعاً أخضر وفي يدها قنديل فأول ما فعلت أخذت المرآة في يدها وأدخلتها في الكيس ثـم وصـلته ورمته في البيت ثم أرخت شعرها على وجهها ثم وضعت القنديل على رأس الزرع لحظة ثم أخـذت جميـع ذلك وانصرفت به وأغلقت الطاقة فانفطر قلبي من هذا الحال ومن أشاراتها الخلفية ورموزها المخفية وهي لم تكلمني بكلمة قط فاشتد ذلك غرامي وزاد وجدي وهيامي ثم أني رجعت على عقبي وأنا باكي العين حـزين القلب حتى دخلت البيت فرأيت بنت عمي قاعدة ووجهها إلى الحائط وقد احترق قلبها من الهم والغم والغيـرة ولكن محبتها منعتها أن تخبرني بشيء مما عندها من الغرام لما رأت ما أنا فيه من كثرة الوجد والهيـام ثـم نظرت إليها فرأيت على رأسها عصابتين أحداهما من الوقعة على جبهتها والأخرى على عينيها بسبب وجـع أصابها من شدة بكائها وهي في أسوأ الحالات تبكي وتنشد هذه الأبيات:

أينمـا كنـت لـم تـزل بأمـان أيهـا الراحـل المقـيم بقلبـي

ولـك ا حيـث أمسـيت جـار منقـذ مـن صـروف دهـر وخطـب

غبـت فاستوحشـت لبعـدك عينـي واسـتهلت مـدامعي أي سـكب



ليت شعري بأي أرض ومغنى ... أنت مستوطن بدار وشعب
أن يكن شربك القراح زلالا ... فدموعي من المحاجر شربي
كل شيء سوى فراقك عذب ... كالتجافي بين الرقاد وجنبي

فلما فرغت من شعرها نظرت إلي فرأتني وهي تبكي فمسحت دموعها ونهضت إلي ولم تقدر أن تتكلم مما هي فيه من الوجد ولم تزل ساكتة برهة من الزمان ثم بعد ذلك قالت يا ابن عمي أخبرني بما حصل لك منها في هذه المرة فأخبرتها بجميع ما حصل لي فقالت لي أصبر فقد آن أوان وصالك وظفرت ببلوغ آمالك أما أشارتها لك بالمرآة وكونها أدخلتها في الكيس فإنها تقول لك أصبر إلي أن تغطس الشمس وأما أرخاؤها شعرها على وجهها فإنها تقول لك إذا أقبل الليل وأنسدل سواد الظلام على نور النهار فتعال وأما أشارتها لك بالقصرية التي فيها زرع فإنها تقول لك إذا جئت فأدخل البستان الذي وراء الزقاق وأما أشارتها لك بالقنديل فإنها تقول لك إذا جئت فأدخل البستان الذي وراء الزقاق وأما أشارتها لك بالقنديل فإنها تقول لك إذا دخلت البستان فأمش فيه وأي موضع وجدت القنديل مضيئاً فتوجه إليه وأجلس تحت وانتظرني فإن هواك قاتلي فلما سمعت كلام ابنة عمي صحت من فرط الغرام وقلت كم تعديني وأتوجه إليها ولا أحصل مقصودي ولا أجد لتفسيرك معنى صحيحاً فعند ذلك ضحكت بنت عمي وقالت لي بقى عليك من الصبر أن تصبر بقية هذا اليوم إلى أن يولى النهار ويقبل الليل بالاعتكار فتحظي بالوصال وبلاغ الآمال وهذا الكلام صدق بغير يمين ثم أنشدت هذين البيتين:

درج الأيام تندرج ... وبيوت الهم لا تلج
رب أمر عز مطلبه ... قربته ساعة الفرج

ثم أنها أقبلت علي وصارت تسليني بلين الكلام ولم تجسر أن تأتيني بشيء من الطعام مخافة من غضبي عليها ورجاء ميلي إليها ولم يكن لها قصد إلا أنها أتت إلى وقلعتني ثم قالت يا ابن عمي أقعد معي حتى أحدثك بما يسليك إلى آخر النهار وأن شاء الله تعالى ما يأتي الليل إلا وأنت عند محبوبتك فلم التفت إليها وصرت أنتظر مجيء الليل وأقول يارب عجل بمجيء الليل فلما أتى الليل بكت ابنة عمي بكاء شديداً وأعطتني حبة مسك خالص وقالت لي يا ابن عمي اجعل هذه الحبة في فمك فإذا اجتمعت بمحبوبتك وقضيت منها حاجتك وسمحت لك بما تمنيت فأنشدها هذا البيتين:

ألا أيها العشاق بالله خبروا ... إذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

ثم إنها قتلتني وخلفتني أني لا أنشدها ذلك البيت الشعر إلا بعد خروجي من عندها فقلت لها سمعاً وطاعة ثم خرجت وقت العشاء ومشيت ولم أزل ماشياً حتى وصلت إلى البستان فوجدت بابه مفتوحاً فدخلته فرأيت نوراً على بعد فقصدته فلما وصلت إليه وجدت مقعداً عظيماً معقوداً عليه قبة من العاج والأبنوس والقنديل معلق في وسط تلك القبة وذلك المقعد مفروش بالبسط الحرير المزركشة بالذهب والفضة وهناك شمعة كبيرة موقودة في شمعدان من الذهب تحت القناديل وفي وسط المقعد فسقية فيها أنواع التصاوير وبجانب تلك الفسقية سفرة مغطاة بفوطة من الحرير وإلى جانبها باطية كبيرة من الصيني مملوءة خمراً وفيها

قدح من بلور مزركش بالذهب وإلى جانب الجميع طبق كبير من فضة مغطي فكشفته فرأيت فيه من سائر الفواكه ما بين تين ورمان وعنب ونارنج وأترنج وكباد وبينها أنواع الرياحين من ورد وياسمين وأس ونسرين ونرجس ومن سائر المشمومات فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح وزال عني الهم والترح لكني ما وجدت في هذا الدار أحداً من خلق الله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ولم أر عبداً ولا جارية ولا من يعاني هذه الأمور فجلست في ذلك المقعد أنتظر مجيء محبوبة قلبي إلى أن مضى أول ساعة من الليل وثاني ساعة وثالث ساعة فلم تأت واشتد بي ألم الجوع لأن لي مدة من الزمان ما أكلت طعاماً لشدت وحدي فلما رأيت ذلك المكان وظهر لي صدق بنت عمي في فهم إشارة معشوقتي استرحت ووجدت ألم الجوع وقد شوقتني روائح الطعام الذي في السفرة لما وصلت إلى ذلك المكان واطمأنت نفسي بالوصال فاشتهت نفسي الأكل فتقدمت إلى السفرة وكشفت الغطاء فوجدت في وسطها طبقاً من الصيني وفيه أربع دجاجات محمرة ومتبلة بالبهارات وحول ذلك الطبق أربع زبادي واحدة حاوي والأخرى حب الزمان والثالثة بقلاوة والرابعة قطائف وتلك الزبادي ما بين حلو وحامض فأكلت من القطائف وأكلت قطعة لحم وعمدت إلى البقلاوة وأكلت منها ما تيسر ثم قصدت الحلوى وأكلت معلقة أو أثنين أو ثلاثاً أو أربعاً وأكلت بعض دجاجة وأكلت لقمة فعند ذلك امتلأت بطني وأرتخت مفاصلي وقد كسلت عن السهر فوضعت رأسي على وسادة بعد أن غسلت يدي فغلبني النوم ولم أعلم بما جرى لي بعد ذلك فما استيقظت حتى أحرقني حر الشمس لأن لي أياماً ما صادقت مناماً فلما استيقظت وجدت على بطني ملحاً وفحماً فانتصبت قائماً ونفضت ثيابي وقد التفت يميناً وشمالاً فلم أجد أحداً ووجدت أني كنت نائماً على الرخام من غير فرش فتحيرت في عقلي وحزنت حزناً عظيماً وجرت دموعي على خدي وتأسفت على نفسي فقمت وقصدت البيت فلما وصلت إليه وجدت ابنة عمي تدق بيدها على صدرها وتبكي بدمع يباري السحب الماطرات وتنشد هذه الأبيات:

هب ريح من الحمي ونسيم	فأثار الهوى بنشر هبوبه
يا نسيم الصبا هلم إلينا	كل صب بحظه ونصيبه
لو قدرنا من الغرام اعتنقنا	كاعتناق المحب صدر حبيبه
حرم الله بعد وجه ابن عمي	كل عيش من الزمان وطيبه
ليت شعري هل قلبه مثل قلبي	ذائب من حر الهوى ولهيبه

فلما رأتني قامت مسرعة ومسحت دموعها وأقبلت على بلين كلامها وقالت يا إبن عمي أنت في عشقك قد لطف الله بك حيث أحبك من تحب وأنا في بكائي وحزني على فراقك من يلومني ولكن لا آخذك الله من جهتي ثم إنها تبسمت في وجهي تبسم الغيظ ولاطفتني وقلدتني أثوابي ونشرتها وشمتها وقالت والله ما هذه روائح من حظي بمحبوبه فأخبرني بما جرى لك يا إبن عمي فأخبرتها بجميع ما جرى لي فتبسمت تبسم الغيظ ثانياً وقالت إن قلبي ملآن موجع فلا عاش من يوجع قلبك وهذه المرأة تتعزز عليك تعززاً قوياً والله يا إبن عمي إنني خائفة عليك منها واعلم يا إبن عمي أن تفسير الملح هو أنك مستغرق في النوم فكأنك دلع الطعم

بحيث تعارفك النفوس فينبغي لك أن تتملح حتى لا تمجك الطباع لأنك تدعي أنك من العشاق الكرام والنـوم على العشاق حرام فدعواك المحبة كاذبة وكذلك هي محبتها لك كاذبة لأنها لما رأتك نائماً لم تنبهك ولو كانت محبتها لك صادقة لنبهتك وأما الفحم فأن تفسير إشارته سود ا وجهك حيث ادعيت المحبة كذباً وإنما أنـت صغير لم يكن لك همة إلا الأكل والشرب والنوم فهذا تفسير إشارتها فا تعالى يخلصك منها فلمـا سـمعت كلامها ضربت بيدي على صدري وقلت وا إن هذا هو الصحيح لأني نمت والعشاق لا ينامون فأنا الظـالم لنفسي وما كان أضر على من الأكل والنوم فكيف يكون الأمر ثم إني زدت في البكاء وقلت لأبنة عمي دليني على شيء أفعله وارحميني يرحمك ا وإلا مت وكانت بنت عمي تحبني محبـة شـديدة وأدرك شـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فقالت لي على رأسي وعيني ولكن يـا إبـن عمي قد قلت لك مرارا لو كنت أدخل وأخرج لكنت أجمع بينك وبينها في أقرب زمن وأغطيكما بـذيلي ولا أفعل معك هذا إلا لقصد رضاك وإن شاء ا تعالى أبذل غاية الجهد في الجمع بينكما ولكن اسمع قولي وأبلغ أمري وأذهب إلى نفس ذلك المكان وأقعد هناك فإذا كان وقت العشاء فأجلس في الموضع الـذي كنـت فيـه وأحذر أن تأكل شيئاً لأن الأكل يجلب النوم وإياك أن تنام فإنها لا تأتي لك حتى يمضي من الليل ربعه كفـاك ا شرها فلما سمعت كلامها فرحت وصرت أدعو ا أن يأتي الليل فلما أردت الأنصراف قالت لـي إبنـة عمي إذا اجتمعت بها فاذكر لها البيت المتقدم وقت إنصرافك فقلت لها على الرأس والعـين فلمـا خرجـت وذهبت إلى البستان وجدت المكان مهيأ على الحالة التي رأيتها أولاً وفيه ما يحتاج إليه من الطعام والشـراب والنقل والمشموم وغير ذلك فطلعت المقعد وشممت رائحة الطعام فاشتاقت نفسي إليه فمنعتها مراراً فلم أقـدر على منعها فقمت وأتيت إلى السفرة وكشفت غطاءها فوجدت صحن دجاج وحوله أربع زبادي مـن الطعـام فيها أربعة ألوان فأكلت من كل لون لقمة وأكلت ما تيسر من الحلوى وأكلت قطعة لحم وشربت من الـزردة وأعجبتني فأكثرت الشرب منها بالملعقة حتى شبعت وامتلأت بطني وبعد ذلك انطبقت أجفاني فأخذت وسـادة ووضعتها تحت رأسي وقلت لعلي أتكيء عليها ولا أنام فأغمضت عيني ونمت وما أنتبهـت حتـى طلعـت الشمس فوجدت على بطني كعب عظم وفردة طاب ونواة بلح وزرة خروب وليس في المكان شيء من فرش ولا غيره وكأنه لم يكن فيه شيء بالأمس فقمت ونفضت الجميع عني وخرجت وأنا مغتاظ إلى أن وصلت إلى البيت فوجدت ابنة عمي تصعد الزفرات وتنشد هذه الأبيات:

جسـ ـدنا حـ ـل وقلـ ـب جـ ـريح	ودمـ ـوع علـ ـى الخـ ـدود تسـ ـيح
وحبيـ ـب صـ ـعب التجنـ ـي ولكـ ـن	كـ ـل مـ ـا يفعـ ـل المـ ـيح ملـ ـيح
يـا إبـن عمـي مـلأت بالوجـد قلبـي	إن طرفـ ـي مـ ـن الـ ـدموع قـ ـريح

فنهرت إبنة عمي وشتمتها فبكت ثم مسحت دموعها وأقبلت على وقبلتني وأخذت تضمني إلى صـدرها وأنا أتباعد عنها وأعاتب نفسي فقالت لي يا إبن عمي كأنك نمت في هذه الليلة فقلت لها نعـم ولكننـي لمـا انتبهت وجدت كعب عظم على بطني وفردة طاب ونواة بلح وزرة خروب وما أدرى لأي شيء فعلت هكـذا

ثم بكيت وأقبلت عليها وقلت لها فسري لي إشارة فعلها هذا وقولي لي ماذا أفعل وساعديني على الذي أنا فيه فقالت لي على الرأس والعين أما فردة الباب التي وضعتها على بطنك فإنها تشير لك إلى أنك حضرت وقلبك غائب وكأنها تقول لك ليس العشق هكذا فلا تعد نفسك من العاشقين وأما نواة البلح فإنها تشير لك بها إلى أنك لو كنت عاشقاً لكان قلبك محترقاً بالغرام ولم تذق لذيذ المنام فإن لذة الحب كتمرة ألهبت في الفؤاد جمرة وأما بزرة الخروب فإنها تشير لك به إلى أن قلب المحب مسلوب وتقول لك أصبر على فراقها صبر أيوب فلما سمعت هذا التفسير أنطلقت في فؤادي النيران وزادت بقلبي الأحزان فصحت وقلت قدر الله على النوم لقلة بختي ثم قلت لها يا إبنة عمي بحياتي عندك أن تدبري لي حيلة أتوصل بها إليها فبكت وقالت يا عزيز يا أبن عمي إن قلبي ملآن الفكر ولا أقدر أن أتكلم ولكن رح الليلة إلى ذلك المكان وأحذر أن تنام فإنك تبلغ المرام هذا هو الرأي والسلام فقلت لها أن شاء الله لا أنام وأنما أفعل ما تأمريني به فقامت بنت عمي وأتت الطعام وقالت لي كل الآن ما يكفيك حتى لا يبقى في خاطرك شيء فأكلت كفايتي لما أتى الليل قامت بنت عمي وأتتني ببدلة عظيمة وألبستني أياها وحلفتني أن أذكر لها البيت المذكور وحذرتني من النوم ثم خرجت من عند بنت عمي وتوجهت إلى البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت إلى البستان وجعلت أفتح عيني بأصابعي وأهز رأسي حين جن الليل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك وطلعت من ذلك المقعد ونظرت إلى البستان وجعلت أفتح عيني بأصابعي وأهز رأسي حين جن الليل فلما طلعت جعت من السهر وهبت على روائح الطعام فازداد جوعي وتوجهت إلى السفرة وكشفت غطاءها وأكلت من كل لون لقمة وأكلت قطعة لحم وأتيت إلى باطية الخمر وقلت في نفسي أشرب قدحاً فشربته ثم شربت الثاني والثالث إلى غاية عشرة وقد ضربني الهواء فوقعت على الأرض كالقتيل ومازلت كذلك حتى طلع النهار فانتبهت فرأيت نفسي خارج البستان وعلى بطني شفرة ماضية ودرهم حديد فارتجفت وأخذتهما وأتيت بهما إلى البيت فوجدت أبنة عمي تقول أني في هذا البيت مسكينة حزينة ليس لي معين إلا البكاء فلما دخلت وقعت من طولي ورميت السكين والدرهم من يدي وغشي على فلما أفقت من غشيتي عرفتها بما حصل لي وقلت لها أني لم أنل أربي فأشتد حزنها على لما رأت بكائي ووجدي وقالت لي أني عجزت وأنا أنصحك عن النوم فلم تسمع نصحي فكلامي لا يفيدك شيئاً فقلت لها أسألك بالله أن تفسري لي إشارة السكين والدرهم الحديد فقالت أن الدرهم الحديد فإنها تشير بها إلى عينها اليمين وأنها تقسم بها وتقول وحق رب العالمين وعيني اليمين أن رجعت ثاني مرة ونمت لأذبحنك بهذه السكين وأنا خائفة عليك يا ابن عمي من مكرها وقلبي ملآن بالحزن عليك فما أقدر أن أتكلم فإن كنت تعرف من أنك أن رجعت إليها لا تنام فأرجع إليها وأحذر النوم فإنك تفوز بحاجتك وأن عرفت أنك أن رجعت إليها تنام على عادتك ثم رجعت إليها ونمت ذبحتك فقلت لها وكيف يكون العمل يا بنت عمي أسألك بالله أن تساعديني على هذه البليه فقالت على عيني ورأسي ولكن أن سمعت كلامي وأطعت أمري قضيت حاجتك فقلت لها أني أسمع كلامك وأطيع أمرك فقالت إذا كان وقت الرواح أقول لك ثم ضمتني إلى صدرها ووضعتني على الفراش ولا زالت تكبسني حتى غلبني النعاس واستغرقت في النوم فأخذت مروحة

وجلست عند رأسي تروح على وجهي إلى آخر النهار ثم نبهتني فلما انتبهت وجدتها عند رأسي وفـي يـدها المروحة وهي تبكي ودموعها قد بلت ثيابها فلما رأتني استيقظت مسحت دموعها وجاءت بشيء من الأكـل فامتنعت منه فقالت لي أما قلت لك أسمع مني وكل فأكلت ولم أخالفها وصارت تضع الأكل في فمـي وأنـا أمضغ حتى امتلأت ثم أسقتني نقيع عناب السكر ثم غسلت يدي ونشفتها بمحرمة ورشت على مـاء الـورد وجلست معهاوأنا في عافية فلما أظلم الليل وألبستني ثيابي وقالت يا أبن عمي أسهر جميع الليل ولا تنم فإنهـا ما تأتيك في هذه الليل إلا في آخر الليل وإن شاء ا تجتمع بها في هذه الليلة ولكن لا تنس وصيتي ثم بكـت فأوجعني قلبي عليها من كثرة بكائها وقلت لها ما الوصية التي وعدتيني بها فقالت لي إذا انصرفت من عندها فانشدها البيت المتقدم ذكره ثم خرجت من عندها وأنا فرحان ومضيت إلى البستان وطلعت المقعد وأنا شبعان فجلست وسهرت إلى ربع الليل ثم طال الليل على حتى كأنه سنة فمكثت ساهراً حتى مضى ثلاثة أرباع الليل وصاحت الديوك فاشتد عندي الجوع من السهر فقمت إلى السفرة وأكلت حتى اكتفيت فثقلت رأسي وأردت أن أنام وإذا بضجة على بعد فنهضت وغسلت يدي وفمي ونبهت نفسي فما كان إلا قليل وإذا بها أتـت ومعهـا عشراً جوار وهي بينهن كأنها البدر بين الكواكب وعليها حلة من الأطلس الأخضر مزركشة بالذهب الأحمر وهي كما قال الشاعر:

تتيه علـى العشـاق فـي حلـل خضـر	مفككـة الأزرار محلولـة الشـعر
فقلت لهـا مـا الاسـم قالـت أنـا التـي	كويـت قلـوب العاشـقين علـى الجمـر
شـكوت لهـا مـا أقاسـي مـن الهـوى	فقالت إلـى صـخر شـكوت ولـم تـدر
فقالـت لهـا أن كـان قلبـك صـخرة	فقـد أنبـع ا الـزلال مـن الصـخر

فلما رأتني ضحكت وقالت كيف أنتبهت ولم يغلب عليك النوم وحيث سهرت الليل علمت أنـك عاشـق لأن من شيم العشاق سهر الليل في مكابدة الأشواق ثم أقبلت على الجواري وغمزتهن فأنصرفن عنها وأقبلت على وضمتني إلى صدرها وقبلتني وقبلتها ومصت شفتي التحتانية ومصصت شفتها الفوقانية ثم مددت يـدي إلى خصرها وغمزته وما نزلنا في الأرض إلا سواء وحلت سراويلها فنزلت في خلال رجليها وأخـذنا فـي الهراش والتعنيق والغنج والكلام الرقيق والعض وحمل السيقان والطواف بالبيت والأركان إلـى أن ارتخـت مفاصلها وغشي عليها ودخلت في الغيبوبة وكانت تلك الليلة مسرة القلب وقرة الناظر كما قال فيها الشاعر:

أهنـــي ليـــالي الـــدهر عنـــدي ليلـــة	لـم أخـل فيهـا الكـاس مـن أعمـال
فرقـت فيهـا بـين جفنـي والسـكرى	وجمعـــت بـــين القـــرط والخلخـــال

فلما أصبح الصباح أردت الإنصراف وإذا بها أمسكتني وقالت لي قف حتـى أخبـرك بشـيء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك قالت قف حتى أخبرك بشيء وأوصيك وصية فوقفت فحلت منديلاً وأخرجت هذه الخرقة ونشرتها قدامي فوجدت فيها صورة غزال على هذا المثال فتعجبت منها غاية العجب فأخذته وتواعدت أنا وأياها أن أسعى إليها كل ليلة في ذلك البستان ثم انصرفت من عنـدها

وأنا فرحان ومن فرحي أنسيت الشعر الذي أوصتني به بنت عمي وحين أعطيتني الخرقة التي فيها صـورة الغزال قالت لي هذا عمل أختي فقلت لها وما اسم أختك قالت اسمها نور الهدى فاحتفظ بهـذه الخرقـة ثـم ودعتها وانصرفت وأنا فرحان ومشيت إلى أن دخلت على ابنة عمي فوجدتها راقـدة فلمـا رأتنـي قامـت ودموعها تتساقط ثم أقبلت علي وقبلت صدري وقالت هل فعلت ما أوصيتك به من إنشاد بيت الشعر فقلت لها أني نسيته وما شغلني عنه إلا صورة هذاالغزال ورميت الخرقة قدامها فقامت وقعدت ولـم تطـق الصـبر وأفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين:

يـــا طالبـــا للفـــراق مهـــلاً	فـــــلا يغرنـــــك العنـــــاق
مهـــلاً فطبـــع الزمـــان غـــدر	وآخـــــر الصـــــحبة الفـــــراق

فلما فرغت من شعرها قالت يا ابن عمي هب لي هذه الخرقة فوهبتها لها فأخذتها ونشرتها ورأت مـا فيها فلما جاء وقت ذهابي قالت ابنة عمي أذهب مصحوباً بالسلامة ولكن إذا انصرفت من عندها فأنشدها بيت الشعر الذي أخبرتك به أولاً ونسيته فقلت لها أعيديه لي فأعادته ثم مضيت إلى البستان ودخلت المقعد فوجدت الصبية في انتظاري فلما رأتني قامت وقبلتني وأجلستني في حجرها ثم أكلنا وشربنا وقضينا أغراضـنا كمـا تقدم ولا حاجة إلى الإعادة فلما صبح الصباح أنشدتها بيت الشعر وهو:

ألا أيهـــا العشـــاق بـــا حبـــروا	إذا اشـــتد عشـــق بـــالفتى كيـــف يصـــنع

فلما سمعت هملت عيناها بالدموع وأنشدت:

يـــداري هـــواه ثـــم يكـــتم ســـره	ويصـــبر فـــي كـــل الأمـــور ويخضـــع

فحفظته وفرحت بقضاء حاجة ابنة عمي ثم خرجت وأتيت إلى ابنة عمي فوجدتها راقدة وأمـي عنـد رأسها تبكي على حالها فلما دخلت عليها قالت لي أمي تبا لك من ابن عم كيف تترك بنت عمك علـى غيـر استواء ولا تسأل عن مرضها فلما رأتني ابنة عمي رفعت رأسها وقعدت وقالت لي يا عزيز هـل أنشـدتها البيت الذي أخبرتك به قلت لها نعم فلما سمعته بكت وأنشدتني بيتاً آخر وحفظته فقالت بنت عمي أسمعني إياه فلما أسمعتها إياه بكت بكاء شديداً وأنشدت هذا البيت:

لقد حـاول الصـبر الجميـل ولـم يجـد	لـه غيـر قلـب فـي الصـبابة يجـزع

ثم قالت ابنة عمي إذا ذهبت إليها على عادتك فأنشدها هذا البيت الذي سمعته فقلت لها سمعاً وطاعة ثم ذهبت إليها في البستان على العادة وكان بيننا ما كان مما يقصر عن وصفه اللسان فلمـا أردت الإنصـراف أنشدتها ذلك البيت إلى آخره فلما سمعته سالت مدامعها في المحاجر وأنشدت قول الشاعر:

فـإن لـم يجـد صـبرا لكتمـان سـره	فليس لـه عنـدي سـوى المـوت أنفـع

فحفظته وتوجهت إلى البيت فلما دخلت على ابنة عمي وجدتها ملقاة مغشياً عليها وأمي جالسـة عنـد رأسها فلما سمعت كلامي فتحت عينيها وقالت يا عزيز هل أنشدتها بيت الشعر قلت لها نعم ولما سمعته بكت وأنشدتني هذا البيت فإن لم يجد إلى آخره فلما سمعته بنت عمي غشي عليها ثانياً فلما أفاقت أنشدت هذا البيت وهو:

سـمعنا أطعنـا ثـم متنـا فبلغـوا سلامي على مـن كـان للوصـل يمنـع

ثم لما أقبل الليل مضيت إلى البستان على جري عادتي فوجدت الصبية في انتظاري فجلسـنا وأكلنـا وشربنا وعملنا حظنا ثم نمنا على الصباح فلما أردت الإنصراف أنشدتها ما قالته ابنة عمي فلما سمعت ذلـك صرخت صرخة عظيمة وتضجرت وقالت وا أن قائلة هذا الشعر قد ماتت ثم بكت وقالت ويلك ما تقـرب لك قائلة هذا الشعر قلت لها أنها ابنة عمي قالت كذبت وا لو كانت ابنة عمك لكان عندك لها من المحبة مثل ما عندها لك فأنت الذي قتلتها قتلك ا كما قتلتها وا لو أخبرتني أن لك ابنة عم ما قربتك مني فقلت لها ابنة عمي كانت تفسر لي الإشارات التي كنت تشيرين بي إلى وهي التي علمتني ما أفعل معك وما وصلت إليـك إلا بحسن تدبيرها فقالت وهل عرفت بنا

قلت نعم قالت حسرك ا على شبابك كما حسرتها على شبابها ثم قالتلي رح أنظرها فذهبت وخاطري متشوش ومازلت ماشياً حتى وصلت إلى زقاقنا فسمعت عياطاً فسألت عنه فقيل أن عزيزة وجـدناها خلـف الباب ميتة ثم دخلت الدار فلما رأتني أمي قالت أن خطيئتها في عنقك فـلا سـامحك ا مـن دمهـا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم دخلت الدار فلما رأتني أمي قالت تبأ لك من ابن عم ثم أن أبي جاء وجهزناها وشيعنا جنازتها ودفناها وعملنا على قبرها الختمات ومكثنا على القبر ثلاثة أيام ثم رجعت إلى البيت وأنا حزين عليها فأقبلت على أمي وقالت لي أن قصدي أن أعرف ما كنـت تفعلـه معها حتى فقعت مرارتها وأني يا ولدي كنت أسألها في كل الأوقات عن سبب مرضها فلم تخبرني بـه ولـم تطلعني عليه فبا عليك أن تخبرني بالذي كنت تصنعه معها حتى ماتت فقلت ما عملت شيئاً فقالت ا يقتص لها منك فإنها ما ذكرت لى شيئاً بل كتمت أمرها حتى ماتت وهي راضية ولما ماتت كنت عنـدها ففتحـت عينيها وقالت لي يا امرأة عمي جعل ا ولدك في حل من دمي ولا آخذه بما فعل معي وأنما نقلني ا مـن الدنيا الفانية إلى الآخرة الباقية فقلت لها يا بنتي سلامتك وسلامة شبابك وصرت أسألها عن سبب مرضها فما تكلمت ثم تبسمت وقالت يا امرأة عمي إذا أراد ابنك أن يذهب إلى الموضع الذي عادته الذهاب إليه فقولي له يقول هاتين الكلمتين عند انصرافه منه الوفاء مليح والغدر قبيح وهذه شفقة مني عليه لا كون شفيقة عليه فـي حياتي وبعد مماتي ثم أعطتني لك حاجة وحلفتني أني لا أعطيها لك حتى أراك تبكي عليها وتنوح والحاجـة عندي فإذا رأيتك على الصفة التي ذكرتها أعطيتك أياها فقلت لها أريني أياها فما رضيت ثم أنـي اشـتغلت بلذاتي ولم أتذكر في موت ابنة عمي لأني كنت طائش العقل وكنت أود في نفسي أن أكون طول ليلى ونهاري عند محبوبتي وما صدقت أن الليل أقبل حتى مضيت إلى البستان فوجدت الصبية جالسة على مقالي النار من كثرة الأنتظار فما صدقت أنها رأتني فبادرت إلى وتعلقت برقبتي وسألتني عن بنت عمي فقلت لها أنها ماتت وعملنا لها الذكر والختمات ومضى لها أربع ليالي وهذه الخامسة فلما سمعت ذلك صاحت وبكت وقالت أمـا قلت لك أنك قتلتها ولو أعلمتني بها قبل موتها لكنت كافلتها على ما فعلت معي من المعروف فإنها خـدمتني

وأوصلتك إلى ولولاها ما اجتمعت بك وأنا خائفة عليك أن تقع في مصيبة بسبب رزيتها فقلت لها أنهـا قـد جعلتني في حل قبل موتها ثم ذكرت لها ما أخبرتني به أمي فقالت با عليك إذا ذهبت إلـى أمـك فـاعرف الحاجة التي عندها فقلت لها أن أمي قالت لي أن ابنة عمك قبل أن تموت أوصتني وقالت لي إذا أراد ابنك أن يذهب إلى الموضع الذي عادته الذهاب إليه فقولي له هاتين الكلمتين الوفاء مليح والغدر قبيح فلمـا سـمعت الصبية ذلك آلت رحمة ا عليها فإنها خلصتك مني وقد كنت أضمرت على ضـررك فأنـا لا أضـرك ولا أشوش عليك فتعجبت من ذلك وقلت لها وما كنت تريدين قبل ذلك أن تفعليه معي وقد صار بيني وبينك مودة فقالت أنت مولع بي ولكنك صغير السن وقلبك خال من الخداع فأنت لا تعرف مكرنا ولا خداعنا ولو كانـت في قيد الحياة لكانت معينة لك فإنها سبب سلامتك حتى أنجتك من الهلكة والآن أوصيك أن لا تتكلم مع واحدة ولا تخاطب واحدة من أمثالنا لا صغيرة ولا كبيرة فإياك بنا إياك ذلك لأنك غير عارف بخـداع النسـاء ولا مكرهن والتي تفسر لك الإشارات قد ماتت وأني أخاف عليك أن تقع في رزية فلا تجد من يخلصك منها بعد موت بنت عمك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم أن الغبية قالت فواحسرتاه على بنت عمـك وليتني علمت بها قبل موتها حتى أكافئها على ما فعلت معي من المعروف رحمة ا تعالى عليها فإنها كتمت سرها ولم تبح بما عندها ولولاها ما كنت تصل إلى أبدا وإني أشتهي عليك أمراً فقلت ما هو قالت أن توصلني إلى قبرها حتى أزورها في القبر الذي هي فيه وأكتب عليه أبياتاً فقلت لها في غد أن شاء ا تعالى ثم إنـي نمت معها تلك الليلة وهي بعد كل ساعة تقول لي ليتك أخبأتني بأبنة عمك قبل موتها فقلت لها ما معنى هذين الكلمتين اللتين قالتهما وهما الوفاء مليح والغدر قبح ثم تجيبني فلما أصبح الصباح قامت وأخذت كيسـاً فيـه دنانير وقالت لي قم وأرني قبرها حتى أزوره وأكتب عليه أبياتاً وأعمل عليها قبة وأترحم عليها وأصرف هذه الدنانير صدقة على روحها فقلت لها سمعاً وطاعة ثم مشيت قدامها ومشت خلفي وصـارت تتصـدق وهـي ماشية في الطريق وكلما تصدقت صدقة تقول هذه الصدقة على روح عزيزة التي كتمت سرها حتى شـربت كأس مناياها ولم تسمح بسر هواها ولم تزل تتصدق من الكيس وتقول على روح عزيزة حتى وصلنا القبـر وتقدما في الكيس فلما عاينت القبر رمت روحها عليه وبكت بكاء شديداً ثم أنها أخرجت بيكاراً مـن الفـولاذ ومطرقة لطيفة وخطت بالبيكار على الحجر الذي على رأس القبر خطا لطيفاً ورسمت هذه الأبيات:

مـررت بقبـر فـارس وسـط روضـة　　　عليــه مــن النعمــان ســبع شــقائق
فقلـت لمـن ذا القبـر جـاوبني الثـرى　　　تــأدب فهــذا القبــر بــرزخ عاشــق
فقلـت رعــاك ا يــا ميــت الهــوى　　　وأســكنك الفــردوس أعلــى الشــواهق
مسـاكين أهـل العشـق حتـى قبـورهم　　　عليهــا تــراب الــذل بــين الخلائــق
فإن اسـتطع زرعـا زرعتـك روضـة　　　وأسـقيتها مــن دمعــي المتــدافق

ثم بكت بكاء شديداً وقامت وقمت معها وتوجهنا إلى البستان فقالت لي سألتك با أن لا تنقطع عني أبداً فقلت سمعاً وطاعة ثم أني صرت أتردد عليها وكلما بت عندها تحسن إلي وتكرمني وتسألني عـن الكلمتـين

اللتين قالتهما ابنة عمي عزيزة لأمي فأعيدهما لها ومازالت على هذا الحال من أكل وشرب وضـم وعنـاق وتغيير ثياب من الملابس الرقاق حتى غلظت وسمنت ولم يكن بي هم ولا غم ولا حزن ونسيت ابنـة عمـي ومكثت مستغرقاً في تلك اللذات سنة كاملة وعند رأس السنة دخلت الحمام وأصلحت شأني ولبست بدلة فاخرة ولما خرجت من الحمام شربت قدحاً من الشراب وشممت روائح قماشى المصمغ بأنواع الطيب وأنـا خـالي القلب من غدرات الزمان وطوارق الحدثان فلما جاء وقت العشاء اشتاقت نفسي إلى الذهاب إليها وأنا سكران لا أدري أين أتوجه فذهبت إليها فمال بي السكر إلى زقاق يقال له زقاق النقيب فبينما أنا ماش في ذاك الزقاق وإذا بعجوز ماشية وفي إحدى يديها شمعة مضيئة وفي يدها الأخرى كتاب ملفوف وأدرك شهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب الذي اسمه عزيز قال لتاج الملوك فلما دخلت الزقاق الذي يقال له زقاق النقيب فمشيت فيه فبينما أنا ماش في ذلك الزقاق وإذا بعجوز ماشية وفي إحدى يديها شمعة مضـيئة وفي يدها الأخرى كتاب ملفوف فتقدمت إليها وهي باكية العين وتنشد هذين البيتين:

در مباشـــــري لقـــــدومكم	فقـــد أنـــي بلطـــائف المســموع
لـــو كـــان يقنـــع بـــالخليع وهبتـــه	قلبـــاً تمـــزق ســـاعة التوديـــع

فلما رأتني قالت لي يا ولدي هل تعرف أن تقرأ فقلت لها نعم يا خالتي العجوز فقالت لـي خـذ هـذا الكتاب واقرأه وناولتني الكتاب فأخذته منها وفتحته وقرأت عليها مضمونه أنه كتاب من عند الغياب بالسـلام على الإحناف فلما سمعته فرحت واستبشرت ودعت لي وقالت لي فرج ا همك كما فرجت همي ثم أخـذت الكتاب ومشت خطوتين وغلبني حصر البول فقعدت في مكان لاريق الماء ثم أني قمت وتجمـرت وأرخيـت أثوابي وأردت أن أمشي وإذا بالعجوز قد أقبلت على وقبلت يدي وقالت يا مولاي ا تعالى يهنيك بشبابك ولا يفضحك أترجاك أن تمشي معي خطوات إلى ذلك الباب فإني أخبرتهم بما أسمعتني أياه من قراءة الكتاب فلم يصدقون فأمش معي خطوتين واقرأ لهم الكتاب من خلف الباب وأقبل دعائي لك فقلت لها ومـا قصـة هـذا الكتاب فقالت لي يا ولدي هذا الكتاب جاء من عند ولدي وهو غائب عني مدة عشرة سنين فإنه سافر بمتجـر ومكث في الغربة تلك المدة فقطعنا الرجاء منه وظننا أنه مات ثم وصل إلينا من هذا الكتاب وله أخت تبكـي عليه في مدة غيابه آناء الليل وأطراف النهار فقلت لها أنه طيب بخير فلم تصدقني وقالت لي لابد تأتيني بمن يقرأ هذا الكتاب فيخبرني حتى يطمئن قلبي ويطيب خاطري وأنت تعلم يا ولدي أن المحب مولع بسوء الظـن فأنعم علي بقراءة هذا الكتاب وأنت واقف خلف الستارة وأخته تسمو من داخل الباب لأجل أن يحصـل لـك ثواب من قصتي لسلم حاجة نفس عنه كربة فقد قال رسول ا ﷺ من نفس عن مكروب كربـة مـن كـرب الدنيا نفس ا عنه أثنتين وسبعين كربة من كرب يوم القيامة وأنا قصدتك فلا تخيبني فقلت لها سمعاً وطاعة وتقدمت فمشت قدامي ومشيت خلفها قليلاً حتى وصلت إلى باب دار عظيمة وذلك الباب مصـفح بالنحـاس الأحمر فوقفت خلف الباب وصاحت العجوز بالعجمية فما أشعر إلا وصبية قد أقبلت بخفة ونشاط فلما رأتني قالت بلسان فصيح عذب ما سمعت أحلى منه يا أمي أهذا الذي جاء يقرأ الكتاب فقالت لها نعم فمدت يدها إلى

بالكتاب وكان بينها وبين الباب نحو نصف قصبة فمددت يدى لاتناول الكتاب وأدخلت رأسي وأكتـافي مـن الباب لأقرب فما أدري إلا والعجوز قد وضعت رأسها في ظهري ويدي ماسكة الباب فالتفت فرأيت نفسي في وسط الدار من داخل الدهليز ودخلت العجوز أسرع من البرق الخاطف ولم يكن لها شـغل إلا قفـل البـاب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم أن الصبية لما رأتني مـن داخـل البـاب بالدهليز أقبلت علي وضمتني إلى صدرها ثم قالت لي يا عزيز أي الحالتين أحب إليك الموت أم الحياة فقلـت لها الحياة فقالت إذا كانت الحياة أحب إليك فتزوج بي فقلت أنا أكره أن أتزوج بمثلك فقالت لي أن تزوجـت بي تسلم من بنت الدليلة المحتالة فقلت لها ومن الدليلة المحتالة فضحكت وقالت كيف لا تعرفها وأنت لك فـي صحبتها اليوم سنة وأربعة شهور أهلكها ا تعالى وا ما يوجد أمكر منها وكم قتلت شخصاً قبلك وكم عملت عملة وكيف سلمت منها ولم تقتلك أو تشوش عليك ولك في صحبتها هذه المدة فلما سمعت كلامهـا تعجبـت غاية العجب فقلت لها يا سيدتي ومن عرفك بها فقالت أنا أعرفها مثل ما يعرف الزمان مصائبه لكن قصـدي أن تحكي لي جميع ما وقع لك منها حتى أعرف ما سبب سلامتك منها فحكيت لها جميع ما جرى لي معهـا ومع ابنة عمي عزيزة فترحمت عليها ودمعت عيناها ودقت يداً على يد لما سمعت بموت ابنة عمي عزيـزة وقالت عوضك ا فيها خيراً ياعزيز فإنها هي سبب سلامتك من بنت الدليلة المحتالة ولولا هي لكنت هلكت وأنا خائفة عليك من مكرها وشرها ولكن ما أقدر أن أتكلم فقلت لها وا أن ذلك كله قد حصل فهزت رأسها وقالت لا يوجد اليوم مثل عزيزة فقلت وعند موتها أوصتني أن أقول هاتين الكلمتين لا غير وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك مني قالت يا عزيز وا أن هاتين الكلمتين هما اللتان خلصتاك منها وبسببهما ما قتلتك فقد خلصتك بنت عمك حية وميتة وا أني كنت أتمنى الاجتماع بك ولو يوماً واحد فلم أقدر على ذلـك إلا في هذا الوقت حتى تحيلت عليك بهذه الحيلة وقد تمت وأنت الآن صغير لا تعرف مكر النساء ولا دواهي العجائز فقلت لا وا فقالت لي طب نفساً وقر عيناً فإن الميت مرحوم والحي ملطوف وأنت شاب مليح وأنـا ما أريدك إلا بسنة ا ورسوله ﷺ ومهما أردت من مال وقماش يحضر لك سريعاً ولا أكلفـك بشـيء أبـداً وأيضاً عندي دائماً الخبز مخبوزاً والماء في الكوز وما أريد منك إلا أن تعمل معي كما يعمل الديك فقلت لها وما الذي يعمله الديك فضحكت وصفقت بيدها ووقعت على قفاها من شدة الضحك ثم أنها قعدت وقالت لـي أما تعرف صنعة الديك فقلت لها وا ما أعرف صنعة الديك قالت صنعة الديك أن تأكـل وتشـرب وتـنكح فخجلت أنا من كلامها ثم إنني قلت هذه صنعة الديك قالت نعم وما أريدك الآن إلا أن تشد وسـطك وتقـوي عزمك وتنكح ثم إنها صفقت بيدها وقالت يا أمي أحضري من عندك وإذا بالعجوز قد أقبلت بأربعـة شـهود عدول ثم أنها أوقدت أربع شمعات فلما دخل الشهود سلموا علي وجلسوا فقامت الصبية وأرخت عليهـا أزاراً ووكلت بعضهم في ولاية عقدها وقد كتبوا الكتاب وأشهدت على نفسها أنها قبضـت جميـع المهـر مقـدماً ومؤخراً وأن في ذمتها إلى عشرة آلاف درهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم أنها أعطت الشهود أجرتهم وانصرفوا مـن حيث أتوا فعند ذلك قامت الصبية وقلعت أثوابها وأتت في قميص رفيع مطرز بطراز مـن الـذهب وقلعـت لباسها وأخذت بيدي وطلعت بي فوق السرير وقالت لي ما في الحلال من عيـب ووقعـت علـى السـرير وانسطحت على ظهرها ورمتني على بطنها ثم شهقت شهقة واتبعت الشهقة بغنجة ثم كشفت الثـوب حتـى جعلته فوق نهودها فلما رأيتها على تلك الحالة لم أتمالك نفسي دون أن أولجه فيها بعد أن مصصـت شـفتها وهي تتأوه وتظهر الخشوع والخضوع والبكاء والدموع وذكرتني في هذا الحال قول من قال:

ولما كشفت الثوب عـن سـطح فرجهـا وجـدت بـه ضـيقاً كخلقـي وأرزاقـي

فأولجـ ـت فيهـ ـا نصـ ـفه فتنهـ ـدت فقالــت لمــاذا فقالــت علــى البــاقي

ثم قالت يا حبيبي أعمل خلاصك فأنا جاريتك خذه هاته كله بحياتي عندك هاته حتى أدخله بيدي وأريح به فؤادي ولم تزل تسمعني الفتح والهشيق في خلال البوس والعنيق حتى صار صياحنا في الطريق وحظينـا بالسعادة والتوفيق ثم حنا إلى الصباح وأردت أن أخرج وإذا هي أقبلت على ضاحكة وقالت هي تحسـب أن دخول الحمام مثل خروجه وما أظن إلا أنك تحسبني مثل بنت الدليلة المحتالة أياك وهذا الظن فمـا أنـت إلا زوجي بالكتاب والسنة وأن كنت سكران فأفق لعقلك أن هذه الدار التي أنت فيها ما تفتح إلا في كل سنة يـوم قم إلى الباب الكبير وأنظره فقمت إلى الباب الكبير فوجدته مغلقاً مسمراً فعدت وأعلمتها بأنه مغلـق مسـمر فقالت لي يا عزيز أن عندنا من الدقيق والحبوب والفواكه والرمان والسكر واللحم والغنم والدجاج وغير ذلك ما يكفينا أعواماً عديدة ولا يفتح بابنا من هذه الليلة إلا بعد سنة فقلت لا حول ولا قوة إلا بـا فقالـت وأي شيء يضرك وأنت تعرف صنعة الديك التي أخبرتك بها ثم ضحكت فضحكت أنا وطاوعتهـا فيمـا قالـت ومكثت عندها وأنا أعمل صنعة الديك آكل وأشرب وأنكح حتى مر علينا عام أثنى عشر شهراً فلمـا كملـت السنة حملت مني ورزقت منها ولداً وعند رأس السنة سمعت فتح الباب وإذا بالرجال دخلوا بكعـك ودقيـق وسكر فأردت أن أخرج فقالت أصبر إلى وقت العشاء ومثل ما دخلت فأخرج فصبرت إلـى وقـت العشـاء وأردت أن أخرج وأنا خائف مرجوف وإذا هي قالت وا ما أدعك تخرج حتى أحلفك أنك تعود في هذه الليلة قبل أن يغلق الباب فأجبتها إلى ذلك وحلفتني بالإيمان الوثيقة على السيف والمصحف والطلاق أني أعود إليها ثم خرجت من عندها ومضيت إلى البستان فوجدته مفتوحاً كعادته فاغتظت وقلت في نفسي أني غائـب عـن هذا المكان سنة كاملة وجئت على غفلة فوجدته مفتوحاً يا ترى هل الصبية باقية علي حالهـا أولاً فلابـد أن أدخل وأنظر قبل أن أروح إلى أمي وأنا في وقت العشاء ثم دخلت البستان وأدرك شهرزاد الصباح فسـكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عزيز قال لتاج الملوك ثم دخلت البستان ومشيت حتى أتيت إلى المقعد فوجدت بنت الدليلة المحتالة جالسة ورأسها على ركبتها ويدها على خدها وقد تغير لونها وغارت عيناها فلما رأتني قالت الحمد على السلامة وهمت أن تقوم فوقعت من فرحتها فاستحييت منها وطأطأت رأسـي ثـم تقدمت إليها وقبلتها وقلت لها كيف عرفت أني أجيء إليك في هذه الساعة قالت لا علم لي بذلك وا أن لـي

سنة لم أذق فيها نوماً بل أسهر كل ليلة في انتظارك وأنا على هذه الحالة من يوم خرجت من عندي وأعطيتك البدلة القماش الجديدة ووعدتني أنك تجيء إلي وقد أنتظرتك فما أتيت لا أول ليلة ولا ثاني ليلة ولا ثالث ليلة فاستمريت منتظرة لمجيئك والعاشق هكذا يكون وأريد أن تحكي لي ما سببت غيابك عني هذه السنة فحكيـت لها فلما علمت أني تزوجت أصفر لونها ثم قلت لها أني أتيتك هذه الليلة وأروح قبل الصباح فقالت أما كفاهـا أنها تزوجت بك وعملت عليك حيلة وحبستك عندها سنة كاملة حتى حلفتك بـالطلاق أن تعـود إليهـا قبـل الصباح ولم تسمح لك بأن تتفسح عند أمك ولا عندي ولم يهن عليها أن تبيت عند أحدنا ليلة واحدة فكيف حال من غبت عنها سنة كاملة وقد عرفتك قبلها ولكن رحم ا عزيزة فإنها جرى لها ما لم يجر لأحد وصـبرت على شيء لم يصبر عليه مثلها وماتت مقهورة منك وهي التي حمتك مني وكنت أظنك تجيء فأطلقت سبيلك مع أني كنت أقدر على حبسك وعلى هلاكك ثم بكت واغتاظت ونظرت إلي بعين الغضب فلما رأيتها علـى تلك الحالة ارتعدت فرائضي وخفت منها وصرت مثل الفولة على النار ثم قالت لي ما بقي فيك فائدة بعـدما تزوجت وصار لك ولد فأنت لا تصلح لعشرتي لأنه لا ينفعني إلا الأعزب وأما الرجـل المتـزوج فإنـه لا ينفعني وقد بعتني بتلك العاهرة وا لأحسرنها عليك وتصير لا لي ولا لها ثم صاحت فما أدري إلا وعشـرة جوار أتين ورميتني على الأرض فلما وقعت تحت أيديهن قامت هي وأخذت سكيناً وقالـت لأذبحنـك ذبـح التيوس ويكون هذا أقل جزائك على ما فعلت مع أبنة عمك فلما نظرت إلى روحي وأنا تحت جواريها وتعفر خدي بالتراب ورأيت السكين في يدها تحققت الموت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ثم أن الشاب عزيز قال لتاج الملـوك ثم استغثت بها فلم تزدد إلا قسوة وأمرتهن أن يكتفنني فكتفنني ورمينني على ظهري وجلسـن علـى بطنـي وأمسكن رأسي وقامت جاريتان فأمسكتا اصابع رجلي وجاريتان جلستا على أقصاب رجلي وبعد ذلك قامـت هي ومعها جاريتان فأمرتهما أن يضرباني فضربتاني حتى أغمى علي وخفي صوتي فلما استفقت قلت فـي نفسي أن موتي مذبوحاً أهون علي من هذا الضرب وتذكرت كلمة أبنة عمي حيث قالـت كفـاك ا شـرها فصرخت وبكيت حتى انقطع صوتي ثم سنت السكين وقالت للجواري اكشفن عنـه فـألهمني ا أن أقـول الكلمتين اللتين أوصتني بهما ابنة عمي وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك صاحت وقالت يرحمك ا يا عزيزة سلامة شبابك نفعت ابن عمك في حياتك وبعد موتك ثم قالت لي وا أنك خلصت مـن يـدي بواسطة هاتين الكلمتين لكن لابد أن أعمل فيك أثر لأجل نكاية تلك العاهرة التي حجبتك عني ثم صاحت علي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عزيز قال وصاحت على الجواري وقالت لهن اركبن عليه وأمـرتهن أن يربطن رجلي بالحبال ففعلن ذلك ثم قامت من عندي وركبت طاجناً من نحاس على النـار وصـبت فيـه سيرجاً وقلت فيه جبناً وأنا غائب عن الدنيا ثم جاءت عندي وحلت لباسي وربطت محاشمي بحبـل وناولـه الجاريتين وقالت لهما جروا الحبل فجرتاه فصرت من شدة الألم في دنيا غير هذه الـدنيا ثـم رفعـت يـدها

وقطعت ذكري بموس وبقيت مثل المرأة ثم كوت موضع القطع وكبسته بذور وأنا مغمي علي فلما أفقت كان الدم قد انقطع فاسقتني قدحاً من الشراب ثم قالت لي رح الآن لمن تزوجت بها وبخلت علي بليلة واحدة ررحم ا ابنة عمك التي هي سبب نجاتك ولولا أنك أسمعتني كلمتيها لكنت ذبحتك فاذهب في هـذه السـاعة لمـن تشتهي وأنا ما كان لي عندك سوى ما قطعته والآن ما بقي لي فيك رغبة ولا حاجة لي بك فقم وملس علـى رأسك وترحم على ابنة عمك ثم رفستني برجلها فقمت وما قدرت أن أمشي فتمشيت قليلاً قليلاً حتى وصـلت إلى الباب فوجدته مفتوحاً فرميت نفسي فيه وأنا غائب عن الوجود وإذا بزوجتي خرجت وحملتني وأدخلتنـي القاعة فوجدتني مثل المرأة فنمت واستغرقت في النوم فلما صحوت وجدت نفسي مرمياً على بـاب البسـتان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم أن الشاب عزيز فقال لتـاج الملوك فلما صحوت وجدت نسفي مرمياً على باب البستان فقمت وأنا أتضجر وتمشيت حتى أتيت إلى منزلي فدخلت فيه فوجدت أمي تبكي علي وتقول يا هل ترى يا ولدي أنت في أي أرض فدنوت منها ورميت نفسـي عليها فلما نظرت إلي ورأتني وجدتني على غير استواء وصار على وجهي الأصفرار والسواد ثـم تـذكرت ابنة عمي وما فعلت معي من المعروف وتحققت أنها كانت تحبني فبكيت عليها وبكت أمي ثم قالت إلـي يـا ولدي أن والدك قد مات فازددت غيظاً وبكيت حتى أغمي علي فلما أفقت نظرت إلي موضع ابنة عمي التـي كانت تقعد فيه فبكيت ثانياً حتى أغمى علي من شدة البكاء ومازلت في بكاء ونحيب إلى نصف الليل فقالـت لي أمي أن لوالدك عشرة أيام وهو ميت فقلت لها أنا لا أفكر في أحد أبداً غير ابنة عمي لأنني اسـتحق مـا حصل لي حيث أهملتها وهي تحبني فقالت وما حصل لك فحكيت لها ما حصل لي فبكت سـاعة ثـم قامـت وأحضرت لي شيئاً من المأكول فأكلت قليلاً وشربت وأعدت لها قصتي وأخبرتها بجميع ما وقع لـي فقالـت الحمد حيث جرى لك هذا وما ذبحتك ثم أنها عالجتني وداوتني حتى برئت وتكاملت عافيتي فقالت لي يـا ولدي الآن أخرج لك الوديعة التي أودعتها ابنة عمك عندي فإنها لك وقد حلفتني أن لا أخرجها لك حتى أراك تتذكرها وتحزن عليها وتقطع علائقك من غيرها والآن رجوت فيك هذه الخصال ثم قامت وفتحت صـندوقاً وأخرجت منه هذه الخرقة التي فيها صورة هذا الغزال وهي التي وهبتها لها أولاً فلما أخذتها وجدت مكتوبـاً فيها هذه الأبيات:

أقمـتم عيـوني فـي الهـوى وقعـدتم	وأسـهرتموا جفنـي القـريح ونمـتم
وقـد حلتمـو بـين الفـؤاد ونـاظري	فـلا القلـب يسـلوكم ولـو ذاب مـنكم
وعاهـدتموني أنكـم كـاتموا الهـوى	فـاغراكم الواشـي وقـال وقلـتم
فبـا أخـواني إذا مـت فـأكتبوا	علـى لـوح قبـري أن هـذا متـيم

فلما قرأت هذه الأبيات بكيت بكاء شديداً ولطمت على وجهي وفتحت الرقعة فوقعت منها ورقة أخـرى ففتحتها فإذا مكتوب فيها اعلم يا ابن عمي أني جعلتك في حل من دمي وأرجو ا أن يوفق بينك وبـين مـن تحب لكن إذا أصابك شيء من الدليلة المحتالة فلا ترجع إليها ولا لغيرها وبعد ذلك فأصبر على بليتك ولـولا

أجلك المحتم لهلكت من الزمان الماضي ولكن الحمد الذي جعل يومي قبل يومك وسلامي عليك واحتفظ على هذه الخرقة التي فيها صورة الغزال ولا تفرط فيها فإن تلك الصورة كانت تؤانسني إذا غبت عني. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ثم أن الشاب عزيزة للتاج الملوك أن ابنة عمي قالت لي أن قدرت على من صورت هذه الصورة ينبغي أنك تتباعد عنها ولا تخلها تقرب منك ولا تتزوج بها وأن لم تقدر عليها ولا تجد لك إليها سبيلاً فلا تقرب واحدة من النساء بعدها وأعلم أن التي صورت هذه الصورة تصور في كل سنة صورة مثلها وترسلها إلى أقصى البلاد لأجل أن يشيع خبرها وحسن صنعتها التي يعجز عنها أهل الأرض وأما محبوبتك الدليلة المحتالة فإنها لما وصلت إليها هذه الخرقة التي فيها صورة الغزال صارت تريها للناس وتقول لهم أن لي أختاً تصنع هذا مع أنها كاذبة في قولها هتك ا سترها وما أوصيتك بهذه الوصية لأنني أعلم أن الدنيا قد تضيق عليك بعد موتي وربما تتغرب بسبب ذلك وتطوف في البلاد وتسمت بصاحبة هذه الصورة فتتشوق نفسك إلى معرفتها واعلم أن الصبية التي صورت هذه الصورة بنت ملك جزائر الكافور فلما قرأت تلك الورقة وفهمت ما فيها بكيت وبكت أمي لبكائي ومازلت أنظر إليها وأبكي إلى أن أقبل الليل ولم أزل على تلك الحالة مدة سنة وبعد السنة تجهز تجار من مدينتي إلى السفر وهم هؤلاء الذين أنا معهم في القافلة فأشارت على أمي أن أتجهز وأسافر معهم وقالت لي لعل السفر يذهب ما بك من هذا الحزن وتغيب سنة أو سنتين أو ثلاثاً حتى تعود القافلة فلعل صدرك ينشرح ومازالت تلاطفني بالكلام حتى جهزت متجراً وسافرت معهم وأنا لم تنشف لي دمعة مدة سفري وفي كل منزلة تنزل بها أنشر هذه الخرقة قدامي وأنظر إلى هذه الصورة فأتذكر أبنة عمي وأبكي عليها كما تراني فإنها كانت تحبني محبة زائدة وقد ماتت مقهورة مني وما فعلت معها إلا الضرر مع أنها لم تفعل معي إلا الخير ومتى رجعت التجار من سفرهم أرجع معهم وتكمل مدة غيابي سنة وأنا في حزن زائد وما زاد همي وحزني إلا لأنني جزت على جزائر الكافور وقلعة البللور وهي سبع جزائر والحاكم عليهم ملك يقال له شهرمان وله بنت يقال لها دنيا فقيل لي أنها هي التي تصور صورة الغزلان وهذه الصورة التي معك من جملة تصويرها فلما علمت ذلك زادت بي الأشواق وغرقت في بحر الفكر والاحتراق فبكيت على روحي لأني بقيت مثل المرأة ولم تبق لي آلة مثل الرجال ولا حيلة لي ومن يوم فراقي لجزائر الكافور وأنا باكي العين حزين القلب ولي مدة على هذا الحال وما أدري هل يمكنني أن أرجع إلى بلادي وأموت عند والدتي أنلاً وقد شبعت من الدنيا ثم بكى وأشتكى ونظر إلى صورة الغزال وجرى دمعه على خده وسال وأنشد هذين البيتين:

وقائل قال لي لابد من فرج	فقلت للغيظ كم لابد من فرج
فقال لي بعد حين قلت يا عجبي	من يضمن العمر لي يا بارد الحجج

وهذه حكايتي أيها الملك فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب تعجب غاية العجب وانطلقت في فؤاده النيران حين سمع بجمال السيدة دنيا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ثم أن تاج الملوك قال للشاب وا لقد جرى لك شيء ما جرى لأحد منا ولكن هذا تقدير ربك وقصدي أن أسألك عن شيء فقال عزيز وما هو فقال تصف لي كيف رأيت تلك الصبية التي صورت صورة الغزال فقال يا مولاي أني توصلت إليها بحيلة وهـو أني لما دخلت مع القافلة إلى بلادها كنت أخرج وأدور في البساتين وهي كثيرة الأشجار وحـارس البسـاتين شيخ طاعن في السن فقلت له ياشيخ لمن هذا البستان فقال لي لأبنة الملك السيدة دنيا ونحن تحت قصرها فإذا أردت أن نتفرج فافتح باب السر وتفرج في البستان فتشم رائحة الأزهار فقلت له أنعم على بان أقعد في هـذا البستان حتى تمر لعلي أن أحظى منها بنظرة فقال الشيخ لا بأس بذلك فلما قال ذلك أعطيته بعـض الـدراهم وقلت له اشتر لنا شيئانا كله ففرح بأخذ الدراهم وفتح الباب وأدخلني معه وسرنا ومازلنـا سـائرين إلـى إن وصلنا إلى مكان لطيف وأحضر لي شيئاً من الفواكه اللطيفة وقال لي أجلس هنا حتى أذهـب وأعـوذ إليـك وتركني ومضى فغاب ساعة ثم رجع ومعه خروف مشوي فأكلنا حتى أكتفينا وقلبي مشتاق إلى رؤية الصبية فبينما نحن جالسون وإذا بالباب قد انفتح فقال لي قم اختف فقمت وأختفيت وإذا بطواشي أسود أخرج رأسـه من الباب وقال يا شيخ هل عندك أحد فقال لا فقال له إغلق الباب فأغلق الشيخ باب البستان وأدا بالسيدة دنيـا طلعت من الباب فلما رأيتها ظننت أن القمر نزل في الأرض فأندهش عقلي وصرت مشتاقاً إليهـا كاشـتياق الظمآن إلى الماء وبعد ساعة أغلقت الباب ومضت فعند ذلك خرجت أنا من البستان وقصدت منزلي وعرفت أني لا أصل إليها ولا أنا من رجالها خصوصاً وقد صرت مثل المرأة فقلت في نفسي أن هذه ابنة ملك وأنـا رجل تاجر فمن أين لي أن أصل إليها فلما تجهز أصحابي للرحيل تجهزت أنا وسافرت معهم وهم قاصـدون هذه المدينة فلما وصلنا إلى هذا الطريق اجتمعنا بك وهذه حكايتي وما جرى لي والسلام فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام اشتغل قلبه بحب السيدة دنيا ثم ركب جواده وأخذ معه عزيز وتوجه به إلى مدينة أبيه وافرد لـه داراً ووضع له فيها كل ما يحتاج إليه ثم تركه ومضى إلى قصره ودموعه جارية على خدوده لأن السـماع يحل محل النظر والاجتماع ومازال تاج الملوك على تلك الحالة حتى دخل عليه أبوه فوجده متغير اللون فعلم أنه مهموم ومغموم فقال له يا ولدي أخبرني عن حالك وما جرى لك حتى تغير لونك فأخبره بجميع ما جرى له من قصة دنيا من أولها إلى آخرها وكيف عشقها على السماع ولم ينظرها بالعين فقال يا ولـدي أن أباهـا ملك وبلاده بعيدة عنى فدع عنك هذا وأدخل قصر أمك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن والد تاج الملوك قال له يا ولدي أن أباها ملك وبلاده بعيدة عنا فـدع عنك هذا وأدخل قصر أمك فإن فيه خمسمائة جارية كالأقمار فمن أعجبتك منهن فخذها وإن لم تعجبك جارية منهن نخطب بنتاً من بنات الملوك تكون أحسن من السيدة دنيا فقال له يا والدي لا أريد غيرها وهـي التـي صورت صورة الغزال التي رأيتها فلابد منها وألا أهيج في البراري وأقتل روحي بسببها فقال له أبـوه يـا ولدي أمهل علي حتى أرسل إلى أبيها وأخطبها منه وأبلغك المرام مثل ما فعلت لنفسي مع أمك وأن لم يرض زلزلت عليه مملكته وجردت عليه جيشاً يكون آخره عندي وأوله عنده ثم دعا الشاب عزيز وقال يا ولدي هل أنت تعرف الطريق قال نعم قال له اشتهي منك أن تسافر مع وزيري فقال له عزيز سمعاً وطاعة ثـم جهـز

عزيز مع وزيره وأعطاهم الهدايا فسافروا أياماً وليالي إلى أن أشرفوا على جزائر الكافور فأقاموا على شاطيء نهر وأنفذ الوزير رسولاً من عنده إلى الملك ليخبره بقدومهم وبعد ذهاب الرسول بنصف يوم لم يشعروا إلا وحجاب الملك وامراؤه قد أقبلوا عليهم ولا قوهم من مسيرة فرسخ فتلقوهم وساروا في خدمتهم إلى أن دخلوا بهم على الملك فقدموا له الهدايا وأقاموا عنده أربعة أيام وفي اليوم الخامس قام الوزير ودخل على الملك ووقف بين يديه وحدثه بحديثه وأخبره بسبب مجيئه فصار الملك متحيراً في ردالجواب لأن ابنته لا تحب الزواج وأطرق برأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى بعض الخدام وقال له اذهب إلى سيدتك دنيا وأخبرها بما سمعت وبما جاء به هذا الوزير فقام الخادم وغاب ساعة ثم أتى إلى الملك وقال له يا ملك الزمان أني لما دخلت على السيدة دنيا أخبرتها بما سمعت فغضبت غضباً شديداً ونهضت على بمسوقة وأرادت كسر رأسي ففررت منها هارباً وقالت لي أن كان أبي يغصبني على الزواج فالذي أتزوج به أقتله فقال أبوها للوزير وعزيز سلما على الملك وأخبراه بذلك وأن أبنتي لا تحب الزواج وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد عند ذلك رجع الوزير ومن معه من غير فائده ومازالوا مسافرين إلى أن دخلوا على الملك وأخبروه فعند ذلك أمر النقباء أن ينبهوا العسكر إلى السفر من أجل الحرب والجهاد فقال له الوزير لا تفعل ذلك فإن الملك لا ذنب له وأنما الامتناع من أبنته فإنها حين علمت بذلك أرسلت تقول أن غصبني أبي على الزواج أقتل من أتزوج به وأقتل نفسي بعده فلما سمع الملك كلام الوزير خاف على ولده تاج الملوك وقال أن حاربت أباها وظفرت بأبنته قتلت نفسها ثم أن الملك أعلم أبنه تاج الملوك بحقيقة الأمر فلما علم بذلك قال لأبيه يا والدي أنا لا أطيق الصبر عنها فأنا أروح إليها وتسبب في اتصالي بها ولو أموت ولا افعل غير هذا فقال له أبوه وكيف تروح فقال أروح في صفة تاجر فقال الملك أن كان ولابد فخذ معك الوزير وعزيزا ثم أنه أخرج شيئاً من خزائنه وهيأ له متجراً بمائة ألف دينار وأتفقا معه على ذلك فلما جاء الليل ذهب تاج الملوك وعزيز إلى منزل الوزير وباتا هناك تلك الليلة وصار تاج الملوك مسلوب الفؤاد ولم يطب له أكل ولا رقاد بل هجمت عليه الأفكار وغرق منها في بحار وهزه الشوق إلى محبوبته فأفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين:

ترى هل لنا بعد البعاد وصول	فأشكوا إليكم صبوتي وأقول
تذكرتكم والليل ناء صاحبه	وأسهرتموني والأنام غفول

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديداً وبكا معه عزيز وتذكر ابنة عمه ومازالا يبكيان إلى أن أصبح الصباح ثم قام تاج الملوك ودخل على والدته وهو لابس أهبة السفر فسألته عن حاله فأخبرها بحقيقة الأمر فأعطته خمسين ألف دينار ثم ودعته وخرج من عندها ودعت له بالسلامة والاجتماع بالأحباب ثم دخل على والده واستأذنه أن يرحل فأذن له وأعطاه خمسين ألف دينار وأمر أن تضرب له خيمة عظيمة وأقاموا فيها يومين ثم سافروا واستأنس تاج الملوك بعزيز وقال له يا أخي أنا ما بقيت أطيق أن أفارقك فقال عزيز وأنا الآخر كذلك وأحب أن أموت تحت رجليك ولكن يا أخي قلبي اشتغل بوالدتي فقال له تاج الملوك لما نبلغ

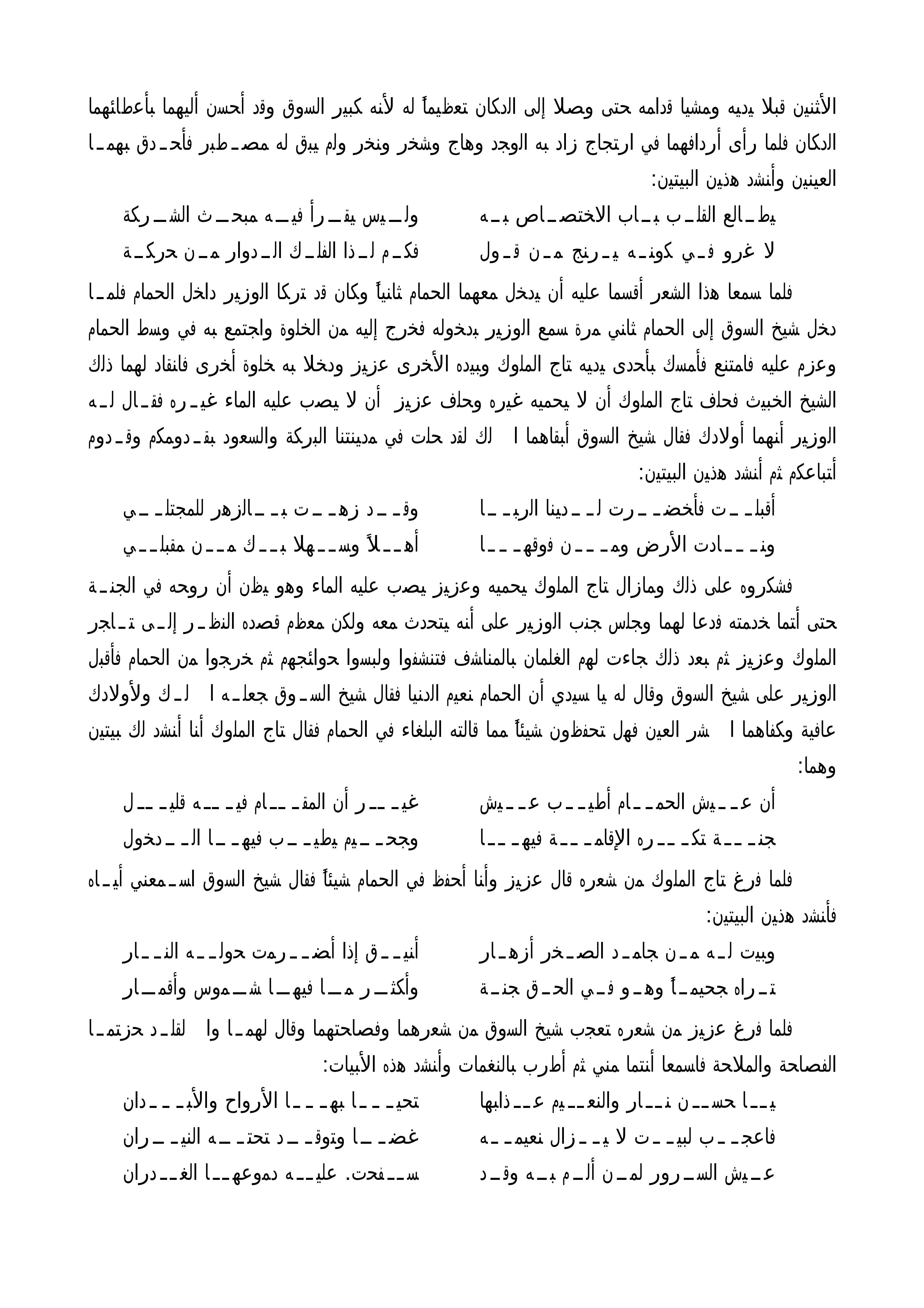
المرام لا يكون إلا خيراً وكان الوزير قد وصى تاج الملوك بالاصطبار وصار عزيز ينشـد لـه الأشـعار ويحدثه بالتواريخ والأخبار ولم يزالوا سائرين بالليل والنهار مدة شهرين فطالت الطريق على تـاج الملـوك وأشتد عليه الغرام وزاد به الوجد والهيام فلما قربوا من المدينة فرح تاج الملوك غاية الفرح وزال عنه الهـم والترح ثم دخلوها ومازالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى سوق البر فلما رأت التجار تـاج الملـوك وشـاهدوا حسنه وجماله تحيرت عقولهم وصاروا يقولون هل رضوان فتح أبواب الجنان وسها عنها فخرج هذا الشـاب البديع الحسن وبعضهم يقول لعل هذا من الملائكة فلما دخلوا عند التجار سألوا عن دكان شيخ السوق فدلوهم عليه فتوجهوا إليه فلما قربوا قام إليهم هو ومن معه من التجار وعظموهم خصوصاً الوزير الأجل فأنهم رأوه رجلاً كبيراً مهاباً ومعه تاج الملوك وعزيز فقال التجار لبعضهم لاشك أن هذا الشيخ والد هذين الغلامين فقال الوزير من شيخ فيكم فقالوا ها هو فنظر إليه الوزير وتأمله فرآه رجلاً كبيراً صاحب هيبـة ووقـار وخـدم وغلمان ثم أن شيخ السوق حياهم تحية الأحباب وبالغ في إكرامهم وأجلسهم جنبه وقال لهم هل لكـم حاجـة نفوز بقضائها فقال الوزير نعم أني رجل كبير طاعن في السن ومعي هذان الغلمان وسـافرت بهمـا سـائر الأقاليم والبلاد وما دخلت بلدة إلا أقمت بها سنة كاملة حتى يتفرجا عليها ويعرفا أهلها وأني قد أتيـت بلـدكم هذه واخترت المقام فيها واشتهي منك دكاناً تكون من أحسن المواضع حتى أجلسهما فيها ليتـاجرا ويتفرجـا على هذه المدينة ويتخلقا بأخلاق أهلها ويتعلما البيع والشراء والأخذ والعطاء فقال شيخ السوق لا بأس بـذلك ثم نظر إلى الولدين وفرح بهما وأحبهما حباً زائداً وكان شيخ السوق مغرماً بفاتك اللحظات ويغلب حب البنين على البنات ويميل إلى الحموضة فقال في نفسه سبحان خالقهما ومصورهما من ماء مهين ثم قام واقفـاً فـي خدمتهما كالغلام بين أيديهما وبعد ذلك سعي وهيأ لهما الدكان وكانت في وسط السوق ولم يكن أكبر منها ولا أوجه منها عندهم لأنها كانت متسعة مزخرفة فيها رفوف من عاج وأبنوس ثم سلم المفاتيح للوزير وهو فـي صفة تاجر وقال جعلها ا مباركة على ولديك فلما أخذ الوزير مفاتيح الدكان توجه غليها والغلمان ووضعوا فيها امتعتهم وأمروا غلمانهم أن ينقلوا إليها جميع ما عندهم من البضائع والقماش. وأدرك شهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير لما أمر غلمانه أن ينقلوا البضائع والقماش وكان ذلك يسـاوي خزائن مال فنقلوا جميع ذلك إلى الدكان وباتوا تلك الليلة فلما أصبح الصباح أخذهما الـوزير ودخـل بهمـا الحمام فلما دخلوا الحمام تنظفوا وأخذوا غاية حظهم وكان كل من الغلامين ذا جمال باهر فصاه في الحمـام على حد قول الشاعر:

بشـــرى لقيتـــه إذ لامســـت يـــده	جســـماً تولـــد بـــين المـــاء والنـــور
مـــازال يظفـــر لطفـــاً مـــن صـــناعته	حتى جنى المسـك مـن تمثـال كـافور

ثم خرجا من الحمام وكان شيخ السوق لما سمع بدخولهما الحمام قعد في انتظارهما وإذا بهما قد أقـبلا وهما كالغزالين وقد أحمرت خدودهما وأسودت عيونهما ولمعت أبدانهما حتى كأنهما غصـنان مثمـران أو قمران زاهيان فقال لهما يا أولادي حمامكم نعيم دائم فقال تاج الملوك بأعذب كلام ليتك كنـت معنـا ثـم أن



الأثنين قبلا يديه ومشيا قدامه حتى وصلا إلى الدكان تعظيماً له لأنه كبير السوق وقد أحسن أليهما بأعطائهما الدكان فلما رأى أردافهما في ارتجاج زاد به الوجد وهاج وشخر ونخر ولم يبق له مصـطبر فأحـدق بهمـا العينين وأنشد هذين البيتين:

يطـالع القلـب بـاب الاختصـاص بـه   ولـيس يقـرأ فيـه مبحـث الشـركة

لا غرو فـي كونـه يـرنج مـن قـول   فكـم لـذا الفلـك الـدوار مـن حركـة

فلما سمعا هذا الشعر أقسما عليه أن يدخل معهما الحمام ثانياً وكان قد تركا الوزير داخل الحمام فلمـا دخل شيخ السوق إلى الحمام ثاني مرة سمع الوزير بدخوله فخرج إليه من الخلوة واجتمع به في وسط الحمام وعزم عليه فامتنع فأمسك بأحدى يديه تاج الملوك وبيده الأخرى عزيز ودخلا به خلوة أخرى فانقاد لهما ذلك الشيخ الخبيث فحاف تاج الملوك أن لا يحميه غيره وحاف عزيز أن لا يصب عليه الماء غيـره فقـال لـه الوزير أنهما أولادك فقال شيخ السوق أبقاهما ا لك لقد حلت في مدينتنا البركة والسعود بقـدومكم وقـدوم أتباعكم ثم أنشد هذين البيتين:

أقبلـت فأخضـرت لـدينا الربـا   وقـد زهـت بـالزهر للمجتلـي

ونـادت الأرض ومـن فوقهـا   أهـلاً وسـهلا بـك مـن مقبلـي

فشكروه على ذلك ومازال تاج الملوك يحميه وعزيز يصب عليه الماء وهو يظن أن روحه في الجنـة حتى أتما خدمته فدعا لهما وجلس جنب الوزير على أنه يتحدث معه ولكن معظم قصده النظـر إلـى تـاجر الملوك وعزيز ثم بعد ذلك جاءت لهم الغلمان بالمناشف فتنشفوا ولبسوا حوائجهم ثم خرجوا من الحمام فأقبل الوزير على شيخ السوق وقال له يا سيدي أن الحمام نعيم الدنيا فقال شيخ السـوق جعلـه ا لـك ولأولادك عافية وكفاهما ا شر العين فهل تحفظون شيئاً مما قالته البلغاء في الحمام فقال تاج الملوك أنا أنشد لك بيتين وهما:

أن عـيش الحمـام أطيـب عـيش   غيـر أن المقـام فيـه قليـل

جنـة تكـره الإقامـة فيهـا   وجحـيم يطيـب فيهـا الـدخول

فلما فرغ تاج الملوك من شعره قال عزيز وأنا أحفظ في الحمام شيئاً فقال شيخ السوق اسـمعني أيـاه فأنشد هذين البيتين:

وبيت لـه مـن جامـد الصـخر أزهـار   أنيـق إذا أضـرمت حولـه النـار

تـراه جحيمـاً وهـو فـي الحـق جنـة   وأكثـر مـا فيهـا شـموس وأقمـار

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب شيخ السوق من شعرهما وفصاحتهما وقال لهمـا وا لقـد حزتمـا الفصاحة والملاحة فاسمعا أنتما مني ثم أطرب بالنغمات وأنشد هذه الأبيات:

يـا حسـن نـار والنعـيم عـذابها   تحيـا بهـا الأرواح والأبـدان

فاعجـب لبيـت لا يـزال نعيمـه   غضـا وتوقـد تحتـه النيـران

عـيش السـرور لمـن ألـم بـه وقـد   سـفحت. عليـه دموعهـا الغـدران

فلما سمعوا ذلك تعجبوا من هذه الأبيات ثم أن شيخ السوق عزم عليهم فامتنعوا ومضوا إلى منزلهم ليستريحوا من تعب الحمام ثم أكلوا وشربوا وباتوا تلك الليلة في منزلهم في أتم ما يكون من الحظ والسرور فلما أصبح الصباح قاموا من نومهم وتوضئوا وصلوا فرضهم وأصبحوا ولما طلع النهار وفتحت الدكاكين والأسواق خرجوا من المنزل وتوجهوا إلى السوق وفتحوا الدكان وكان الغلمان قد هيئوها أحسن هيئة وفرشوها بالبسط الحرير ووضعوا فيها مرتبتين كل واحدة منهما تساوي مائة دينار وجعلوا فوق كل مرتبة نطفاً ملوكياً دائرة من الذهب فجلس تاج الملوك على مرتبة وجلس عزيز على الأخرى وجلس الوزير في وسط الدكان ووقف الغلمان بين أيديهم وتسامعت بهم الناس فازدحموا عليهم وباعوا بعض أقمشتهم وشاع ذكر تاج الملوك في المدينة واشتهر فيها خبر حسنه وجماله ثم أقاموا على ذلك أياماً وفي كل يوم تهرع الناس إليهم فأقبل الوزير على تاج الملوك وأوصاه بكتمان أمره وأوصى عليه عزيز ومضى إلى الدار ليدبر أمراً يعود نفعه عليهم وصار تاج الملوك وعزيز يتحدثان وصار تاج الملوك يقول عسى أن يجيء أحد من عند السيدة دنيا ومازال تاج الملوك على ذلك أياماً وليالي وهو لا ينام وقد تمكن منه الغرام وزاد به النحول والأسقام حتى حرم لذيذ المنام وامتنع من الشراب والطعام وكان كالبدر في تمامه فبينما تاج الملوك جالس وإذا بعجوز أقبلت عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد بينما تاج الملوك جالس وإذا بعجوز أقبلت عليه وتقدمت إليه وخلفها جاريتان ومازالت ماشية حتى وقفت على دكان تاج الملوك فرأت قده واعتداله وحسنه وجماله فتعجبت من ملاحته ورشحت في سراويلها ثم قالت سبحان من خلقك من ماء مهين سبحان من جعلك فتنة للعالمين ولم تزل تتأمل فيه وتقول ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ثم دنت منه وسلمت عليه فرد عليها السلام وقام لها واقفاً على الأقدام وتبسم في وجهها هذا كله بإشارة عزيز ثم أجلسها إلى جانبه وصار يروح عليها إلى أن استراحت ثم أن العجوز قالت لتاج الملوك يا ولدي يا كامل الأوصاف والمعاني هل أنت من هذه الديار فقال تاج الملوك بكلام فصيح عذب مليح وا يا سيدتي عمري ما دخلت هذه الديار إلا هذه المرة ولا أقمت فيها إلا على سبيل الفرجة فقالت لك الأكرام من قادم على الرحب والسعة ما الذي جئت به معك من القماش فأرني شيئاً مليحاً فإن المليح لا يحمل إلا المليح فلما سمع تاج الملوك كلامها خفق فؤاده ولم يفهم معنى كلامها فغمزه عزيز بالإشارة فقال لها تاج الملوك عندي كل ما تشتهين من الشيء الذي لا يصلح إلا للملوك وبنات الملوك فلمن تريدين حتى أقلب عليك ما يصلح لأربابه وأراد بذلك الكلام أن يفهم معنى كلامها فقالت له أريد قماشاً يصلح للسيدة دنيا بنت الملك شهرمان فلما سمع تاج الملوك ذكر محبوبته فرح فرحاً شديد وقال لعزيز أئتني بأفخر ما عندك من البضاعة فأتاه عزيز ببقجة وحلها بين يديه فقال لها تاج الملوك اختاري ما يصلح لها فإن هذا الشيء لا يوجد عند غيري فأختارت العجوز شيئاً يساوي ألف دينار وقالت بكم هذا وصارت تحدثه وتحك بين أفخاذها بكلوة يدها فقال لها وهل أساوم مثلك في هذا الشيء الحقير الحمد الذي عرفني بك فقالت له العجوز أعوذ وجهك المليح برب الفلق أن وجهك مليح وفعلك مليح هنيئاً لمن تنام في حضنك وتضم قوامك الرجيح وتحظى بوجهك الصبيح وخصوصاً إذا كانت صاحبة حسن مثلك فضحك تاج

الملوك حتى استلقى على قفاه ثم قال يا قاضي الحاجات على أيدي العجائز الفاجرات فقالت يا ولدي ما الاسم قال اسمي تاج الملوك فقالت أن هذا الاسم من أسماء الملوك ولكنك في زي التجار فقال لها عزيز من محبته عند أهله ومعزته عليهم سموه بهذا الاسم فقالت العجوز صدقت كفاكم الله شر الحساد ولو فتت بمحاسنكم إلا كباد ثم أخذت القماش ومضت وهي باهتة في حسنه وجماله وقده واعتداله ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا وقالت لها يا سيدتي جئت لك بقماش مليح فقالت لها أريني أياه فقالت يا سيدتي ها هو فقلبيه وأنظريه فلما رأته السيدة دنيا قالت لها يا دادتي أن هذا قماش مليح ما رأيته في مدينتنا فقالت العجوز يا سيدتي أن بائعه أحسن منه كأن رضوان فتح أبواب الجنان وسها فخرج منها التاجر الذي يبيع هذا القماش وأنا أشتهي في هذه الليلة أن يكون عندك وينام بين نهودك فإنه فتنة لمن يراه وقد جاء مدينتنا بهذه الأقمشة لأجل الفرجة فضحكت السيدة دنيا من كلام العجوز. وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة دنيا حين ضحكت من كلام العجوز وقالت أخزاك الله يا عجوز النحس أنك خرفت ولم يبق لك عقل ثم قالت هات القماش حتى أبصره جيداً فناولتها أياه فنظرته ثانياً فرأته شيئاً قليلاً وثمنه كثيراً وتعجبت من حسن ذلك القماش لأنها ما رأت في عمرها مثله فقالت لها العجوز يا سيدتي لو رأيت صاحبه لعرفت أنه أحسن ما يكون على وجه الأرض فقالت لها السيدة دنيا هل سألتيه أن كان له حاجة يعلمنا بها فنقضيها له فقالت العجوز وقد هزت رأسها حفظ الله فراستك والله أن له حاجة وهل أحد يخلوا من حاجة فقالت لها السيدة دنيا أذهبي غليه وسلمي عليه وقولي له شرفت بقدومك مدينتنا ومهما كان لك من الحوائج قضيناه لك على الرأس والعين فرجعت العجوز إلى تاج الملوك في الوقت فلما رآها طار قلبه من الفرح ونهض لها قائماً على قدميه وأخذ يدها وأجلسها إلى جانبه فلما جلست واستراحت أخبرته بما قالته السيدة دنيا فلما سمع ذلك فرح غاية الفرح واتسع صدره وأنشرح وقال في نفسه قد قضيت حاجتي ثم قال للعجوز لعلك توصلين إليها كتاباً من عندي وتأتيني بالجواب فقالت سمعاً وطاعة فلما سمع ذلك منها قال لعزيز أئتني بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أتاه بتلك الأدوات كتب هذه الأبيات:

كتبت إليك يا سؤالي كتاباً ... بما ألقاه من ألم الفراق
فأول ما أسطر نار قلبي ... وثانيه غرامي واشتياقي
وثالثه مضى عمري وصبري ... ورابعه جميع الوجد باقي
وخامسه متى عيني تراكم ... وسادسه متى يوم التلاق

ثم كتب في إمضائه أن هذا الكتاب من أسير الأشواق المسجون في سجن الاشتياق الذي ليس له إطلاق إلا بالوصال ولو بطيف الخيال لأنه يقاسي أليم العذاب من فراق الأحباب ثم أفاض جمع العين وكتب هذين البيتين:

كتبت إليك والعبرات تجري ... ودمع العين ليس له انقطاع
ولست بيائس من فضل ربي ... عسى يوم يكون به اجتماع



ثم طوى الكتاب وختمه وأعطاه للعجوز وقال أوصليه إلى السيدة دنيا فقالت سمعاً وطاعة ثم أعطاها ألف دينار وقال أقبلي مني هذه هدية فأخذتها وانصرفت داعية له ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا فلما رأتها قالت لها يا دادتي أي شيء طالب من الحوائج حتى نقضيها له فقالت لها يا سيدتي قد أرسل معي كتاباً ولا أعلم بما فيه ثم ناولتها الكتاب فأخذته وقرأته وفهمت معناه ثم قالت من أين إلى أين حتى يراسلني هذا التاجر ويكاتبني ثم لطمت وجهها وقالت لولا خوفي من ا تعالى لصلبته على دكانه فقالت العجوز وأي شيء في هذا الكتاب حتى أزعج قلبك هل فيه شكاية مظلمة أو فيه ثمن القماش فقالت لها ويلك ما فيه ذلك وما فيه إلا عشق ومحبة وهذا كله منك وإلا فمن أين يتوصل هذا الشيطان إلى هذا الكلام فقالت لها العجوز يا سيدتي أنت قاعدة في قصرك العالي وما يصل إليك أحد ولا الطير الطائر سلامتك من اللوم والعتاب وما عليك من نباح الكلاب فلا تؤاخذيني حيث أتيتك بهذا الكتاب ولا أعلم ما فيه ولكن الرأي أن تردي إليه جواباً وتهدديه فيه بالقتل وتنهيه عن هذا الهذيان فإنه ينتهي ولا يعود فقالت السيدة دنيا أخاف أن أكاتبه فيطمع فقالت العجوز إذا سمع التهديد والوعيد رجع عما هو فيه فقالت علي بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أحضروا لها تلك الأدوات كتبت هذه الأبيات:

يا مدعي الحب والبلوى مع السهر ... وما يلاقيه من وجد ومن فكر
أتطلب الوصل يا مغرور من قمر ... وهل ينال المنى شخص من القمر
أني بصحتك عما أنت طالبه ... فأقصر فأنك في هذا على خطر
وأن رجعت إلى هذا الكلام فقد ... أتاك مني عذاب زائد الضرر
وحق من خلق الإنسان من علق ... ومن أنار ضياء الشمس والقمر
لئن عدت لما أنت ذاكره ... لأصلبنك في جذع من الشجر

ثم طوت الكتاب وأعطته للعجوز وقالت لما أعطيه له وقولي له كف عن هذا الكلام فقالت لها سمعاً وطاعة ثم أخذت الكتاب وهي فرحانة ومضت إلى منزلها وباتت في بيتها فلما أصبح الصباح توجهت إلى دكان تاج الملوك فوجدته في انتظارها فلما رآها كاد أن يطير من الفرح فلما قربت منه نهض إليها قائماً وأقعدها بجانبه فأخرجت له الورقة وناولته أياها وقالت له أقرأ ما فيها ثم قالت له أن السيدة دنيا لما قرأت كتابك اغتاظت ولكنني لاطفتها ومازحتها حتى أضحكتها ورقت لك وردت لك الجواب فشكرها تاج الملوك على ذلك وأمر عزيز أن يعطيها ألف دينار ثم أنه قرأ الكتاب وفهمه وبكى بكاء شديداً فرق له قلب العجوز وعظم عليها بكاؤه وشكواه ثم قالت له يا ولدي وأي شيء في هذه الورقة حتى أبكاك فقال لها أنها تهددني بالقتل والصلب وتنهاني عن مراسلتها وإن لم أراسلها يكون موتي خيراً من حياتي فخذي جواب كتابها ودعيها تفعل ما تريد فقالت له العجوز وحياة شبابك لابد أني أخاطر معك بروحي وأبلغك مرادك وأوصلك إلى ما في خاطرك فقال لها تاج الملوك كل ما تفعليه أجازيك عليه ويكون في ميزانك فأنك خبيرة بالسياسة وعارفة بأبواب الدناسة وكل عسير عليك يسير وا على كل شيء قدير ثم أخذ ورقة وكتب فيها هذه الأبيات:

أمست تهددني بالقتل وأحزني ... والقتل لي راحة والموت مقدور

والمـوت أغنـى لصـب أن تطـول بـه	حياتـه وهـو ممنـوع ومقهـور
بـا زوروا محبـاً قـل ناصـره	فـأنني عبـدكم والعبـد مأسـور
يـا سـادتي فـأرحموني فـي محبـتكم	فكـل مـن يعشـق الأحـرار معـذور

ثم أنه تنفس الصعداء وبكى حتى بكت العجوز وبعد ذلك أخذت الورقة منه وقالت له طب نفساً وقـر عيناً فلا بد أن أبلغك مقصودك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قامت وتركت تاج الملوك على الغار وتوجهت إلى السيدة دنيا فرأتها متغيرة اللون من غيظها بمكتوب تاج الملوك فناولتها الكتاب فازدادت غيظاً وقالت للعجوز أما قلت لك أنه يطمع فينا فقالت لها وأي شيء هذا الكتاب حتى يطمع فيك فقالت لها السيدة دنيا اذهبي إليه وقولي لـه أن راسلتها بعد ذلك ضربت عنقك فقالت لها العجوز أكتبي له هذا الكلام في مكتوب وأنا آخذ المكتـوب معـي لأجل أن يزداد خوفه أخذت ورقة وكتبت فيها هذا الأبيات:

أيـا غـافلاً عـن حادثـاً الطـوارق	ولـيس إلـى نيـل الوصـال بسـابق
أتـزعم يـا مغـرور أن تـدرك السـها	ومـا أنـت للبـدر المنيـر بـلا حـق
فكيـف ترجينـا وتأمـل وصـلنا	لتحظـي بضـم للقـدود الرواشـق
فدع عنك هـذا القصـد خيفـة سـطوتي	بيـوم عبـوس فيـه شـيب المفـارق

ثم طوت الكتاب وناولته للعجوز فأخذته وانطلقت به إلى تاج الملوك فلما رآها قام على قدميه وقـال لا أعدمني ا بركة قدومك فقالت له العجوز خذ جواب مكتوبك فأخذ الورقة وقرأها وبكى بكاء شديداً وقال أني اشتهي من يقتلني الآن فإن القتل أهون على من هذا الأمر الذي أنا فيه ثم أخذ دواة وقلما وقرطـاس وكتـب مكتوباً ورقم هذين البيتين:

فيـا منيتـي لا تبتغـي الهجـر والجفـا	فـأني محـب فـي المحبـة غـارق
ولا تحسـبيني فـي الحيـاة مـع الجفـا	فروحـي مـن بعـد الأحبـة طـالق

ثم طوى الكتاب وأعطاه للعجوز وقال لها قد أتعبتك بدون فائدة وأمر عزيز أن يدفع لها ألـف دينـار وقال لها يا أمي أن هذه الورقة لابد أن يعقبها كمال الاتصال أو كمال الانفصال فقالت له يا ولـدي وا مـا اشتهى لك إلا الخير ومرادي أن تكون عندك فأنك أنت القمر صاحب الأنوار الساطعة وهي الشمس الطالعـة وأن لم أجمع بينكما فليس في حياتي فائدة وأنا قد قطعت عمري في المكر والخداع حتى بلغت التسعين مـن الأعوام فكيف أعجز عن الجمع بين اثنين في الحرام ثم ودعته وطيبت قلبه وانصرفت ولم تزل تمشي حتـى دخلت على السيدة دنيا وقد أخفت الورقة في شعرها فلما جلست عندها حكت رأسها وقالت يا سيدتي عساك أن تفلي شوشتي فإن لي زماناً ما دخلت الحمام فكشفت السيدة دنيا عن مرفقيها وحلت شعر العجوزوصـارت تفلي شوشتها فسقطت الورقة من رأسها فرأتها السيدة دنيا فقالت ما هذه الورقة فقالت كأني قعدت على دكان التاجر فتعلقت معي هذه الورقة هاتيها حتى أوديها له ففتحتها السيدة دنيا وقرأتها وفهمت ما فيهـا فاغتاظـت



غيظاً شديداً وقالت كل الذي جرى لي من تحت رأس هذه العجوز النحس فصاحت على الجـواري والخـدم وقالت امسكوا هذه العجوز الماكرة وأضربوها بنعالكم فنزلوا عليها ضرباً بالنعال حتى غشي عليها فلما أفاقت قالت لها وا يا عجوز السوء لولا خوفي من ا تعالى لقتلتك ثم قالت لهم أعيدوا الضرب فضربوها حتـى غشي عليها ثم أمرتهم أن يجروها ويرموها خارج الباب فسحبوها على وجهها ورموها قدام الباب فلما أفاقت قامت تمشي وتقعد حتى وصلت إلى منزلها وصبرت إلى الصبح ثم قامت وتمشت حتى أتت على تاج الملوك وأخبرته بجميع ما جرى لها فصعب عليه ذلك وقال لها يعز علي يا أمي ما جرى لك ولكن كل شيء بقضاء وقدر فقالت له طب نفساً وقر عيناً فأني لا أزال أسعى حتى أجمع بينك وبينها وأوصلك إلى هذه العاهرة التي أحرقتني بالضرب فقال لها تاج الملوك أخبريني ما سبب بغضها للرجال فقالت أنها رأت مناماً أوجـب ذلـك فقال لها وما ذلك المنام فقالت أنها كانت نائمة ذات ليلة فرأت صياداً نصب شركاً في الأرض وبـذر حولـه قمحاً ثم جلس قريباً منه فلم يبق شيء من الطيور إلا وقد أتى إلى ذلك الشرك ورأت في الطيـور حمـامتين ذكراً وأنثى فبينما هي تنظر إلى الشرك وإذا برجل الذكر تعلقت في الشرك وصار يختبط فنفرت عنه فجيـع الطيور ومرت فرجعت إليه امرأته وحامت عليه ثم تقدمت إلى الشرك والصياد غافل فصارت تنقـر العـين التي فيها رجل الذكر وصارت تجذبه بمنقارها حتى خلصت رجله من الشركة وطارت الطيور هـي وأيـاه فجاء بعد ذلك الصياد وأصلح الشرك وقعد بعيداً عنه فلم يمض غير ساعة حتى نزلت الطيور وعلق الشـرك في الأنثى فنفرت عنها جميع الطيور ومن جملتها الطير الذكر ولم يعد لأنثاه فجاء الصياد وأخذ الطير الأنثى وذبحها فأنتبهت مرعوبة من منامها وقالت كل ذكر مثل هذا ما فيه خير والرجالج-ميعهم ما عنـدهم خيـر للنساء فلما فرغت من حديثها لتاج الملوك قال لها يا أمي أريد أن أنظر إليها نظرة واحدة ولو كان في ذلـك مماتي فتحيلي لي بحيلة حتى أنظر غليها فقالت اعلم أن لها بستاناً تحت قصرها وهو برسم فرجتهـا وأنهـا تخرج إليه في كل شهر مرة من باب السر وتقعد فيه عشرة أيام وقد جاء أوان خروجها إلـى الفرجـة فـإذا أرادت الخروج أجيء إليك وأعلمك حتى تخرج وتصادفتا وأحرص على أنك لا تفارق البستان فلعلها إذا رأت حسنك وجمالك يتعلق قلبها بمحبتك فإن المحبة أعظم أسباب الاجتماع فقال سمعاً وطاعة ثم قام من الدكان هو وعزيز وأخذا معهما العجوز ومضيا إلى منزلهما وعرفاه لها ثم أن تاج الملوك قال لعزيز يا أخي ليس لـي حاجة بالدكان وقد قضيت حاجتي منها ووهبتها لك بجميع ما فيها لأنك تغربت معي وفارقت بـلادك فقبـل عزيز منه ذلك ثم جلسا يتحدثان وصار تاج الملوك يسأله عن غريب أحواله وما جرى له وصار هو يخبـره بما حصل له وبعد ذلك أقبلا على الوزير وأعلماه بما عزم عليه تاج الملوك وقالا له كيف العمل فقال قومـوا بنا إلى البستان فليس كل واحد منهم أفخر ما عنده وخرجوا وخلفهم ثلاثة مماليك وتوجهوا إلى البستان فرأوه كثير الأشجار غزير الأنهار ورأوا الخولي جالساً على الباب فسلموا عليه فرد عليهم السلام فناولـه الـوزير مائة دينار وقال اشتهي أن تأخذ هذه النفقة وتشتري لنا شيئاً نأكله فأننا غرباء ومعي هؤلاء الأولاد أردت أن أفرجهم فأخذ البستاني الدنانير وقال لهم ادخلوا وتفرجوا وجميعه ملككم وأجلسوا حتى أحضر لكم بما تأكلون ثم توجه إلى السوق ودخل الوزير وتاج الملوك وعزيز داخل البستان بعد أن ذهب البستاني إلى السوق ثم بعد ساعة أتى ومعه خروف مشوي ووضعه بين أيديهم فأكلوا وغسلوا أيديهم وجلسوا يتحـدثون فقـال الـوزير

أخبرني عن هذا البستان هل هو لك أم أنت مستأجره فقال الشيخ ما هو لي وأنما لبنت الملك السيدة د=نيا فقال الوزير كم لك في كل شهر من الأجرة فقال دينار واحد لا غير فتأمل الوزير في البستان فرأى هناك قصـراً عالياً إلا أنه عتيق فقال الوزير أريد أن أعمل خيرا تذكرني به فقال وما تريد أن تفعل من الخير فقال خذ هذه الثلثمائة دينار فلما سمع الخولي بذكر الذهب قال يا سيدي مهما شئت فافعل ثم أخذ الدنانير فقال له أن شـاء ا تعالى نفعل في هذا المحل خيراً ثم خرجوا من عنده وتوجهوا إلى منزلهم وباتوا تلك الليلة فلما كان الغـد أحضر الوزير مبيضاً ونقاشاً وصانعاً جيداً وأحضر لهم جميع ما يحتاجون إليه من الآلات ودخل بهم البستان وأمرهم ببياض ذلك القصر وزخرفته بأنواع النقش ثم أمر بإحضار الذهب واللازورد وقال للنقاش اعمل في صدر هذا الأيوان آدمي صياد كأنه نصب شركه وقد وقعت فيه حمامة واشتبكت بمنقارها في الشـر لا فلمـا نقش النقاش جانباً وفرغ من نقشه قال له الوزير افعل في الجانب الآخر مثل الأول وصور صورة الحمامـة في الشرك وأن الصياد أخذها ووضع السكين على رقبتها واعمل في الجانب الآخر صورة جارح كبيـر قـد قنص ذكر الحمام وانشب فيه مخالبه ففعل ذلك فلما فرغ من هذه الأشياء التي ذكرها الوزير ودعوا البستاني ثم توجهوا إلى منزلهم وجلسوا يتحدثون هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمـر العجـوز فإنهـا انقطعت في بيتها واشتاقت بنت الملك إلى الفرجة في البستان وهي لا تخرج إلا بـالعجوز فأرسـلت إليهـا وصالحتها وطيبت خاطرها وقالت أني أريد أن أخرج إلى البستان لاتفرج على أشجاره وأثمـاره وينشـرح صدري بأزهاره فقالت لها العجوز سمعا وطاعة ولكن أريد أن أذهب إلى بيتي والبس أثوابي وأحضر عندك فقالت أذهبي إلى بيتك ولا تتأخري عني فخرجت العجوز من عندها وتوجهت إلى تاج الملوك وقالت له تجهز وألبس أفخر ثيابك وأذهب إلى البستان وأدخل على البستاني وسلم عليه ثم أختف في البسـتان فقـال سـمعاً وطاعة وجعلت بينها وبينه إشارة ثم توجهت إلى السيدة دنيا وبعد ذهابها قام الوزير وعزيـز والبسـا تـاج الملوك بدلة من أفخر ملابس الملوك تساوي خمسة آلاف دينار وشدا في وسطه خياطة من الذهب مرصـعة بالجوهر والمعادن ثم توجه إلى البستان فلما وصل إلى باب البستان وجد الخـولي جالسـاً هنـاك فلمـا رآه البستاني نهض له على الأقدام وقابله بالتعظيم والإكرام وفتح له الباب وقال له أدخل وتفرج في البستان ولـم يعلم البستاني أن بنت الملك تدخل البستان في هذا اليوم فلما دخل تاج الملوك لم يلبث إلا مقدار ساعة وسـمع ضجة فلم يشعر إلا والخدم والجواري خرجوا من باب السر فلما رآهم الخولي ذهب إلى تاج الملوك وأعلمـه بمجيئها وقال له يا مولاي كيف يكون العمل وقد أتت ابنة الملك السيدة دنيا فقال لا بأس عليك فأني أختفي في بعض. واضع البستان فأوصاه البستاني بغاية الاختفاء ثم تركه وراح فلما دخلت بنت الملك هـي وجواريهـا والعجوز في البستان قالت العجوز في نفسها متى كان الخدم معنا فإننا لا ننال مقصودنا ثم قالت لأبنة المـلك يا سيدتي أني أقول لك على شيء فيه راحة لقلبك فقالت السيدة دنيا قولي ما عندك فقالت العجوز يا سيدتي أن هؤلاء الخدم لا حاجة لك بهم في هذا الوقت ولا ينشرح صدرك ما داموا معنا فأصر فيهم عنا فقالت السـيدة دنيا صدقت ثم صرفتهم وبعد قليل تمشت فصار تاج الملوك ينظر إليها وإلى حسنها وجمالها وهي لا تشـعر بذلك وكلما نظر إليها يغشى عليه مما يرى من بارع حسنها وصارت العجـوز تسـارقها الحـديث إلـى أن أوصلتها إلى القصر الذي أمر الوزير بنقشه ثم دخلت ذلك القصر وتفرجك على نقشـه وأبصـرت الطيـور


والصياد والحمام فقالت سبحان ا أن هذه صفة ما رأيته في المنام وصارت تنظر علـى صـور الطيـور والصياد والشرك وتتعجب ثم قالت بإرادتي أني كنت ألوم الرجال وأبغضهم ولكن انظري الصياد كيف ذبـح الطير الأنثى وتخاص الذكر وأراد أن يجيء إلى الأنثى ويخلصها فقابله الجارح وافترسه وصارت العجـوز تتجاهل عليها وتشاغلها بالحديث إلى أن قربا من المكان المختفي فيه تاج الملوك فأشارت إليـه العجـوز أن يتمشى تحت شبابيك القصر فبينما السيدة دنيا كذلك إذ لاحت منها التفاتة فرأته وتأملت جماله وقده واعتداله ثم قالت يادادتي من أين هذا الشاب المليح فقالت لا اعلم به غير أني أظن أنه ولد ملك عظيم فإنه بلغ من الحسن النهاية ومن الجمال الغاية فهامت به السيدة دنيا وانحلت عرى عزائمها وأنبهر عقلها من حسنه وجماله وقـده واعتداله وتحركت عليها الشهوة فقالت للعجوز يادادتي أن هذا الشاب مليح فقالت لها العجـوز صـدقت يـا سيدتي ثم أن العجوز أشارت إلى أبن الملك أن يذهب إلى بيته وقد التهبت به نار الغـرام وزاد بـه الوجـد والهيام فسار وودع الخولي وانصرف إلى منزله ولم يخالف العجوز وأخبر الوزير وعزيـز بـان العجـوز أشارت إليه بالإنصراف فصارا يصبرانه ويقولان له لولا أن العجوز تعلم أن في رجوعك مصلحة ما أشارت عليك به هذا ما كان من أمر تاج الملوك والوزير وعزيز (وأما) ما كان من أمر ابنة الملك السيدة دنيا فأنهـا غاب عليها الغرام وزاد بها الوجد والهيام وقالت للعجوز أنا سأعرف اجتماعي بهذا الشاب إلا منك فقالت لها العجوز أعوذ با من الشيطان الرجيم أنت لا تريدين الرجال وكيف حلت بك من عشقه الأوجال ولكـن وا ما يصلح لشبابك إلا هو فقالت السيدة دنيم يا دادتي اسعفيني باجتماعي عليه ولك عندي ألف دينـار وخلعـة بألف دينار وأن لم تسعفيني بوصاله فأني ميتة لا محالة فقالت العجوز أمض أنت إلى قصرك وأنا أتسبب في اجتماعكما وأبذل روحي في مرضاتكما ثم أن السيدة دنيا توجهت إلى قصرها وتوجهت العجوز إلـى تـاج الملوك فلما رآها نهض لها على الأقدام وقابلها بإعزاز وأكرام وأجلسها إلى جانبه فقالت له أن الحيلة قد تمت وحكت له ماجرى لها مع السيدة دنيا فقال لها متى يكون الاجتماع قالت في غد فأعطاها ألف دينـار وحلـة بألف دينار فأخذتهما وانصرفت ومازالت سائرة حتى دخلت على السيدة دنيا فقالت لها يا دادتي ما عندك من خبر الحبيب شيء فقالت لها قد عرفت مكانه وفي غد أكون به عندك ففرحت السيدة دنيا بذلك وأعطتها ألـف دينار وحلة بألف دينار فأخذتهما وانصرفت إلى منزلها وباتت فيه إلى الصباح ثم خرجت وتوجهت إلى تـاج الملوك وألبسته لبين النساء وقالت له أمش خلفي وتمايل في خطواتك ولا تستعجل في مشيك ولا تلتفت إلـى من يكلمك وبعد أن أوصت تاج الملوك بهذه الوصية خرجت وخرج خلفها وهو في زي النسـوان وصـارت تعلمه في الطريق حتى لا يفزع ولم تزل ماشية وهو خلفها حتى وصلا إلى باب القصر فدخلت وهو ورائهـا وصارت تخرق الأبواب والدهاليز إلى أن جاوزت به سبعة أبواب ولما وصلت إلى الباب السابع قالت لتـاج الملوك قوي قلبك وإذا زعقت عليك وقلت لك يا جارية أعبري فلا تتوان في مشيك وهـرول فـإذا دخلـت الدهليز فانظر إلى شمالك ترى أيواناً فيه أبواب فعد خمسة أبواب وأدخل الباب السادس فإن مرادك فيه فقـال تاج الملوك وأين تروحين أنت فقالت له ما أروح موضعاً غير أني ربما أتأخر عنك وأتحدث مع الخادم الكبير ثم مشت وهو خلفها حتى وصلت إلى الباب الذي فيه الخادم الكبير فرأى معها تاج الملوك في صورة جاريـة فقال لها ما شأن هذه الجارية التي معك فقالت له هذه جارية قد سمعت السيدة دنيا بأنها تعرف الأشغال وتريد

أن تشتريها فقال لها الخادم أنا لا أعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل أحد حتى أفتشه كما أمرني الملك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قالت للبواب وقد أظهرت الغضب أنا أعرف أنك عاقل ومؤدب فإن كان حالك قد تغير فإني أعلمها بذلك وأخبرها أنك تعرضت لجاريتها ثم زعقت على تاج الملوك وقالت له أعبري يا جارية فعند ذلك عبر إلى داخل الدهليز كما أمرته وسكت الخادم ولم يتكلم ثم إن تاج الملوك عد خمسة أبواب ودخل الباب السادس فوجد السيدة دنيا واقفة في انتظاره فلما رأته عرفته فضمته إلى صدرها وضمها إلى صدره ثم دخلت العجوز عليهما وتحيلت على صرف الجواري ثم قالت السيدة دنيا للعجوز كوني أنت بوابة ثم أختلت هي وتاج الملوك ولم يزالا في ضم وعناق والتفت ساق على ساق إلى وقت السحر ولما أصبح الصباح غلقت عليهما الباب ودخلت مقصورة أخرى وجلست على جري عادتها وأتت إليها الجواري فقضت حوائجهن وصارت تحدثهن ثم قالت للجواري أخرجن الآن من عندي فأني أريد أن أنشرح وحدي فخرج الجواري من عندها ثم إنها أتت إليهما ومعها شيء من الأكل فأكلوا وأخذوا في الهراش إلى وقت السحر فأغلقت عليهما مثل اليوم الأول ولم يزالا على ذلك مدة شهر كامل هذا ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا (وأما) ما كان من أمر الوزير وعزيز فأنهما لما توجه تاج الملوك إلى قصر بنت الملك ومكث تلك المدة علما أنه لا يخرج منه أبداً وأنه هالك لا محالة فقال عزيز يا والدي ماذا نصنع فقال الوزير يا ولدي إن هذا الأمر مشكل وأن لم نرجع إلى أبيه ونعلمه فإنه يلومنا على ذلك ثم تجهزا في الوقت والساعة وتوجها إلى الأرض الخضراء والعمودين وتخت الملك سليمان شاه وسارا يقطعان الأودية في الليل والنهار إلى أن دخلا على الملك سليمان شاه وأخبراه بما جرى لولده وأنه من حين دخل قصر بنت الملك لم يعلموا له خبر فعند ذلك قامت عليه القيامة واشتدت به الندامة وأمر أن ينادي في مملكته بالجهاد ثم أبرز العساكر إلى خارج مدينته ونصب لهم الخيام وجلس في سرادقه حتى اجتمعت الجيوش من سائر الأقطار وكانت رعيته تحبه لكثرة عدله وإحسانه ثم سار في عسكر سد الأفق متوجها في طلب ولده تاج الملوك هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا فأنهما أقاما على حالهما نصف سنة وهما كل يوم يزدادان محبة في بعضهما وزاد على تاج الملوك العشق والهيام والوجد والغرام حتى افصح لها عن الضمير وقال لها أعلمي يا حبيبة القلب والفؤاد أني كلما أقمت عندك ازددت هياماً ووجداً وغراماً لأني ما بلغت المرام بالكلية فقالت له وما تريد يا نور عيني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دنيا قالت لتاج الملوك وما تريد يا نور عيني وثمرة فؤادي أن شئت غير الضم والعناق والتفاف الساق على الساق فافعل الذي يرضيك وليس فينا شريك فقال ليس مرادي هكذا وأنما مرادي أن أخبرك بحقيقتي فاعلمي أني لست بتاجر بل أنا ملك ابن ملك واسم أبي الملك الأعظم سليمان شاه الذي أنفذ الوزير رسولا إلى أبيك ليخطبك لي فلما بلغك الخبر ما رضيت ثم أنه قص عليها قصته من

الأول إلى الآخر وليس في الإعادة إفادة وأريد الآن أن أتوجه إلى أبي ليرسل رسولاً إلى أبيك ويخطبك منـه ويستريح فلما سمعت ذلك الكلام فرحت فرحاً شديداً لأنه وافق غرضها ثم باتا على هذا الاتفاق وأتفـق فـي بالأمر المقدور أن النوم غاب عليهما في تلك الليلة من دون الليالي واستمرا إلى أن طلعت الشمس وفي ذلـك الوقت كان الملك شهرمان جالساً في دست مملكته وبين يديه أمراء دولته إذ دخل عليه عريف الضباع وبيـده حق كبير فتقدم وفتحه بين يدي الملك وأخرج منه علبة لطيفة تساوي مائة ألف دينار لما فيها مـن الجـواهر واليواقيت والزمرد مما لا يقدر عليه أحد من ملوك الأقطار فلما رآها الملك تعجب من حسنها والتفـت إلـى الخادم الكبير الذي جري له مع العجوز ما جرى وقال له يا كافور خذ هذه العلبة وأمض بها إلى السيدة دنيـا فأخذها الخادم ومضى حتى وصل إلى مقصورة بنت الملك فوجد بابها مغلقاً والعجوز نائمة على عتبته فقـال الخادم إلى هذه الساعة وأنتم نائمون فلما سمعت العجوز كلام الخادم انتبهت من منامها وخافت منه وقالت له أصبر حتى آتيك بالمفتاح ثم خرجت على وجهها هاربة هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الخـادم فإنها عرف أنها مرتابة فخلع الثياب ودخل المقصورة فوجد السيدة دنيا معانقة لتاج الملوك وهما نائمان فلمـا رأى ذلك تحير في أمره وهم أن يعود إلى الملك فانتبهت السيدة دنيا فوجدته فتغيرت وأصفر لونها وقالت لـه يا كافور استر ما ستر ا فقال أنا ما أقدر أن أخفي شيئاً عن الملك ثم قفل الباب عليهمـا وأدرك شـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخادم لما قفل الباب عليهما رجع إلى الملك فقال له هل أعطيت العلبة لسيدتك فقال الخادم خذ العلبة ها هي وأنا لا أقدر أن أخفي عنك شيئاً اعلم أني رأيت عند السيدة دنيـا شـاباً جميلاً نائماً معها في فراش واحد وهما متعانقان فأمر الملك بإحضارهما فلما حضرا بين يديه قال لهما ما هذه الفعال واشتد به الغيظ فأخذ نمشه وهم أن يضرب تاج الملوك فرمت السيدة دنيا وجهها عليه وقالـت لأبيهـا اقتلني قبله فنهرها الملك وأمرهم أن يمضوا بها إلى حجرتها ثم التفت إلى تاج الملوك وقال له ويلـك ومـن أين أنت ومن أبوك وما جسرك على ابنتي فقال تاج الملوك اعلم أيها الملك أن قتلتني هلكت وندمت أنتـومن في مملكتك فقال له الملك ولم ذلك فقال اعلم أنني ابن الملك سليمان شاه وما تدري إلا وقد أقبل عليك بخيلـه ورجاله فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام أراد أن يؤخر قتله ويضعه في السجن حتى ينظر صـحة قولـه فقال له وزيره يا ملك الزمان الرأي عندي أن تعجل قتل هذا العلق فإنه تجاسر على بنـات الملـوك فقـال للسياف أضرب عنقه فإنه خائن فأخذه السياف وشد وثاقه ورفع يده وشاور الأمراء أولاً وثانياً وقصد بذلك أن يكون في الأمر توان فزعق عليه الملك وقال متى تشاور أن شاورت مرة أخرى ضربت عنقك فرفع السياف يده حتى بان شعر أبطه وأراد أن يضرب عنقه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السياف رفع يده وأراد أن يضرب عنقه وإذا بزعقات عالية والناس أغلقـوا الدكاكين فقال للسياف لا تعجل ثم أرسل من يكشف له الخبر فمضى الرسول ثم عاد غليه وقال لـه رأيـت عسكراً كالبحر العجاج المتلاطم بالأمواج وخيلهم في ركض وقد ارتجت لهـم الأرض ومـا أدري خبـرهم

فاندهش الملك وخاف على ملكه أن ينزع منه ثم التفت إلى وزيره وقال له أما خرج أحد من عسكرنا إلى هذا العسكر فما تم كلامه إلا وحجابه قد دخلوا عليه ومعهم رسل الملك القادم ومن جملتهم الوزير فابتدأه بالسلام فنهض لهم قائماً وقربهم وسألهم عن شأن قدومهم فنهض الوزير من بينهم وتقدم إليه وقال له اعلم أن الذي نزل بأرضك ملك ليس كالملوك المتقدمين ولا مثل السلاطين السالفين فقال له الملك ومن هو قال الوزير هو صاحب العدل والأمان الذي سارت بعلو همته الركبان السلطان سليمان شاه صاحب الأرض الخضراء والعمودين وجبال أصفهان وهو يحب العدل والأنصاف ويكره الجور والاعتساف ويقول لك أن ابنه عندك وفي مدينتك وهو حشاشة قلبه وثمره فؤاده فإن وجده سالماً فهو المقصود وأنت المشكور المحمود وإن كان فقد من بلادك أو أصابه شيء فأنشر بالدمار وخراب الديار لأنه يصير بلدك قفرا ينعق فيها البوم والغراب وها أنا قد بلغتك الرسالة والسلام فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام من الرسول أنزعج فؤاده وخاف على مملكته وزعق على أرباب دولته ووزرائه وحجابه ونوابه فلما حضروا قال لهم ويلكم أنزلوا وفتشوا على ذلك الغلام وكان تحت يد السياف وقد تغير من كثرة ما حصل له من الفزع ثم أن الرسول لاحت منه التفاتة فوجد ابن ملكه على نطع الدم فعرفه وقام ورمي روحه عليه وكذلك بقية الرسل ثم تقدموا وحلوا وثاقه وقبلوا يديه ورجليه ففتح تاج الملوك عينه فعرف وزير والده وعرف صاحبه عزيز فوقع مغشياً عليه من شدة فرحته بهما ثم أن الملك شهرمان صار متحيراً في أمره وخاف خوفاً شديداً لما تحقق مجيء هذا العسكر بسبب هذا الغلام فقام وتمشى إلى تاج الملوك وقبل رأسه ودمعت عيناه وقال له يا ولدي لا تؤاخذني ولا تؤاخذ المسيء بفعله فارحم شيبتي ولا تخرب مملكتي فدنا منه تاج الملوك وقبل يده وقال له لا بأس عليك وأنت عندي بمنزلة والدي ولكن الحذر أن يصيب محبوبتي السيدة دنيا شيء فقال لا تخف عليها فما يحصل لها إلا السرور وصار الملك يعتذر إليه ويطيب خاطر وزير الملك سليمان شاه ووعده بالمال الجزيل على أن يخفي من الملك ما رآه ثم بعد ذلك أمر كبراء دولته أن يأخذوا تاج الملوك ويهذبوا به إلى الحمام ويلبسوه بدلة من خيار ملابس الملوك ويأتوا به بسرعة ففعلوا ذلك وأدخلوه الحمام وألبسوه البدلة التي أفردها له الملك شهرمان ثم أتوا به إلى المجلس فلما دخل على الملك شهرمان وقف له هو وجميع أرباب دولته وقام الجميع في خدمته ثم أن تاج الملوك جلس يحدث وزير والده وعزيز بما وقع له فقال له الوزير وعزيز ونحن في تلك المدة مضينا إلى والدك فأخبرناه بأنك دخلت سراية بنت الملك ولم تخرج والتبس علينا أمرك فحين سمع بذلك جهز العساكر ثم قدمنا هذه الديار وكان في قدومنا الفرح والسرور فقال لهما لازال الخير يجري على أيديكما أولاً وآخراً وكان الملك في ذلك الوقت قد دخل على ابنته السيدة دنيا فوجدها تبكي على تاج الملوك وأخذت سيفاً وركزت قبضته إلى الأرض وجعلت ذبابته على رأس قلبها بين نهديها وانحنت على السيف وصارت تقول لا بد أن أقتل نفسي ولا أعيش بعد حبيبي فلما دخل عليها أبوها وراها على هذه الحالة صاح عليها وقال لها يا سيدة بنات الملوك لا تفعلي وارحمي أباك وأهل بلدك ثم تقدم إليها وقال لها أحاشيك أن يصيب والدك بسببك سوء ثم أعلمها بالقصة وأن محبوبها أبن الملك سليمان شاه يريد زواجها وقال لها أن أمر الخطبة والزواج مفوض إلى رأيك فتبسمت وقالت له أما قلت لك أنه ابن سلطان فأنا أخليه يصلبك على خشبة لا تساوي درهمين فقال لها با   عليك أن ترحمي أباك فقالت له رح إليه وائتني به فقال لها على الرأس والعين ثم رجع

من عندها سريعاً ودخل على تاج الملوك وساوره بهذا الكلام ثم قام معه وتوجها إليها فلما رأت تاج الملـوك عانقته قدام أبيها وتعلقت به وقالت له أوحشتني ثم التفتت إلى أبيها وقالت هل أحد يفرط في مثل هذا الشـاب المليح وهو ملك ابن ملك فعند ذلك خرج الملك شهرمان ورد الباب عليهما ومضي إلى وزير أبي تاج الملوك ورسله وأمرهم أن يعلموا السلطان سليمان شاه بأن ولده بخير وعافية وهو في ألذ عـيش ثـم أن السـلطان شهرمان أمر بإخراج الضيافات والعلو فات إلى عساكر السلطان سليمان شاه والد تاج الملوك فلمـا خرجـوا جميع ما أمر به أخرج مائة جواد من الخيل ومائة هجين ومائة مملوك ومائة سرية ومائة عبد ومائة جاريـة وأرسل الجميع أليه هدية ثم بعد ذلك توجه إليه هو وأرباب دولته وخواصه حتى صاروا في ظـاهر المدينـة فلما علم بذلك السلطان سليمان شاه تمشى خطوات إلى لقائه وكان الوزير وعزيز أعلماه بالخبر ففرح وقـال الحمد الذي بلغ ولدي مناه ثم أن الملك سليمان شاه أخذ الملك شهرمان بالحضن وأجلسـه بجانبـه علـى السرير وصار يتحدث هو إياه ثم قدموا لهم الطعام فأكلوا حتى اكتفوا ثم قدموا لهم الحلويات ولـم يمـض إلا قليل حتى جاء تاج الملوك وقدم عليه بلباسه وزينته فلما رآه والده قام له وقبله وقام له جميـع مـن حضـر وجلس بين أيديهم ساعة يتحدثون فقال الملك سليمان شاه أني أريد أن أكتب كتاب ولدي علـى ابنتـك علـى رؤوس الأشهاد فقال له سمعاً وطاعة ثم أرسل الملك شهر مان إلى القاضي والشهود فحضروا وكتبوا الكتاب وفرح العساكر بذلك وشرع الملك شهرمان في تجهيز ابنته ثم قال تاج الملوك لوالده أن عزيزاً رجـل مـن الكرام وقد خدمني خدمة عظيمة وتعب وسافر معي وأوصلني إلى بغيتي ولم يزل يصبرني حتـى قضـيت حاجتي ومضى معنا سنتان وهو مشتت من بلاده فالمقصود أننا نهيء له تجارة لأن بلاده قريبة فقال له والده نعم ما رأيت ثم هيئوا له مائة حمل من أغلى القماش وأقبل عليه تاج الملوك وودعه وقال له يا أخي أقبل هذه على سبيل الهدية فقبلها من أغلى القماش وأقبل عليه تاج الملوك وودعه وقال له يا أخي أقبل هذه على سبيل الهدية فقبلها منه وقبل الأرض قدامه وقدام والده الملك سليمان شاه ثم ركب تاج الملوك وسافر مع عزيز قدر ثلاثة أميال وبعدها أقسم عليه عزيز أن يرجع وقال لولا والدتي ما صبرت على فراقك فبا عليك لا تنقطـع أخبارك عني ثم ودعه ومضى إلى مدينته فوجد والدته بنت له في وسط الدار قبراً وصارت تزوره ولما دخل الدار وجدها قد حلت شعرها ونشرته على القبر وهي تفيض دمع العين وتنشد هذين البيتين:

بـا يـا قبـر هـل زالـت محاسـنه	أوقـــد تغيـــر ذات المنظـــر النضـــر
يـا قبـر مـا أنـت بسـتان ولا فلـك	فكيـف يجمـع فيـك البـدر والزهـر

ثم صعدت الزفرات وأنشدت هذه الأبيات:

مـالي مـررت علـى القبـور مسـلماً	قبـــر الحبيـــب فلـــم يـــرد جـــوابي
قـال الحبيـب وكيـف رد جـوابكم	وأنـــا رهـــين جنـــادل وتـــراب
أكـل التـراب محاسـني فنسـيتكم	وحجبـت عـن أهلـي وعـن أحبـابي

فما أتممت شعرها إلا وعزيز داخل عليها فلما رأته قامت إليه واحتضنته وسألته عن سـبب غيابـه فحدثها بما وقع له من أوله إلى آخره وأن تاج الملوك أعطاه من المال والأقمشة مائة حمل ففرحت بذلك وأقام عزيز عند والدته متحيراً فيما وقع له من الدليلة المحتالة التي خصته هذا ما كان من أمر عزيز (وأمـا) مـا كان من أمر تاج الملوك فإنه دخل بمحبوبته السيدة دنيا وأزال بكارتها ثم أن الملك شهرمان شرع في تجهيز ابنته للسفر مع زوجها وأبيه فأحضر لهم الزاد والهدايا والتحف ثم حملوا وساروا وسار معهم الملك شهرمان ثلاثة أيام لأجل الوداع فأقسم عليه الملك سليمان شاه بالرجوع فرجع ومازال تاج الملوك ووالـده وزوجتـه سائرين في الليل والنهار حتى أشرفوا على بلادهم وزينت لهم المدينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك سليمان شاه لما وصل إلى بلده جلس على سرير مملكته وأبنـه تاج الملوك في جانبه ثم أعطي ووهب وأطلق من كان من الحبوس ثم عمل لولده عرساً ثانياً واستمرت بـه المغاني والملاهي شهراً كاملاً وازدحمت المواشط على السيدة دنيا وهي لا تمل من الجلاء ولا يملـن مـن النظر إليها ثم دخل تاج الملوك على زوجته بعد أن اجتمع على أبيه وأمه وما زالوا في الذ عيش وأهناه فعند ذلك قال ضوء المكان للوزير دندان مثلك من ينادم الملوك ويسلم في تدبيرهم أحسن السلوك هذا كلـه وهـم محاصرون للقسطنطينية حتى مضى عليهم أربع سنين ثم اشتاقوا إلى أوطـانهم وضـجرت العسـاكر مـن الحصار وأدامه الحرب في الليل والنهار فأمر الملك ضوء المكان بإحضار بهرام ورسـتم وتركـاش فلمـا حضروا قال لهم علموا أننا أقمنا هذه السنين وما بلغنه مراماً فأزددنا عما وهما وقد أتينا لنخلص ثأر الملـك النعمان فقتل أخي شركان فصارت الحسرة حسرتين والمصيبة مصيبتين هذا كله من العجوز ذات الـدواهي فإنها قتلت السلطان في مملكته وأخذت زوجته الملكة صفية وما كفاها ذلك حتى عملت الحيلة علينا وذبحـت أخي وقد حلفت الإيمان العظيمة أنه لابد من أخذ الثأر فما تقولون أنتم فافهموا هـذا الخطـاب وردوا علـى الجواب فأطرقوا رؤوسهم وأحالوا الأمر على الوزير دندان فعند ذلك تقدم الوزير دندان إلى الملـك ضـوء المكان وقال له اعلم يا ملك الزمان أنه ما بقي في إقامتنا فائدة والرأي أننا نرحل إلى الأوطان ونقـيم هنـاك برهة من الزمان ثم نعود ونغزوا عبدة الأصنام فقال الملك نعم هذا الرأي لأن الناس اشتاقوا لي رؤية عيالهم وأنا أيضاً أقلقني الشوق إلى ولدي كان ما كان والي أبنة أخي قضى فكان لأنها في دمشق ولا أعلم ما كـان من أمرهما فلما سمعت العساكر ذلك فرحوا ودعوا للوزير دندان ثم أن الملك ضوء المكان أمر المنـادي أن ينادي بالرحيل بعد ثلاثة أيام فابتدءوا في تجهيز أحوالهم وفي اليوم الرابع دقت الكاسات ونشـرت الرايـات وتقدم الوزير دندان في مقدم العسكر وسار الملك في وسط العساكر وبجانبه الحاجب الكبير وسارت الجيوش ومازالوا مجدين السير بالليل والنهار حتى وصلوا إلى مدينة بغداد ففرحت بقدومهم الناس وزال عـنهم الهـم والباس ثم ذهب كل أمير إلى داره وطلع الملك إلى قصره ودخل على ولده كان ما كان وقد بلغ مـن العمـر سبع سنين وصار ينزل ويركب ولما استراح الملك من السفر دخل الحمام هو وولده كان ما كان ثـم رجـع وجلس على كرسي مملكته ووقف الوزير دندان بين يديه وطلعت الأمراء وخواص الدولة ووقفوا في خدمتـه

فعند ذلك أمر الملك ضوء المكان بإحضار صاحبه الوقاد الذي أحسن إليه في غربته فحضر بين يديه فلما رآه الملك ضوء المكان قادماً عليه نهض له قائماً وأجلسه إلى جانبه وكان الملك ضوء المكان قد أخبر الوزير بما فعل معه صاحبه الوقاد من المعروف فعظم في عينه وفي أعين الأمراء وكان الوقاد قد غلظ وسمن من الأكل والراحة وصار عنقه كعنق الفيل وبطنه كبطن الدرفيل وصار طائش العقل لأنه كان لا يخرج مـن المكـان الذي هو فيه فلم يعرف الملك بسيماه فأقبل عليه الملك وبش في وجهه وحياه أعظم التحيات وقال له ما أسرع ما نسيتني فأمعن فيه النظر فلما تحققه وعرفه قام له على الأقدام وقال له يا حبيبي من عماك سلطاناً فضحك عليه فأقبل عليه الوزير بالكلام وشرح له بالقصة وقال له أنه كان أخاك وصاحبك والآن صار ملـك الأرض ولابد أن يصل إليك منه خير كثير وها أنا أوصيك إذا قال لك تمن على فلا تتمن الأشياء عظيماً لأنك عنـده عزيز فقال الوقاد أخاف أن أتمنى عليه شيئاً فلا يسمح لي به أولاً يقدر عليه فقال له الوزير كل مـا تمنيتـه يعطيك إياه فقال له وا   لابد أن أتمنى عليه الشيء الذي هو في خاطري وكل يوم أرجو منه أن يسمح لي به فقال له الوزير طيب قلبك وا   لو طلبت ولاية دمشق موضع أخيه لولاك عليها فعند ذلك قام الوقـاد علـى قدميه فأشار له ضوء المكان أن أجلس فأبى وقال معاذ ا   قد انقضت أيام قعودي في الوقاد على قدميه فأشار له ضوء المكان أن أجلس فأبي وقال معاذ ا   قد انقضت أيام قعودي في حضرتك فقال له السلطان لا بل هي باقية إلى الآن فإنك كنت سبباً لحياتي وا   لو طلبت مني منهما أردت لأعطيتك أياه فتمن على ا   فقال له يا سيدي أني أخاف أن أتمنى شيئاً فلا تسمح لي به أو لا تقدر عليه فضحك السلطان وقال له لو تمنيت نصـف مملكتي لشاركتك فيها فتمن ما تريد قال الوقاد أخاف أن أتمنى شيئاً لا تقدر عليه فغضب السلطان وقـال لـه تمن ما أردت فقال له تمنيت عليك أن تكتب لي مرسوماً بعرافة جميع الوقادين الذين في مدينة القدس فضحك السلطان وجميع من حضر وقال له تمن غير هذا فقال الوقاد أنا ما قلت لك أني أخاف أن أتمنى شيئاً لا تسمح لي به وما تقدر عليه فغمزه الوزير ثانياً وثالثاً وفي كل مرة يقول أتمنى عليك أن تجعلني رئيس الزبالين في مدينة القدس أو في مدينة دمشق فانقلب الحاضرون على ظهورهم من الضحك عليه وضربه الوزير فالتفـت الوقاد إلى الوزير وقال له ما تكون حتى تضربني ومالي ذنب فإنك أنت الذي قلت لي تمن شيئاً عظيماً ثم قال دعوني أسير إلى بلادي فعرف السلطان أنه يلعب فصبر قليلاً ثم أقبل عليه وقال له يا أخي تمن علـى أمـراً عظيماً لائقاً بمقامي فقال له أتمنى سلطنة دمشق موضع أخيك فكتب له التوقيع بذلك وقال للوزير دنـدان مـا يروح معه غيرك وإذا أردت العودة فأحضر معك بنت أخي قضى فكان فقال الوزير سمعاً وطاعة ثـم أخـذ الوقاد ونزل به وتجهز للسفر وأمر السلطان ضوء المكان أن يخرجوا للوقاد تختاً جديداً وطقم سلطنة وقـال للأمراء من كان يحبني فليقدم إليه هدية عظيمة ثم سماه السلطان الزبلكان ولقبه بالمجاهد وبعد شهر كملـت حوائجه وطلع الزبلكان وفي خدمته الوزير دندان ثم دخل على ضوء المكان ليودعه فقام له وعانقه وأوصـاه بالعدل بين الرعية وأمره أن يأخذ الأهبة للجهاد بعد سنتين ثم ودعه وانصرف وسار الملك المجاهد المسـمى بالزبلكان بعد أن أوصاه الملك ضوء المكان بالرعية خيراً وقدمته له الأمراء المماليك فبلغـوا خمسـة آلاف مملوك وركبوا خلفه وركب الحاجب الكبير وأمير الديلم بهرام وأمير الترك رستم وأميـر العـرب تركـاش وساروا في توديعه ومازالوا سائرين معه ثلاثة أيام ثم عادوا إلى بغداد وسار السلطان الزبلكان هو والـوزير



دندان ومازالوا سائرين حتى وصلوا إلى دمشق وكانت الأخبار قد وصلت إليهم على أجنحة الطيور بأن الملك ضوء المكان سلطان على دمشق ملكاً يقال له الزبلكان ولقبه بالمجاهد فلما وصل إليهم الخبر زينوا له المدينة وخرج إلى ملاقاته كل من في دمشق ثم دخل دمشق وطلع القلعة وجلس على سرير المملكة ووقف الـ وزير دندان في خدمته يعرفه منازل الأمراء ومراتبهم وهم يدخلون عليه ويقبلون يديه ويدعون له فأقبل عليهم الملك الزبلكان وخلع وأعطى ووهب ثم فتح خزائن الأموال وأنفقها على جميع العساكر كبيراً وصغيراً وحكم وعدل وشرع الزبلكان في تجهيز بنت السلطان شركان السيدة قضى فكان وجعل لها محفة مـ ن الأبريسـ م وجهـ ز الوزير وقدم له شيئاً من المال فأتى الوزير دندان وقال له أنت قريب عهد بالملك وربما تحتاج إلى الأموال أو نرسل إليك نطلب منك مالاً للجهاد أو غير ذلك ولما تهيأ الوزير دندان للسفر ركب السلطان المجاهـ د إلـ ى وداعه وأحضر قضى فكان وأركبها في المحفة وأرسل معها عشر جوار برسم الخدمة وبعد أن سافر الوزير دندان رجع الملك المجاهد إلى مملكته ليدبرها وأهتم بآلة السلاح وصار ينتظر الوقت الذي يرسل إليـ ه فيـ ه الملك ضوء المكان هذا ما كان من أمر السلطان الزبلكان (وأما) ما كان من أمر الوزير دندان فإنه لم يـ زل يقطع المراحل بقضي فكان حتى وصل إلى الرحبة بعد شهر ثم صار حتى أشرف على بغداد وأرسـ ل يعلـ م ضوء المكان بقدومه فركب وخرج إلى لقائه فأراد الوزير دندان أن يترجل فأقسم عليه الملك ضوء المكان أن لا يفعل فسار راكباً حتى جاء إلى جانبه وسأله عن المجاهد فأعلمه أنه بخير وأعلمه بقدوم قضي فكان بنـ ت أخيه شركان ففرح وقال له دونك والراحة من تعب السفر ثلاثة أيام ثم بعد ذلك تعال عندي فقال حباً ثم دخل بيته وطلع الملك إلى قصره ودخل على ابنة أخيه قضى فكان وهي ابنة ثمان سنين فلما رآها فرح بها وحزن على أبيها وأعطاها حلياً ومصاغاً عظيماً وأمر أ، يجعلوها مع ابن عمها كان ما كان في مكان واحد وكانـ ت أحسن أهل زمانها وأشجعهم لأنها كانت صاحبة تدبير وعقل ومعرفة بعواقب الأمور وأما كان ما كان فإنـ ه كان مولعاً بمكارم الأخلاق ولكنه لا يفكر في عاقبة شيء ثم بلغ عمر كل واحد من الأثنـ ين عشـ ر سـ نين وصارت قضى فكان تركب الخيل وتطلع مع ابن عمها في البر ويتعلمان الضرب بالسيف والطعن بـ الرمح حتى بلغ عمر كل منهما اثنتي عشرة سنة ثم أن الملك انتهت اشغاله للجهاد وأكمل الأهبة والاستعداد فأحضر الوزير دندان وقال له اعلم أني عزمت على شيء وأريد أطلاعك عليه فأسرع في رد الجواب فقال الـ وزير دندان ما هو يا ملك الزمان قال عزمت على أ، أسلطن ولدى كان من كان وأفرح به في حياتي وأقاتل قدامـ ه إلى أن يدركني الممات فما عندك من الرأي فقبل الوزير دندان الأرض بين يدي الملك ضوء المكان وقال له اعلم أيها الملك السعيد صاحب الرأي السديد أن ما خطر ببالك مليح غير أنه لا يناسـ ب فـ ي هـ ذه الوقـ ت لخصلتين الأولى أن ولدك كان ما كان صغير السن والثانية ما جرت به العادة من أن من سلطن ولـ ده فـ ي حياته لا يعيش إلا قليلاً وهذا ما عندي من الجواب فقال اعلم أيها الوزير أننا نوصي عليه الحاجب الكبير فإنه صار منا وعلينا وقد تزوج أختي فهو في منزلة أخي فقال الوزير افعل ما بدا لك فنحن ممتثلون أمرك فأرسل الملك إلى الحاجب الكبير فأحضره وكذلك أكابر مملكته وقال لهم أن هذا ولدي كان ما كان قد علمـ تم أنـ ه فارس الزمان وليس له نظير في الحرب والطعان وقد جعلته سلطاناً عليكم والحاجب الكبير وصى عليه فقال الحاجب يا ملك الزمان أنما أنا غريس نعمتك فقال ضوء المكان أيها الحاجب أن ولدي كان ما كان وأبنة أخي

قضي فكان ولد أعم وقد زوجتها به وأشهد الحاضرين على ذلك ثم نقل لواده من المال ما يعجز عن وصـفه اللسان وبعد ذلك دخل على أخته نزهة الزمان وأعلمها بذلك ففرحت وقالت أن الأثنين ولـد أي وا تعـالى يبقيك لهما مدى الزمان فقال يا أختي أني قضيت من الدنيا غرضي وأمنت علـى ولـدي ولكـن ينبغـي أن تلاحظيه بعينك وتلاحظي أمه ثم صار يوصي الحاجب ونزهة الزمان على ولده وعلى زوجته ليالي وأيامـاً وقد أيقن بكأس الحمام ولزم الوساد وصار الحاجب يتعاطى أحكام العباد وبعد سنة أحضر ولده كان ما كـان والوزير دندان وقال يا ولدي أن هذا الوزير والدك من بعدي واعلم أني راحل من الدار الفانية إلـى الـدار الباقية وقد قضيت غرضي من الدنيا ولكن بقي في قلبي حسرة يزيلها ا على يديك فقال ولـده ومـا تلـك الحسرة يا والدي فقال يا ولدي أن أموت ولم تأخذ بثار جدك الملك عمر النعمان وعمك الملك شـركان مـن عجوز يقال لها ذات الدواهي فإن أعطاك ا النصر لا تغفل عن أخذ الثار وكشف العار وإيـاك مـن مكـر العجوز وأقبل ما يقوله لك الوزير دندان لأنه عماد ملكنا من قديم الزمان فقال له ولده سمعاً وطاعة ثم هملت عيناه بالدموع وبعد ذلك أزداد المرض بضوء المكان وصار أمر المملكة للحاجب فصار يحكم ويأمر وينهـي واستمر على ذلك سنة كاملة وضوء المكان مشغول بمرضه ومازالت به الأمراض مدة أربع سنين والحاجب الكبير قائم بأمر الملك وارتضى به أهل المملكة ودعت له جميع البلاد هذا ما كان من أمـر ضـوء المكـان والحاجب (وأما) ما كان من أمر كان ما كان فإنه لم يكن له شغل إلا ركوب الخيل واللعب بالرمح والضرب بالنشاب وكذلك ابنة عمه قضي فكان وكانت تخرج هي وأياه من أول النهار إلى الليل فتدخل إلى امها ويدخل هو إلى أمه فيجدها جالسة عند رأس أبيه تبكي فيخدمه بالليل وإذا أصبح الصباح يخرج هو وبنت عمه علـى عادتهما وطالت بضوء المكان التوجعات فبكي وأنشد هذه الأبيات:

تفانـــت قـــوتي ومضـــى زمـــاني	وهـــا أنـــا قـــد بقيـــت كمـــا تراني
فيـــوم العـــز كنـــت أعـــز قـــومي	وأســـبقي إلـــى نيـــل الأمـــاني
وقـــد فارقـــت ملكـــي بعـــد عـــزي	إلـــــى دل تخلـــــل بـــ ـــالهوان
تـــرى قبـــل الممـــات أرى غلامـــي	يكـــون علـــى الـــورى ملكـــاً مكـــاني
ويفتـــك بالغـــداة لأخـــذ ثـــار	بضـــرب الســـيف أو طعـــن الســـنان
أنـــا المغبـــون فـــي هـــزل وجـــد	إذا مـــولاي لا يشـــفى جنـــاني

فلما فرغ من شعره وضع رأسه على الوسادة ونام فرأي في منامه قائلاً يقول له أبشر فإن ولدك يملك البلاد وتطيعه العباد فانتبه من منامه مسروراً ثم بعد أيام قلائل طرقه الممات فأصاب أهل بغداد لذلك مصاب عظيم وبكي عليه الوضيع والعظيم ومضي عليه الزمان كأنه ما كان وتغير حال كان ما كان وعزلـه أهـل بغداد وجعلوه هو وعياله في بيت على حدتهم فلما رأت أم كان ما كان ذلك سارت في أذل الأحوال ثم قالـت لابد لي من قصد الحاجب الذي صار سلطاناً فوجدته جالساً على فراشه فدخلت عند زوجته نزهـة الزمـان وقالت أن الميت ماله صاحب فلا أحوجكم ا مدى الدهور والأعوام ولا زلتم تحكمون بالعدل بين الخـاص والعام قد سمعت أدناك ورأت عيناك ما كنا فيه من الملك والعز والجاه والمال وحسن المعيشة والحال والآن

انقلب علينا الزمان وقصدنا الدهر بالعدوان وأتيت إليك قاصدة احسانك بعد إسدائي للإحسان لأن الرجـل إذا مات ذلت بعده النساء والبنات ثم أنشدت هذه الأبيات:

كفـاك بـأن المـوت بـادي العجائـب ... ومـا غائـب الأعمـار عنـا بغائـب
ومـــا هـــذه الأيـــام إلا مراحـــل ... مواردهـــا ممزوجـــة بالمصـــائف
وحاضـــر قلبـــي مثـــل فقـــد أكـــارم ... أحاطـــت بهـــم مســـتعظمات النوائـــب

فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام تذكرت أخاها ضوء المكان وأبنه كان ما كان فقربتها وأقبلت عليها وقالت أنا والآن غنية وأنت فقيرة فو ا ما تركنا أفتقارك إلا خوفاً من انكسار قلبك لئلا يخطر ببالك أن مـا نهديه إليك صدقة مع أن جميع ما نحن فيه من الخير منك ومن زوجك فبيتنا بيتك ولك ما لنا وعليك ما علينا ثم خلعت عليها ثياباً فاخرة وأفردت لها مكاناً في القصر ملاصقاً لمقصورتها وأقامت عندهم في عيشة طيبـة هي وولدها كان ما كان وخلعت عليه ثياب الملوك وافردت لهما جواري برسم خدمتهما ثم أن نزهة الزمـان بعد مدة قليلة ذكرت لزوجها حديث زوجة أخيها ضوء المكان فدمعت عيناه وقال أن شئت أن تنظري الـدنيا بعدك فانظريها بعد غيرك فأكرمي مثواها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد هذا ما كان من أمر نزهة الزمان وزوجها وأم ضوء المكان (وأمـا) مـا كان من أمر كان ما كان وأبنة عمه قضى فكان فإنهما كبرا وترعرعا حتى صار كأنهما غصنان مثمـران أو قمران أزهران وبلغا من العمر خمسة عشر عاماً وكانت قضى فكان من أحسن البنات المخدرات بوجه جميل وخصر نحيل وردف ثقيل وريق كالسلسبيل وقد رشيق وثغر ألذ من الرحيق كما قال فيها بعـض واصـفيها هذين البيتين:

كان ســلاف الخمـر مـن ريقهـا بـدت ... وعنقودهـا مـن ثغرهـا الـدر يقطـف
وأعنابهـــا مالـــت إذا مـــا ثنيتهـــا ... فســـبحان خـــلاف لهـــا لا يكيـــف

وقد جمع ا كل المحاسن فيها فقدها يخجل الأغصان والورد يطلب من خدها الأمان وأما الريق فإنـه يهز بالرحيق تسر القلب والناظر كما قال فيها الشاعر:

مليحـــة الوصـــف قـــد تمـــت محاســـنها" ... أجفانهـــا تفضـــح التكحيـــل بالكحـــل
كـــان الحاظهـــا فـــي قلـــب عاشـــقها ... ســـيف بكـــف أميـــر المـــؤمنين علـــى

وأما كان ما كان فإنه كان بديع الجمال فائق الكمال عز في الحسن عن مثال الشجاعة تلوح بين عينيـه تشهد له لا عليه وقيل كل القلوب إليه وحين أخضر منه العذار كثرت فيه الأشعار كقول بعضهم:

مـــا بـــان عـــذري فيـــه حتـــى عـــذرا ... ومشـــى الـــدجى فـــي خـــده متحيـــرا
رشـــأ إذا رنـــت العيـــون لحســـنه ... ســـلت لواحظـــه عليهـــا خنجـــرا

وقول الآخر:

نســـجت نفـــوس العاشـــقين بخـــده ... ثمـــلا ونـــم بهـــا النجيـــع الأحمـــر

فأعجب لهـم شـهدوا ومسـكنهم لظـى ولباسـهم فيهـا الحريـر الأخضـر

وأنفق في بعض الأعياد أن قضى فكان خرجت تعيد على بعض أقاربها من الدولة والجواري حواليهـا والحسن قد عمها وورد الخد يحسد خالها والأقحوان يتبسم عن بارق ثغرها فجعل كان ما كان يدور حولهـا ويطلق النظر إليها وهي كالقمر الزاهر فقوي جنانه وأطلق بالشعر لسانه وأنشد هذين البيتين:

متـى يشـتفي قلـب الـدنو مـن البعـد ويضحك ثغر الوصل مـن زائـد الصـد

فياليـت شـعري هـل أبيـتن ليلـة بوصل حبيب عنـده بعـض مـا عنـدي

فلما سمعت قضى فكان هذا الشعر أظهرت له الملامة والعتاب وتوعدته بأليم العقاب فأغتاظ كـان مـا كان وعاد إلى بغداد وهو غضبان ثم طلعت قضى فكان إلى قصرها وشكت ابن عمها إلى أمها فقالت لها يـا بنتي لعله ما أرادك بسوء وهل هو الا يتيم ومع هذا لم يذكر شيئاً يعيبك فأياك أن تعلمي بذلك أحداً فربما بلغ الخبر إلى السلطان فيقصر عمره ويخمد ذكره ويجعل أثره كأمس الدابر والميت الغابر وشاع في بغداد حـب كان ما كان لقضي فكان وتحدثت به النسوان ثم أن كان ما كان ضاق صدره وقل صبره واشتغل بالـه ولـم يخف على الناس حاله واشتهى أن يبوح بما في قلبه من لوعة البين فخاف من غضبها وأنشد هذين البيتين:

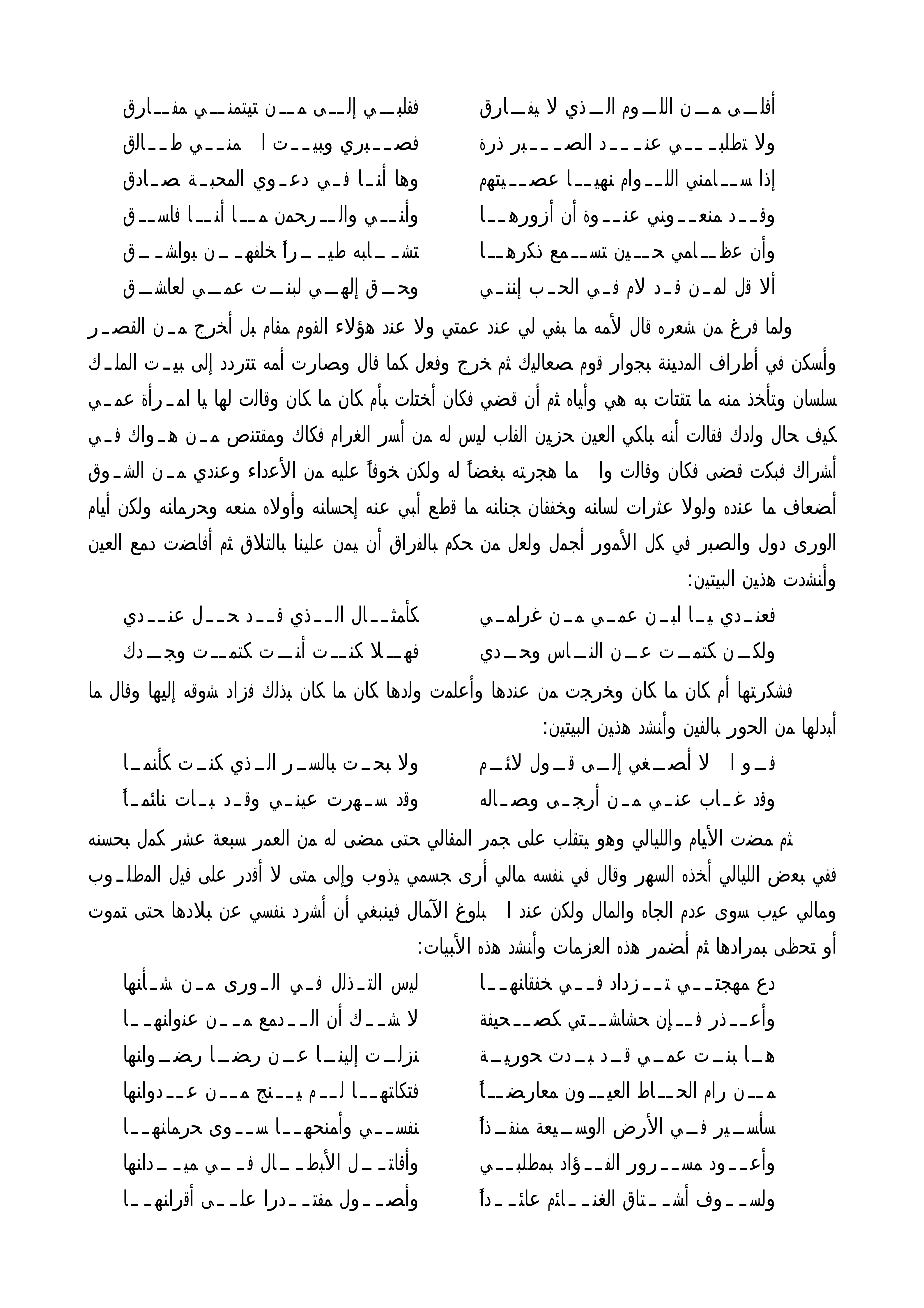
إذا خفـت يومـاً عتـاب التـي تغيـر أخلاقهـا الصـافية

صـبرت عليهـا كصـبر الفتـى علـى الكـي فـي طلـب العافيـة

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحاجب الكبير لما صار سلطان ثم إنه بلغه حب كان ما كان لقضـي فكان فندم على جعلهما معاً في محل واحد ثم دخل على زوجته نزهة الزمان وقال إن الجمـع بـين الخلفـة والنار لمن أعظم الأخطار وليست الرجال على النساء بمؤتمنين مادامت العيون في عج والمعاطف في لـين وأن ابن أخيك كان ما كان قد بلغ مبلغ الرجال فيجب منعه عن الدخول على ربات الحجال ومنع بنتك عـن الرجال أوجب لأن مثلها ينبغي أن يحجب فقالت صدقت أيها الملك العاقل والهمام الكامل فلما أصبح الصـباح جاء كان ما كان ودخل على عمته نزهة الزمان على الملك العاقل والهمام الكامل فلما أصبح الصـباح جـاء كان ما كان ودخل على عمته نزهة الزمان على جري عادته وسلم عليها فردت عليه السلام وقالت له عندي لك كلام ما كنت أحب أن أقوله لك ولكن أخبرك به رغماً عني فقال لها وما ذاك الكلام قالت إن الملك سـمع بحبك لقضي فكان فأمر بحجبها عنك وإذا كان لك حاجة فأنا أرسلها إليك من خلف الباب ولا تنظـر قضـي فكان فلما سمع كلامها رجع ولم ينطق بحرف واحد وأعلم والدته بما قالته عمته فقالت له إنما نشأ هـذا مـن كثرة كلامك وقد علمت أن حديث حبك لقضي فكان شاع وانتشر في كل مكان وكيف تأكل زادهم وبعد ذلـك وتعشق بنتهم فقال إني اريد الزواج بها لأنها بنت عمي وأنا أحق بها فقالت له أمه أسكت لئلا يصل الخبر إلى الملك سلسان فيكون ذلك سبباً لغرقك في بحر الأحزان وهم يبعثوا لنا في هذه الليلة عشاء ولو كنا في بلد غير هذه لمتنا من ألم الجوع أو ذل السؤال فلما سمع كان ما كان كلام أمه زادت بقلبه الحسـرات وأنشـد هـذه الأبيات:



أقلـى مـن اللـوم الـذي لا يفـارق … فقلبـي إلـى مـن تيتمنـي مفـارق
ولا تطلبـي عنـد الصـبر ذرة … فصـبري وبيـت ا منـي طـالق
إذا سـامني اللـوام نهيـا عصـيتهم … وها أنـا فـي دعـوي المحبـة صـادق
وقـد منعـوني عنـوة أن أزورهـا … وأنـي والـرحمن مـا أنـا فاسـق
وأن عظـامي حـين تسـمع ذكرهـا … تشـابه طيـراً خلفهـن بواشـق
ألا قل لمـن قـد لام فـي الحـب إنني … وحـق إلهـي لبنـت عمـي لعاشـق

ولما فرغ من شعره قال لأمه ما بقي لي عند عمتي ولا عند هؤلاء القوم مقام بل أخرج مـن القصـر وأسكن في أطراف المدينة بجوار قوم صعاليك ثم خرج وفعل كما قال وصارت أمه تتردد إلى بيـت الملـك سلسان وتأخذ منه ما تقتات به هي وأياه ثم أن قضي فكان أختلت بأم كان ما كان وقالت لها يا امـرأة عمـي كيف حال ولدك فقالت أنه باكي العين حزين القلب ليس له من أسر الغرام فكاك ومقتنص مـن هـواك فـي أشراك فبكت قضى فكان وقالت وا ما هجرته بغضاً له ولكن خوفاً عليه من الأعداء وعندي مـن الشـوق أضعاف ما عنده ولولا عثرات لسانه وخفقان جنانه ما قطع أبي عنه إحسانه وأولاه منعه وحرمانه ولكن أيام الورى دول والصبر في كل الأمور أجمل ولعل من حكم بالفراق أن يمن علينا بالتلاق ثم أفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين:

فعنـدي يـا ابـن عمـي مـن غرامـي … كأمثـال الـذي قـد حـل عنـدي
ولكـن كتمـت عـن النـاس وجـدي … فهـلا كنـت أنـت كتمـت وجـدك

فشكرتها أم كان ما كان وخرجت من عندها وأعلمت ولدها كان ما كان بذلك فزاد شوقه إليها وقال ما أبدلها من الحور بالفين وأنشد هذين البيتين:

فـو ا لا أصـغي إلـى قـول لائـم … ولا بحـت بالسـر الـذي كنـت كأنمـا
وقد غـاب عنـي مـن أرجـى وصـاله … وقد سـهرت عينـي وقـد بـات نائمـاً

ثم مضت الأيام والليالي وهو يتقلب على جمر المقالي حتى مضى له من العمر سبعة عشر كمل بحسنه ففي بعض الليالي أخذه السهر وقال في نفسه مالي أرى جسمي يذوب وإلى متى لا أقدر على قيل المطلـوب ومالي عيب سوى عدم الجاه والمال ولكن عند ا بلوغ الآمال فينبغي أن أشرد نفسي عن بلادها حتى تموت أو تحظى بمرادها ثم أضمر هذه العزمات وأنشد هذه الأبيات:

دع مهجتـي تـزداد فـي خفقانهـا … ليس التـذلل فـي الـورى مـن شـأنها
وأعـذر فـإن حشاشـتي كصـحيفة … لا شـك أن الـدمع مـن عنوانهـا
هـا بنـت عمـي قـد بـدت حوريـة … نزلـت إلينـا عـن رضـا رضـوانها
مـن رام الحـاط العيـون معارضـاً … فتكاتهـا لـم ينـج مـن عـدوانها
سأسـير فـي الأرض الوسـيعة منقـذاً … نفسـي وأمنحهـا سـوى حرمانهـا
وأعـود مسـرور الفـؤاد بمطلبـي … وأقاتـل الأبطـال فـي ميـدانها
ولسـوف أشـتاق الغنـائم عائـداً … وأصـول مقتـدرا علـى أقرانهـا

ثم أن كان ما كان خرج من القصر حافياً في قميص قصير الأكمام وعلى رأسه لبدة لها سبعة أعـوام وصحبته رغيف له ثلاثة أيام ثم سار في أجناس الظلام حتى وصل إلى باب بغداد فوقف هناك ولما فتحـوا باب المدينة كان أول هو خارج منه ثم صار يقطع الأودية والقفار في ذلك النهار ولما أتى الليل طلبته أمه فلم نجده فضاقت عليها الدنيا باتساعها ولم تلتذ بشيء من متاعها ومكثت تنتظر أول يوم وثاني يوم وثالث يـوم إلى أن مضى عشرة أيام فلم نزله خبراً فضاق صدرها وبكت ونادت قائلة يا مؤنسي قد هيجت أحزاني حيث فارقني وتركت أوطاني يا ولدي من أي الجهات أناديك ويا هل ترى أي بلاد يؤويك ثـم صـعدت الزفـرات وأنشدت هذه الأبيات:

علمنـــا بـــان بعـــد غيبـــتكم لياـــى	ومـــدت قســـى للفـــراق لنـــا نـــبلاً
وقـــد خلفـــوني بعـــد شـــد رحـــالهم	أعالج كرب المـوت إذ قطعـوا الـرملا
لقــد هتــف بــي جنــين ليــل حمامــة	مطوقـــة ناحـــت فقلـــت لهـــا مهـــلاً
لعمــرك لــو كانــت كمثلــي حزينــة	لما لبســت طوقــاً ولا خضــبت رجــلاً
وفــارقني الفــي فألقيــت بعــده	دواعـــي الهـــم لا تفـــارقني أصـــلاً

ثم إنها امتنعت من الطعام والشراب وزادت في البكاء والانتحاب وصار بكاؤها على رؤوس الأشـهاد واشتهر حزنها بين العباد والبلاد وصار الناس يقولون ابن عينك يا ضوء المكان وترى ما جرى على كان ما كان حتى بعد عن وطنه وخرج من المكان وكان أبوه يشبع الجعان ويأمر بالعدل والإحسان ووصل خبر كان ما كان على الملك سلسان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك سلسان وصل إليه خبر كان ما كان من الأمراء الكبار وقالوا إنه ولد ملكنا ومن ذرية الملك عمر النعمان وقد بلغنا أنه تغرب عن الأوطان فلما سمع الملك سلسان هذا الكـلام اغتاظ غيظاً شديداً وتذكر إحسان أبيه إليه وأنه أوصاه عليه فحزن على كان ما كان وقال لابد مـن التفتـيش عليه في سائر البلاد ثم بعث في طلبه الأمير تركاش في مائة فارس فغاب عشرة أيام ثم رجع وقال لـه مـا أطلعت له على خبر ولا وقفت له على أثر فحزن عليه الملك سلسان حزناً شديداً وأما أمه فأنهـا صـارت لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصطبار وقد مضي له عشرون يوماً هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر كان ما كان فإنه لما خرج من بغداد صار متحيراً في أمره ولم يدر إلى أين يتوجه ثم أنه سافر في البـر ثلاثة أيام وحده ولم يرى راجلاً ولا فارساً فطار وقاده وزاد سهاده وتفكر أهله وبلاده وصار يتقوت من نبات الأرض ويشرب من أنهارها ويقبل وقت الحر تحت أشجارها ثم خرج من تلك الطريق إلى طريـق آخـرى وسار فيها ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أشرف على أرض معشبة الفلوات مليحة النبـات وهـذه الأرض قـد شربت من كؤوس الغمام على أصوات القمري والحمام فأحضرت رباها وطاب فلاها فيتذكر كان ما كان بلاد أبيه فأنشد من فرط ما هو فيه:

خرجــــت وفــــي أملــــي عــــودة	ولكنــــي لســــت أدري متــــى
وشـــردني أننـــي لـــم أجـــد	ســبيلاً إلـــى دفـــع مـــا قـــد أتـــى



فلما فرغ من شعره أكل من ذلك النبات وتوضأ وصلى ما كان عليه من الفريضة وجلس يستريح ومكث طول ذلك اليوم في ذلك المكان فلما جاء الليل نام واستمر نائماً إلى نصف الليل ثم أنتبه فسمع صوت إنسان ينشد هذه الأبيات:

ما العيش إلا أ، يرى لك بارق ... من ثغر من تهوى ووجه رائق

والموت أسهل من صدود حبيبة ... لم يغشني منها خيال طارق

يا فرحة الندماء حيث تجمعوا ... وأقام معشوق هناك وعاشق

لا سيما وقت الربيع وزهره ... طاب الزمان بما إليه تسابق

يا شارب الصهباء دونك ما ترى ... أرض مزخرفة وماء دافق

فلما سمع كان ما كان هذه الأبيات هاجت به الأشجان وجرت دموعه على خده كالغدران وأنطلقت في قلبه النيران فقام ينظر قائل هذا الكلام فلم ير أحد في جنح الظلام فأخذه القلق ونزل في مكانه إلى أسفل الوادي ومشى على شاطيء النهر فسمع صاحب الصوت يعد الزفرات وينشد هذه الأبيات:

أن كنت تضمر ما في الجب أشفاقاً ... فأطلق الدمع يوم البيت اطلاقاً

بيني وبين أحبائي عهود هوى ... لذا إليهم أظل الدهر مشتاقاً

يرتاح قلبي إلى تيم ويطربني ... نسيم تيم إذا ما هب أشواقاً

يا سعد هل ربة الخلخال تذكرني ... بعد البعاد لنا عهداً وميثاقاً

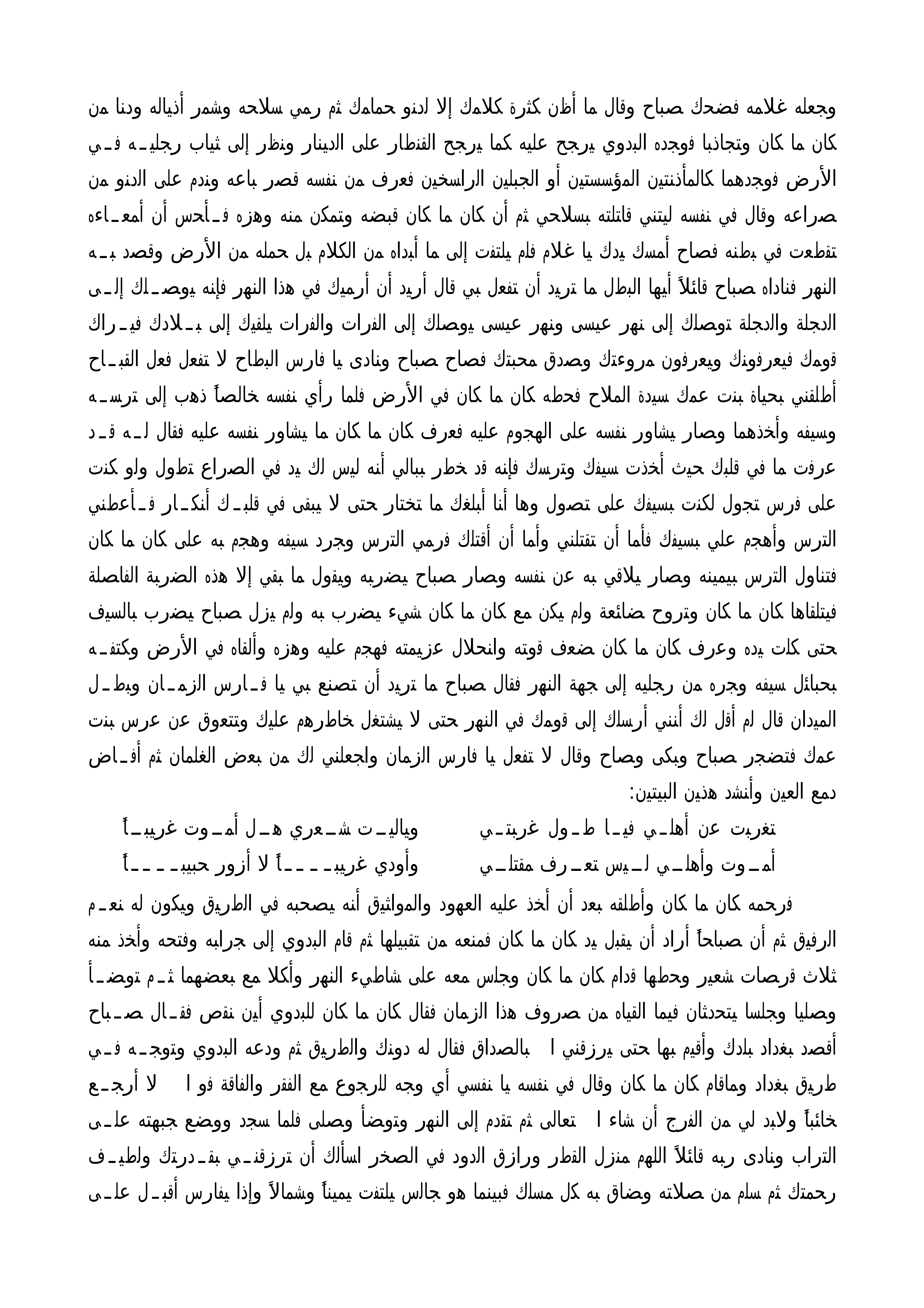
وهل تعود ليالي الوصل تجمعنا ... يوماً ويشرح كل بعض ما لاقى

قالت فتنت بنا وجدا فقلت لها ... كم قد فتنت رعاك ا عشاقاً

لا متع ا في طرفي في محاسنها ... أن كان من بعدها طيب الكرى ذاقا

بالسعة في فؤادي ما رأيت لها ... سوى الوصل ورشف الثغر ترياقاً

فلما سمع كان ما كان هذه الأشعار من صاحب ذلك الصوت ثاني مرة ولم ير شخصه عرف أن القائل مثله عاشق منع من الوصول إلى من يحبه فقال في نفسه لعلي اجتمع بهذا فيشكو كل واحد لصاحبه واجعله أنيسي في غربتي ثم تنحنح ونادى قائلاً أيها السائر في الليل العاكر تقرب مني وقص علي قصتك لعلك تجدني معيناً لك على ليتك فلما سمع صاحب الصوت هذا الكلام أجابه قائلاً أيها المنادي السامع لا نشادي من تكون من الفرسان وهل أنت من الأنس أو من الجان فعجل على بكلامك قبل دنو حمامك وأمش فقال كان ما كان لاتفعل يا أخا العرب لأن أهلي لا يشتروني بفضة ولا ذهب وأنا رجل فقير ولا معي قليل ولا كثير فدع عنك هذه الأخلاق واتخذني من الرفاق وأخرج بنا من أرض العراق فلما سمع صباح ذلك غضب وزاد به الالتهاب وقال له ويلك تردني في الجواب يا أخس الكلاب أدر كتافك وإلا أنزلت عليك العذاب فتبسم كان ما كان وقال كيف أدير الكتاف أما عندك أنصاف أما تخشى معايرة العربان حيث تأسر لا ما بالذل والهوان وما اختبرته في حومة الميدان وعلمت أهو فارس أو جبان فضحك صباح وقال يا العجب أنك في سن الغلام ولكنك كبير الكلام لأن هذا القول لا يصدر إلا عن البطل المصدام فقال كان ما كان الأنصاف أنك إذا شئت أخذى أسيراً خادماً لك أن ترمي سلاحك وتخفف لباسك وتصارعني وكل من صرع صاحبه بلغ منه مرامه



وجعله غلامه فضحك صباح وقال ما أظن كثرة كلامك إلا لدنو حمامك ثم رمي سلاحه وشمر أذياله ودنا من كان ما كان وتجاذبا فوجده البدوي يرجح عليه كما يرجح القنطار على الدينار ونظر إلى ثياب رجليـه فـي الأرض فوجدهما كالمأذنتين المؤسستين أو الجبلين الراسخين فعرف من نفسه قصر باعه وندم على الدنو من صراعه وقال في نفسه ليتني قاتلته بسلاحي ثم أن كان ما كان قبضه وتمكن منه وهزه فـأحس أن أمعـاءه تقطعت في بطنه فصاح أمسك يدك يا غلام فلم يلتفت إلى ما أبداه من الكلام بل حمله من الأرض وقصد بـه النهر فناداه صباح قائلاً أيها البطل ما تريد أن تفعل بي قال أريد أن أرميك في هذا النهر فإنه يوصـلك إلـى الدجلة والدجلة توصلك إلى نهر عيسى ونهر عيسى يوصلك إلى الفرات والفرات يلقيك إلى بـلادك فيـراك قومك فيعرفونك ويعرفون مروءتك وصدق محبتك فصاح صباح ونادى يا فارس البطاح لا تفعل فعل القبـاح أطلقني بحياة بنت عمك سيدة الملاح فحطه كان ما كان في الأرض فلما رأي نفسه خالصاً ذهب إلى ترسـه وسيفه وأخذهما وصار يشاور نفسه على الهجوم عليه فعرف كان ما كان ما يشاور نفسه عليه فقال لـه قـد عرفت ما في قلبك حيث أخذت سيفك وترسك فإنه قد خطر ببالي أنه ليس لك يد في الصراع تطول ولو كنت على فرس تجول لكنت بسيفك على تصول وها أنا أبلغك ما تختار حتى لا يبقى في قلبـك أنكـار فـأعطني الترس وأهجم علي بسيفك فأما أن تقتلني وأما أن أقتلك فرمي الترس وجرد سيفه وهجم به على كان ما كان فتناول الترس بيمينه وصار يلاقي به عن نفسه وصار صباح يضربه ويقول ما بقي إلا هذه الضربة الفاصلة فيتلقاها كان ما كان وتروح ضائعة ولم يكن مع كان ما كان شيء يضرب به ولم يزل صباح يضرب بالسيف حتى كلت يده وعرف كان ما كان ضعف قوته وانحلال عزيمته فهجم عليه وهزه وألقاه في الأرض وكتفـه بحبائل سيفه وجره من رجليه إلى جهة النهر فقال صباح ما تريد أن تصنع بي يا فـارس الزمـان وبطـل الميدان قال لم أقل لك أنني أرسلك إلى قومك في النهر حتى لا يشتغل خاطرهم عليك وتتعوق عن عرس بنت عمك فتضجر صباح وبكى وصاح وقال لا تفعل يا فارس الزمان واجعلني لك من بعض الغلمان ثم أفـاض دمع العين وأنشد هذين البيتين:

تغربت عن أهلـي فيـا طـول غربتـي	ويا ليـت شـعري هـل أمـوت غريبـاً
أمـوت وأهلـي لـيس تعـرف مقتلـي	وأودي غريبـاً لا أزور حبيبـاً

فرحمه كان ما كان وأطلقه بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق أنه يصحبه في الطريق ويكون له نعـم الرفيق ثم أن صباحاً أراد أن يقبل يد كان ما كان فمنعه من تقبيلها ثم قام البدوي إلى جرابه وفتحه وأخذ منه ثلاث قرصات شعير وحطها قدام كان ما كان وجلس معه على شاطيء النهر وأكلا مع بعضهما ثـم توضـأ وصليا وجلسا يتحدثان فيما القياه من صروف هذا الزمان فقال كان ما كان للبدوي أين تقصد فقـال صـباح أقصد بغداد بلادك وأقيم بها حتى يرزقني ا بالصداق فقال له دونك والطريق ثم ودعه البدوي وتوجـه فـي طريق بغداد وماقام كان ما كان وقال في نفسه يا نفسي أي وجه للرجوع مع الفقر والفاقة فو ا لا أرجـع خائباً ولابد لي من الفرج أن شاء ا تعالى ثم تقدم إلى النهر وتوضأ وصلى فلما سجد ووضع جبهته علـى التراب ونادى ربه قائلاً اللهم منزل القطر ورازق الدود في الصخر اسألك أن ترزقنـي بقـدرتك ولطيـف رحمتك ثم سلم من صلاته وضاق به كل مسلك فبينما هو جالس يلتفت يميناً وشمالاً وإذا بفارس أقبـل علـى

جواد وقد أقتعد ظهره وأرخى عنانه فاستوى كان ما كان جالساً وبعد ساعة وصل إليه الفارس وهو في آخر نفس لأنه كان به جرح بالغ فلما وصل إليه جرى دمعه على خده مثل أفواه القرب وقال لكان ما كان يا وجه العرب أتخذ في ما عشت لك صديقاً فإنك لا تجد مثلي وأسقني قليلاً من الماء وأن كان شرب الماء لا يصلح للخروج سيماوقت خروج الروح وأن عشت أعطيتك ما يدفع فقرك وأن مت فأنت المسعود بحسن نيتك وكان تحت الفارس حصان يتحير في حسنه الإنسان ويكل عن وصفه اللسان وله قوائم مثل أعمدة الرخام معد ليوم الحرب والزحام فلما نظر كان ما كان إلى ذلك الحصان أخذه الهيام وقال في نفسه أن هذا الحصان لا يكـون في هذا الزمان ثم أنه أنزل الفارس ورفق به وجرعه يسيراً من الماء ثم صبر عليه حتى أخذ الراحة وأقبـل عليه وقال له من الذي فعل بك هذه الفعال فقال الفارس أنا أخبرك بحقيقة الحال أني رجل سلال غيار طـول دهري أسل الخيل وأختلسها في الليل والنهار وأسمى غسان آفة كل فرس وحصان وقد سمعت بهذا الحصـان في بلاد الروم عند الملك أفريدون وقد سماه بالقانون ولقبه بالمجنون وقد سافرت إلى القسطنطينية من أجلـه وصرت أراقبه فبينما أنا كذلك إذ خرجت عجوز معظمة عند الروم وأمرها عندهم في الخداع متناهي تنمـي شواهي ذات الدواهي ومعها هذا الجواد وصحبتها عشرة عبيد لا غير برسم خدمة هذا الحصان وهي تقصـد بغداد تريد الدخول على الملك سلمان لتطلب منه الصلح والأمان فخرجت في أثرهم طمعـاً فـي الحصـان ومازلت أتابعهم ولا أتمكن من الوصول إليه لأن العبيد شداداً الحرس عليه إلى أن أتوا تلك البلاد وخفـت أن يدخلوا مدينة بغداد فبينما أنا أشاور نفسي في سرقة الحصان أنطلع عليهم غيار حتى سد الأقطار ثم انكشـف الغبار عن خمسين فارس مجتمعين لقطع الطريق على التجار ورئيسهم يقال له كهرداش ولكنه فـي الحـرب كأسد يجعل الأبطال كالفراش. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفارس المجروح قال لكان ما كان فخرج على العجوز ومـن معهـا كهرداش ثم أحاط بهم وهاش وناش فلم تمض ساعة حتى ربط العشرة العبيد والعجوز وتسلم الحصان وسـار بهم وهو فرحان فقلت في نفسي قد ضاع تعبي وما بلغت أربي ثم صبرت حتى أنظر ما يؤول الأمر إليه فلما رأت العجوز روحها في الأسر بكت وقالت لكهرداش أيها الفارس الهمام والبطـل الضـرغام مـاذا تصـنع بالعجوز والعبيد وقد بلغت من الحصان ما تريد وخادعته بلين الكلام وحلفت أنها تسوق له الخيـل والأنعـام فأطلقها هي والعبيد ثم سار هو والعبيد وأصحابه وتبعهم حتى وصلت إلى هذه الديار وأنا ألاحظه فلما وجدت إليه سبيلاً سرقته وركبته وأخرجت من مخلاتي سوطاً فضربته فلما أحسوا بي لحقوني وأحاطوا بي من كـل مكان ورموني بالسهام والسنان وأنا ثابت عليه وهو يقاتل عني بيديه ورجليه إلىأن خرج بي من بينهم مثـل النجم الطارق والسهم الراشق ولكن لما أشتد الكفاح أصابني بعض الجراح وقد مضى لي على ظهره ثلاثـة أيام لم أستطعم بطعام وقد ضعفت مني القوى وهانت على الدنيا وأنت أحسنت إلـي وأشـفقت علـى وأراك عاري الجسد ظاهر عليك الكمد ويلوح عليك أثر النعمة فما يقال لك فقال أنا يقال لي كان ما كان ابن الملـك ضوء المكان بن الملك عمر النعمان قد مات والدي وربيت يتيماً وتولى رجل لئيم وصار ملكاً على الحقيـر والعظيم ثم حدثه بحديثه من أوله إلى آخره فقال الرجل السلال وقدرق له إنك ذو حسب عظيم وشرف جسيم

وليس لك شان وتصير أفرس هذا الزمان فإن قدرت أن تحملني وتركب ورائي وتوديني إلى بلادي يكن لـك الشرف في الدنيا والأجر في يوم التناد فإنه لم يبق لي قوة أمسك بها نفسي وأن مت في الطريق فزت بهـذا الحصان وأنت أولى به من كل إنسان فقال له كان ما كان وا لو قدرت أن أحماك على أكتافي لفعلت ولـو كان عمري بيدي لأعطيتك نصفه من غير هذا الجواد لأني من أهل المعروف وأغاثة الملهوف وفعل الخيـر لوجه ا تعالى يسد سبعين بابا من البلاء وعزم على أن يحمله على الحصان ويسير متوكلاً علـى اللطيـف الخبير فقال له أصبر على قليلاً ثم غمض عينيه وفتح يديه وقال أشهد أن لا إله إلا ا وأشهد أن سيدنا محمد رسول ا ﷺ وتهيأ للممات وأنشد هذه الأبيات:

ظلمـت العبـاد وطفـت الـبلاد — وأمضـيت عمـري بشـرب الخمـور
وخضـت السـيول لسـل الخيـول — وهـدم الطلـول بفعـل النكـود
وأمـري عظـيم وجرمـي جسـيم — وفـاتول منـي تمـام الأمـور
وأملـت أنـي أنـال المنـى — بـذاك الحصـان فاعيـا مسـيري
وطـول الحيـاة أسـل الخيـول — فكانـت وفـاتي عنـد الغـدير
وآخـر أمـري أنـي تعبـت — لـرزق الغريـب اليتـيم الفقيـر

فلما فرغ من شعره غمض عينيه وفتح فاه وشهق شهقة ففارق الدنيا فحفر له كان ما كان حفرة وواراه في التراب ثم مسح وجه الحصان ورآه لا يوجد في حوزة الملك سلسان ثم أتته الأخبار من التجار بجميع ما جرى في غيبته بين الملك سلسان والوزير دندان وأن الوزير دندان خرج من طاعة الملك سلسان هو ونصف العسكر وحلفوا أنهم ما لهم سلطان إلا كان ما كان واستوثق منهم بالإيمان ودخل بهم إلى جزائر الهند والبربر وبلاد السودان واجتمع معهم عساكر مثل البحر الزاخر لا يعرف لهم أول من آخر وعزم علـى أن يرجـع بجميع الجيوش على البلاد ويقتل من يخالفه من العباد وأقسم على أنه لا يرد سيف الحرب إلى غمـده حتـى يملك كان ما كان فلما بلغته هذه الأخبار غرقت في بحر الأفكار ثم أن الملك سلسان علم أن الدولة انحرفـت عليه الكبار والصغار فغرق في بحر الهموم والأكدار وفتح الخزائن وفرق على أرباب الدولة الأموال والنعم وتمنى أن يقدم عليه كان ما كان ويجذب قلبه إليه بالملاطفة والإحسان ويجعله أمير على العساكر الـذين لـم يزالوا تحت طاعته لتقوي به شرارة جمرته ثم أن كان ما كان لما بلغه ذلك الخبر من التجار رجع مسـرعاً إلى بغداد على ظهر ذلك الجواد فبينما الملك سلسان في ربكته حيران إذ سمع بقدوم كان ما كان فأخرج جميع العساكر ووجهاء بغداد لملاقاته فخرج كل من في بغداد ولا قوة ومشوا قدامه إلى القصر ودخلت الطواشـية بالأخبار إلى أمه فجاءت إليه وقبلته بين عينيه فقال يا أماه دعيني أمضي إلى عمي السلطان سلسـان الـذي غمرني بالنعمة والإحسان ثم أن أرباب الدولة تحير وافى وصف ذلك الحصان وفي وصـف صـاحبه سـيد الفرسان وقالوا للملك سلسان أيها الملك أننا ما رأينا مثل هذا الإنسان ثم ذهب الملك سلسان وسلم عليه فلمـا رآه كان ما كان مقبلاً عليه قام إليه وقبل يديه ورجليه وقدم إليهم الحصان هدية فرحب به وقال أهلاً وسـهلاً بولدي كان ما كان وا لقد ضاقت بي الأرض لأجل غيبتك والحمد على سلامتك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



تم المجلد الأول من قصة ألف ليلة وليلة . ويليه المجلد الثاني وأوله لية ١٧٠